

تأملات شيخ الاسلام ابن تيمية
في
القرآن الكريم
سورة هود
رقية محمود الغرابي

الفهرس

<u>2</u>	<u>الفهرس</u>
<u>16</u>	<u>مقدمة سورة هود</u>
<u>18</u>	<u>هود-1</u>
<u>124</u>	<u>هود-25</u>
<u>176</u>	<u>هود-50</u>
<u>199</u>	<u>هود-61</u>
<u>212</u>	<u>هود-69</u>
<u>224</u>	<u>هود-84</u>
<u>260</u>	<u>هود-96</u>

الفهرس (2)

2

الفهرس

3

الفهرس (2)

16

مقدمة سورة هود

16

عرض لما تضمنته سورة هود

18

هود 1-24

19

أسماء الحروف

20

الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده

20

أحكام آياته تعم القرآن كله

21

المعاني التي تقابل المحكم

23

التوحيد والإيمان بالرسل دين الله في الأولين والآخرين

24

الإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده

24

الرد على الجهمية الذين يزعمون ان كلام الله ليس من الله

25

محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس

27

قوام الدين بالتوحيد والاستغفار

28

الجمع بين التوحيد والتحميد والاستغفار

31

الاستغفار دافع للعذاب

33

الاستغفار سبب للرزق والنعمـة

35

التوبـة والاستغفار يكون من ترك الواجبات و فعل المحرمات

36

ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة

38

الله سبحانه بصير لا تخفي عليه خافية

39

كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق

الرزق يراد به شيئاً

- 40 الرد على قول الغزالى أن الله ضمن الرزق ضماناً مطلقاً من غير شرط الطلب و
41 لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه
45 لم يخبر القرآن بأن الله خلق السموات والأرض من غير شيء
46 الزمان كان موجوداً قبل أن يخلق الله الشمس والقمر
48 أول الأيام يقال يوم الأحد
50 كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن
51 العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر
52 يقبل الله العمل الخالص الصواب
54 التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين الله
55 علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة
57 الاعتصام بالسنة نجاة
59 الفضل بنفس العمل وجودته لا بقدرها وكثرتها
60 صاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال تقبل الله منه
61 لفظ الذوق مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر
63 حال الإنسان عند السراء والضراء
63 العبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء
65 "يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"
67 مساعي القلوب وأعمالها
68 الأعمال الصالحة لازمة لإيمان القلب
68 الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار
69 تحدى الله الخلق بأن يأتوا بمثله
70 القرآن معجز بلغظه ونظمه ومعناه

73	القرآن متضمن لعلم الله
74	الخلق كلهم عاجزين عن الاتيان بسورة مثله لانه خبر عن علم الله
76	ذكر براهين التوحيد والنبوه قبل ذكر الفرق بين أهل الحق و الباطل
76	الأمران المانعان للخلق من اتباع الرسول
77	لفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانتقاد ويتضمن الإخلاص
77	يجب الإيمان بما أوجب الله بالإيمان به
78	أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسله
78	أساس الطريق الارادة
79	الإنسان ماموراً بمخالفة هواه
79	قول القلب وعمله هو الأصل
87	الزهد الشرعي
87	ما قد يفضي الى حبوط العمل يجب تركه غاية الوجوب
88	البينة هي السبيل للبينة
89	الرسول ومن اتباه على بيته من ربهم وبصيرة
101	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
102	القرآن والتوراة كل منهما أصل مستقل
103	{ وَمَن يَكُفِرْ بِهِ مِنَ الْأَحْرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ }
104	أهمية معرفة مراتب الأديان
104	لا معصوم إلا الأنبياء
104	الفرق بين من لعنه الله لعنة مؤبدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقا
106	من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين
106	يعق الكذب على الله ممن فسد قصده
108	الإمكانية جاءت في كتاب الله على نوعين

111	نفوسهم لا تستطيع إرادته وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه
112	الفرق في السمع والبصر من الإيمان وآثاره والكفر وآثاره
113	أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن
113	يأمر الله ويمدح أنواع العلم وأسبابه وكماله
114	الأعمال الصالحة لازمة للإيمان
115	علق الوعد بالجنة باسم الإيمان المطلق والمقييد بالعمل الصالح
116	"إن النور إذا دخل القلب إن شرح وإنفسح"
117	نفي المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقا
118	لطائف لغوية

هود 49-25	
125	الدعوة إلى توحيد الله عز وجل
125	الغاية التي فيها صلاح للنفس
126	"ضعفاً لهم هم أتباع الرسل "
127	الكفار بالرسل يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي
127	المسلك الشخصي استدل به هرقل ملك الروم
128	أخبر أنه لم ينج من العذاب إلا المؤمنين
128	تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله
129	توسيط البشر بالرسالة
129	من يزعم أن نبي أو شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فهذا كفر صريح وجهل قبيح
130	دعاء الميت والغائب والاستغاثة به من افعال المشركين وعبادات الضالين
131	الرد على الذين يقولون أن الملائكة أفضل من البشر
132	ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها
133	الإرادة في كتاب الله نوعان

134	أهل الكفر والمعصية لم يرد الله أن يخلق طاعتهم لكنه أمرهم بها
135	الاعتلال بالقدر ذنب
136	حال من لم يميز بين الإرادة الخلقية والإرادة الأمرية
138	هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا ؟
139	الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قبح في الشرع
141	القرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة والتحدي
142	الفرق بين مشيئة الله وبين محبته ورضاه
144	قدرة الرب والعبد
145	كل ما في الوجود فهو مخلوق لله خلقه بمشيئته وقدرته
145	من الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه
146	الكفار بالرسل يسمون أنفسهم الحكام وال فلاسفة ويُسخرون من اتباع المرسلين
147	الرد على زعم الرافضة أن امرأة نوح كانت بغا
149	{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }
149	المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة
151	أهل الإسلام والسنّة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويحبونه ويظهرون ذكره
153	لفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول
153	لم يلزم من اتفاق الأسمين اتفاقهما ولا تماثل المسمى
154	الله سبحانه أحکم الحاکمين
154	الدعاء سبب يقضي الله به ما علم الله أنه سيكون
156	السؤال كثيراً ما يجيء باسم الرب
157	حسن الأدب في السؤال والدعاء
159	إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله
159	إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً

161	التوبة من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق
162	أقسام الكلام وأنواعه الله موصوف بها كلها
162	المؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة
165	العاقبة للمتقين
166	نفي علم قومه بما أخبره فيه بياناً لآلاء الله
167	القصص في القرآن من آيات الأنبياء
171	التقوى سبب لحفظ الحسنات ومنع السيئات
171	لطائف لغوية

176	هود-50
176	خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا
178	العبادة هي اسم جامع لكل ما أمر الله به
179	ال العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل
180	كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله
182	اخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا اله الا الله
184	إلهية ما سوى الله ليس لها أساس ثابت ولا فرع ثابت بل هي أعظم الكذب والإفتراء
185	يصف القرآن أهل الشرك بالفريدة
186	الأفعال تكون قبيحة مذمومة قبل مجىء الرسول إليهم
187	العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضررة
188	تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة عمل صالح
188	توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته هو قلب الإيمان
189	التوبة فرض على العباد دائمًا
190	القوة والعزة لأهل الطاعة التائبين إلى الله
191	العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا وعند الاختصاص يقيد ذلك

191	لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد
192	بتوكله على الله يعجزهم عما تحداهم به
193	المشركون يخشون ألهتم ويرجونها
194	الرب سبحانه على صراط مستقيم
195	الكافر الذين جحدوا ما علموا أنه الحق
195	بالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء وبين الحق والباطل
196	عاد عصوا هودا معصية تكذيب لجنس الرسل
196	لطائف لغوية

199	هود-61
199	رأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله
201	كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله
203	أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول
203	التوبة فرض على العباد دائمًا
204	قال طلاق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقواها بالتفوي
205	ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب
206	قرب الله الذي في القرآن خاص لا عام
207	الرحمة تحصل بالقرآن
208	المضاف إلى الله نوعان
208	معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية
209	آيات الأنبياء لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته
210	لطائف لغوية

212	هود-69
212	إثبات الملائكة وأنهم أحيا ناطقون

213	البشرة باسحق كانت معجزة
213	المضاف إلى الله نوعان
214	لنظر الأمر يراد به المصدر والمفعول
215	الله هو المستحق للمحامد الكاملة
215	"أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله "
216	{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهُ مُنِيبٌ}
216	الله سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش
217	عقوبة أهل الفواحش طمس الأ بصار
218	الطهارة في كتاب الله على قسمين
219	التقوى ان تعمل بطاعة الله وأن تترك معصية الله تخاف عذاب الله
220	عذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب الذين كانوا يعملون الخبائث
220	يكون في هذه الأمة من يمسخ قردة وخنازير
222	لطائف لغوية

224	هود 95-84
224	خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله
225	قطب القرآن
227	الغاية التي فيها صلاح للنفس
228	العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر
229	الله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط
230	بخس المكيال و الميزان من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب
230	اخبر عن اعمال قوم شعيب انها من السيئات القبيحة قبل أن ينهاهم
231	عامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة يكذبونهم
231	توحيد الإلهية هو الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به

233	قدر الله الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها
234	{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }
236	من ظن الإستغناء بالسبب عن التوكل فقد أخل بواجب التوحيد
238	الأخلاق والتوكيل جماع صلاح الخاصة والعامة
239	من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله
240	العبادة والتوكيل يجمعان الدين كله
247	من راعى الأمر والقدر كما ذكر كان عابدا الله متوكلا عليه
248	"إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله "
250	الاستغفار من أعظم الحسنات
252	الرد على انكار الجهمية المجبرة للازم كرم الله سبحانه ورحمته وحكمته
253	ما ذكره الله عن أعداء الرسل تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله و عن تدبر كتابه
253	الله قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه رحيم و دود بهم
256	الدين مجموع في التوحيد والاستغفار
256	الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئا إلا بإحداث أسباب ودفع موائع
257	الحكم بين الشيئين
258	لطائف لغوية

260	123-96 هود
261	لم يكفر أحد بالله ويدعى لنفسه الربوبية والإلهية مثل فرعون
263	النسخ لا يجوز في الأخبار
264	حرم الله على نفسه الظلم
265	نزله الله نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه
266	جعل إهلاك المهلكين حصادا لهم
267	أنباء القرآن يعلم بالسمع والنقل تارة ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة

268	ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب
269	لا يعذب الله في الآخرة إلا من أذنب
274	لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين
275	الشفاعة التي نفاحتها القرآن مطلقاً ما كان فيها شرك
276	{ وما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ }
277	الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب
278	"إن الله يملّى للظالم فإذا أخذه لم يفلته"
279	استعمال اللفظ في حال في معنى وفي حال أخرى
280	{ إنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ }
280	اليوم الآخر هو الذي ذكره الله في القرآن
281	طوي السموات لا يوجب عدمها وفسادها بل أصلها باق
281	الحق الذي على الله هو أحقه على نفسه
282	إقامة الحجة على أهل الشرائع وذم تفرقهم واختلافهم
283	أهل الرحمة لا يختلفون
285	الاستقامة اتباع ما أمر
285	الظلم لا يجوز أن يؤتى به في ظلمه ولا يرکن إليه
285	يغزى مع كل أمير برا كان أو فاجرا إذا كان الغزو مشروعًا
286	ما خطوبت به خطوبت به الأمة ما لم يرد نص بالتفصيص
287	الإسلام هو الإستسلام لخلقه وأمره
287	لم يخاطبوا بالصلة إلا وسماتها معلوم عندهم
288	الصلة عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين
288	إقامة الصلاة تتضمن إتمامها بحسب الإمكانيات
290	الوقت في كتاب الله وسنة رسول الله نوعان

- اكثر آيات القرآن بدأت بالفجر 290
- الجمع لا يختص بالسفر الطويل بل يجمع للمطر ويجمع للمرض 291
- العشاء تجب بالطهر قبل الفجر 293
- إذا طهرت الحاضر في آخر النهار صلت الظهر والعصر جميعاً 294
- { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ } 295
- "لمن عمل بها من امتي" 295
- عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب 297
- الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة 298
- الرد على الذين يقولون ان الحسنات انما تکفر الصغار فقط فاما الكبار فلا تغفر الا بالتوبة 301
- الوعيد الموجود في الكتاب والسنة لا يلحق التائب 302
- يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان 303
- المغتاب له سبيل إلى التوبة بكل حال 304
- الاعتذار عن النفس بالباطل و الجدال عنها لا يجوز 304
- لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر الممحض 304
- الناوى الجازم الآتي بما يمكن فإنه بمنزلة الفاعل التام 306
- الصبر واجب على اداء الواجبات وترك المحظورات 307
- قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً 308
- أعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة أمور 309
- مصلحة وفضائل الأعمال وثوابها وفوائدها 310
- الفقه قبل الأمر 310
- "من عبد الله بغير علم كان ما يفسد اکثر مما يصلح" 311
- الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله والإتيان بالفعل الحسن 312
- { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِنَّ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلَحُونَ } 312

- 313 أن الله على كل شيء قادر
- 314 الله حكمة بالغة في أقضيته وأقداره
- 314 أخبر الله بقدرته على أشياء مع أنه لا يفعلها
- 316 حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة
- 317 الاختلاف في كتاب الله نوعان
- 318 "هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب "
- 319 "المراء في القرآن كفر"
- 320 "هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على آنبيائهم"
- 320 اتبع الناس للرسول أقلهم اختلافا
- 322 أهل الرحمة الذين لا يختلفون
- 323 علم الله سبحانه من لوازمه نفسه
- 324 مشيئة الله العامة الكونية
- 325 { ولذلك خلقهم }
- 326 لا تمتليء جهنم إلا من أتباع أبليس من الجن والإنس
- 327 أهل السنة لا ينفون عن الله سبحانه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه
- 328 صيغة الجمع في كلام العرب للواحد العظيم
- 328 أحوال الأمم الماضية يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلة
- 329 من الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
- 329 ختم السورة وافتتحها بالتوحيد والإيمان بالرسل
- 330 توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه
- 331 توحيد الإلهية هو الفارق بين الموحدين والمشركين
- 333 عامة الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد
- 335 من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازם الإيمان الثابتة فيه

قطب رحى الدين

- 336 لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب
- 337 الاعراض عن التوكل خروج عن حقيقة الايمان
- 344 "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"
- 347 الدعاء والتوكل من اعظم الاسباب
- 348 التوكل مقرون بالعبادة
- 350 الرجاء مقرون بالتوكل
- 351 الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة
- 352 إمتثال الأمر على الإطلاق لا يصح بدون التوكل والإستعانة
- 353 ينبوع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة وإستعانة
- 354 النور والمعرفة هو أصل المحبة والإرادة
- 355 أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
- 356 من راعى الأمر والقدر كان من الذين أنعم الله عليهم
- 357 لطائف لغوية

مقدمة سورة هود

عرض لما تضمنته سورة هود

في قوله تعالى { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّهِ وَيَتَّلُو شَاهِدًا مِّنْهُ وَمِنْ قِيلَهُ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَخْرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } هود: 17 الآية وما بعدها إلى قوله { أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } هود: 24 ذكر سبحانه الفرق بين أهل الحق والباطل وما بينهما من التباين والإختلاف مرة بعد مرة ترغيبا في السعادة وترهيبا من الشقاوة وقد افتتح السورة بذلك فقال { الْرِّكَابُ أَحْكَمُتْ أَيَّاثَهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ } { 1 } أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّي لَكُمْ مِنَهُ نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ } { 2 } هود: 1-2 ذكر أنه نذير وبشير نذير بالعذاب لأهل النار وبشير ببشر بالسعادة لأهل الحق ثم ذكر حال الفريقين في السراء والضراء فقال { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ تَرَعَّنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُوسُ كَفُورٌ } { 9 } وَلَئِنْ أَذْقَنَا تَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّنَا لَيَقُولَنَّ دَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ } { 10 } إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } { 11 } هود: 9-11 ثم ذكر بعد هذا قصص الأنبياء وحال من اتبعهم ومن كنفهم

كيف سعد هؤلاء في الدنيا والآخرة وشقى هؤلاء في الدنيا والآخرة فذكر ما جرى لهم إلى قوله { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَىٰ نَفْسُهُ عَلَيْكَ } هود: 100 إلى قوله { وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ } هود: 103 ثم ذكر حال الذين سعدوا والذين شقوا ثم قال { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاءً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ } هود: 103 فإنه قد يقال غاية ما أصاب هؤلاء أنهم ماتوا والناس كلهم يموتون وأما كونهم أهلكوا كلهم وصارت بيوتهم خاوية وصاروا عبرة يذكرون بالشر ويلعنون إنما يخاف ذلك من آمن بالآخرة فإن لعنة المؤمنين لهم بالآخرة وبعضهم لهم كما جرى لآل فرعون هو مما يزيدهم عذابا كما أن لسان الصدق وثناء الناس ودعائهم للأنبياء وإتباعهم لهم هو ما يزيده ثوابا فمن استدل بما أصاب هؤلاء على صدق الأنبياء فلم يؤمن بالآخرة خاف عذاب الآخرة وكان ذلك له آية وأما من لم يؤمن بالآخرة ويظن أن من مات لم يبعث فقد لا يبالي بمثل هذا وإن كان يخاف هذا من لا يخاف

الآخرة لكن كل من خاف الآخرة كان هذا حاله وذلك له آية وقد ختم السورة بقوله { وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ } هود: 121 إلى آخرها كما افتحتها بقوله { إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ } هود: 2 ذكر التوحيد والإيمان بالرسل فهذا دين الله في الأولين والآخرين قال أبو العالية كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين ولهذا قال { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } القصص: 65 و { أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } القصص: 62 هو الشرك في العبادة وهذا هما الإيمان والإسلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ تارة في ركعتي الفجر سورة الإخلاص وتارة بأياتي الإيمان والإسلام فيقرأ قوله { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا } البقرة: 136 الآية (أو هذه الآية لم اعرف من المقصود) { آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَنِّنَا } آل عمران: 84 فأولها الإيمان وأخرها الإسلام ويقرأ في الثانية { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلْمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ إِلَّا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ } { آلَ عَمْرَانَ } 64 فأولها إخلاص العباد الله وأخرها الإسلام له وقال { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ }

وَقُولُوا آمَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت 46
ففيها الإيمان والإسلام في آخرها وقال { الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } 69 ادخلوا الجنة
أَنْتُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ ثُجُبُرُونَ } 70 الزخرف 69-70¹

¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 103-106 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 224-225

هود 1-24

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتَابُ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ{1} أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ{2} وَأَنْ اسْتَغْفِرُوْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى وَيَوْتَ كُلَّ ذِي فَضْلَةٍ وَإِنْ تُولَوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ{3} إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{4} أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثَيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{5} وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ{6} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَتَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ أَنَّكُمْ مَبْعَثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُبِينٌ{7} وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أَمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولَنَّ مَا يَحِسْسَهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَئُونَ{8} وَلَئِنْ أَدْقَنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَنْسَانِ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ نَرْعَنَاهَا مِنْهُ أَنَّهُ لَيُؤْوِسُ كُفُورَ{9} وَلَئِنْ أَدْقَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءِ مَسْتَهْ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي أَنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ{10} أَلَا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ{11} فَلَعْنَكَ تَارَكَ بَعْضَ مَا يُوَحِّي إِلَيْكَ وَضَانِقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ{12} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوْنَا بِعَشْرِ سُورٍ مُثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ{13} فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلْنَا بِعْلَمَ اللَّهِ وَإِنْ لَأَلَّا هُوَ فِهِنَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ{14} مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ{15} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{16} أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبُ مُوسَى إِمامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ{17} وَمَنْ

أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ
 هَوُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {18} الَّذِينَ
 يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عَوْجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {19}
 أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ
 يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ {20}
 أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {21} لَا جَرَمَ
 أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ {22} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَأَخْبَتوُ إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {23} مَثَلُ
 الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ {24}

أسماء الحروف

قال تعالى { الْرَّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 ليس في القرآن من حروف الهجاء التي هي أسماء الحروف إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف أجناس الحروف نصف المجهورة والمهموسة والمستعلية والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن بل قد اجتمعت في آيتين إحدهما في آل عمران والثانية في سورة الفتح { ثُمَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمَّ أَمَنَةً } آل عمران 154 الآية و { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ } الفتح 29 الآية 2

أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل سور يروى هذا عن ابن عباس و على هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاماً تماماً من الجمل الإسمية والفعلية وإنما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرّب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد والتركيب وإنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ث ث ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الإسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء ولهذا لما سأّ الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا زا قال نطقتم بالإسم وإنما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقطعة ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعرّبه فله بكل حرف عشر حسّنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف و الح لغة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتناول الذي يسميه النحة أسماء فعلاً و حرفاً ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام إسم و فعل و حرف جاء لمعنى ليس باسم و فعل فإنه لما كان معروفاً من اللغة أن الإسم حرف و الفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحة عليه الحرف أنه جاء

لمعنى ليس باسم و لا فعل و هذه حروف المعانى التى يتالف منها الكلام و أما حروف الهجاء فتلك إنما تكتب على صورة الحرف المجرد و ينطق بها غير معربة و لا يقال فيها معرب و لا مبني لأن ذلك إنما يقال في المؤلف فإذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه حكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابه كان ما سواها معلوم المعنى و هذا المطلوب وأيضا فإن الله تعالى قال { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُّتَشَابِهَاتٌ } آل عمران 7 و هذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وإنما يعدها آيات الكوفيون و سبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه و لكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء³

الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده

قال تعالى { الْكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 فقد فصله بعد أحكامه بخلاف من تكلم بكلام لم يحكمه وقد يكون في الكلام المحكم مالم يبينه لغيره فهو سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده كما قال { وَكَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِّئَنَّ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } الأنعام 55 وقال { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 52 فهو سبحانه بينه وأنزله على عباده بعلم ليس كمن يتكلم بلا علم⁴

+ قال القاضي عياض قال بعضهم قال الله تعالى { الْكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 ثم بين التفصيل فقال { أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ } هود 2 فهذا فصل الأولوية ثم قال { إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } هود 2 وهذا فصل النبوة ثم قال { وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ } هود 3 فهذا فصل التكليف وما وراءه من الوعيد⁵

أحكام آياته تعم القرآن كله

قوله { الْكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 و في قوله { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } كتاباً متشابهاً مثاني تشعر منه جلوذ الذين يخشون ربهم } الزمر 23 فوصفه هنا كله بأنه متشابه أي متفق غير مختلف يصدق بعضه ببعض و هو عكس المتضاد المختلف المذكورة في قوله { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء 82 و قوله { إِنَّمَا لَفِي }

³- مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 420-421 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 411 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 103

⁴مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 123

⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 106 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 226

قولٍ مُخْلِفٍ {8} يُوَفِّكُ عَنْهُ مِنْ أُفَكٍ {9} الذاريات 8-9 فإن هذا التشابه يعم القرآن كما أن إحكام آياته تعمه كله⁶

قال تعالى {الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1 و قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا} محمد 24 وقال {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء 82 و قال تعالى {أَفَلَمْ يَدِيرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَبْيَاءُهُمُ الْأَوَّلَيْنَ} المؤمنون 68 و قال تعالى {فَبَشِّرْ عِبَادِ} 17 {الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَسْعَونَ أَحْسَنَهُ} 18 الزمر 17-18 وقال {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكْرُوا بِإِيمَانٍ رَبَّهُمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} الفرقان 73 وقال {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف 2 و قال {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَقُوْمٍ يَعْلَمُونَ} 3 {بَشِّرِأَ وَنَذِيرًا} 4 فصلت 3-4 إلى قوله {وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ} فصلت 5 فإذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يكن المتذبذب المعقول إلا بعضه وهذا خلاف ما دل عليه القرآن لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالأيات الخبرية والأخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار وعن نفي الشركاء والأولاد عن الله و تسميته بالرحمن فكان عامة إنكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيها وإثباتها ما يخبرهم به عن اليوم الآخر وقد نم الله من لا يعقل ذلك و لا يفقهه و لا يتذبذبه فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك و تذبذبه وقد قال تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَإِنَّ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} 42 {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَإِنَّ تَهْدِي الْعُمَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ} 43 يونس 42-43 وقال {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْلَهَ أَنْ يَفْقُهُوهُ وَفِي آذِنِهِمْ وَقْرًا} الأنعام 25 الآية و قال تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} 45 {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْلَهَ أَنْ يَفْقُهُوهُ وَفِي آذِنِهِمْ وَقْرًا} الإسراء 45-46 الآية⁷

المعاني التي تقابل المحكم

قال الله تعالى {الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1 فأخبر أنه أحکم آياته كلها وقال تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَتَانِي} الزمر 23 فأخبر أنه كله متشابه والحكم هو الفصل بين الشبيئين فالحاكم يفصل بين الخصميين والحكم فصل بين المتشابهات علمًا و عملا إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار فيقال حكمت السفيه وأحکمته إذا أخذت على يديه وحكمت الدابة وأحکمتها إذا جعلت لها حكمة وهو ما أحاط بالحنك من اللجام واحكام الشيء اتقانه فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامرها و القرآن كله محكم بمعنى الإتقان فقد سماه الله حكيما بقوله {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} لقمان 2 فالحكيم بمعنى

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن في قوله تعالى {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران 7 في المتشابهات قولان أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على

كل الناس والثانية وهو الصحيح ان التشابه امر نبغي فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا تتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال **{ أَحْكَمْتُ آيَاتٍ ثُمَّ فُصِّلَتْ }**¹ وهذا قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس وكذلك قوله **{ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا }**² البقرة 70

قال طائفة من المفسرين المتقدمين ان الحكم هو الناسخ و المتشابه المنسوخ أرادوا والله أعلم قوله **{ فَيَسْخَعُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ }** الحج 52 والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله وقد أشرت الى وجه ذلك فيما بعد وهو أن الله جعل الحكم مقابل المتشابه تارة ومقابل المنسوخ أخرى والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام ويدخل فيه المجمل فانه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهם فيه من المعنى الذي ليس بمراد وكذلك ما رفع حكمه فإن في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فإذا عرف الناسخ عرف الحكم وعلى هذا فيصبح أن يقال الحكم والمنسوخ كما يقال الحكم والمتشابه قوله بعد ذلك **{ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ }** الحج 52 جعل جميع الآيات محكمها ومتشابهها كما قال **{ الْأَرْكَابُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ }**¹ هود 1 وقال **{ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ }** لقمان 2 على أحد القولين وهنالك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابها كما قال **{ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }** آل عمران 7 وهذه المتشابهات مما أنزله الرحمن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار الحكم في القرآن تارة يقابل بالتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان ومن الناس من يجعله مقابل لما نسخه الله مطلقا حتى يقول هذه الآية محكمة ليست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وإن كان الله أنزله أولا اتباعا لظاهر قوله **{ فَيَسْخَعُ اللَّهُ }** 52 و **{ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ }** 52 الحج 52 فهذه ثلاثة معان تقابل الحكم ينبغي التقطن لها وجماع ذلك أن الأحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان فالحكم المنزلي من عند الله أحکمه الله أی فصله من الاشتباہ بغيره وفصل منه ما ليس منه فان الأحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء وبحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد فالمنع جزء معناه لا جميع معناه وتارة يكون الأحكام في ابقاء التنزيل عند من قبله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع وهو اصطلاحى أو يقال وهو أشبه بقول السلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة وإلقاء الشيطان في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في سمع المبلغ وقد يكون في فهمه كما قال **{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءَ مَا فَسَّالَتْ أُوْدِيَّةٌ بِقَدْرِهَا }** الرعد 17 الآية ومعلوم أن من سمع النص الذي قد رفع حكمه أو دلالة له فإنه يلقي الشيطان في تلك التلاوة اتباع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به يحصل رفع الحكم وبيان المراد وعلى هذا التقدير فيصبح أن يقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم وتارة يكون الأحكام في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تتشبه بغيرها وفي مقابلة المحكمات

الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين قال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ المحكم الذي ليس فيه اختلاف والمتشابه الذى يكون فى موضع كذا وفى موضع كذا ولم يقل فى المتتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه الا الله وإنما قال {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 7 وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين فى هذا الموضع فان الله اخبر أنه لا يعلم تأويله الا هو والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه اصحاب رسول الله وجمهور التابعين وجماهير الأمة ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ بُشِّرَّاً لَّيَدَبَّرُوا آيَاتِهِ} ص 29 وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدار و قال {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} النساء 82 ولم يستثن شيئاً منه نهى عن تدبره والله ورسوله انما ذم من اتبع المتتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه⁹

التوحيد والإيمان بالرسل دين الله في الأولين والآخرين

و أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى {فَوَرَبَّكَ لَنْسَانَهُمْ أَجْمَعِينَ} 92 {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 93 الحجر 92-93 ولهذا يقرر الله هذين الأصلين فى غير موضع من القرآن بل يقدمهما على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول ومن هذا قوله تعالى {الرَّكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ} 1 {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} 2 هود 1-2¹⁰

وقد ختم السورة بقوله {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} هود 121 إلى آخرها كما افتتحها بقوله {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ} 2 ذكر التوحيد والإيمان بالرسل فهذا دين الله في الأولين والآخرين قال أبو العالية كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين ولهذا قال {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} القصص 65 و {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} القصص 62 هو الشرك في العبادة وهذا هما الإيمان والإسلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ تارة في ركعتي الفجر سورتي الإخلاص وتارة بآياتي الإيمان والإسلام فيقرأ قوله {أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا} البقرة 136 الآية فأولها الإيمان وأخرها الإسلام ويقرأ في الثانية {فَلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلْمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ} آل عمران 64 فأولها إخلاص العباد لله وأخرها الإسلام له وقال {وَلَا تُجَادُلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} العنكبوت 46 وفيها الإيمان والإسلام في آخرها وقال {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ} 69 {أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ثُبُرُونَ} 70¹¹ الزخرف 69-70

مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 273-275

مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 278

مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 104-105

الإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده

الاختلاف في تنزيله هو بين المؤمنين والكافرين فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل والكافرون كفروا بالكتاب وبما أرسل الله به رسالته فسوف يعلمون فالمؤمنون بجنس الكتاب والرسول من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك والكافرون بجنس الكتاب والرسول من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك وذلك أن الله أرسل الرسول إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله ومن كذب بالرسل كذب بذلك فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتبرير هذا الأصل فإنه فرقان هذا الاشتباہ ولهذا كان من يکفر بالرسل تارة يکفر بأن الله له کلام أنزله على بشر كما أنه قد يکفر برب العالمين مثل فرعون وقومه قال الله تعالى {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَابًا أَنْ أُوحِيَنَا إِلَيْ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرَ النَّاسَ} {يوسوس 2 الآية} فإن في هذه الآيات تقرير قواعد وقال عن الوحدة {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} {المدثر 25} ولهذا كان أصل الإيمان بالإيمان بما أنزله قال تعالى {

الـ{1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} {الـ{2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْعَيْنِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ} {الـ{3} البقرة 3-1 إلى قوله} {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} {الـ{4} وَفِي وَسْطِ السُّورَةِ} {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} {البقرة 136 الآية} ولهذا عظم تقرير هذا الأصل في القرآن فتارة يفتح به السورة إما أخباراً كقوله {ذَلِكَ الْكِتَابُ} {البقرة 2} وقوله {الرِّثْلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} {يوسوس 1} وقوله {الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} **هود 1** الآية وكذلك الـ طسم والـ حـ فعامة الـ المـ والـ الرـ والـ طـ سـ والـ حـ كـ ذـ كـ وـ إـ ماـ ثنـاءـ باـ زـ الـ هـ كـ قولـهـ {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَمَنْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَأًا} {الـ الكـهـفـ 1} **إـ تـبارـكـ الـذـي نـزـلـ الـفـرـقـانـ عـلـى عـبـدـهـ لـيـكـونـ لـلـعـالـمـيـنـ نـذـيرـاـ} {الـ فـرقـانـ 12}**

الرد على الجهمية الذين يزعمون ان كلام الله ليس من الله

نزل الكتاب من الله كما و قال تعالى {الرِّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} **هود 1** و قال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} {الـ جـاثـيـةـ 2} و قال تعالى {وَإِنَّكَ لَثُلَّقَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} {الـ نـمـلـ 6}

ولهذا قال السلف والأئمة القرآن كلام الله منزلاً غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فقولهم منه بدأ نبهوا به على مخالفة الجهمية الذين قالوا إنه خلقه في غيره منفصلاً عنه فقال أهل السنة منه بدأ لم يبتدئ من غيره من الموجودات كما قال تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير **هود 1** سورة ¹⁴

مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 9-8

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 13

سؤال عن يقول إن صفات ج: 1 ص: 162

روى أبو القاسم اللالكائي في أصول السنة قال أخبرنا الحسن بن عثمان قال حدثنا عمرو بن جعفر قال حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال قلت لأحمد بن حنبل إن الناس قد وقعوا في القرآن فكيف أقول فقال أليس أنت مخلوقاً قلت نعم قال فكلامك منك مخلوق قلت نعم قال أفلéis القرآن من كلام الله قلت نعم قال وكلام الله من الله قلت نعم قال فيكون من الله شيء مخلوق بين أحمد للسائل إن الكلام من المتكلم وقائم به لا يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ولا قائم به بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك لا من غيرك فإذا كنت أنت مخلوقاً وجوب أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً وإذا كان الله تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقاً وقصده بذلك الرد على الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله ليس من الله ولا متصل به فيبين أن هذا الكلام ليس هو معنى كون المتكلم متكلماً ولا هو حقيقة ذلك ولا هو مراد الرسل والمؤمنين من الأخبار عن أن الله قال ويقول وتتكلم بالقرآن ونادي وناجي ودعا ونحو ذلك مما أخبرت به عن الله رسله واتفق عليه المؤمنون به من جميع الأمم ولها قال تعالى {ولَكُنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِي} السجدة 13 وقال {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} الزمر 1 وقال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَقُولَّ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ} النمل 6 وقال تعالى **{الرَّكَابُ أَحْكَمْتُ آيَةً ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1** وليس القرآن عيناً من الأعيان القائمة بنفسها حتى يقال هذا مثل قوله {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} الجاثية 13 وإنما هو صفة كالعلم والقدرة والرحمة والغضب والارادة والنظر والسمع ونحو ذلك وذلك لا يقوم إلا بموصوف وكل معنى له اسم وهو قائم بمحل وجب أن يشتق لمحله منه اسم وان لا يشتق لغير محله منه اسم فكما ان الحياة والعلم والقدرة اذا قام بموصوف وجب أن يشتق له منه اسم الحي والعالم والقادر ولا يشتق الحي والعالم والقادر لغير من قام به العلم والقدرة فكذلك القول والكلام والحب والبغض والرضا والرحمة والغضب والارادة والمشيئة إذا قام بمحل وجب أن يشتق لذلك الموصوف منه الاسم والفعل فيقال هو الصادق والشهيد والحكيم والودود والرحيم والأمر ولا يشتق لغيره منه اسم فلو لم يكن الله سبحانه وتعالى هو القائل بنفسه {أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} طه 14 بل أحدث ذلك في غيره لم يكن هو الأمر بهذه الأمور ولا المخبر بهذا الخبر ولكن ذلك المحل هو الأمر بهذا الأمر المخبر بهذا الخبر وذلك المحلAMA الهواء وإما غيره فيكون بذلك المحل المخلوق هو القائل لموسى {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} طه 14 ولهذا كان السلف يقولون في هذه الآية وأمثالها من قال إنه مخلوق فقد كفر ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى الإلهية والربوبية لغير الله تعالى ولهذا كان مذهب جماهير أهل السنة والمعرفة وهو المشهور عند أصحاب الإمام أحمد وأبي حنيفة وغيرهم من المالكية والشافعية والصوفية وأهل الحديث وطوائف من أهل الكلام من الكرامية وغيرهم ان كون الله سبحانه وتعالى خالقاً ورازاً ومحبها ومميها وباعتثاً ووارثاً وغير ذلك من صفات فعله وهو من صفات ذاته ليس من يخلق كمن لا يخلق ومذهب الجمهور ان الخالق غير المخلوق فالخلق فعل الله القائم به والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه ¹⁵

محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله

إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روها وقال من كان آخر كلامه لا إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائل الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبيها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده فلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن بالله وقال تعالى {وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَغِكُمْ مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} هود 16

قال تعالى {الرَّكِبَاتُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ} 1 وَأَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّمَا لَكُمْ مَّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ 2 هود 1-2 ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَمَنْ يَتَنَعَّمْ بِغَيْرِ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقد قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميده التي بها يحصل كمالبني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلاح النفس وتزكيه وتنمية العبادة يتضمن كمال الذي يكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذي فمن احب شيئاً ولم يذل له لم يعده ومن خضع له ولم يحبه لم يعده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذل ذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل والعبارة فالنقوص محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وحالها فمن آمن بالله رب كل شيء وحاله ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشى مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه وكان حكيمياً شجاعاً¹⁷

قوام الدين بالتوحيد والاستغفار

قد رتب اقتران الاستغفار بالتوحيد في غير موضع قوله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ} محمد 19 قوله {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مَنْهُ تَذَرِّرُ وَبَشِّرُ} 2 وَأَنْ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ} 3 هود-3 قوله {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} فصلت 6¹⁸

فإن أصل الشر هو الإشراك بالله كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله فإن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا يشركوا به شيئاً وبذلك أرسل الرسل وبه أنزل الكتب كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل فالعبد محب خاضع بخلاف من يحب من لا يخضع له بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة وإن كل محبوب لغير الله ومعظم لغير الله فيه شوب من العبادة كما قال النبي في الحديث الصحيح تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا ان نقش وذلك كما جاء في الحديث إن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل مع أنه ليس في الأمم أعظم تحقيقاً للتوحيد من هذه الأمة ولهذا كان شداد بن أوس يقول يا نعايا العرب يا نعايا العرب إن أخوف ما أخوف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود الشهوة الخفية حب الرئاسة وفي حديث الترمذى عن كعب بن مالك أن النبي قال ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قال الترمذى حديث حسن صحيح والحرص يكون على قدر قوة الحب والبغض وقد قال الله تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} يوسف 106 وروي أن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي إذا كان الشرك أخفى من دبيب النمل فكيف نتجنبه فقال النبي لا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من قليله وكثيره قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفر لك لما لا أعلم فأمره مع الاستعاذه من الشرك المعلوم بالاستغفار فإن التوحيد وبهما يكمل الدين كما قال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} والمؤمنات محمد 19 وقال تعالى {الرَّبِّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ إِيَّاهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} 1 أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مَنْهُ تَذَرِّرُ وَبَشِّرُ} 2 وَأَنْ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ} 3 هود-3 وفي الحديث إن الشيطان قال أهلكتبني آدم بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعوا وهذا كذلك فإن من اتخذ إلهه هواء صار يعبد من يهواه وقد زين له سوء عمله فرأه حسنا¹⁹

وكلما حق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال تعالى {كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 فعل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} الحجر 42 قال الشيطان {قَالَ فَيُعَزِّزُكَ لَا غُرَبَّيْهِمْ أَجْمَعِينَ} 82 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 83 ص 82-83 وقد ثبت في

الصحيح عن النبي انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فإن الاخلاص ينفي اسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يتحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي اوقعه فيما ادخله النار والشرك في هذه الأمة اخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة ان يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفترقا إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك وفي الحديث الذى رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي انه قال يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلکونى بلا الله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذى اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب من اتخاذ الله هواه فصار فيه شرك منعه من الاستغفار واما من حق التوحيد والاستغفار فلا بد ان يرفع عنه الشر فلهذا قال ذو التون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ } محمد 19 وقوله **{أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}** 2 و**{فَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ}** 3 هود 2-3 وقوله **{وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ}** 50 هود 50 إلى قوله **{وَبِإِيمَانِكُمْ هُودٌ 52}** وقوله **{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ}** 6 فصلت 6 وخاتمة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا الله الا انت استغفرك واتوب اليك ان كان مجلس رحمه كانت كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كانت كفارة له وقد روی ايضا انها تقال في آخر الضوء بعد ان يقال اشهد ان لا الله الا الله وحده لا شريك له واهشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتهررين وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فان صدره الشهادتان اللتان هما اصلا الدين وجماعة فان جميع الذين داخل فى الشهادتين اذ مضمونها ان لا نعبد الا الله وان نطيع رسوله و الدين كله داخل فى هذا فى عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله وكل ما يجب او يستحب داخل فى طاعة الله ورسوله وقد روی انه يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا الله الا انت استغفرك واتوب اليك ²⁰

الجمع بين التوحيد والتحميد والاستغفار

و في حديث أبي سعيد الحمد رأس الشكر والتوحيد كما جمع بينهما في أم القرآن فأولها تحميد وأوسطها توحيد وآخرها دعاء و كما في قوله **{هُوَ الْخَيْرُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** 65 غافر وفي حديث الموطاً أفضلا ما قلت أنا و النبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قادر من قالها كتب الله له الف حسنة و حط عنه ألف سيئة و كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك و لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثلها أو زاد عليه و من قال في يوم مائة مرة سبحان الله و بحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفضائل هذه الكلمات في أحاديث كثيرة وفيها التوحيد والتحميد فقوله **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَوْحِيدٌ وَقَوْلُهُ لَهُ الْمَلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ تَحْمِيدٌ وَفِيهَا مَعْنَى أُخْرَى شَرِيفَةٍ** وقد جاء الجمع بين التوحيد والتحميد والاستغفار في مواضع مثل حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك و أتوب إليك فيه التسبيح والتحميد والتوكيد والاستغفار من قالها في مجلس إن كان مجلس لغط كانت كفارة له وإن كان مجلس ذكر كانت كالطابع له وفي حديث أيضا إن هذا يقال عقب الوضوء ففي الحديث الصحيح في مسلم وغيره من حديث

عقبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء و في حديث آخر أنه يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغرك و أتوب إليك وقد روى عن طائفة من السلف في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه نحو هذه الكلمات روى ابن جرير عن مجاهد أنه قال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي أنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني فأنت خير الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب على إني انت التواب الرحيم فهذه الكلمات من جنس خاتمة الوضوء و خاتمة الوضوء فيها التسبيح و التحميد و التوحيد والاستغفار فالتسبيح و التحميد و التوحيد الله فانه لا يأتي بالحسنات الا هو الاستغفار من ذنوب النفس التي منها تأتي السيئات وقد قرن الله في كتابه بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 وفي قوله {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} 2 وَأَنَّ إِسْتَغْفِرْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ} 3 هود-2-3 وفي قوله {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِنْكُمْ بُوَحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِمُوا إِلَيْهِ وَإِسْتَغْفِرُوهُ} 6 فصلت وفي حديث رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلقت الناس بالذنوب و أهلكوني بالاستغفار و بلا إله إلا الله فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون لا يستغفرون لأنهم يحسبون صنعاً و لا إله إلا الله تقتضي الأخلاق و التوكل و الأخلاق يقتضي الشكر فهي أفضل الكلام و هي أعلى شعب الایمان كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الایمان بعض و ستون أو بعض و سبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله و أدناها إمامطة الأذى عن الطريق و الحياة شعبة من الایمان لا إله إلا الله هي قطب رحى الایمان و إليها يرجع الأمر كله والكتب المنزلة مجموعة في قوله تعالى {إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وهي معنى لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله هي من معنى لا إله إلا الله و الحمد لله في معناها و سبحان الله و الله أكبر من معناها لكن فيها تفصيل بعد إجمال 21

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي أنه قال يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منه ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذرعاً ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وفي بعض الآثار يقول الله تعالى أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيارتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أؤيسمهم من رحمتى وان تابوا فانا حبيبهم لأن الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طيبتهم ابنتاهم بالمصالب حتى اطهرهم من المعائب وقد قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سينات غيره والهضم أن ينقض من حسنات نفسه وقال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 118 وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا يا عبادي لكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم عبادي لكم جاءى الى من اطعمته فاستطعوني اطعمكم يا عبادي لكم عار الا من كسوته فاستكسونى اكسكم يا عبادي انكم تذنبون بالليل والنهر وانا اغفر الذنوب ولا ابالى فاستغفرونى اغفر لكم يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وجنكم كانوا على

اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً يابعادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنك اجلروا قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يابعادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنك اجتمعوا في وصعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسأله ما نقص ذلك من ملكي الا كما ينقص المحيط الا اذا غمس في البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم ايها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

رواه البخاري في صحيحه عن شداد بن اوس قال قال رسول الله سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا انت خلقتني وأنا عبدك وانا على عهدهك ووعدهك ما استطعت اعوذ بك من شر ما ضعفت ابوه لك بنعمتك على وأبوه بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موقفنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسى موقفاً بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها الى شكر وذنب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من هذين من الأمور الالزمة للعبد دائمًا فانه لا يزال يتقلب في نعم الله والآله ولا يزال محتاجاً الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد آدم وامام المتدينين محمد يستغفر في جميع الاحوال وقال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ايها الناس توبوا الى ربكم فاني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم انه قال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال عبد الله بن عمر كنا نعد لرسول الله في المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب على انك انت التواب الغفور مائة مرة ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال قال تعالى {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} آل عمران 17 و قال بعضهم احيوا الليل بالصلوة فلما كان وقت السحر امرموا بالاستغفار وفي الصحيح ان النبي كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تبارك ياذا الجلال والاكرام وقال تعالى {فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوهُ أَنَّهُ عِنْدَ الْمَشْرِقِ الْحَرَامِ} البقرة 198 الى قوله {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [199] البقرة 198 وقد امر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاحد في الله حق جهاده واتى بما امر الله به مما لم يصل اليه احد غيره فقال تعالى {إِذَا جَاءَ نَصْرٌ إِلَهُ الْفَلْقُ} [1] وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا [2] فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا [3] النصر 3-1 ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى {الرَّكَابُ أَحْكَمْتُ أَيَّاثَهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [1] أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّمَا لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ [2] وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُمْتَنَعُكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلِ مُسَمٍّ وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ} [3] هود 3-1 الآية وقال تعالى {فَاسْتَقِمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} فصلت 6 وقال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 ولهذا جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسرون صنعاً وقد قال يونس { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 وكان النبي إذا ركب دابته يحمد الله ثم يكبر ثلاثة ويقول لا اله الا أنت سبحانك ظلمت نفسى فاغفر لي وكفارة المجلس التي كان يختتم بها المجلس سبحانك الله وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت استغفرك واتوب إليك والله اعلم وصلى الله على محمد وسلم ²²

والمؤمن مأموم بأن يفعل المأموم ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى في قصة يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 فاللتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ

وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55
 فأمره مع الاستغفار بالصبر فإن العباد لا بد
 لهم من الاستغفار أولهم وأخرهم وكان يقول اللهم اغفر لى خطئى وجهلى واسرافى فى أمرى
 وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى خطئى وعمدى وهزلى وجدى وكل ذلك عندي اللهم اغفر لى
 ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر
 وقد ذكر عن آدم أبو البشر انه استغفر رباه وتاب اليه فاجتباه ربه كتاب عليه ودهاد وعن ابليس
 أبي الجن لعنه الله أنه أصر متعلقا بالقدر فلעنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن
 أشبه أباه فما ظلم²³

الاستغفار دافع للعذاب

أن التوبة فرض على العباد دائما واقداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول في الحديث الصحيح أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسى بيده انى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة وأخر سورة نزلت عليه {إذا جاء نصر الله والفتح} 1 ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا 2 فسبح بحمد ربك واستغفره إنك كان توأبا 3 النصر 3-24

في قوله تعالى {وما كان الله ليعدّهم وانت فيهم وما كان الله معدّهم وهم يستغفرون}
 الأناقل 33 والكلام عليها من وجهين أحدهما في الاستغفار الدافع للعذاب
 والثاني في العذاب المدفوع بالإستغفار أما الأول فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والإستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى {الر كِتَابٌ حُكِّمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَذْنٍ حَكِيمٌ خَيْرٌ} 1 ألا تعبدوا إلا الله إلهي لكم منه نذير و بشير 2 و أن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتنعكم متعاما حسنا إلى أجل مسمى ويؤتكم ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبر 3 هود 1-3 فيبين سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك متعوا متعاما حسنا إلى أجل مسمى ويؤتي كل ذي فضله فيبين سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك متعوا متعاما حسنا إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل وقال تعالى عن نوح {يا قوم إني لكم نذير مبين} 2 أن عبدوا الله واتقوه وأطیعون 3 يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى 4 نوح 4-2 إلى قوله {استغفرو ربك ثم توبوا إلهي كان عقارا} 10 يرسل السماء عليكم مدرارا 11 نوح 10-11 الآية وقال تعالى {استغفرو ربك ثم توبوا إلهي يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم فوة إلى فوتكم} هود 52 وذلك أنه قد قال تعالى {وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير} الشورى 30 وقال تعالى {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعة إنما استنزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا} آل عمران 155 وقال تعالى {أولئك أصابوكم مصيبة قد أصابتم مثلها فلهم أني هذا قل هو من عند أنفسكم} آل عمران 165 وقال تعالى {وإن تصيبهم سيبة بما قدما أيديهم} الشورى 48 وقال تعالى {ما

²³مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 87-90 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 79 و التحفة العراقية ج:

1 ص: 79

²⁴مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 280

أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةً فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةً فَمِنْ نَفْسِكَ } النساء 79 وأما العذاب المدفوع فهو يعم العذاب السماوي ويعم ما يكون من العباد وذلك أن الجميع قد سماه الله عذابا كما قال تعالى في النوع الثاني {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } البقرة 49 وقال تعالى {قَاتَلُوكُمْ يُعَذِّبُوكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِنَهُمْ وَيَنْصُرُوكُمْ عَلَيْهِمْ } التوبة 14 وكذلك {فَلَمْ تَرَبَصُوا بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبَصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا } التوبة 52 إذ التقدير بعذاب من عنده أو بعذاب بأيدينا كما قال تعالى {قَاتَلُوكُمْ يُعَذِّبُوكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِنَهُمْ وَيَنْصُرُوكُمْ عَلَيْهِمْ } التوبة 14 وعلى هذا فيكون العذاب بفعل العباد وقد يقال التقدير { وَنَحْنُ نَرَبَصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَرَبَصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُرَبَّصُونَ } التوبة 52 أو يصيّبكم بأيدينا لكن الأول هو الأوجه لأن الإصابة بأيدي المؤمنين لا تدل على أنها اصابة بسوء إذ قد يقال أصابه بخير وأصابه بشر قال تعالى {وَإِنْ يُرِدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } يونس 107 وقال تعالى {فَتَرَى الْوَرْدَقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُونَ } الروم 48 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ } يوسف 56 ولأنه لو كان لفظ الإصابة يدل على الإصابة بالشر لا كتفى بذلك في قوله {أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ } التوبة 52 وقد قال تعالى أيضا {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُوكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يُفْقِهُونَ حَدِيثًا } 78 مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةً فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةً فَمِنْ نَفْسِكَ } 79 النساء 78-79 ومن ذلك قوله تعالى {الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَهُ جَلْدَةً } النور 2 إلى قوله { وَلِيَشَهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } النور 2 وقوله تعالى { فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْسِنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ } النساء 25 ومن ذلك أنه يقال في بلال ونحوه كانوا من المعذبين في الأرض ويقال إن أبا بكر اشتري سبعة من المعذبين في الله وقال السفر قطعة من العذاب وإذا كان كذلك فقوله تعالى {فَلَمْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذْبِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } الأنعام 65 مع ما قد ثبت في الصحيحين عن جابر عن النبي أنه لما نزل قوله {فَلَمْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ } الأنعام 65 قال أعود بوجهك {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } الأنعام 65 قال أعود بوجهك {أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذْبِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } الأنعام 65 قال هاتان أهون يقتضى أن ليسنا شيئا وإذا فهنا بأس بعض هو من العذاب الذي يندفع الإستغفار كما قال {وَانْفَوْا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } الأنفال 25 وإنما تتفى الفتنة بالإستغفار من الذنوب والعمل الصالح وقوله تعالى {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُّ فَوْمًا غَيْرَكُمْ } التوبة 39 قد يكون العذاب من عنده وقد يكون بأيدي العباد فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد ينتلهم بأن يوقع بينهم العادة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع فإن الناس إذا استغلوا بالجهاد في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسمهم على عدو الله وعدوهم وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيئا ويديق بعضهم بأس بعض وكذلك قوله {وَلَذِيقَتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 يدخل في العذاب الأدنى ما يكون بأيدي العباد كما قد فسر بوعة بدر 25 بعض ما وعد الله به المشركين من العذاب

والفتن سببها الذنوب والخطايا فعلى كل واحد ان يستغفر لله ويتب إلى الله فإن ذلك يرفع العذاب
وينزل الرحمة قال الله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال 33 وفي الحديث عن النبي من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم
فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب قال الله تعالى {الرَّكَابُ أَحْكَمُ
آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدْنٍ حَكِيمٌ حَبِيرٌ} [1] أَلَا تَعْنِدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ [2] وَأَنْ
اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتَ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ
تَوَلُّوا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ كَبِيرٌ} [3] هود-36

الاستغفار سبب للرزق والنعمـة

وقد أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبن السينات والإستغفار سبب للرزق والنعمه وأن المعاصي سبب للمصائب والشدة قال الله تعالى {الر كِتَابٌ حُكْمٌ إِيمَانٌ ثُمَّ فُسْلُطٌ مِّنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} {1} **أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَذِيرٍ وَبَشِيرٌ} {2} وَأَنَّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَنَعُكُمْ مَنَاعًا حَسْنَاتٍ إِلَى أَجْلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتَى كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوْلُوا فَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ} {3} هود-3 و قال تعالى {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا} نوح 10 إلى قوله { ويَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا} نوح 12 و قال تعالى {وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} {16} لِفَتَّاهُمْ فِيهِ} {17} الجن 16-17 و قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الأعراف 96 و قال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ} {المائدة 66} و قال تعالى { وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيرٍ} {الشورى 30} و قال تعالى { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ أَلَيْوْسَ كَفُورٌ} هود 9 و قال تعالى { مَا أَصَابَكُ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء 79 و قال تعالى { فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَبَرَّعُونَ} {42} 42 فَلُولَ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانَ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَرَأَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {43} الأربعين 42-43 وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه يبتلي عباده بالحسنات والسيئات فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب ليكون العبد صبارا شكورا وفي الصحيح عن النبي أنه قال والذي نفسى بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له 27**

قال تعالى { مَا أَصَابَكُ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } 79 النساء 79 فبين الله سبحانه أن الحسنة من الله ينعم بها عليهم وأن السيئة أنها تصيبهم بذنبهم ولها قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما في سنن أبي داود و ابن ماجه عن النبي أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل

ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد قال تعالى {أَلَا تَعْذِنُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} {2} وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعُكُمْ مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ} {3} هود-3

في حين أن من وحده واستغفره متاعا حسنا إلى أجل مسمى ومن عمل بعد ذلك خيرا زاده من فضله وفي الحديث يقول الشيطان أهلك الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والإستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم بذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى {فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام-42 أي فهلا إذ جاءهم بأمسنا تضرعوا فحقهم عند مجيء الأساس التضرع وقال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَأْتِضَرُ عُوْنَ} المؤمنون-76 قال عمر بن عبد العزير ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ولهذا قال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ} 173 فأنقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم 174 إنما ذلك الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوه وخفون إن كنتم مؤمنين 175-176 فنهي المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان وأمرهم بخوفه وخوفه يوجب فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والإستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداد فلهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يخاف عبد إلا ذنبه وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنبه فليخاف الله وليت من ذنبه التي ناله بها ما ناله كما في الآخر يقول الله أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيه بيدى من اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نعمة فلا تشغلو بسب الملوك وأطيعونى أعطف قلوبهم عليكم 28

فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فكلما فعل العبد الطاعة محبة الله وخوفا منه وترك المعصية حبا له وخوفا منه قوى حبه له وخوفه منه فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره وهذا امراض الأبدان فان الصحة تحفظ بالمثل والمرض يدفع بالضد فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل وهو ما يورث القلب إيمانا من العلم النافع والعمل الصالح فتلك أغذية له كما في حديث ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ان كل أدب يجب أن تؤتى مأدبة وان مأدبة الله هي القرآن والأدب المضيف فهو ضيافة الله لعباده مثل آخر الليل وآوقيات الأذان والإقامة وفي سجوده وفي ادب الصلوات ويضم إلى ذلك الاستغفار فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه متاعه متاعا حسنا إلى أجل مسمى قال تعالى {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعُكُمْ مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ} 29 هود-3

التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات و فعل المحرمات

في ان التوبة والاستغفار يكون من ترك الواجبات و فعل المحرمات و الأول يخى على كثير من الناس قال تعالى {فَاصْرِرْ إِنْ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} ⁵⁵ غافر وقال تعالى {فَاعْمُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ¹⁹ محمد وقال تعالى {لِيغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنِبِكَ وَمَا تَأْخَرَ} ² الفتح وقال {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِّيرٌ} ² وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يُمَنَّعُمْ مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى} ³ هود-3 فنقول التوبة والاستغفار يكون من ترك مأمور ومن فعل محظور فان كلاهما من السيئات والخطايا والذنوب وترك الایمان و التوحيد و الفرائض التي فرضها الله تعالى على القلب والبدن من الذنوب بلا ريب عند كل أحد بل هي أعظم الصنفين كما قد بسطناه فيما كتبناه من القواعد قبل ذهابي إلى مصر فان جنس ترك الواجبات أعظم من جنس فعل المحرمات و إذ قد يدخل في ذلك ترك الایمان والتوكيد ومن أتى بالایمان والتوكيد لم يخلد في النار ولو فعل ما فعل ومن لم يأت بالایمان والتوكيد كان مخدلا ولو كانت ذنبه من جهة الأفعال قليلة كالزهاد والعباد من المشركين وأهل الكتاب كعباد مشركي الهند و عباد النصارى وغيرهم فانهم لا يقتلون ولا يزنون ولا يظلمون الناس لكن نفس الایمان والتوكيد الواجب تركوه ولكن يقال ترك الایمان والتوكيد الواجب إنما يكون مع الاشتغال بضده وضده إذا كان كفرا فهم يعاقبون على الكفر وهو من باب المنهى عنه وإن كان ضده من جنس المباحثات كالاشتغال بأهواء النفس ولذاتها من الأكل والشرب والرئاسة وغير ذلك عن الایمان الواجب فالعقوبة هنا لأجل ترك الایمان لا لأجل ترك هذا الجنس وقد يقال كل من ترك الایمان والتوكيد فلا يتركه إلا إلى كفر وشرك فان النفس لابد لها من الله تعده فمن لم يعبد الرحمن عبد الشيطان فيقال عبادة الشيطان جنس عام وهذا إذا أمره أن يستغل بما هو مانع له من الایمان والتوكيد يقال عبده كما أن من أطاع الشيطان فقد عبده ولكن عبادة دون عبادة والناس نوعان طلاب دين وطلاب دنيا فهو يأمر طلاب الدين بالشرك والبدعة كعباد المشركين وأهل الكتاب ويأمر طلاب الدنيا بالشهوات البدنية وفي الحديث عن النبي أن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتنة ولهذا قال الحسن البصري لما ذكر الحديث لكل عامل شرة وكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير إليه بالأصابع فلا تعوده فقالوا أنت إذا مررت في السوق أشار إليك الناس فقال إنه لم يعن هذا وإنما أراد المبتدع في دينه والفاجر في دنياه وقد بسطت الكلام على النوعين في مواضع كما ذكرنا في اقتضاء الصراط المستقيم الكلام على قوله تعالى {فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعُمْ بِخَلَاقِهِمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصَّوْا أُولَئِكَ حَبَطْتُ أَعْمَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} ⁶⁹ التوبة وبسط هذا له موضع آخر فان ترك الواجب و فعل المحرم متلازمان ولهذا كان من فعل ما نهى عنه يقال إنه عصى الأمر ولو قال لها إن عصيتي أمرى فأنت طالق فنهاها فعصته ففيه وجهان أحدهما أنها تطلق وبعض الفقهاء يعلل ذلك بأن هذا يعد في العرف عاصيا ويجعلون هذا في الأصل نوعين والتحقيق ان كل نهى فيه طلب واستدعاء لما يقصده الناهي فهو أمر فالامر يتناول هذا وهذا ومنه قول الخضر لموسى {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا} ⁶⁷ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحْطِبْ بِهِ خُبْرًا} ⁶⁸ قال سعدوني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرًا} ⁶⁹ الكهف 68-69 وقال له {فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا} ⁷⁰ الكهف 70 قد تناوله قوله {وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} ⁶⁹ الكهف 69 ومنه قول موسى لأخيه {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ

ضلوا {92} أَلَا تَتَّبِعُنَ أَفْعَصِيَتَ أَمْرِي {93} طه 92-93 وموسى قال له {الْخُلْقُ فِي
 قَوْمٍ وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} الأعراف 142 نهى وهو لامه على أنه لم يتبعه وقال
 أَفْعَصِيَتَ أَمْرِي وَعِبَادُ الْعِجْلِ كَانُوا مُفْسِدِينَ وَقَدْ جَعَلَ هَذَا كَلِهُ أَمْرًا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ {مَلَائِكَةُ
 غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ} التحرير 6 فهم لا يعصونه إذ
 إِنَّهُمْ وَقَوْلُهُ عَنِ الرَّسُولِ {فَإِنَّهُمْ لَيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فَتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
 إِلَيْهِمْ} النور 63 فمن ركب ما نهى عنه فقد خالف أمره وقال تعالى {فَأَكَلُوا مِنْهَا فَبَدَأْتُ لَهُمَا
 سَوْأَتْهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى أَدْمُ رَبَّهُ فَعَوَى} طه 121 وإنما كان فعلا
 منها عنده قوله {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ
 أَمْرِهِمْ} الأحزاب 36 هو يتناول ما نهى عنه أقوى مما يتناول ما أمر به فإنه قال في الحديث
 الصحيح إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأنروا منه ما تستطعتم
 وقوله {يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ} النساء 42 فالمعصية
 مخالفة الأمر ومخالفة النهي عاص فانه مخالف الأمر وفاعل المحظوظ قد يكون أظهر معصية
 من تارك المأمور و بالجملة فهما متلازمان كل من أمر بشيء فقد نهى عن فعل ضده ومن
 نهى عن فعل فقد أمر بفعل ضده كما بسط في موضعه ولكن لفظ الأمر يعم النوعين واللفظ
 العام قد يخص أحد نوعيه باسم وبقى الاسم العام للنوع الآخر فلفظ الأمر عام لكن خصوا أحد
 النوعين بلفظ النهي فإذا قرن النهي بالأمر كان المراد به أحد النوعين لا العموم و
 المقصود أن الاستغفار والتوبه يكونان من كلا النوعين وأيضا فالاستغفار والتوبه مما
 فعله وتركه في حال الجهل قبل أن يعلم أن هذه قبيح من السيئات وقبل أن يرسل اليه رسول وقبل
 أن تقوم عليه الحجة فإنه سبحانه قال {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَثَ رَسُولاً} الإسراء 15
 أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالمباحث المستوى الطرفين والمغفو عنه
 وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبه فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا
 يعاقب إلا بعد إقامة الحجة وهذا قوله تعالى **{الرَّبُّ كَيْبَرُ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَنْ حَكِيمٍ**
{1} أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ{2} وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعُكُمْ
مَتَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىٍ وَبُؤْتُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلًا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ
كَبِيرٍ{3} هود 3-1

فدل على أنها كانت ذنوبا قبل انذاره إياهم ³⁰

ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة

قال تعالى {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} يونس 4 فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت
 به القدرة فإن ما شاء الله كان ولا يكون شيء إلا بقدرته وما تعلقت به القدرة من الموجودات

تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته وما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة وكذلك بالعكس وملا فلا ولهذا قال {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 والشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كنال ينال نيلاً ثم وضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيئة شيئاً كما يسمى المنيل نيلاً فقلوا نيل المعدن وكما يسمى المقدور قدرة والمخلوق خلقاً فقوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شيء موجود ومنه ما لم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء قوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} البقرة 20 يتناول ما كان شيئاً في الخارج والعلم أو ما كان شيئاً في العلم فقط بخلاف ملا يجوز أن تتناوله المشيئة وهو الحق تعالى وصفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في العموم وللهذا إنفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء³¹

اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جداً وقد بسطت الكلام في الرد على من أنكر قدرة الرب في غير موضع كما قد كتبناه على الأربعين والمحصل وفي شرح الأصبهانية وغير ذلك وتكلمنا على ما ذكره الرازي وغيره في مسألة كون الرب قادرًا مختارًا وما وقع فيها من التقصير الكبير مما ليس هذا موضعه والمقصود هنا الكلام بين أهل الملل الذين يصدقون الرسل فنقول هنا مسائل المسألة الأولى قد أخبر الله أنه على كل شيء قادر والناس في هذا على ثلاثة أقوال طائفة تقول هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الضدين وذلك دخل في المقدور كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم وطائفة تقول هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته فإنه وإن كان شيئاً فإنه لا يدخل في المقدور كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره وكلا القولين خطأ و الصواب هو القول الثالث الذي عليه عامنة النظار وهو أن الممتنع لذاته ليس شيئاً أبلة وأن كانوا متذمرون في المعدوم فإن الممتنع لذاته لا يمكن تتحققه في الخارج ولا يتصوره الذهن ثابتاً في الخارج ولكن يقدر إجتماعهما في الذهن ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج إذ كان يمتنع تتحققه في الأعيان وتصوره في الأذهان إلا على وجه التمثيل بأن يقال قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد والبياض في محل واحد كما تجتمع الحركة والسكون فيقال هذا غير ممكن فيقدر إجتماع نظير الممكן ثم يحكم بإيمانته وأما نفس إجتماع البياض والسواد في محل واحد فلا يمكن ولا يعقل فليس بشيء لا في الأعيان ولا في الأذهان فلم يدخل في قوله وهو على كل شيء قادر

الثانية أن المعدوم ليس بشيء في الخارج عند الجمهور وهو الصواب وقد يطلقون أن الشيء هو الموجود فيقال على هذا فيلزم أن لا يكون قادرًا إلا على موجود و ما لم يخلقه لا يكون قادرًا عليه وهذا قول بعض أهل البدع قالوا لا يكون قادرًا إلا على ما أراده دون ما لم يرده ويحكي هذا عن تلميذ النظام والذين قالوا إن الشيء هو الموجود من نظر المثبتة كالأشعرى ومن وافقه من أتباع الأئمة أحمد وغيره وأحمد كالقاضي أبي يعلى وإبن الزاغوني وغيرهما يقولون أنه قادر على الموجود فيقال أن هؤلاء أثبتوا ما لم تثبت الآية فالآية أثبتت قدرته على الموجود وهؤلاء قالوا هو قادر على الموجود والمعدوم والتحقيق أن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ماتصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قادر لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزيد عليه شيء كما قال تعالى

{بَلْيٰ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوِّيَ بَنَائَهُ} القيمة 4 و قال {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَعْبَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فُوقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} الأنعام 65 وقد ثبت في الصحيحين أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك فلما نزل {أَوْ يُلِسِّكُمْ شَيْئًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} الأنعام 65 الآية قال هاتان أهون فهو قادر على الأولتين وإن لم يفعلهما و قال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَرْفٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ} المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيك و تخرب أراضيك و معلوم أنه لم يذهب به وهذا قوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرَّبُونَ} الواقعة 68 إلى قوله و {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَدِّبُونَ} الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا وهو لم يفعله و مثل هذا و {وَلَوْ شِئْنَا لَا تَبَدَّلَ كُلُّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 {وَلَوْ شِئْنَا رَبُّكَ لَامَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ} يونس 99 {وَلَوْ شِئْنَا اللَّهُ مَا افْتَنَنَا} البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادر عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها المسألة الثالثة أنه على كل شيء قادر فيدخل في ذلك أفعال العباد و غير أفعال العباد وأكثر المعتزلة يقولون أن أفعال العبد غير مقدرة المسألة الرابعة أنه يدخل في ذلك أفعال نفسه و قد نطق النصوص بهذا و هذا قوله تعالى {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} سيس 81 {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْكِيَ الْمَوْتَىِ} القيمة 40 {بَلْيٰ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوِّيَ بَنَائَهُ} القيمة 4 و نظائره كثيرة و القدرة على الأعيان جاءت في مثل قوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ} المؤمنون 12 {أَيَحْسَبُ أَنَّ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} البلد 5 و جاءت منصوصا عليها في الكتاب والسنة أما الكتاب قوله {فَإِمَّا تُذَهِّبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} الزخرف 41 فيبين أنه سبحانه يقدر عليهم أنفسهم و هذا نص في قدرته على الأعيان المفعولة و قوله {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِجَارٍ} ق 45 و {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} الغاشية 22 و نحو ذلك و هو يدل بمفهومه على أن الرب هو الجبار عليهم المسيطر و ذلك يستلزم قدرته عليهم و قوله {فَظَلَّ أَنْ لَنْ تَقْرِبْ عَلَيْهِ} الأنبياء 87 على قول الحسن و غيره من السلف من جعله من القدرة دليل على أن الله قادر عليه وعلى أمثاله و كذلك قول الموصي لأهله لئن قدر الله على ليعدبني عذابه أحدا من العالمين فلما حرقوه أعاده الله تعالى و قال له ماحملك على ما صنعت قال خشيتك يارب غفر له وهو كان مخطنا في قوله لئن قدر الله على ليعدبني كما يدل عليه الحديث وأن الله قادر عليه لكن لخشتيه وإيمانه غفر الله له هذا الجهل و الخطأ الذي وقع منه وقد يستدل بقوله {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} المرسلات 20 إلى قوله {فَنَعْمُ الْقَادِرُونَ} المرسلات 23 على قول من جعله من القدرة فإنه يتناول القدرة على المخلوقين و إن كان سبحانه قادرًا أيضًا على خلقه فالقدرة على خلقه قدرة عليه والقدرة عليه قدرة على خلقه وجاء أيضًا الحديث منصوصا في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي مسعود لما رأه يضرب عبده الله أقدر عليك منك على هذا فهذا فيه بيان قدرة الرب على عين العبد وأنه أقدر عليه منه على عبده وفيه إثبات قدرة

العبد³²

الله سبحانه بصير لا تخفي عليه خافية

(فيه نقص بالبداية)

ان الله هو سبحانه بصير لا تخفي عليه خافية و إنما ذلك ظن الذين كفروا و الذين اخبر الله عنهم بقوله {أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّلُّونَ صُدُورَهُمْ لَيُسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثَيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} هود³³

كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق

و التوحيد في العبادات المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميما فنقول لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربه وملكيه وأنه على كل شيء قادر وأنه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد علم ما سيكون قبل أن يكون وقد المقادير وكتبها حيث شاء كما قال تعالى {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} الحج⁷⁰ وفي الصحيح عن النبي أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له كما خلق الجن والإنس لعبادته وبذلك أرسل رسنه وأنزل كتبه³⁴

وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئاً فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى عالم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أولاً وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والأجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى {وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} هود⁶ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك (فيه نقص الدرجة الثانية)³⁵

قال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر⁴⁹ وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئة فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله {وَلَقَدْ سَبَقْتُ كُلَّمُتْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} 171 {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ} 172 {وَإِنَّ

شرح العمدة ج: 4 ص: 258³³

مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 89³⁴

العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 36³⁵

جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {173} الصافات 171-173 و هو سبحانه كتب ما يقدر به فيما يكتبه فيه كما قال {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }
 الحج 70 قال ابن عباس إن الله خلق الخلق و علم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك في قوله {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 و قال للملائكة {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة 30 فالملائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد و سفك الدماء فكيف لا يعلمه الله سواء علموه بإعلام الله فيكون هو أعلم بما علمهم إياه كما قاله أكثر المفسرين أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم كما قاله طائفة منهم أو بغير ذلك والله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذين لا علم لهم إلا ما علمهم وما اوحاه إلى أنبائه وغيرهم مما سيكون هو أعلم به منهم فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء³⁶

الرزق يراد به شيئاً

قال تعالى {وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَوْدِعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } هود⁶ أن لفظ الرزق يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد و ملكه إياه و يراد به ما يتغذى به العبد فالأول قوله {أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } البقرة 254 {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } البقرة 3 فهذا الرزق هو الحلال و المملوك لا يدخل فيه الخمر و الحرام و الثاني قوله {وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } هود⁶ و الله تعالى يرزق البهائم و لا توصف بأنها تملك و لا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية فإنه لا تكليف على البهائم و كذلك الأطفال و المجانين لكن ليس بملك لها و ليس بمحرم عليها و إنما المحرم بعض الذي يتغذى به العبد و هو من الرزق الذي علم الله أنه يغتنى به و قدر ذلك بخلاف ما أباحه و ملكه كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه و أجله و عمله و شقي أو سعيد ثم ينفح فيه الروح قال فوالذي نفس بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها و إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينهما إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها و الرزق الحرام مما قدره الله و كتبته الملائكة و هو مما دخل تحت مشيئة الله و خلقه و هو مع ذلك قد حرم و نهي عنه ففاعله من غضبه و ذمه و عقوبته ما هو أهله و الله أعلم³⁷

ولفظ الرزق فيه إجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه أو ملكه فلا يدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } البقرة 3 قوله تعالى {أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } البقرة 254 و قوله {وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مَنًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا } النحل 75 وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وإن لم يكن هناك إباحة ولا تملك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى {وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } هود⁶

وقوله عليه السلام في الصحيح فيكتب رزقه و عمله وأجله و شفـى أو سعيد ولما كان لفظ
الجبر والرزق و نحوهما فيها إجمال من الأئمة من إطلاق ذلك نفيـا أو إثباتـا كما تقدم عن
الأوزاعي وأبـي إسحـاق الفـزارـي و غيرـهما من الأئـمة³⁸

الرد على قول الغزالى أن الله ضمن الرزق ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب

و سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه عما قاله أبو حامد الغزالى في كتابه المعروف بمنهاج العابدين في زاد الآخرة من العقبة الرابعة وهي العوارض بعد كلام تقدم في التوكيل بأن الرزق مضمون قال فإن قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بحال فاعلم أن الرزق المضمون هو الغذاء والقوام فلا يمكن طلبه إذ هو شيء من فعل الله بالعبد كالحياة والموت ولا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه و ما المقسم من الأسباب فلا يلزم العبد طلبه إذ لا حاجة للعبد إلى ذلك إنما حاجته إلى المضمون وهو من الله وفي ضمان الله وأما قوله تعالى {وابتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} الجمعة 10 المراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة إذ هو أمر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الإباحة لا بمعنى الإيجاب والإلزام فإن قيل لكن هذا الرزق المضمون له أسباب هل يلزم منا طلب الأسباب قيل لا يلزم منك طلب ذلك إذ لا إباحة بالعبد إليه إذ الله سبحانه يفعل بالسبب وبغير السبب فمن أين يلزمـنا طلب السبب ثم أن الله ضمن ضمانـا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال تعالى {وَمَا مِنْ ذَبَابٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} هود 6 ثم كيف يصح أن يأمر العبد بطلب مالا يعرف مكانـه فيطلبـه إذ لا يـعرف أي سبـب منها رزـقة يتناولـه لا عـرفـ الذي صـيرـ سـبـبـ غـذـائـهـ و تـربـيـتهـ لـاـغـيرـ فالـواـحدـ مـنـاـ لاـ يـعـرفـ ذـلـكـ السـبـبـ بـعـينـهـ منـ أـيـنـ حـصـلـ لـهـ فـلاـ يـصـحـ تـكـلـيفـهـ فـتـأـمـلـ رـاشـداـ فـإـنـهـ بـيـنـ ثـمـ حـسـبـكـ أـنـ الـأـنـبـيـاءـ صـلـوـاتـ اللهـ وـ سـلـامـهـ عـلـيـهـمـ وـ الـأـوـلـيـاءـ الـمـتـوـكـلـيـنـ لـمـ يـطـلـبـواـ الرـزـقـ فـيـ الـأـكـثـرـ وـ الـأـعـمـ وـ تـجـرـدـواـ لـلـعـبـادـةـ وـ بـإـجـمـاعـ أـنـهـ لـمـ يـكـونـواـ تـارـكـيـنـ لـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ وـ لـاـ عـاصـيـنـ لـهـ فـلـيـسـ لـكـ أـنـ تـطـلـبـ الرـزـقـ وـ أـسـبـابـهـ بـأـمـرـ يـكـونـواـ تـارـكـيـنـ لـأـمـرـ اللهـ تـعـالـىـ وـ لـاـ عـاصـيـنـ لـهـ فـلـيـسـ لـكـ أـنـ تـطـلـبـ الرـزـقـ وـ أـسـبـابـهـ بـأـمـرـ لـازـمـ لـلـعـبـدـ فـمـاـ فـرـقـ بـيـنـ هـذـاـ إـلـامـ وـ الـمـنـصـوـصـ عـلـيـهـ فـيـ كـتـبـ الـأـئـمـةـ كـالـفـقـهـ وـ غـيرـهـ وـ هـوـ أـنـ الـعـبـدـ يـجـبـ عـلـيـهـ طـلـبـ الرـزـقـ وـ طـلـبـ سـبـبـهـ وـ أـبـلـغـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ الـعـبـدـ لـوـ إـحـتـاجـ إـلـىـ الرـزـقـ وـ وـجـدـهـ عـنـدـ غـيرـهـ فـاضـلـاـ عـنـهـ وـ جـبـ عـلـيـهـ طـلـبـهـ مـنـهـ فـإـنـ مـنـعـهـ قـهـرـهـ وـ أـنـ قـتـلـهـ فـهـلـ هـذـاـ الـذـيـ نـصـ عـلـيـهـ فـيـ الـمـنـهـاجـ يـخـصـ بـأـحـدـ دـوـنـ فـأـوـضـحـوـاـ لـنـاـ مـاـ أـشـكـ عـلـيـنـاـ مـنـ تـنـاقـضـ الـكـلـامـينـ مـثـابـيـنـ مـأـجـورـيـنـ وـ أـبـسـطـوـاـ لـنـاـ القـوـلـ

فأجاب رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين هذا الذي ذكره أبو حامد قد ذهب إليه طائفة من الناس ولكن أئمة المسلمين وجمهورهم على خلاف هذا وأن الكسب يكون واجبا تارة ومستحبـا تـارـةـ وـ مـكـروـهـ تـارـةـ وـ مـبـاحـ تـارـةـ وـ مـحرـمـ تـارـةـ فـلـاـ يـجـوزـ إـلـاقـ القـوـلـ بـإـنـهـ لـمـ يـكـنـ مـنـهـ شـيـءـ وـ اـجـبـ كـمـاـ أـنـهـ لـاـ يـجـوزـ إـلـاقـ القـوـلـ بـإـنـهـ لـيـسـ مـنـهـ شـيـءـ مـحـرـمـ وـ السـبـبـ الـذـيـ أـمـرـ الـعـبـدـ بـهـ أـمـرـ إـيـجـابـ أوـ أـمـرـ إـسـتـحـبـابـ هوـ عـبـادـةـ اللهـ وـ طـاعـتـهـ لـهـ وـ لـرـسـوـلـهـ وـ اللهـ فـرـضـ عـلـىـ الـعـبـادـ أـنـ يـعـدـوـهـ وـ يـتـوـكـلـوـاـ عـلـيـهـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ {فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ} هـود 123 وـ قـالـ {وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئَنِ إِلَيْهِ تَبَيَّنِا} 8 رـبـ الـمـشـرـقـ وـ الـمـغـرـبـ لـاـ إـلـهـ إـلـّاـ هـوـ فـأـلـّاـذـهـ وـ كـيـلـاـ 9 المـزـمـلـ 9ـ8ـ وـ قـالـ {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَحْرَجاً} 2 وـ يـرـزـقـهـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـحـسـبـ وـ مـنـ يـتـوـكـلـ عـلـىـ اللـهـ فـهـوـ حـسـنـةـ 3 الطـلاقـ 2ـ3ـ وـ التـقـوىـ تـجـمـعـ فـعـلـ مـاـ أـمـرـ اللـهـ بـهـ وـ تـرـكـ مـاـ نـهـيـ اللـهـ عـنـهـ وـ يـرـوـيـ عـنـ

أبى ذر عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال يا أبا ذر لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم ولهذا قال بعض السلف ما احتاج تقوى قط يقول أن الله ضمن للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع عنهم ما يضرهم ويجلب لهم ما يحتاجون إليه فإذا لم يحصل ذلك دل على أن فى التقوى خلا فليستغفر الله وليتبت إليه ولهاذا جاء في الحديث المرفوع إلى النبى صلى الله عليه و سلم الذي رواه الترمذى أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا و من كل ضيق مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب و المقصود أن الله لم يأمر بالتوكل فقط بل أمر مع التوكل بعبادته و نقواه التي تتضمن فعل ما أمر و ترك ما حذر فمن ظن أنه يرضى ربه بالتوكل بدون فعل ما أمر به كان ضالا كما أن من ظن أنه يقوم بما يرضى الله عليه دون التوكل كان ضالا بل فعل العبادة التي أمر الله بها فرض وإذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل وإذا قرن أحدهما بالأخر كان للتوكل إسم يخصه كما فى نظائر ذلك مثل التقوى و طاعة الرسول فإن التقوى إذا أطلقت دخل فيها طاعة الرسول وقد يعطى أحدهما على الآخر كقول نوح عليه السلام {إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوْهُ وَأَطْبِعُوْنَ} نوح 3 و كذلك قوله {إِنَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} الأحزاب 70 وأمثال ذلك قد جمع الله بين عبادته و التوكل عليه فى مواضع كقوله تعالى {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} الرعد 30 و قول شعيب {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبٌ} الشورى 10 فان الإنابة إلى الله و المتاب هو الرجوع إليه بعبادته و طاعته و طاعة رسوله و العبد لا يكون مطينا لله و رسوله فضلا أن يكون من خواص أوليائه المتقين إلا يفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه و يدخل فى ذلك التوكل و أما من ظن أن التوكل يعني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال و هذا كمن ظن أنه يتوكى على ما قدر عليه من السعادة و الشقاوة بدون أن يفعل ما أمره الله و هذه المسألة مما سئل عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه و سلم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقدرته من الجننة و النار فقيل يا رسول الله أفلأ ندع العمل و نتكل على الكتاب فقال لا إعملوا فكلي ميسرا لما خلق له و كذلك في الصحيحين عنه أنه قيل له أرأيت ما يعمل الناس فيه و يكذبون فيما جفت الأقلام و طويت الصحف و لما قيل له أفلأ نتكل على الكتاب قال لا إعملوا فكلي ميسرا لما خلق له و بين صلى الله عليه و سلم أن الأسباب الخلوقة و المشروعة هي من القدر فقيل له أرأيت رقى نسترقى بها و تقى نتقى بها و أدوية نتداوي بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله فالإنفاقات إلى الأسباب شرك في التوحيد و حمو الأسباب أن تكون أسبابا نقض في العقل و الأعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع فعلى العبد أن يكون قلبه متعمدا على الله لا على سبب من الأسباب و الله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا و الآخرة فإن كانت الأسباب مقدورة له و هو مأمور بها فعليها مع التوكل على الله كما يؤدى الفرائض و كما يجاهد العدو و يحمل السلاح و يلبيس جنة الحرب و لا يكتفى في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد و من ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفترط مذموم و في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و في كل خير احرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجزن و إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان و في سنن أبي داود أن رجلين تحاكما إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقضى على أحدهما فقال الم قضي عليه حسبنا الله و نعم الوكيل فقال صلى الله عليه و سلم إن الله يلوم على العجز و لكن عليك بالكيis فإن غلبك أمر فقل حسبنا الله و نعم الوكيل وقد تكلم الناس في حمل الزاد في الحج و غيره من الأسفار فالذى مضت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سنة خلفائه الراشدين و أصحابه و التابعين لهم بإحسان و أكابر المشائخ هو حمل الزاد لما في ذلك من طاعة الله و رسوله و إنفاق الحامل و نفعه للناس وزعمت طائفة أن من تمام التوكل أن لا يحمل الزاد وقد رد الأكابر هذا القول كما رده الحارث المحاسبي فى كتاب التوكل و حكاها عن شقيق البلاخي و باللغ فى الرد على من قال بذلك و ذكر من الحجج عليهم ما يبين به غلطهم و

أنهم غالطون في معرفة حقيقة التوكل و أنهم عاصون لله بما يتركون من طاعته وقد حكي لأحمد بن حنبل أن بعض الغلاة الجهل بحقيقة التوكل كان إذا وضع له الطعام لم يمد يده حتى يوضع في فمه وإذا وضع يطبق فمه حتى يفتحوه و يدخلوا فيه الطعام فأنكر ذلك أشد الإنكار و من هؤلاء من حرم المكاسب وهذا وأمثاله من قلة العلم بسنة الله في خلقه و أمره فإن الله خلق المخلوقات بأسباب و شرع للعباد أسباباً ينالون بها مغفرته و رحمته و ثوابه في الدنيا و الآخرة فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمره الله به من الأسباب يحصل مطلوبه و أن المطالب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها الله أسباباً لها فهو غالط فالله سبحانه و إن كان قد ضمن للعبد رزقه و هو لابد أن يرزقه ماعمر فهذا لا يمنع أن يكون ذلك الرزق المضمن له أسباب تحصل من فعل العبد و غيره فعله و أيضاً فقد يرزقه حلالاً و حراماً فإذا فعل ما أمره به رزقه حلالاً و إذا ترك ما أمره به فقد يرزقه من حرام و من هذا الباب الدعاء و التوكل فقد ظن بعض الناس أن ذلك لا تأثير له في حصول مطلوب و لا دفع مرهوب ولكن عبادة محضة ولكن ما حصل به حصل بدونه و ظن آخرون أن ذلك مجرد علامة و الصواب الذي عليه السلف والأئمة و الجمهور أن ذلك من أعظم الأسباب التي تناول بها سعادة الدنيا و الآخرة و ما قدره الله بالدعاء و التوكل و الكسب و غير ذلك من الأسباب إذا قال القائل فلو لم يكن السبب ماذا يكون بمنزلة من يقول هذا المقتول لو لم يقتل هل كان يعيش و قد ظن بعض القدريه أنه كان يعيش و ظن بعض المتنسبين إلى السنة أنه كان يموت و الصواب أن هذا تقدير لأمر علم الله أنه يكون فالله قادر موته بهذا السبب فلا يموت إلا به كما قدر الله سعادته هذا في الدنيا و الآخرة بعبادته و دعائه و توكله و عمله الصالح و كسبه فلا يحصل إلا به و إذا قدر عدم هذا السبب لم يعلم ما يكون المقدر و بتقدير عدمه فقد يكون المقدر حينئذ أنه يموت و قد يكون المقدر أنه يحيى و الجزم بإحدهما خطأ و لو قال القائل أنا لا أكل ولا أشرب فإن كان الله قادر حياته فهو يحييني بدون الأكل و الشرب كان أحمق كمن قال أنا لا أطأ إمرأتي فإن كان الله قادر لي ولدا تحمل من غير ذكر إذا عرف هذا فالسالكون طريق الله منهم من يكون مع قيامه بما أمره الله به من الجهاد و العلم و العبادة و غير ذلك عاجزاً عن الكسب كالذين ذكرهم الله في قوله ﴿لِّفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءٌ مِّنَ النَّعْفُ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافَّا﴾ البقرة 273 و الذين ذكرهم الله في قوله ﴿لِّفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَّا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر 8 فالصنف الأول أهل صدقات و الصنف الثاني أهل الفيء كما قال تعالى في الصنف الأول ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفَقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفَّرُ عَنْكُمْ مَنْ سَيَّئَاتُكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ البقرة 271 إلى قوله ﴿لِّفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ البقرة 273 و قال في الصنف الثاني ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَهُ وَلِلَّهُ رَسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَيْنِ السَّبِيلِ﴾ الحشر 7 إلى قوله ﴿لِّفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الحشر 8 ثم قال ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِمْ﴾ الحشر 9 ذكر المهاجرين و الأنصار و كان المهاجرون تغلب عليهم التجارة و الأنصار تغلب عليهم الزراعة وقد قال للطائفين ﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا كَسَبُوكُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾ البقرة 267 ذكر زكاة التجارة و زكاة الخارج من الأرض و هو العشر أو نصف العشر أو ربع العشر و من السالكين من يمكنه الكسب مع ذلك وقد قال تعالى لما أمرهم بقيام الليل ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَّكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المزمل 20 فجعل المسلمين أربعة أصناف أهل القرآن و العلم و العبادة و صنفاً يضربون في الأرض بيتغون من فضل الله و صنفاً يجاهدون في سبيل الله و الرابع المعذورون و أما قول القائل أن الغذاء و القوام هو من فعل الله فلا يمكن طلبه كالحياة فليس كذلك هو بل ما فعل الله بأسباب يمكن طلبه بطلب الأسباب كما مثله في الحياة و الموت فإن الموت يمكن طلبه و دفعه بالأسباب التي قدرها الله فإذا أردنا أن يموت عدو الله سعينا في قتله و إذا أردنا دفع ذلك عن المؤمنين دفعناه بما شرع الله الدفع به قال

تعالى في داود عليه السلام {وَعَلَّمَنَا صَنْعَةً لُؤُسَ لَكُمْ لِتُحْصِنُكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} الأنبياء 80 و قال تعالى {فَلَيُصَلِّوْ مَعَكَ وَلَيُخْذِلُوكُمْ حِدْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} النساء 102 و هذا مثل دفع الحر و البرد عنا هو من فعل الله فاللباس والإكتساب و مثل دفع الجوع و العطش هو من فعل الله بالطعام والشراب و هذا كما أن إزهاق الروح هو من فعل الله و يمكن طلبه بالقتل و حصول العلم و الهدى في القلب هو من فعل الله و يمكن طلبه بأسبابه المأمور بها و بالدعاء و قول القائل أن الله يفعل بسبب و بغير سبب فمن أين يلزمها طلب السبب جوابه أن يقال له ليس الأمر كذلك بل جميع ما يخلقه الله و يقدره إنما يخلقه و يقدره بأسباب لكن من الأسباب ما يخرج عن قدرة العبد و منها ما يكون مقدورا له و من الأسباب ما يفعله العبد و منها مالا يفعله و الأسباب منها معتاد و منها نادر فإنه في بعض الأعوام قد يمسك المطر و يغذى الزرع برياح يرسلها و كما يكثر الطعام و الشراب بدعا النبى صلى الله عليه وسلم و الرجل الصالح فهو أيضا سبب من الأسباب و لاريب أن الرزق قد يأتي على أيدي الخلق فمن الناس من يأتيه برزقه جنى أو ملك أو بعض الطير و البهائم و هذا نادر و الجمهور إنما يرزقون بواسطة بنى آدم مثل أكثر الذين يعجزون عن الأسباب يرزقون على أيدي من يعطيهم إما صدقة إما هدية أو نذرا و إما غير ذلك مما يؤتى به على أيدي من يسره لهم و قد ثبت في الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن آدم إن تتفق الفضل خير لك و ان تمسك الفضل شر لك و لا يلام على كفاف و اليد العليا خير من اليد السفلة و في حديث آخر صحيح يد الله هي العليا و يد المعطى التي تليها و يد السائل السفلة و بعض الناس يزعم أن يد السائل الآخذ هي العليا لأن الصدقة تقع بيد الحق و هذا خلاف نص رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر أن يد الله هي العليا و يد المعطى التي تليها و يد السائل السفلة و قول القائل إن الله ضمن ضمانا مطلقا فيقال له هذا لا يمنع و جوب الأسباب على ما يجب فإن فيما ضمنه رزق الأطفال و البهائم و الزوجات و مع هذا فيجب على الرجل أن ينفق على ولده و بهائمه و زوجته بإجماع المسلمين و نفقته على نفسه أو يجعليه و قول القائل كيف يطلب مالا يعرف مكانه جوابه أنه يفعل السبب المأمور به و يتوكى على الله فيما يخرج عن قدرته مثل الذي يشق الأرض و يلقى الحب و يتوكى على الله في إنزال المطر و إنبات الزرع و دفع المؤذيات و كذلك التاجر غاية قدرته تحصيل السلعة و نقلها و أما إلقاء الرغبة في قلب من يطلبها و بذل الثمن الذي يربح به فهذا ليس مقدورا للعبد و من فعل ما قدر عليه لم يعاقبه الله بما عجز عنه و الطلب لا يتوجه إلى شيء معين بل إلى ما يكفيه من الرزق كالداعي الذي يطلب من الله رزقه و كفایته من غير تعين فإذا عرف ذلك فمن الكسب ما يكون و اhiba مثل الرجل المح الحاج إلى نفقته على نفسه أو عياله أو قضاء دينه و هو قادر على الكسب وليس هو مشغولا بأمر الله به هو أفضل عند الله من الكسب فهذا يجب عليه الكسب باتفاق العلماء و إذا تركه كان عاصيا آثما و منه ما يكون مستحيبا مثل هذا إذا إكتسب ما يتصدق به فقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال على كل مسلم صدقة قالوا يا رسول الله فمن لم يجد قال يعمل بيده ينفع نفسه و يتصدق قالوا فإن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فإن لم يجد قال فليأمر بالمعروف و ليمسك عن الشر فإنها له صدقة وأما قول القائل أن الأنبياء والأولياء لم يطلبوا رزقا فليس الأمر كذلك بل عامة الأنبياء كانوا يفعلون أسبابا يحصل بها الرزق كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد في المسند عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله و حده لاشريك له و جعل رزقى تحت ظل رمحى و جعل الذل و الصغار على من خالف أمري و من تشبه بقوم فهو منهم و قد ثبت في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم إن أفضل ما أكل الرجل من كسبه و كان داود يأكل من كسبه و كان يصنع الدروع و كان زكريان جارا و كان الخليل له ماشية كثيرة حتى أنه كان يقدم للضيوف الذين لا يعرفهم عجل سمينا و هذا إنما يكون مع اليسار و خيار الأولياء الم وكلين المهاجرين و الأنصار و أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأولياء الم وكلين بعد الأنبياء و كان عامتهم يرزقهم الله بأسباب يفعلونها كان الصديق تاجرا و كان يأخذ ما يحصل له من المغنم و لما ولى الخلافة جعل له من

بيت المال كل يوم در همان و قد أخرج ماله كله و قال له النبي صلی الله عليه و سلم ما تركت لأهلك قال تركت لهم الله و رسوله و مع هذا فما كان يأخذ من أحد شيئاً لا صدقة و لا فتوحاً و لا نذراً بل إنما كان يعيش من كسبه بخلاف من يدعى التوكيل و يخرج ماله كله ظاناً أنه يقتدي بالصديق و هو يأخذ من الناس إما بمسألة و إما بغير مسألة فإن هذه ليست حال أبي بكر الصديق بل في المسند أن الصديق كان إذا وقع من يده سوط ينزل فيأخذه و لا يقول لأحد ناولني إيه و يقول إن خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً فأين هذا من جعل الكدية و سؤال الناس طريقاً إلى الله حتى أنهم يأمرنون المريد بالمسألة للخلق وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلی الله عليه و سلم بتحريم مسألة الناس إلا عند الضرورة و قال لاتحل المسألة إلا الذي غرم مقطع أو دم موجع أو فقر مدمع و قال تعالى {فَإِنَّمَا فَرَغْتَ فَانصِبْ} {7} وَإِلَى رَبِّكَ فَأَرْغَبْ} {8} الشرح 7-8 فأمره أن تكون رغبته إلى الله و حده ومن هؤلاء من يجعل دعاء الله و مسأله نقصاً و هو مع ذلك يسأل الناس و يكتيدهم و سؤال العبد لربه حاجته من أفضل العبادات و هو طريق الأنبياء الله و قد أمر العباد بسؤاله فقال {وَاسْأُلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ} النساء 32 و مدح الذين يدعون ربهم رغبة و رهبة من الدعاء ما هو فرض على كل مسلم كالدعاء المذكور في فاتحة الكتاب و من هؤلاء من يحتاج بما يروى عن الخليل أنه لما ألقى في النار قال له جبرئيل هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا قال سل قال حسيبي من سؤالي علمه بحالى وأول هذا الحديث معروف و هو قوله أما إليك فلا قال سل قال حسيبي من سؤالي علمه بحالى وأول هذا الحديث معروف و هو قوله أما إليك فلا قال سل قال حسيبي من سؤالي علمه بحالى وأول هذا عنه عنهما في قوله حسبنا الله و نعم الوكيل أنه قالها إبراهيم حين ألقى في النار و قالها محمد صلی الله عليه و سلم حين قال له الناس {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ} آل عمران 173 و أما قوله حسيبي من سؤالي علمه بحالى فكلام باطل خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل و غيره من الأنبياء من دعائهم الله و مسأله لهم إيه و هو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا و الآخرة كقولهم {رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} البقرة 201 و دعاء الله و سؤاله و التوكيل عليه عبادة الله مشروعة بأسباب كما يقدر بها فكيف يكون مجرد العلم مسقطاً لما خلقه و أمر به و الله أعلم و صلی الله على محمد و سلم ³⁹

لا ينفعون عن الله ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن موضعه

ومن الإيمان بالله بالإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلی الله عليه وسلم من غير تحرير ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس

كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَلْتُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلِئَنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ}** {هود 7} ⁴⁰

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه على خلقه وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولاً ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ⁴¹

لم يخبر القرآن بأن الله خلق السموات والأرض من غير شيء

كان قبل ان يخلق الله هذه السموات وهذه الأرض وهذا النهار كان العرش على الماء كما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}** {هود 7} وخلق الله من بخار ذلك الماء هذه السموات وهو الدخان المذكور في قوله تعالى **{ثُمَّ اسْتَوَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي طُوعاً أَوْ كَرْهًا فَأَلَّا أَتَّهَا أَتَّهَا طَائِعَيْنَ}** {11} فقضاهن سبع سماوات في يومين ⁴² {فصلت 11-12} وذلك لما كان الماء غامراً لتربة الأرض وكانت الريح تهب على ذلك الماء فخلق الله هذه السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش فتاك الأيام التي خلق الله تعالى فيها هذه ⁴²

فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}** {هود 7} وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض

العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 16

العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 29

مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 599

وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء وفي رواية لغيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وثبتت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وهو سبحانه وتعالى متمند بأنه ذو العرش كقوله سبحانه {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَعَوَّنُ إِلَيْهِ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} الإسراء 42 قوله تعالى {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} 15 يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ألمن الملك اليوم الله الواحد الفهارس 16 غافر 15-16⁴³

ومن المعلوم أن القرآن لم يخبر ببناء العالم في المستقبل فقط كما لم يخبر بأن الله خلق السموات والأرض من غير شيء بل أخبر سبحانه وتعالى بخلق السموات والأرض كما أخبر بخلق الإنسان والجن وغير ذلك من المخلوقات وأخبر أنه خالق كل شيء وأخبر عن خلق السموات والأرض فقال {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ مُّبِينٌ} هود 7 فأخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأنه كان عرشه على الماء وفي صحيح البخاري والمسندي وغيرهما عن عمران بن حصين أنبني تميم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقبلوا البشر يا بنى تميم قالوا قد بشرتنا فأعطانا فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء أهل اليمن فقال أقبلوا البشر يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر فقال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض وفي لفظ ولم يكن شيء غيره وفي لفظ آخر ولم يكن معه شيء لكن الظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل إلا واحدة والأخريتان رويتا بالمعنى فإن المجلس كان واحداً لم يتكرر ليقال إنه قال كل لفظ في مجلس ولو كرر الألفاظ لذكر ذلك عمران ومثل هذا يقع كثيراً في الحديث كقوله في حديث المرأة التي عرضت نفسها عليه أنكحتها بما معك من القرآن وفي رواية أخرى زوجتها وفي أخرى أمكثها وللله الحمد الأول مطابق لما رواه مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم رب السموات السبع رب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالله رب العالمين منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعود بك من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها أنت الأول فليست قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عني الدين وأغتنم من الفقر فقوله أنت الأول فليست قبلك شيء مطابق لقوله كان الله ولم يكن شيء قبله والحديث دل بأنه كان عرشه على الماء وأنه كتب في الذكر كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض وهكذا جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على

الماء فأخبر في هذا الحديث الصحيح بما يوافق ذلك الحديث الصحيح أيضاً أنه قدر المقايير قبل خلق السموات والأرض حين كان عرشه على الماء وكلاهما يوافق القرآن⁴⁴

وقد جاءت الآثار المتعددة عن الصحابة والتابعين وغيرهم بأن الله سبحانه لما كان عرشه على الماء خلق السماء من بخار الماء وأليس الأرض وهكذا في أول التوراة الإخبار بأن الماء كان موجوداً وأن الريح كانت ترف عليه وأن الله خلق من ذلك الماء السماء والأرض فهذه الأخبار الثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة مطابقة لما عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى مما في التوراة وكل ذلك يصدق بعضه بعضاً ويخبر أن الله خلق هذا العالم سمواته وأرضه في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه كان قبل ذلك مخلوقات كالماء والعرش فليس في إخبار الله تعالى أن السموات والأرض أبدعها من غير شيء ولا أنه لم يكن قبلها شيء من المخلوقات وقد أخبر الله في غير موضع أنه خالق كل شيء وأنه رب كل شيء⁴⁵

الزمان كان موجوداً قبل أن يخلق الله الشمس والقمر

والرسول أخبرت بخلق الأفلاك وخلق الزمان الذي هو مقدار حركاتها مع أخبارها بأنها خلقت من مادة قبل ذلك وفي زمان قبل هذا الزمان فإنه سبحانه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وسواء قيل إن تلك الأيام بمقدار هذه الأيام المقدرة بظهور الشمس وغروبها أو قيل أنها أكبر منها كما قال بعضهم إن كل يوم قدره ألف سنة فلا ريب أن تلك الأيام التي خلقت فيها السموات والأرض غير هذه الأيام وغير الزمان الذي هو مقدار حركة هذه الأفلاك وتلك الأيام مقدرة بحركة أجسام موجودة قبل خلق السموات والأرض⁴⁶

فإن الزمان إذا قيل أنه مقدار الحركة كان جنس الزمان مقدار جنس الحركة لا يتعين في ذلك أن يكون مقدار حركة الشمس أو الفلك وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات والأرض وهو الدخان الذي هو البخار كما قال تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِنِّي طُوْعاً أَوْ كَرْهًا فَأَلَّا أَتَيَنَا طَائِعِينَ} فصلت 11 وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين وكما عليه أهل الكتاب كما ذكر هذا كله في موضع آخر وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك فإن هذا مما خلق في تلك الأيام بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى وكذلك إذا شق الله هذه السموات وأقام القيمة وادخل أهل الجنة الجنة قال تعالى {وَلَهُمْ رِزْقٌ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} مريم 62 وقد جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة وان أعلامهم منزلة من يرى الله

الصفدية ج: 2 ص: 79⁴⁴

الصفدية ج: 2 ص: 83⁴⁵

مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 235⁴⁶

تعالى كل يوم مرتين وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا هناك حركة فلك بل ذلك الزمان مقدر بحركات كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش⁴⁷

قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُبْلُوكُمْ أَئُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَنْ فَلْتَ أَنْكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } هود⁷ وأخبر أنه {إِنَّمَا اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءَ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا فَأَلَّا أَئْتُنَا طَائِبِينَ } فصلت¹¹ وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله قادر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي روایة ثم خلق السموات والأرض والآثار متواترة عن الصحابة والتابعين بما يوافق القرآن والسنة من أن الله تعالى خلق السموات من بخار الماء الذي سماه الله دخاناً وقد تكلم علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أول هذه المخلوقات على قولين حكاهما الحافظ أبو العلاء الهمданى وغيره أحدهما أنه هو العرش والثاني أنه هو القلم ورجحوا القول الأول لما دل عليه الكتاب والسنة أن الله تعالى لما قدر مقادير الخلق بالقلم الذي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشه على الماء فكان العرش مخلوقاً قبل القلم قالوا الآثار المروية أن أول ما خلق الله القلم معناها من هذا العالم وقد أخبر الله تعالى أنه خلقه في ستة أيام فكان حين خلقه زمان يقدر به خلقه ينفصل إلى أيام فعلم أن الزمان كان موجوداً قبل أن يخلق الله الشمس والقمر ويخلق في هذا العالم الليل والنهر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته عام حجة الوداع إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً ومنها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضي الذي بين جمادي وشعبان وفي الصحيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم هذا وفي التوراة ما يوافق خبر الله تعالى في القرآن وأن الأرض كانت مغمورة بالماء والهواء يهبط فوق الماء وأن في أول الأمر خلق الله السموات والأرض وأنه خلق ذلك في أيام ولهذا قال من قال من علماء أهل الكتاب ما ذكره الله تعالى في التوراة يدل على أنه خلق هذا العالم من مادة أخرى وأنه خلق ذلك في أزمان قبل أن يخلق الشمس والقمر وليس فيما أخبر الله تعالى به في القرآن وغيره أنه خلق السموات والأرض من غير مادة ولا أنه خلق الإنسان أو الجن أو الملائكة من غير مادة بل يخبر أنه خلق ذلك من مادة وإن كانت المادة مخلوقة من مادة أخرى كما خلق الإنسان من آدم وخلق آدم من طين وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فقد أخبر أنه خلق السموات والأرض في مدة ومن مادة ولم يذكر القرآن خلق شيء من لا شيء بل ذكر أنه خلق المخلوق بعد أن لم يكن شيئاً كما قال {وَقَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تُكُنْ شَيْئاً } مريم⁹ مع اخباره أنه خلقه من نطفة والمقصود هنا أن المنقول عن أساطين الفلسفية القدماء لا يخالف ما أخبرت به الأنبياء من خلق هذا العالم من مادة بل المنقول عنهم أن هذا العالم محدث كائن بعد إن لم يكن وأما قولهم في تلك المادة هل

هي قديمة الأعيان أو محدثة بعد أن لم تكن أو محدثة من مادة أخرى بعد مادة قد تضطرب النقول عنهم في هذا الباب والله أعلم بحقيقة ما يقوله كل من هؤلاء فإنها أمة عربت كتبهم ونقلت من لسان إلى لسان وفي مثل ذلك قد يدخل من الغلط والكتب ما لا يعلم حقيقته ولكن ما تواترت به النقول عنهم يبقى مثل المتواتر وليس لنا غرض معين في معرفة قول كل واحد منهم بل {ذلك أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} البقرة 134 لكن الذي لا ريب فيه أن هؤلاء أصحاب التعاليم كارسطو واتباعه كانوا مشركين يعبدون المخلوقات ولا يعرفون النبوات ولا المعاد البدني وأن اليهود والنصارى خير منهم في الإلهيات والنبوات والمعاد وإذا عرف أن نفس فلسفهم توجب عليهم أن لا يقولوا بقدم شيء من العالم علم أنهم مخالفون لصريح المعقول كما أنهم مخالفون لصحيح المنسوق وأنهم في تبديل القواعد الصحيحة المعقولة من جنس اليهود والنصارى في تبديل ما جاءت به الرسل وهذا هو المقصود في هذا الباب ثم إنه إذا قدر أنه ليس عندهم من المعقول ما يعرفون به أحد الطرفين فيكتفي في ذلك إخبار الرسل باتفاقهم على خلق السماوات والأرض وحدوث هذا العالم والفلسفة الصحيحة المبنية على المعقولات المحضة توجب عليهم تصديق الرسل فيما أخبرت به وتبيّن أنهم علموا بذلك بطريق يعجزون عنها وأنهم أعلم بالأمور الإلهية والمعاد وما يسعد النفس ويشقيها منهم وتذلّهم على أن من اتبع الرسل كان سعيداً في الآخرة ومن كذبهم كان شقياً في الآخرة وأنه لو علم الرجل من الطبيعيات والرياضيات ما عسى أن يعلم وخرج عن دين الرسل كان شقياً وأن من أطاع الله ورسوله بحسب طاقته كان سعيداً في الآخرة وإن لم يعلم شيئاً من ذلك ولكن سلفهم اكثروا الكلام في ذلك لأنهم لم يكن عندهم من آثار الرسل ما يهتدون به إلى توحيد الله وعبادته وما ينفع في الآخرة وكان الشرك مستحوذًا عليهم بسبب السحر والأحوال الشيطانية وكانوا ينفقون أعمارهم في رصد الكواكب ليسعينوا بذلك على السحر والشرك وكذلك الأمور الطبيعية وكان منتهى عقلاً أموراً عقلية كالية كالعلم بالوجود المطلق وانقسامه إلى علة ومعلول وجواهر عرض وتقسيم الجواهر ثم تقسيم الأعراض وهذا هو عندهم الحكمة العليا والفلسفة الأولى ومنتهى ذلك العلم بالوجود المطلق الذي لا يوجد إلا في الأذهان دون الأعيان⁴⁸

أول الأيام يقال يوم الأحد

و في أول الأيام يقال يوم الأحد فإن فيه على أصح القولين إبْتَدَا اللَّهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ فإن القرآن أخبر في غير موضوع أنه {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} الفرقان 59 وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته أن آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم الجمعة و إذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة⁴⁹

⁴⁸ دقائق التفسير ج: 2 ص: 227-230 و منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 360 مجموع

الفتاوى ج: 18 ص: 212 و درء التعارض ج: 1 ص: 123

مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 238⁴⁹

كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن

والذى عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف ان الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله ولهذا كان النبي ﷺ يستعيد بأفعال الرب وصفاته كما فى قوله أعود برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فاستعاد بمعافاته كما استعاد برضاه وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على ان كلام الله غير مخلوق بأنه استعاد به فقال من نزل منزلا فقال أعود بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوقة لأنه استعاد بهما والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقة فإنها نتيجة معافاته وإذا كان الخلق فعله و المخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره فدل على ان افعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقد حكى البخارى اجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق وعلى هذا يدل صريح المعمول فإنه قد ثبت بالادلة العقلية والسمعية ان كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن وان الله انفرد بالقدم والازلية وقد قال تعالى {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} ^{هود} فهو حين خلق السموات ابتداء اما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقا للسموات والأرض واما أن لا يحصل منه فعل بل وجدت المخلوقات بلا فعل ومعلوم أنه اذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء وبعد سوء لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص و أيضا حدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع في بداية العقل ⁵⁰

(في محمل رده على الفلسفه المتكلمه) وأما قوله إن قلت هو فاللهاء والواو خلقه فهو كلام فاسد فإنه إن أراد أنه لا يقال هو لهذا خلاف إجماع المسلمين وسائل الأمم وهو فاسد بضرورة العقل والشرع قال تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الحديده 3 وقال {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَلْوُكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَّ عَمَّاً} ^{هود} وقال {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} البروج 14 {وَهُوَ مَعْكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديده 4 وفي القرآن من ذكر هو أكثر من أن يحصر هنا فنفي قول هو من أعظم الباطل وإن أراد أن يقال ما هو لعدم العلم بحقيقة فلا يصلح أن يدل على ذلك بقوله فاللهاء والواو خلقه فإن هذا لو كان حجة لصح أن يحتاج به في متى وأين و بتقدير كون الحروف مخلوقة لا يصلح أن يحتاج بذلك على نفي الإخبار بها عن الله أو الإستفهام بها عن بعض شؤونه وصفاته وإدخال لفظ هو بين متى وأين يدل على أنه أراد الاستفهام وإن أراد انا إذا فلنا هو فإنما تكلمنا بحروف مخلوقة وإن ذلك يفيد نفي معرفتنا به فهذا من أبطل الكلام فإن القائلين بأن الحروف مخلوقة والحرروف غير مخلوقة متفقون على أن الإخبار عنه بهو لا ينفي معرفته فظاهر أن قوله الهاء والواو خلقه كلام ليس فيه هنا فائدة بحال وإذا كان المتكلم بذلك لم يذكر كلاما منتظاما مفيدا سواء كان حقا أو باطلا فهو جدير على أن لا يستدل بكلامه على أنه حق أو باطل ثم قال ذلك إن أراد ان نفس أصوات العباد مخلوقة فهذا صحيح وإن أراد أن نفس الحروف حروف القرآن وغيره ما تكلم الله بها وليس من كلامه وهذا خلاف الكتاب والسنة وخلاف سلف الأمة وأئمتها

وفي لفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذى أخرجه أصحاب الصحيح كان الله ولا شئ معه وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وهذا انما ينفى وجود المخلوقات من السموات والأرض وما فيها من الملائكة والانس والجن لا ينفى وجود العرش ولهذا ذهب كثير من السلف والخلف الى أن العرش متقدم على القلم واللوح مستدلين بهذا الحديث وحملوا قول أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ف قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة على هذا الخلق المذكور فى قوله **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}** ⁷ وهذا نظير حديث أبي رزين العقيلي المشهور فى كتب المسانيد والسنن انه سأله النبى ف قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ف قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه العماء وذكر بعضهم أن هذا هو السحاب المذكور في قوله **{هَلْ يَنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ الْعَمَامِ}** البقرة 210 وفي ذلك آثار معروفة ⁵¹

العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر

أنه قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكر الحافظ أبو العلاء الهمданى وغيره أحدهما أن القلم خلق أولاً كما أطلق ذلك غير واحد وذلك هو الذى يفهم فى الظاهر فى كتب من صنف فى الأوائل كالحافظ أبي عروبة بن أبي عشر الحراني وأبي القاسم الطبراني للحديث الذى رواه أبو داود فى سننه عن عبادة بن الصامت أنه قال يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ف قال يا رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني سمعت رسول الله يقول من مات على غير هذا فليس مني والثانى أن العرش خلق أولاً قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي فى مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدى حدثنا سفيان الثورى حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه ورواه أيضاً أبو القاسم اللالكائى فى كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال قيل لابن عباس إن أنساً يقولون في القدر قال يكذبون لئن أخذت بشعر أحدهم لا نصونه أي لاخذن بناصيته إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيمة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه وكذلك ذكر الحافظ أبو بكر البهقى في كتاب الأسماء والصفات لما ذكر بهذه الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو و عمران بن حصين وغيرهما وسنذكر هذين الحديثين إن شاء الله تعالى ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهاج بن عمرو عن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وروى حديث

القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن حبیر عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله قال أن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون قال البيهقي ويروى ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً قال البيهقي وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش القلم وذلك بين في حديث عمران بن حصين ثم خلق السماوات والأرض وفي حديث أبي طبيان عن ابن عباس موقوفاً عليه ثم خلق النون فدحا الأرض عليها وروى بإسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الأعمش عن أبي طبيان عن ابن عباس قال أول ما خلق الله عز وجل من شيء القلم فقال له اكتب فقال يا رب وما أكتب قال اكتب العذر قال فجرى بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة قال ثم خلق النون فدحا الأرض عليها فارتقاء بخار الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبل وأن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيمة قلت حديث عمران بن حصين الذي ذكره هو ما رواه البخاري من غير وجه منها ما رواه في كتاب التوحيد في باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم قال أبو العالية استوى إلى السماء ارتقاء وقال مجاهد استوى علا على العرش وذكر من حديث أبي حمزة عن الأعمش عن صفوان بن حمزه عن عمران بن حصين قال إني عند النبي إذ جاءه قوم منبني تميم فقال أقبلوا البشرى يا بنى تميم فقللوا بشرتنا فأعطانا فدخل ناس من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم ورواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما من حديث الثقات المتافق على ثقتهم عن أبي إسحاق الفزارى عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن حمزه عن عمران بن حصين قال أتيت النبي فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت فأتاه نفر من بنى تميم فقال أقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا بشرتنا فأعطانا فجاءه نفر من أهل اليمن فقال أقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذا لم يقبلها إخوانكم من بنى تميم فقالوا قبلنا يا رسول الله أتيناكم لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر كيف كان قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض قال ثم أتاني رجل فقال أدرك ناقتك فقد ذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب وأيم الله لو ددت أني كنت تركتها في الحديث الصحيح بيان أنه كتب في الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السماوات والأرض وأما حديث عبد الله بن عمرو فقد رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني أبو هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله يقول كتب الله مقادير الخالق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء رواه مسلم أيضاً من حديث حمزة ونافع بن يزيد كلامهما عن أبي هانىء الخولاني مثله غير أنهما لم يذكرا وعرشه على الماء وقد رواه البيهقي من حديث حمزة بن شريح أخبرني أبو هانىء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلى أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله يقول قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ورواه البيهقي أيضاً من حديث ابن أبي مريم حدثنا الليث

ونافع بن يزيد قالا حدثنا أبو هانىء عن أبي عبد الرحمن الجبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السماوات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة في هذا الحديث الصحيح ما في ذلك من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض لكن فيه مقدار السبق وأن ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقد ضبط هذه الزيادة الإمامان الفقيهان الليث بن سعد وعبد الله بن وهب فقوله في الحديث فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السماوات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة يوافق حديث عبادة الذي في السنن أنه لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال ما هو كائن إلى يوم القيمة وكذلك في حديث ابن عباس

وغيره وهذا يبين إنما أمره حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك وهذا يؤيد حجة من جعله أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمره بكتابته فإنه سبحانه كتبه وقدره قبل أن يخلقه بخمسين ألف سنة⁵²

يقبل الله العمل الخالص الصواب

قال الإمام أحمد و غيره إن أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث قوله **الحلال بين و الحرام** بين و قوله **انما الاعمال بالنيات** و قوله **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** فان الأعمال إما مأمورات و إما محظورات و الأول فيه ذكر المحظورات و المأمورات اما قصد القلب و هو النية و اما العمل الظاهر و هو المشروع الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى **{لَيَنْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}** **هود 7** قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا و لم يكن صوابا لم يقبل و ان كان صوابا و لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا و الخالص ان يكون الله و الصواب أن يكون على السنة وهذا الذي قاله الفضيل متყق عليه بين المسلمين فإنه لا بد له في العمل أن يكون مشروعًا مأمورا به وهو العمل الصالح ولا بد أن يقصد به وجه الله كما قال تعالى **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}** **الكهف 110** قال تعالى **{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوَدًا أَوْ نَصَارَى تُلَكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَأْتُمْ بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}** **آل عمران 111** بل من أسلم و وجهه لله و هو محسن فله أجرة عند ربّه و لا ح Wolff عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُنُونَ **البقرة 112** وقال تعالى **{وَمَنْ أَحْسَنَ دِيَنَا مَمْنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا}** النساء **125** قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه و عمله الله وهو محسن في عمله وقال الفراء في قوله **{فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ اللَّهُ أَلَّ** عمران **20** أخلصت عمله و قال الزجاج قد صرت بعبادتي إلى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر وهذا المعنى يدور عليه القرآن فإن الله تعالى أمر أن لا يعبد إلا إياه و عبادته فعل ما أمر و ترك ما حظر والأول هو إخلاص الدين و العمل الله والثاني هو الإحسان و هو العمل الصالح ولهاذا كان عمر يقول في دعائه اللهم أجعل عملي كله صالحًا و اجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وقال تعالى **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ}** الشورى **21** وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري فاني منه بريء وهو كله الذي أشرك به وفي السنن عن العراباض بن سارية قال و عظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنني و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجز وإياكم و محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلاله وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد وفي لفظ من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد وفي صحيح مسلم ولهاذا قال الفقهاء العادات مبناتها على التوقف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الاسود وقال والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله يقبلك لما قبنتك والله سبحانه امرنا باتباع الرسول و طاعته و موالاته ومحبته وأن يكون الله و رسوله أحب اليها مما سواهما وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته فقال تعالى **{فَلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}** **آل عمران 31** وقال تعالى **{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**

{النور 54} قال تعالى {تَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَّحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} النساء 13 وأمثال ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وما علمه قال به وما لم يعلمه أمسك عنه ولا يقو ماليس له به علم ولا يقول على الله ما لم 53 يعلم فان الله تعالى قد حرم ذلك كله

فإن إخلاص الدين الله واجب في جميع العبادات البدنية والمالية كالصلوة والصدقة والصيام والحج فلا يصلح الركوع والسجود إلا الله ولا الصيام إلا الله ولا الحج إلا إلى بيت الله ولا الدعاء إلا لله قال تعالى {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} الأنفال 39 وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَلَهَهُ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} 1 إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} 2 الزمر 2-1 وهذا هو اصل الإسلام وهو أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بالبدع كما قال تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف 110 وقال تعالى {لَيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} هود 7 قال الفضيل بن عياض أخلصه وأصوبه قالوا يا ابا على ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة والكتاب 54

التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين الله

فالعبادة الله والاستعانة به وكان النبي يقول عند الأضحية اللهم منك ولك فما لم يكن بالله لا يكون فانه لا حول ولا قوة إلا بالله وما لم يكن الله فلا ينفع ولا يدوم 55

وقوله إنما الأعمال بالنيات إلخ يبين العمل الباطن وإن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص في الدين الله ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحًا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وكما قال الفضيل في قوله تعالى {لَيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قال فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا لم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا

مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 328 و الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 48-49 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 188 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 335-333 منهاج السنة النبوية ج: 5 ص:

253

مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 148

مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 124

والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة وعلى هذا دل قوله تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } الكهف 110 فالعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو أمر إستحباب وأن لا يشرك العبد بعبادة ربه أحداً وهو إخلاص الدين لله وكذلك قوله تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ هُنَّا وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 112 الآية وقوله { وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } النساء 125

وقوله { وَمَنْ يُسْلِمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَ الْوُثْقَى } لقمان 22 فإن إسلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله والإحسان هو إحسان العمل لله وهو فعل ما أمر به فيه كما قال تعالى { إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً } الكهف 30 فإن الإساءة في العمل الصالح تتضمن الإستهانة بالأمر به والإستهانة بنفس العمل والإستهانة بما وعده الله من التواب فإذا أخلص العبد دينه لله وأحسن العمل له كان من أسلم وجهه لله وهو محسن فكان من الذين لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون⁵⁶

فمن عمل لغير الله كأهل الرياء لم يقبل منه ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشركه وقال في الحديث الصحيح لا يقبل الله صلاة بغير ظهور ولا صدقة من غلوط وقال لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار وقال في الحديث الصحيح من عمل عملاً ليس عليه أمر عليه أمرنا فهو رد أي فهو مردود غير مقبول فمن إتقى الكفر وعمل عملاً ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وإن صلي بغير وضوء لم يقبل منه لأنَّه ليس متقياً في ذلك العمل وإن كان متقياً للشرك وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةُ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } المؤمنون 60 وفي حديث عائشة عن النبي أنها قالت يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويختلف أن يعذب قال لا يا إبنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويختلف أن لا يقبل منه وخوف من خاف من السلف أن لا يقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور وهذا أظهر الوجه في إستثناء من إستثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم أنا مؤمن إن شاء الله وصلحت إن شاء الله لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق⁵⁷

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من اوجب الاعمال وافضلها واحسنها وقد قال تعالى { لَيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } هود 7 وهو كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله خلصه واصوبه فإن العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص ان يكون الله والصواب ان يكون على السنة فالعمل الصالح لا بد ان يراد به وجه الله تعالى فإن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما اريد به وجده وحده كما في

الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً اشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو كله للذي اشرك وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام وهو دين الله الذي بعث به جميع رسالته وله خلق الخلق وهو حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ولا بد مع ذلك أن يكون العمل صالحاً وهو ما أمر الله به ورسوله وهو الطاعة فكل طاعة عمل صالح وكل عمل صالح طاعة وهو العمل المشروع المسنون إذ المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب وهو العمل الصالح وهو الحسن وهو البر وهو الخير وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة والجور والشر والظلم والبغى ولما كان العمل لا بد فيه من شبيئين النية والحركة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء حارث وهمام فكل أحد حارث وهمام له عمل ونية لكن النية المحمودة التي يتقبلها الله ويثيب عليها هي أن يراد الله وحده بذلك العمل والعمل محمود هو الصالح وهو المأمور به ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عمل كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وهذا هو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسالته وأنزل به كتبه وهو الاستسلام لله وحده فمن لم يستسلم له كان مستكراً عن عبادته وقد قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاخِرِينَ} غافر 60 ومن استسلم الله ولغيره كان مشركاً فقد قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ} النساء 48 ولهذا كان الله حق لا يشركه فيه أحد من المخلوقين فلا يعبد إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يتقوى إلا الله ولا يتوكلاً إلا على الله ولا يدعى إلا الله كما قال تعالى {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} 7 {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} 8 الشرح 8-7⁵⁸

علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة

وجماع الدين أن لا نعبد إلا الله ولا نعبد إلا بما شرع ولا نعبد بالبدع كما قال تعالى {لَيَنْهَا كُمْ أَيُّكُمْ أَحَسْنُ عَمَلاً} الملك 2 قال الفضيل بن عياض أخليصه وأصوبه قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ولم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشائخ كما قال أبو سليمان الداراني إنه لتمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة وقال الشيخ أبو سليمان أيضاً ليس لمن ألمهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فإذا سمع بأثر كان نوراً على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا وقال سهل ابن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على ابتداع فإنه عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء هو غش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قوله فعلاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قوله وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله يقول {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} التور 54 مثل هذا كثير في كلامهم وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمته فهو الداعي إلى الله بادنه الهادى إلى صراطه الذي من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فهو الذي فرق الله به بين

والله تعالى أمر الخلق أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً ويعبدوه بما شرع وأمر أن لا يعبدوه
بغير ذلك قال تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}
الكهف ١١٥ وقال تعالى {لَيَئْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} هود⁷ فالسلوك طريق الزهادة
والعبادة إذا كان متبعاً للشريعة في الظاهر وقصد الرياء والسمعة وتعظيم الناس له كان عمله
باطلاً لا يقبله الله كما ثبت في الصحيح أن الله يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل
عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذى أشرك وفي الصحيح عنه أنه قال من
سمع سمع الله به ومن رأى الله به وان كان خالصاً في نيته لكنه يتعد بغير
العبادات المشروعة مثل الذي يصمت دائماً أو يقوم في الشمس أو على السطح دائمًا أو يتعرى
من الثياب دائماً ويلازم لبس الصوف أو ليس الليف ونحوه أو يغطي وجهه أو يمتنع من أكل
الخبز أو اللحم أو شرب الماء ونحو ذلك كانت هذه العبادات باطلة ومردودة كما ثبت في الصحيح
عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
وفي رواية من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد وفي الصحيح البخاري عن ابن عباس
أن النبي رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال ما هذا قالوا هذا أبو إسرائيل نذر الصمت والقيام
والبروز للشمس مع الصوم فأمره النبي بالصوم وحده لأن عبادة يحبها الله تعالى وما عداه
ليس بعبادة وان ظنها الطاغي تقربه إلى الله تعالى وثبت عنه أنه كان يقول في خطبته إن
خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضالة
وثبت عنه في الصحيح أن قوماً من أصحابه قال أحدهم أما أنا فأصوم ولا أفطر وقال الآخر
أما أنا فأقوم ولا أنام وقال الآخر أما أنا فلا أنزوج النساء وقال الآخر أما أنا فلا آكل اللحم فقال
النبي مبابل رجال يقول أحدهم كيت وكيت لكنى أصوم وأفطر وأنام وأنزوج النساء وآكل اللحم
فمن رغب عن سنتي فليس مني فإذا كان هذا فيما هو جنسه عبادة فإن الصوم والصلة جنسها
عبادة وترك اللحم والتزويج جائز لكن لما خرج في ذلك من السنة فالالتزام القدر الزائد على
المشروع والالتزام هذا ترك المباح كما يفعل الرهبان تبراً النبي من فعل ذلك حيث رغب عن
سنته إلى خلافها وقال لا رهبانية في الإسلام⁶⁰

الاعتصام بالسنة نجاة

وانما ينجو العبد بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك الاسماء مقصودها واحد ولها اصلاح احدهما الا يعبد الا الله و الثاني ان يعبد بما امر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُسْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف 110 وقال تعالى {بَلِّي مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ إِذْنَ رَبِّهِ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ} البقرة 112 وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مَّمْنُ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا} النساء 125 فالعمل الصالح هو الاحسان وهو فعل الحسنات و الحسنات هي ما احبه الله ورسوله وهو ما امر به امر ايجاب او استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فان الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما ان يعمل مالا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح واما قوله {وَلَا يُسْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف 110 وقوله {أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} فهو اخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله **{لَيَلْوُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}** هود⁷ قال اخلصه وأصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل و اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون الله والصواب ان يكون على السنة وقد قال الله تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 والمقصود بجميع العبادات ان يكون الدين كله الله وحده فالله هو المعبد والمسئول الذى يخاف ويرجى ويسأل ويعبد فله الدين خالصا **{وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا}** ⁶¹ آل عمران 83

فالسعادة مشروطة بشرطين بالإيمان والعمل الصالح بعلم نافع وعمل صالح بكلم طيب وعمل صالح وكلاهما مشروط بأن يكون على موافقة الرسل كما قال أبي بن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فاقشعر جده من خشية الله إلا تحاتت عنه خططياته كما يتحات الورق اليابس عن الشجر وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدا وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير عن اجتهاد في خلاف سبيل وسنة فاحر صوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهاضا أو اقتصادا على منهاج الأنبياء وسنتهم ولهذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى **{لَيَلْوُكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}** هود⁷ قال أخلصه وأصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة فالسعيد يخاف في أعماله أن لا يكون

⁶¹الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375 و مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 152 و مجموع الفتاوى ج:

صادقا في إخلاصه الدين الله أو أن لا تكون موافقة لما أمر الله به على لسان رسوله ولهذا كان السلف يخافون النفاق على أنفسهم فذكر البخاري عن أبي عالية قال أدركت ثلثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ولهذا كانوا يستثنون فيقول أحد هم أنا مؤمن إن شاء الله ومثل هؤلاء يستغفرون الله مما علموه أو لم يعلمه من التقصير والتعدى ويتوبون من ذلك⁶²

الفضل بنفس العمل وجودته لا بقدرها وكثرتها

فإذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه إلى الله فهذا اصلاح ارادته وقصده فإذا كان مع ذلك محسنا فقد اجتمع أن يكون عمله صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو قول عمر رضي الله عنه اللهم اجعل عملك كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئاً والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذى أمر الله به هو الذى شرعه الله وهو المواتق لسنة الله وسنة رسوله فقد أخبر الله تعالى أنه من أخلص قصده لله وكان محسنا في عمله فإنه مستحق للثواب سالم من العقاب ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل ابن عياض في قوله تعالى **{بِيَلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}** **هود 7** قال أخلصه وأصوبيه فقيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبيه فقال إن العمل إذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد روى ابن شاهين واللالكائى عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بمwoffاقنة السنة ورويا عن الحسن البصري مثله ولفظه لا يصلح مكان يقبل وهذا فيه رد على المرجئة الذين يجعلون مجرد القول كافياً فأخبر أنه لا بد من قول وعمل إذ الایمان قول وعمل لا بد من هذين كما قد بسطناه في غير هذا الموضوع وبيننا أن مجرد تصديق القلب واللسان مع البغض والاستكبار لا يكون ايماناً باتفاق المؤمنين حتى يقترب بالتصديق عمل وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنفي للبغض والاستكبار ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل إلا بنية وهذا ظاهر فإن القول والعمل إذا لم يكن خالصا لله تعالى لم يقبله الله تعالى ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بمwoffاقنة السنة وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنوناً مشرعاً قد أمر الله به يكون بدعة ليس مما يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الإعتقادات وإن كان كثيراً من صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات وهذا كقول ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي بن الدرداء رضي الله عنهم اقتصاد في سنة خير من اجتهاد من اجتهاد في بدعة وأمثال ذلك والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآلـه الطاهرين وأصحابـةـ أجمعـين⁶³

⁶² الصدفية ج: 2 ص: 248 و رسالة في التوبة ج: 1 ص: 257 و مجموع الفتاوى ج: 1 ص:

ان الفضل بنفس العمل وجودته لا بقدر وكثرته كما قال تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِيَّةً لَهَا لِتَبْلُو هُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} الكهف 7 وقال {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} الكهف 30 ورب تسبيحه من انسان افضل من ملء الارض من عمل غيره وكان ادريس يرفع له في اليوم مثل عمل جميع اهل الارض وان الرجلين ليكونان في الصدف وأجر ما بين صلاتهما كما بين السماء والارض وقد روى ان انين المذنبين أحباب الى من زجل المسبحين⁶⁴

صاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال قبل الله منه

العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكره به السيئات هو العمل المقبول والله تعالى إنما يتقبل من المتقين والناس لهم في هذه الآية وهي قوله تعالى {إِنَّمَا يَتَقبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقِّنِينَ} المائدة 27 ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالخوارج والمعتزلة يقولون لا يتقبل الله إلا من اتقى الكبائر وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال والمرجئة يقولون من اتقى الشرك والسلف والأئمة يقولون لا يتقبل إلا من اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصا لوجه الله تعالى قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى {لِتَبْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبي على ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال قبل الله منه ومن هو أفضل منه إذا لم يتق الله في عمل لم يتقبله منه وإن تقبل منه عملا آخر وإذا كان الله يتقبل من يعمل العمل على الوجه المأمور به ففي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن العبد لينصرف عن صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربها حتى قال إلا عشرها وقال ابن عباس ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها وفي الحديث رب صائم حظه من صيامه العطش ورب قائم حظه من قيامه السهر وكذلك الحج والجهاد وغيرهما

وفي حديث معاذ موقعا ومرفوعا وهو في السنن الغزو غزوan فغزو بيتنغي به وجه الله ويطاع فيه الأمير وتتفق فيه كرائم الأموال وبيأس فيه الشريك ويختب في الفساد ويتنق في الغلو فذلك الذي لا يعدله شيء وغزو لا بيتنغي به وجه الله ولا يطاع فيه الأمير ولا تتفق فيه كرائم الأموال ولا بيأس فيه الشريك ولا يختب في الفساد ولا يتنق في الغلو فذاك حسب صاحبه أن يرجع كفافا وقيل لبعض السلف الحاج كثير فقال الداج كثير والحاج قليل ومثل هذا كثير فالمحروم والتکفير يقع بما يتقبل من الأعمال وأكثر الناس يقترون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم فالسعيد منهم من يكتب له نصفها وهم يفعلون السيئات كثيرا فلهذا يكره بما يقبل من الصلوات الخمس شيء وبما يقبل من الجمعة شيء وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر وكذلك سائر الأعمال وليس كل حسنة تمحو كل سيئة بل المحروم يكون للصغار تارة ويكون للكبائر تارة باعتبار الموازنة والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبيديته لله فيغفر الله له به كبار كما في الترمذى وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يصاح برجل من أمتي يوم القيمة على رؤوس الخلانق فينشر عليه تسعه وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيقال هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله فيقول

أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع هذه البطاقة في كفه فتقفل
البطاقة وطاشت السجلات فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص وإلا
فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ولم يترجح قولهم على سينائهم كما
ترجح قول صاحب البطاقة وكذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما
رجل يمشي بطريق اشتد عليه فيها العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهمث
يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل
البئر فملا خفه ثم أمسكه بيده حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له وفي لفظ في
الصحيحين إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزلت له
موقعها فسيقه به فغفر لها وفي لفظ في الصحيحين أنها كانت بغيا من بغيا بنى إسرائيل وفي
الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في طريق
وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له وعن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت أمراً النار في هرة ربطنها لا هي أطعمتها ولا هي
تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت فهذه سقت الكلب بيمان خالص كان في قلبه فغفر
لها وإنما فليس كل ما بغى سقت كلبا يغفر لها وكذلك هذا الذي نحي غصن الشوك عن الطريق
فعله إذ ذاك بيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك فإن الأعمال تتفاصل بتفاصل ما في
القلوب من الإيمان والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما
بين السماء والأرض وليس كل من نحي غصن شوك عن الطريق يغفر له قال الله تعالى {لَنْ
يَأْلَ اللَّهُ لِحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَأْلَ اللَّهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} الحج 37 فالناس يشترون في الهدايا
والضحايا والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكول والتصدق به لكن يناله تقوى القلوب
وفي الآثر أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين المشرق
وال المغرب فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب وما في
القلوب يتفاصل لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله عرف الإنسان أن ما قاله
الرسول كله حق ولم يضرب ببعضه ببعض وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ
وَجِلَّهُ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} المؤمنون 60 وفي الترمذى وغيره عن عائشة رضي الله عنها
قالت يا رسول الله أهو الرجل يزنى ويشرب الخمر ويختلف أن يعاقب قال لا يا ابني
الصديق بل هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويختلف أن لا يتقبل منه وقد ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنسوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق
أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين
الإنفاق في أول الإسلام وقله أهله وكثرة الصوارف عنه وضعف الدواعي إليه لا يمكن أحدا أن
يحصل له مثله من بعدهم وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمور وعرف المحن والابتلاء الذي
يحصل للناس وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة وهذا مما يعرف به أن أبو بكر رضي
الله عنه لن يكون أحد مثله فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لا يساويه فيه أحد قال أبو بكر
بن عياش ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه وهكذا سائر
الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيمان ويقين لم يشركهم فيه من

بعدهم

لُفْظُ الذوقِ مستعملٌ فِي الإحساسِ بِالملائمِ والمنافِرِ

ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال {هُنَّ ثُحَسٌ مِنْهُمْ مَنْ أَخَدَ} مريم 98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى {فَذَاقُهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ} النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لبس الجائع والخائف فشمله وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى {فَذُوقُوا الْعَذَابَ} آل عمران 106 وقال تعالى {إِذْقُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} الدخان 49 وقال تعالى {يَوْمَ يُسْنَحُبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} الفمر 48 وقال {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ} الدخان 56 وقال تعالى {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} 24 {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا} 25 النبأ 24-25 وقال {وَلَنُذَيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَنْثَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} السجدة 21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير⁶⁶

حال الإنسان عند السراء والضراء

حال الإنسان عند السراء والضراء وذلك أن الإنسان هو كما وصفه الله بقوله تعالى {وَلَئِنْ أَدْقَنَا إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَوْسُونَ كُفُورٌ} 9 {وَلَئِنْ أَذْقَنَا تَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّهُ لَيُقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} 10 هود-9 و قال تعالى {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} هود 11 فأخبر أنه عند الضراء بعد السراء يبأس من زوالها في المستقبل ويكره بما أنعم الله به عليه قبلها وعند النعماء بعد الضراء يأمن من عود الضراء في المستقبل وينسي ما كان فيه بقوله {ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} هود 10 على غيره يفخر عليهم بنعمة الله عليه وقال تعالى {إِنَّ إِنْسَانَ خَلْقِ هَلْوَاعًا} 19 إذا مَسَّ الشَّرُّ جَزُوعًا 20 {وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مُتْوَعًا} 21 المعارج 19-21 فأخبر أنه جزوع عند الشر لا يصبر عليه منوع عند الخير يدخل به وقال تعالى {إِنَّ إِنْسَانَ لَظُلُومٍ كَفَارٌ} {إِبْرَاهِيمٍ} 34 وقال تعالى {إِنَّ إِنْسَانَ رَبِّهِ لَكُنُودٌ} العاديات 6 وقال تعالى {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} الأحزاب 72 وقال تعالى {وَكَانَ إِنْسَانٌ قَنُورًا} الإسراء 100 وقال {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَوْسُونَ قَنُوتُ} فصلت 49 وقال تعالى {فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ إِنْسَانٌ كَفُورًا} الإسراء 67 وقد وصف المؤمنين بأنهم صابرون في اليسراء والضراء وحين البأس والصابرون في النعماء أيضا بقوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} هود 11 والصبر في السراء قد يكون أشد ولهذا قال من قال من الصحابة ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا

بالسراء فلم نصبر وكان النبي يستعذ بالله من فتنة القبر وشر فتنة الغني وقال لأصحابه والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت علي من كان قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها وتهلكم كم أهلكتم فمن لم يتصف بحقيقة الإيمان هو إما قادر وإما عاجز فإن كان قادراً أظهر ما في نفسه بحسب قدرته من الفواحش والإثم والبغى والإشراك بالله والقول عليه بغير علم ومن ترك القسط وترك إقامة الوجه عند كل مسجد ودعاء الله مخلصا له الدين ثم يكون شرهم بحسب كل منهم من حيث نفوسهم وقدرتهم فإن العبد لا يفعل إلا بقدرة وإرادة فمن كان أقدر وأفجر كان أمره أشد كفرعون وأمثاله من الجبارين المتكبرين لا يصبرون عن أهوائهم ولا يتقون الله وأما المؤمن فإنه مع قدرته يفعل ما أمر الله به من البر والتقوى دون ما نهي عنه من الإثم والعدوان ثم أولئك الذين لم يتصفوا بحقيقة الإيمان بل فيهم من الفجور كفر أو نفاق أو فسوق ما فيهم إذا كانوا عاجزين عن إرادتهم لا يقدرون على أهوائهم بنوع من أنواع القدرة تجدهم أذل الناس وأطوع الناس لمن يستعملهم في أغراضهم وأجزع الناس لما أصابهم ذلك أنه ليس في قلوبهم من الإيمان ما يعتضون به وتسوغ لهم نفوسهم ويصبرون به مما لا يصلح لهم وهذه حال الأمم البعيدة عن العلم والإيمان كالترك التتار والعرب في جاهليتهم فإنهم أعز الناس إذا قدوا وأذل الناس إذا قهروا وأما المؤمنون فكمما قال تعالى لهم وقد غلبوا {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْתُمْ مُّؤْمِنِينَ} آل عمران 139 فهم الأعلون إذا كانوا مؤمنين ولو غلبوا وقال كعب بن زهير في صفة الصحابة ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم يوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا ولهذا كان المشروع في حق كل ذي إرادة فاسدة من الفواحش والظلم والشرك والقول بلا علم أحد أمرين إما إصلاح إرادته وإما منع قدرته فإنه إذا اجتمعت القدرة مع إرادته الفاسدة حصل الشر وأما ذو الإرادة الصالحة فتؤيد قدرته حتى يتمكن من فعل الصالحات ذو القدرة الذي لا يمكن سلب قدرته يسعى في إصلاح إرادته بحسب الإمكان فالمقصود تقوية الإرادة الصالحة والقدرة عليها بحسب الإمكان وتضييف الإرادة الفاسدة والقدرة معها بحسب الإمكان ولا حول ولا قوة إلا بالله المؤمن أرجح في النعيم واللذة من الكافر في الدنيا قبل الآخرة وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وهذا مما يظهر به حسن حال المؤمن وترجمه في النعيم واللذة على الكافر في الدنيا قبل الآخرة وإن كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

فأما ما وعد به المؤمن بعد الموت من كرامة الله فإنه تكون الدنيا بالنسبة إليه سجناً وما للكافر بعد الموت من عذاب الله فإنه تكون الدنيا جنة بالنسبة إلى ذلك وذلك أن الكافر صاحب الإرادة الفاسدة إما عاجز وإما قادر فإن كان عاجزاً تعارضت إرادته وقدرته حتى لا يمكنه الجمع بينهما وإن كان قادراً أقبل على الشهوات وأسرف في التبذذه بها ولا يمكنه تركها ولهذا تجد القوم من الظالمين أعظم الناس فجوراً وفساداً وطلبوا لما يروون به أنفسهم من مسموع ومنظور ومشمول بأكله ومشروب ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك هذا فيما ينالونه من اللذة وأما ما يخافونه من الأعداء فهو أعظم الناس خوفاً ولا عيشة لخائف وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم لا يزال في أسف على ما فاته وعلى ما أصابه وأما المؤمن فهو مع مقدرته له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة ما يوجبطمأنينة قلبه وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه وهو مع عجزه أيضاً له من أنواع الإرادات الصالحة والعلوم النافعة التي يتعمد بها ما لا يمكن وصفه لذات أهل البر أعظم من لذات أهل الفجور وكل هذا محسوس مجرباً وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهر من لذات أهل الفجور وذاقها ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها ولكن أكثر الناس جهال كما لا يسمعون ولا يعقلون وهذا الجهل لعدم شهود حقيقة الإيمان وجود حلوته وذوق طعمه انضم إليه أيضاً جهل كثير من المتكلمين في العلم بحقيقة ما في أمر الله من المصلحة والمنفعة وما في خلقه أيضاً لعبد المؤمن من المنفعة والمصلحة فاجتمع الجهل بما أخبر الله به من خلقه وأمره وما

أشهد عباده من حقيقة الإيمان وجود حلاوته مع ما في النفوس من الظلم مانعا للنفوس من
عظيم نعمة الله وكرامته ورضوانه موقعها في بأسه وعذابه وسخطه⁶⁷

فإن الله ذم الإنسان بكونه كفورا غير شكور إذ يقول {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفُودٌ} العاديات⁶ وقال تعالى {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كُفُورًا} ⁶⁸ {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} ⁶⁹ هود-10

العبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء

والعبد مأمور بالصبر في السراء أعظم من الصبر في الضراء قال تعالى {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كُفُورًا} ⁶⁸ {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} ⁶⁹ هود-9

والشجاعة ليست هي قوة البدن فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب وإنما هي قوة القلب وثباته فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون النهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد وقد تقدم أن جماع ذلك هو الصبر فإنه لا بد منه والصبر صبران صبر عند الغضب وصبر عند المصيبة كما قال الحسن ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب وجرعة صبر عند المصيبة وذلك لأن أصل ذلك هو الصبر على المؤلم وهذا هو الشجاع الشديد الذي يصبر على المؤلم والمؤلم ان كان مما يمكن دفعه أثار الغضب وإن كان مما لا يمكن دفعه أثار الحزن ولهذا يحرر الوجه عند الغضب لثوران الدم عند استشعار القدرة ويصفر عند الحزن لغور الدم عند استشعار العجز ولهذا جمع النبي في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن ابن مسعود قال قال النبي ما تعدون الرقوب فيكم قالوا الرقوب الذي لا يولد له قال ليس ذلك بالرقوب ولكن الرقوب الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا ثم قال ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال فقال ليس بذلك ولكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب فذكر ما يتضمن الصبر عند المصيبة والصبر عند الغضب قال الله تعالى في المصيبة {وَبَشِّرُ الصَّابِرِينَ} ¹⁵⁵ الدين إذا أصابتهم مصيبة قلوا إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ

قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 172-177⁶⁷

قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 159⁶⁸

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 50⁶⁹

رَاجِعُونَ {156} الْبَقْرَةَ 155-156 الآية و قال تعالى في الغضب {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٌ عَظِيمٌ} فصلت 35 وهذا الجمع بين صبر المصيبة وصبر الغضب نظير الجمع بين صبر النعمة وصبر المصيبة كما في قوله تعالى {وَلَئِنْ أَذْفَنْتَ الْأَنْسَانَ مِنْ رَحْمَةً ثُمَّ تَرَغَّبْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسِرُ كُفُورًا} {9} وَلَئِنْ أَذْقَنْتَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ} {10} إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} {11} هود 9-11 و في قوله تعالى {إِنَّمَا تَأْسَوْنَا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَبُونَا إِنَّمَا} {الحديد} 23 وبهذا وصف كعب بن زهير من وصفه من الصحابة المهاجرين حيث قال لا يفرحون اذا نالت سيفهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا وكذلك قال حسان بن ثابت في صفة الانصار لا فخر انهم أصابوا من عدوهم وان أصيبوا فلا خور ولا هلع وقال بعض العرب في صفة النبي يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر⁷⁰

فأفضل النعم نعمة الإيمان وكل مخلوق من المخلوقات فهو الآيات التي يحصل بها ما يحصل من هذه النعمة قال تعالى {إِنَّمَا} في قصصهم عبرة لأولي الألباب {يوسف} 111 وقال تعالى {يَبْصِرُهُ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} {8} وما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة بينة وإن كان يسوءه فهو نعمة لأنّه يكره خطاياه ويثاب عليه بالصبر ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها العبد {وَعَسَى أَن تَكُرُّهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوْشَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {البقرة} 216 الآية و كلتا النعمتين تحتاج مع الشكر الى الصبر أما الضراء ظاهر و أما نعمة النساء فتحتاج الى الصبر على الطاعة فيها كما قال بعض السلف إبتلينا بالضراء فصبرنا و ابتلينا بالمراء فلم نصبر فلهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين لكن لما كان المراء اللذة و في الضراء الألم إشتهر ذكر الشكر في النساء و الصبر في الضراء قال تعالى {وَلَئِنْ أَذْقَنْتَهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ} {10} إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} {11} هود 9-11 الآية وأيضا صاحب النساء أحوج الى الشكر و صاحب الضراء أحوج الى الصبر فإن صبر هذا و شكر هذا و اجب و أما صبر النساء فقد يكون مستحبنا و صاحب الضراء قد يكون الشكر في حقه مستحبنا و إجتماع الشكر و الصبر يكون مع تالم النفس و تلذذها و هذا يعسر على كثير و بسطه له موضع آخر والمقصود أن الله تعالى منع بهذا كله و إن كان لا يظهر في الإبتداء لأكثر الناس فإن الله يعلم و أنت لا تعلمون فكل ما يفعله الله فهو نعمة منه و أما ذنوب الإنسان فهي من نفسه و مع هذا فهي مع حسن العاقبة نعمة و هي نعمة على غيره لما يحصل له بها من الإعتبار و من هذا قوله اللهم لا تجعلني عبرة لغيري ولا تجعل غيري أسعد بما علمتني مني و في دعاء القرآن {فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْفُوْمِ الظَّالِمِينَ} {يونس} 85 و كما فيه {وَاجْعَلْنَا لِلنَّّقِيْنَ إِمَامًا} {الفرقان} 74 و اجعلنا أئمة لمن يقتدي بنا و لا تجعلنا فتنة لمن يضل بنا

"يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"

وأعظم عن لولي الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة امور أحدها الاخلاص لله والتوكيل عليه بالدعاء وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن الثاني الاحسان الى الخلق بالنفع والمال الذى هو الزكاة الثالث الصبر على أذى الخلق وغيره من التوابع لهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرا كقوله تعالى {وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ} البقرة 45 وكقوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ} ذلك ذكرى للذَّاكِرِينَ {114} وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {115} هود 114-115 قوله تعالى {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} طه 130 وكذلك في سورة ق {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ} ق 39 وقال تعالى {وَلَقَدْ تَعْلَمْ أَنَّكَ يَضْيِقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} 97 فسبح بحمد ربك وكمن من الساجدين {98} الحجر 97-98 وأما فرننه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكثير جدا فالقيام بالصلاه والزكاه والصبر يصلح حال الراعي والرعاية إذا عرف الانسان ما يدخل في هذه الاسماء الجامعه يدخل في الصلاه ذكر الله تعالى ودعاؤه وتلاوه كتابه واخلاص الدين له والتوكيل عليه وفي الزكاه الاحسان الى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المح الحاج ففي الصحيحين عن النبي انه قال كل معروف صدقة فيدخل فيه كل إحسان ولو ببساط الوجه والكلمة الطيبة في الصحيحين عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمنه وبينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمانه فينظر أمامه فتنسلمه النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل فان لم يجد بكلمة طيبة وفي السنن عن النبي قال لاتحرقن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ولو ان تفرغ من دلوك في إناء المستقى وفي السنن عن النبي ان أنقل ما يوجد في الميزان الخلق الحسن وروى عنه انه قال لأم سلمة يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر كما قال تعالى {وَلَئِنْ أَذْقَنَا الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةِ ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كُفُورَ} 9 وَلَئِنْ أَذْقَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسْتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ} 10 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} 11 هود 9-11 و قال لنبيه {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمِرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الأعراف 199 وقال تعالى {وَسَارُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَقِينَ} 133 {الَّذِينَ يُنِيقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} 134 آل عمران 133-134 وقال تعالى {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤُهُ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ} 34 {وَمَا يُلَاقَا هَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَاقَا هَا إِلَّا دُوَّ حَظٌ عَظِيمٌ} 35 وَإِمَّا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 36 فصلت 34-36 وقال تعالى {وَجَزَاءٌ سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الشورى 40 قال الحسن البصري رحمة الله عليه إذا كان يوم القيمة نادى مناد من بطن العرش لا ليقم من وجب أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا وأصلاح

⁷² على الله فلا يقوم إلا من عفا وأصلاح

مساعي القلوب وأعمالها

إن المحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته وللهذا جاء في الحديث الذي في الترمذى من أحب الله وأبغض الله وأعطي الله ومنع الله فقد إستكمل الإيمان فإنه إذا كان حبه الله وبغضه الله وهما عمل قلبه وعطاؤه الله ومنعه الله وما عمل بدنه دل على كمال محبته الله و دل ذلك على كمال الإيمان وذلك ان كمال الإيمان أن يكون الدين كله الله وذلك عبادة الله وحده لا شريك له والعبادة تتضمن كمال الحب وكمال الذل والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية ولا بد لكل حى من حب وبغض فإذا كانت محبته لمن يحبه الله وبغضه لمن يبغضه الله دل ذلك على صحة الإيمان فى قلبه لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف بما يعارضه من شهوات النفس واهوائها الذى يظهر فى بذلك المال الذى هو مادة النفس فإذا كان حبه الله وعطاؤه الله ومنعه الله دل على كمال الإيمان باطنا وظاهرًا واصل الشرك فى المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئا إنما هو إتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُجْبِلُهُمْ كَحْبُ اللَّهِ} البقرة 165 ومن كان حبه الله وبغضه الله لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله وهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخارى فى صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله من عادى لي ولها فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما إفترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواول حتى أحبه فإذا أحبيته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده الذى يبطش بها ورجله الذى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لأعطيه ولئن استعاذه لأعيذه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساعته ولا بد له منه فهولاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النواول بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يحب مسألته ويعيده مما يستعاذه منه وقد ذم فى كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى {وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعُجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة 93 وذم من إتخذ الله هواه وهو أن يتلله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط وقد مدح تعالى وذم فى كتابه فى غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسطح والفرح والغنم ونحو ذلك من أفعال القلوب قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبَّاً لِّهِ} البقرة 165 وقال {وَلَئِنْ أَذَقْنَا إِنْسَانًا مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ أَنَّهُ لَيُؤْوِسْ كُفُورٌ} 9 {وَلَئِنْ أَذْقَنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفِرْخٌ فَخُورٌ} 10 {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} 11 {هود} 9-11 ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله واتفاق المؤمنين يحمد ويمد على ما شاء الله من مساعي القلوب وأعمالها بل قول القلب وعمله هو الأصل مثل تصديقه وتكتيبيه وحبه وبغضه من ذلك ما يحصل به مدح وذم وثواب وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة ومنه ما لا يقترن به ذلك إلا مع الفعل بالجوارح الظاهرة إذا كانت مقدورة وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل⁷³

الأعمال الصالحة لازمة لإيمان القلب

أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر لذلك كثيرة وذلك لأن اصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لذلك لا يتصور

وجود إيمان القلب الواحٍ مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب وحيث عطفت عليه الأفعال فإنه أريد أنه لا يكفي بإيمان القلب بل لابد معه من الأفعال الصالحة ثم للناس في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر بإسمه الخاص تخصيصاً له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام قوله {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجْبُرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقوله {وَإِذَا أَخْذَنَا مِنِ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنَكَ وَمَنْ نُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} محمد 2 مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 199

فخص الإيمان بما نزل على محمد بعد قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} محمد 2 وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من المؤمنين وقوله {رَاحِفُطُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُوْمُوا لَهُ قَاتِنِيْنَ} البقرة 238 وقوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لِهِ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ وَيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ} البينة 5 والصلة والزكاة من العبادة فقوله {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} البقرة 277 كقوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لِهِ الدِّيْنَ حُنَفَاءَ وَيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ} البينة 5 فإنه قصد أولاً أن تكون العبادة الله وحده لا لغيره ثم أمر بالصلة والزكاة ليعلم أنها عبادتان واجتنان فلا يكتفى بمطلق العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الإيمان أولاً لأن الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه فلا يظن الظان اكتفاء بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح فعلى قول هؤلاء يقال الأفعال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطف عليه عطف الخاص على العام إما لذكره خصوصاً بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام وقيل بل الأفعال في الأصل ليست من الإيمان فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان إيمانه منتفياً لأن إنتفاء اللازم يقتضى إنتفاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في إسم الإيمان إذا أطلق كما تقدم في كلام النبي فإذا عطفت عليه ذكرت لثلا يظن الظان أن مجرد إيمانه بدون الأفعال الصالحة الالزمة للإيمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصاً وتتصنيضاً ليعلم أن التواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن أمن وعمل صالحاً لا يكون لمن إدعى الإيمان ولم ي عمل وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لابد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على إنتفاءه عن سواهم⁷⁴

الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار

قال تعالى {وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ تَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْئَةً لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ} هود 10 فقوله تعالى {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهُوَ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْهُمُونَ حَدِيثًا} 78 {مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُ} النساء 78-79 ليس المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية الطاعة والمعاصي وذلك أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار

دون الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى { وَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } الأعراف 168 وهو الشر والخير في قوله { وَتَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } الأنبياء 35 وكذلك قوله { إِنَّ تَمْسَكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِنْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَ } آل عمران 120 قوله تعالى { وَلَئِنْ أَذْنَاهُمْ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَنَّهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ } هود 10 وقوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ } 94 { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَجَوْا وَقَالُوا قَدْ مَنَّ أَبَاءُنَا الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ فَأَخَذَنَاهُمْ بَعْنَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } 95 } الأعراف 94-95 ⁷⁵

تحدي الله الخلق بأن يأتوا بمثله

وأما نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام فإنها تعرف بطرق كثيرة منها المعجزات ومعجزاته منها القرآن ومنها غير القرآن والقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه وإعجازه يعلم بطريقين جملي وتفصيلي أما الجملي فهو أنه قد علم بالتواتر أن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن وأن في القرآن آيات التحدي والتعجيز كقوله تعالى **{فَأُثُرُوا بِعَشَرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ }** ⁷⁶ هود 13 وقد علم أيضاً بالتواتر أنه دعا قريشاً خاصةً والعرب عامةً وأن جمهورهم في أول الأمر كذبوا وأذوه وأذوا الصحابة وقالوا فيه أنواع القول مثل قولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومعلم ومحظون وأمثال ذلك وعلم أنهم كانوا يعارضونه ولم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لأن الإرادة الجازمة لا يتختلف عنها الفعل مع القدرة ومعلوم أن إرادتهم كانت من أشد الإرادات على تكذيبه وإبطال حجته وأنهم كانوا أحرص الناس على ذلك حتى قالوا فيه ما يعلم أنه باطل بأدنى نظر وفي لغتهم الكبير الوحد فكر وقدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أذير واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر وليس هذا موضع ذكر جزئيات القصص إذ المقصود ذكر ما علم بالتواتر من أنهم كانوا من أشد الناس حرضاً ورغبة على إقامة حجة يكذبونه بها ثم انتشرت دعوته في أرض العرب ثم فيسائر الأرض إلى هذا الوقت وأيات التحدي قائمة متلوة وما قدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل **(ناقص)** ⁷⁶

وكون محمد كاننبياً أمياً هو من تمام كون ما أتى به معجزاً خارقاً للعادة و من تمام بيان أن تعليمه أعظم من كل تعليم كما قال تعالى { وَمَا كُنَّتَ تَشْتُرُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَنْخُطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرَتَابِ الْمُبْطَلُونَ } العنكبوت 48 فغيره يعلم ما كتبه غيره وهو علم الناس ما يكتبهونه و علمه الله ذلك بما أوحاه إليه و هذا الكلام الذي أنزل عليه هو آية و برهان على نبوته فإنه لا يقدر عليه الإنس والجن **{ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوَا بِمِثْلِهِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَبْعَضٍ ظَهِيرًا }** الإسراء 88 **{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأُثُرُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطْعُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }** يونس 38 و في الآية الأخرى **{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ**

⁷⁵الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 442 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 208

⁷⁶العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 208-209

**فَأُتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهِ مُفْرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {13} فَإِنْ لَمْ⁷⁷
يَسْتَحِيُّوْ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلْتِ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ{14} هود 13-14**

و قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبَعًا مِّنَ الْمَئَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } الحجر 87 وسواء كان المراد بذلك الفاتحة أو القرآن كله فإنه يدل على أن القرآن العظيم له اختصاص بهذا الوصف على ما ليس كذلك وقد سمي الله القرآن كله مجيدا و كريما و عزيزا وقد تحدى الخلق بأن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سوره منه فقال {فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلَهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } الطور 34 وقال {فَأُتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْرِيَاتٍ } هود 13 وقال { فَأُتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ } البقرة 23⁷⁸

أنه تفرق أهل الكتاب في النبي صلى الله عليه وسلم كل يقول فيه قوله ولا هو نظير تفرق سائر الكفار فإن الكفار بالأنبياء من عاداتهم أن يقول كل طائفة فيه قوله يناقض قول الطائفة الأخرى وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل عليه وأقوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة وهذا هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأُتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهِ مُفْرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {13} فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُّوْ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلْتِ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ{14} هود 13-14⁷⁹

القرآن معجز بلغظه ونظمه ومعناه

والقرآن كلام الله وفيه الدعوة واللحجة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال ما مننبي من الأنبياء إلا وقد أوتني من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتته وحباً أو حباً الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه جملة وتفصيلاً أما الجملة فإنه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علماً متواتراً أنه هو الذي أتى بهذا القرآن وتوارثت بذلك الأخبار أعظم من توادرها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك وال فلاسفة وغيرهم والقرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة والتحدي هو أن يحدهم أي يدعوهם فيبعثهم إلى أن يعارضوه فيقال فيه حداني على هذا الأمر أي بعثني عليه ومنه سمي حادي العيس لأنه بحدها يبعثها على السير وقد يزيد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة ولكن أصله الأول قال تعالى في سورة الطور {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } 33 فليأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلَهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ {34} الطور 33-34 فهنا قال { فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلَهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } الطور 34 في أنه تقوله فإنه إذا كان محمد قادراً على أن يقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلم به من نظم ونشر كان هذا ممكناً للناس الذين هم من جنسه فامكن الناس أن يأتوا بمثله ثم إنه تحداهم بعشر سور مثلك فقال تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأُتُوا

مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 267⁷⁸

مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 14⁷⁹

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 160⁷⁹

بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } هود 13

ثُمَّ تَحْدَاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِّنْهُ فَقَالَ تَعَالَى { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الْذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 37 } أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأُتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 38 } يُونَس٢٣-٣٨ فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهُ مُفْتَرَيَاتٍ هُمْ وَكُلُّ مِنْ اسْتَطَاعُوهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ثُمَّ تَحْدَاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ هُمْ وَمِنْ اسْتَطَاعُوهُمْ قَالَ { إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمٍ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود 14 } وَهُدَى أَصْلِ دِعَوْتِهِ وَهُوَ الشَّهَادَةُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ وَقَالَ تَعَالَى { إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمٍ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود 14 } كَمَا قَالَ { لَكِنَّ اللَّهَ يَتَّهِدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشَهُدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } النَّسَاء٢٦٦ أيُّهُو يَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْزَلٌ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُفْتَرِي كَمَا قَالَ { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الْذِي بَيْنَ يَدِيهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يُونَس٣٧

أَيُّ مَا كَانَ لَأَنْ يَفْتَرِي يَقُولُ مَا كَانَ لِي فَعَلَ هَذَا فَلَمْ يَنْفِعْ مَجْرِدَ فَعْلَهِ بِلِ نَفِي احْتِمَالِ فَعْلَهِ وَأَخْبَرَ بِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَقْعُدُ بِلِ يَمْتَنَعُ وَقَوْعَهُ فَيَكُونُ الْمَعْنَى مَا يَمْكُنُ وَلَا يَحْتَمِلُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَفْتَرِي هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّ الَّذِي يَفْتَرِيَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَخْلُوقٌ وَالْمَخْلُوقُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُدَى التَّحْدِي كَانَ بِمَكَّةَ فَإِنَّ هَذِهِ السُّورَ مَكِيَّةٌ سُورَةُ يُونَس١٤ وَهُوَ وَهُدَى الطُّور١٥ ثُمَّ أَعْدَى التَّحْدِي فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فَقَالَ فِي الْبَقْرَةِ وَهِيَ سُورَةُ مَدِينَةٍ { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأُتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الْبَقْرَة٢٣

فَعْزَ جَمِيعِ الْخَلْقِ أَنْ يَعْرَضُوا مَا جَاءَ بِهِ ثُمَّ سُجِّلَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ الْعَجزُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِهِ { قُلْ لَئِنِّي أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيَعْضُضُ ظَهِيرًا } الْإِسْرَاء٨٨ فَأَخْبَرَ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ الْإِنْسُونَ وَالْجِنَّ إِذَا اجْتَمَعُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَعَارِضَةِ الْقُرْآنِ بِمِثْلِهِ فَعْزٌ لَفَظُهُ وَمَعْنَاهُ وَمَعْرِفَهُ وَعِلْمُهُ أَكْمَلَ مَعْجَزَةً وَأَعْظَمَ شَأْنًا وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مَعْ قُوَّةِ عَدَاوَتِهِمْ وَحَرَصَهُمْ عَلَى إِبْطَالِ أَمْرِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَقَدْرَتُهُمْ عَلَى أَنْوَاعِ الْكَلَامِ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ إِذْ ذَاكَ آيَاتٍ بَيْنَ فِيهَا أَنَّ رَسُولَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا أَنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ^{٨١}

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 423-425 و الجواب الصحيح ج: 1 ص: 427 و مجموع^{٨٠}

الفتاوى ج: 14 ص: 199

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 427 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 199^{٨١}

القرآن متضمن لعلم الله

أن ما جاء به الرسول هو من علم الله فما أخبر به عن الله فالف الله أخبر به و هو سبحانه يخبر بعلمه يمتنع أن يخبر بنفيض علمه و ما أمر به فهو من حكم الله و الله عليم حكيم قال تعالى {لَكُنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء 166 و قال تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعِشْرِ سُورٍ مُّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 13 فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَإِنْ لَأِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 14 هود 13-14 و قوله {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} النساء 166 قال الزجاج أنزله و فيه علمه و قال أبو سليمان الدمشقي أنزله من علمه و هكذا ذكر غيرهما و هذا المعنى مأثور عن السلف كما روى ابن أبي حاتم عن عطاء ابن السائب قال أقرباني أبو عبد الرحمن القران و كان إذا أقرأ أحدنا القرآن قال قد أخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل ثم يقرأ {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء 166 و كذلك قالوا في قوله تعالى {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلِ بِعِلْمِ اللَّهِ} هود 14 قالوا أنزله و فيه علمه قلت الباء قد تكون للمصاحبة تقول جاء بأسياده و أولاده فقد أنزله متضمنا لعلمه مستصحبا لعلمه بما فيه من الخبر هو خبر بعلم الله و ما فيه من الأمر فهو أمر بعلم الله بخلاف الكلام المنزلي من عند غير الله فإن ذلك قد يكون كذبا و ظلما كقرآن مسليمة و قد يكون صدقا لكن إنما فيه علم المخلوق الذي قاله فقط لم يدل على علم الله تعالى إلا من جهة اللزوم وهو أن الحق يعلمه الله و أما القرآن فهو متضمن لعلم الله إبتداء وإنما أنزل بعلمه لا بعلم غيره و لا هو كلام بلا علم و إذا كان قد أنزل بعلمه فهو يقتضى أنه حق من الله و يقتضى أن الرسول رسول من الله الذي بين فيه علمه قال الزجاج الشاهد المبين لما شهد به و الله يبين ذلك و يعلم مع ذلك أنه حق قلت قوله {لَكُنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ} النساء 166 شهادته هو بيانه و إظهاره دلالته و إخباره فالآيات البينات التي بين بها صدق الرسول تدل عليه و منها القرآن هو شهادة بالقول وهو في نفسه آية و معجزة تدل على الصدق كما تدل سائر الآيات و الآيات كلها شهادة من الله كشهادة بالقول و قد تكون أبلغ و لهذا ذكر هذا في سورة هود لما تحداهم بالإتيان بالمثل فقال {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعِشْرِ سُورٍ مُّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 13 فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَإِنْ لَأِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} 14 هود 13-14 فإن عجز أولئك عن المعارضة دل على عجز غيرهم بطريق الأولى و تبين أن جميع الخلق عاجزون عن معارضته وأنه آية بینة تدل على الرسالة و على التوحيد و كذلك قوله {لَكُنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُ} النساء 166 بعد قوله {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكُ} النساء 163 إلى قوله {لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء 165 وقد ذكروا أن من الكفار من قال لا نشهد لمحمد بالرسالة فقال تعالى {لَكُنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُ} النساء 166 وأحسن من هذا أنه لاما قال {لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} النساء 165 نفي حجة الخلق على الخالق فقال لكن حجة الله على الخلق قائمة بشهادته بالرسالة فإنه يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه فما للخلق على الله حجة بل له الحجة البالغة و هو الذي هدى عباده بما أنزله و على ما تقدم قوله {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} النساء 166 أي فيه علمه بما كان و سيكون و ما أخبر به و هو أيضا مما يدل على أنه حق فإنه إذا أخبر بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله دل على أن الله أخبره به كقوله {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} 26 إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ 27 الجن 26-27 الآية وقد قيل أنزله و هو عالم به و بك قال ابن جرير الطبرى في آية النساء أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه و ذكر الزجاج في آية هود قولين أحدهما أنزله و هو عالم بإنزلاته و عالم أنه حق من عنده و الثاني أنه أنزله بما أخبر فيه من الغيوب و دل على ما سيكون و ما سلف قلت هذا الوجه هو الذي تقدم و أما الأول فهو من جنس قول ابن جرير فإنه عالم به و ومن أنزل إليه و عالم بأنه حق و أن الذي أنزل عليه أهل لما اصطفاه الله له و يكون هذا قوله {وَلَقَدْ أَخْرَنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} الدخان 32 و قول من قال {إِنَّمَا أُوتِيَتُهُ عَلَى عِلْمٍ} القصص 78 أي على

علم من الله بـإـسـتـحـقـاقـي قـلـت و هـذـا الـوـجـه يـدـخـل فـي مـعـنـى الـأـوـل فـإـنـه إـذـا نـزـل الـكـلـام بـعـلـم الـرـب تـضـمـنـ أـنـ كـلـ ماـ فـيـه فـهـوـ مـنـ عـلـمـه وـ فـيـهـ الإـخـبـارـ بـحـالـهـ وـ حـالـ الرـسـولـ وـ هـذـا الـوـجـهـ هـوـ الصـوابـ وـ عـلـيـهـ الـأـكـثـرـونـ وـ مـنـهـ مـنـ لـمـ يـذـكـرـ غـيرـهـ وـ الـأـوـلـ وـ إـنـ كـانـ مـعـنـاهـ صـحـيـحاـ فـهـوـ جـزـءـ مـنـ هـذـا الـوـجـهـ وـ أـمـاـ كـوـنـ الثـانـيـ هـوـ الـمـرـادـ بـالـأـلـيـةـ فـغـلـطـ لـأـنـ كـوـنـ الـرـبـ سـبـحـانـهـ يـعـلـمـ الشـيـءـ لـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ مـحـمـودـ وـ لـاـ مـذـمـومـ وـ هـوـ سـبـحـانـهـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـيـمـ فـلـاـ يـقـولـ أـحـدـ إـنـهـ آنـزـلـهـ وـ هـوـ لـاـ يـعـلـمـ لـكـنـ قـدـ يـظـنـ أـنـهـ آنـزـلـ بـغـيـرـ عـلـمـهـ أـيـ وـ لـيـسـ فـيـهـ عـلـمـهـ وـ أـنـهـ مـنـ تـنـزـيلـ الشـيـطـانـ كـمـاـ قـالـ

تعـالـىـ {هـلـ أـبـتـكـمـ عـلـىـ مـنـ تـنـزـلـ الشـيـاطـيـنـ} 221

أـثـيـمـ} 222 وـ الشـعـرـاءـ 222ـ وـ الشـيـاطـيـنـ هـوـ يـرـسـلـهـمـ وـ يـنـزـلـهـمـ لـكـنـ الـكـلـامـ ذـيـ يـأـتـيـنـ بـهـ لـيـسـ مـنـ لـاـ مـنـهـ وـ لـاـ هوـ مـنـزـلـ بـعـلـمـ اللـهـ بـلـ مـنـزـلـ بـعـلـمـ اللـهـ كـمـاـ قـالـهـ سـبـحـانـهـ إـذـاـ ذـكـرـ نـزـولـ الـقـرـآنـ قـيـدـهـ بـأـنـ نـزـولـهـ مـنـهـ كـوـلـهـ {تـنـزـلـ الـكـتـابـ مـنـ اللـهـ} الزـمـرـ 1

أـتـيـأـهـمـ الـكـتـابـ يـعـلـمـونـ أـنـهـ مـنـ رـبـكـ بـالـحـقـ} الأنـعـامـ 114

{قـلـ نـزـلـهـ رـوـحـ الـقـدـسـ مـنـ رـبـكـ بـالـحـقـ} النـحـلـ 102 وـ هـذـاـ مـاـ إـسـتـدـلـ بـهـ إـلـاـ حـمـدـ وـ غـيـرـهـ مـنـ أـمـةـ السـنـةـ عـلـىـ أـنـ الـقـرـآنـ كـلـامـ اللـهـ لـيـسـ بـمـخـلـوقـ خـلـقـهـ فـىـ مـحـلـ غـيـرـهـ فـإـنـهـ كـانـ يـكـوـنـ مـنـزـلـاـ مـنـ ذـلـكـ المـحـلـ لـاـ مـنـ اللـهـ وـ قـالـ إـنـهـ نـزـلـ بـعـلـمـ اللـهـ وـ إـنـهـ مـنـ عـلـمـ اللـهـ وـ عـلـمـ اللـهـ غـيـرـ مـخـلـوقـ وـ قـالـ أـحـمـ دـلـلـ كـلـامـ اللـهـ مـنـ اللـهـ لـيـسـ شـيـئـاـ مـنـهـ وـ لـهـذـاـ قـالـ السـلـفـ الـقـرـآنـ كـلـامـ اللـهـ مـنـزـلـ غـيـرـ مـخـلـوقـ مـنـهـ بـدـأـ وـ إـلـيـهـ يـعـودـ فـقـالـوـاـ مـنـهـ بـدـأـ لـمـ يـبـدـأـ

مـنـ غـيـرـهـ كـمـاـ قـوـلـهـ الـجـهـمـيـةـ يـقـولـوـنـ بـدـأـ مـنـ المـحـلـ خـلـقـهـ فـيـهـ وـ هـذـاـ مـبـسـطـ فـيـ موـاضـعـ وـ الـمـقـصـودـ أـنـهـ إـذـاـ كـانـ فـيـهـ عـلـمـهـ فـهـوـ حـقـ وـ الـكـلـامـ ذـيـ يـعـارـضـهـ بـهـ خـلـافـ عـلـمـ اللـهـ فـهـوـ باـطـلـ كـالـشـرـكـ ذـيـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـهـ {وـيـعـبـدـوـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ مـاـ لـاـ يـضـرـهـمـ وـلـاـ يـنـفـعـهـمـ وـيـقـولـوـنـ هـوـلـاءـ شـفـاعـوـنـاـ عـنـدـ اللـهـ قـلـ أـتـبـتـبـوـنـ اللـهـ بـمـاـ لـاـ يـعـلـمـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـلـاـ فـيـ الـأـرـضـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـمـاـ يـشـرـكـوـنـ} يـوـنـسـ 18 وـ هـذـاـ ذـكـرـهـ مـنـ أـنـهـ يـجـبـ الرـجـوعـ فـيـ أـصـوـلـ الدـيـنـ إـلـىـ الـكـتـابـ وـ السـنـةـ كـمـاـ بـيـنـتـهـ مـنـ أـنـ الـكـتـابـ بـيـنـ الـأـدـلـةـ الـعـقـلـيـةـ التـيـ بـهـاـ تـعـرـفـ الـمـطـالـبـ الـإـلـهـيـةـ وـ بـيـنـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ صـدـقـ الرـسـولـ فـيـ كـلـ مـاـ يـقـولـهـ هـوـ يـظـهـرـ الـحـقـ بـأـدـلـتـهـ السـمـعـيـةـ وـ الـعـقـلـيـةـ

82

الـخـلـقـ كـلـهـ عـاجـزـينـ عـنـ الـإـتـيـانـ بـسـوـرـةـ مـثـلـهـ لـاـنـهـ خـبـرـ عـنـ عـلـمـ اللـهـ

قالـ تعـالـىـ {لـكـنـ اللـهـ يـشـهـدـ بـمـاـ آنـزـلـ إـلـيـكـ آنـزـلـهـ بـعـلـمـهـ وـ الـمـلـائـكـةـ يـشـهـدـوـنـ وـ كـفـيـ بـالـلـهـ شـهـيدـاـ} النساءـ 166 فـانـ شـهـادـتـهـ بـمـاـ آنـزـلـ إـلـيـهـ هـيـ شـهـادـتـهـ بـأـنـ اللـهـ آنـزـلـهـ مـنـهـ وـ أـنـهـ آنـزـلـهـ بـعـلـمـهـ فـمـاـ فـيـهـ مـنـ الـخـبـرـ هـوـ خـبـرـ عـنـ عـلـمـ اللـهـ لـيـسـ خـبـراـ عـنـ دـوـنـهـ وـ هـذـاـ كـوـلـهـ {قـلـ لـمـ يـسـتـبـحـيـوـاـ لـكـمـ فـأـعـلـمـوـاـ أـنـمـاـ آنـزـلـ بـعـلـمـ اللـهـ وـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ فـهـلـ أـنـتـ مـسـلـمـوـنـ} هـوـ 14 وـ لـيـسـ مـعـنـيـ مـجـرـدـ كـوـنـهـ آنـزـلـهـ أـنـهـ هـوـ مـعـلـومـ لـهـ فـانـ جـمـيعـ الـأـشـيـاءـ مـعـلـومـهـ لـهـ وـ لـيـسـ فـيـ ذـلـكـ مـاـيـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ حـقـ لـكـنـ الـمـعـنـىـ آنـزـلـهـ فـيـهـ عـلـمـهـ كـمـاـ يـقـالـ فـلـانـ يـتـكـلـمـ بـعـلـمـ وـ يـقـولـ بـعـلـمـ فـهـوـ سـبـحـانـهـ آنـزـلـهـ بـعـلـمـهـ كـمـاـ قـالـ {قـلـ آنـزـلـهـ الـذـيـ يـعـلـمـ السـرـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـ الـأـرـضـ} الفـرـقـانـ 6 وـ لـمـ يـقـلـ تـكـلـمـ بـهـ بـعـلـمـهـ لـأـنـ ذـلـكـ لـاـ يـتـضـمـنـ نـزـولـهـ إـلـىـ الـأـرـضـ إـذـاـ قـالـ {آنـزـلـهـ بـعـلـمـهـ} النساءـ 166 تـضـمـنـ آنـ الـقـرـآنـ الـمـنـزـلـ إـلـىـ الـأـرـضـ فـيـهـ عـلـمـ اللـهـ كـمـاـ قـالـ {فـمـنـ حـاجـكـ فـيـهـ مـنـ بـعـدـ مـاـ جـاءـكـ مـنـ الـعـلـمـ} آلـ عمرـانـ 61 وـ ذـلـكـ يـتـضـمـنـ آنـ كـلـامـ اللـهـ نـفـسـهـ مـنـهـ نـزـلـ وـ لـمـ يـنـزـلـ مـنـ عـنـدـ غـيـرـ اللـهـ لـأـنـ غـيـرـ اللـهـ لـاـ يـعـلـمـ مـاـ فـيـ نـفـسـ اللـهـ مـنـ الـعـلـمـ وـ نـفـسـهـ هـيـ ذـاتـهـ الـمـقـدـسـةـ إـلـاـ أـنـ يـعـلـمـ اللـهـ بـذـلـكـ كـمـاـ قـالـ الـمـسـيـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ {تـعـلـمـ مـاـ فـيـ نـفـسـيـ وـلـاـ أـعـلـمـ مـاـ فـيـ نـفـسـكـ إـنـكـ أـنـتـ عـلـامـ الـعـيـوبـ} الـمـائـدـةـ 116 وـ قـالـتـ الـمـلـائـكـةـ {لـاـ عـلـمـ لـنـاـ إـلـاـ مـاـ عـلـمـنـاـ} الـبـقـرـةـ 32 وـ قـالـ {وـلـاـ يـحـيـطـوـنـ بـشـيـءـ مـنـ عـلـمـهـ إـلـاـ بـمـاـ شـاءـ} الـبـقـرـةـ 255 قـالـ {فـلـاـ يـظـهـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ أـحـدـ} 26 إـلـاـ مـنـ اـرـتـضـىـ مـنـ رـسـوـلـ} 27 الجنـ 26-27 فـغـيـبـهـ ذـيـ

اختص به لا يظهر عليه أحدا إلا من ارتضى من رسول و الملائكة لا يعلمون غيب الرب الذي اختص به وأما ما أظهره لعباده فإنه يعلمه من شاء وما تحدث به الملائكة فقد تسترق الشياطين بعضه لكن هذا ليس من غيبه و علم نفسه الذي يختص به بل هذا قد أظهر عليه من شاء من خلقه وهو سبحانه قال {لَكِنَّ اللَّهُ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} النساء 166 فشهد أنه أنزل له بعلمه بالآيات و البراهين التي تدل على أنه كلامه و أن الرسول صادق وكذلك قال في هود {فَأَتُوا

عِشر سُورٍ مُّثُلِّهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ { هود 13 } لما تحداهم بالإتيان بمثله في قوله {فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّثُلِّهِ } الطور 34 ثم تحداهم أن يأتيوا بعشر سور مثله فعجزوا عن ذا وذاك ثم تحداهم أن يأتيوا بسورة مثله فعجزوا فان الخلاق لا يمكنهم أن يأتيوا بمثله ولا بسورة مثله وإذا كان الخلق كلهم عاجزين عن الإتيان بسورة مثله ومحمد منهم علم أنه منزل من الله نزله بعلمه لم ينزله بعلم مخلوق فما فيه من الخبر فهو خبر عن علم الله و قوله {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السَّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الفرقان 6 لأن فيه من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله ما يدل على أن الله أنزله فذكره ذلك يستدل به تارة على أنه حق منزل من الله لكن تضمن من الاخبار عن أسرار السموات والأرض والدنيا والأولين والآخرين وسر الغيب مالا يعلمه إلا الله فمن هنا نستدل بعلمنا بصدق أخباره أنه من الله وإذا ثبت أنه أنزله بعلمه تعالى استدللنا بذلك على أن خبره حق وإذا كان خبرا بعلم الله بما فيه من الخبر يستدل به عن الأنبياء وأممهم وتارة عن يوم القيمة وما فيها والخبر الذي يستدل به لأبد أن نعلم صحته من غير جهته و ذلك كاخياره بالمستقبلات فوقعت كما أخبر و كاخياره بالأمم الماضية بما يوافق ماعند أهل الكتاب من غير تعلم منهم و إخباره بأمور هي سر عند أصحابها كما قال {وَإِذْ أَسَرَ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا } التحرير 3 إلى قوله {تَبَانَى الْعَلِيمُ الْخَيْرُ } التحرير 3 فقوله {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السَّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الفرقان 6 استدلال باخياره و لهذا ذكره تكتيبياً من قال هو {إِفْكَ افْتَرَاهُ وَأَعْنَاهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَرُورًا } الفرقان 4 و قوله {أَنْزَلَهُ } النساء 166 استدلال على أنه حق وأن الخبر الذي فيه عن الله حق ولهذا ذكر ذلك بعد ثبوت التحدي وظهور عجز الخلق عن الإتيان بمثله ومن شهادته ما يجعله في القلوب من العلم و ما تتطق به الألسن من ذلك كما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فاثروا عليها خيرا فقال وجبت وجبت ومر عليه بجنازة فاثروا عليها شرا فقال وجبت وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك و جبت و جبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيرا فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار أنت شهاده الله في الأرض فقوله شهاده الله أضافهم إلى الله تعالى والشهادة تضاف تارة إلى من يشهد له وإلى من يشهد عنده فتقبل شهادته كما يقال شهود القاضي وشهود السلطان ونحو ذلك من الذين تقبل شهادتهم وقد يدخل في ذلك من يشهد عليه بما تحمله من الشهادة ليؤديها عند غيره كالذين يشهد الناس عليهم بعقودهم أو أقاريرهم فشهادء الله الذين يشهدون له بما جعله و فعله و يؤدون الشهادة عنه فإنهم إذا رأوا من جعله الله برأ تقىا يشهدون أن الله جعله كذلك و يؤدون عنه الشهادة فهم شهاده الله في الأرض وهو سبحانه الذي أشهدهم بأن جعلهم يعلمون ما يشهدون به و ينطقون به وإعلامه لهم بذلك هو شهادة منه بذلك فهذا أيضا من شهادته وقد قال تعالى {أَلَمْ يَرَ إِنَّ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } يونس 64 وفسر النبي صلى الله عليه وسلم البشري بالرؤيا الصالحة وفسرها ببناء الناس وحمدهم والبشرى خبر بما يسر والخبر شهادة بالبشرى من شهادة الله تعالى والله سبحانه أعلم⁸³

ذكر براهين التوحيد والنبوه قبل ذكر الفرق بين أهل الحق و الباطل

وقد ذكر براهين التوحيد والنبوه قبل ذكر الفرق بين أهل الحق و الباطل فقال {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
قُلْ فَأُثُوا بِعَشْرِ سُورٍ مُّتْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 13
فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلٌ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُنَّ أُنْثُمْ مُسْلِمُونَ} 14 هود 13-14

فلما تحداهم بالآتيان بعشر سور مثله مفتريات هم و جميع من يستطيعون من دونه كان فى مضمون تحديه ان هذا لا يقدر أحد على الآتيان بمثله من دون الله كما قال {قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعْتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} الإسراء 88 و حينئذ فعلم ان ذلك من خصائص من أرسله الله و ما كان مختصاً بنوع فهو دليل عليه فإنه مستلزم له وكل ملزم دليل على لازمه كآيات الأنبياء كلها فإنها مخصصة بجنسهم وهذا القرآن مختص بجنسهم ومن بين الجنس خاتمهم لا يمكن أن يأتي به غيره و كان ذلك برهاناً بينما على أن الله أنزله وأنه نزل بعلم الله هو الذى أخبر بخبره و أمر بما أمر به كما قال {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} النساء 166 الآية و ثبوت الرسالة ملزم لثبوت التوحيد و أنه لا إله إلا الله من جهة أن الرسول أخبر بذلك و من جهة أنه لا يقدر أحد على الآتيان بهذا القرآن إلا الله فإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله إلى غير ذلك من وجوه البيان فيه كما قد بسط ونبه عليه فى غير هذا الموضوع ولا سيما هذه السورة فإن فيها من البيان والتعجب والترهيب مالا يقدر قدرة إلا الله و المقصود هنا هو الكلام على قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِّنْ رَبِّهِ
وَيَتَّلُّهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 حيث سأله السائل عن تفسيرها و ذكر ما فى التفاسير من كثرة الإختلاف فيها وإن ذلك الإختلاف يزيد الطالب عمي عن معرفة المراد الذي يحصل به الهدى والرشاد فإن الله تعالى إنما نزل القرآن ليهتدى به لا ليختلف فيه والهدى إنما يكون إذا عرفت معانيه فإذا خصل الإختلاف المضاد لتلك المعانى التى لا يمكن الجمع بينه وبينها لم يعرف الحق ولم تفهم الآية ومعناها ولم يحصل به الهدى والعلم الذى هو المراد بإنزال الكتاب قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرها أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتتجاوزوها حتى يعلموا حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وقال الحسن البصري ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيها ذا نزلت وماذا عني بها وقد قال تعالى {إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ الْقُرْآنَ} النساء 82 وتدبر الكلام إنما ينتفع به إذا فهم وقال {إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقَلُونَ} الزخرف 3 فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس أن يعلموا ما بلغه الرسل والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً ولهذا لا يعد عاقلاً إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره فالمجنون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقى نفسه في المهالك وقد يفر مما ينفعه⁸⁴

الأمران المانعان للخلق من اتباع الرسول

علينا أن نؤمن له ونؤمن بما جاء به والله تعالى ذكر هذين فذكر أولاً ما يثبت نبوته وصدقه بقوله {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأُثُوا بِعَشْرِ سُورٍ مُّتْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 13 فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلٌ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} 14 هود 13-14 كما تقدم التبليه على ذلك ولما كان الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول شيئاً أما

الجهل وأما فساد القصد ذكر ما يزيل الجهل وهو الآيات الدالة على صدقه ثم ذكر أهل فساد القصد بقوله {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَاهَا نُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ} **{15}** {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} **{16}** هود 17 فهؤلاء أهل الفساد القصد فهذا الأمران هما المانع للخلق من اتباع هذا الرسول كما أنه في البقرة ذكر ما يوجب العلم وحسن القصد فقال {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةً مِّنْ مَّنْهُ وَادْعُوا شَهِادَاتِكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة 23 ثم قال {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاقْتُلُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِكُلِّ الْكَافِرِينَ} البقرة 24

لفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص

أن الإسلام دين و الدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسلاه هو الاستسلام الله وحده فاصله في القلب هو الخضوع الله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبد بل استكبار عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الإستسلام الله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح

قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} هود 14 ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخذ من قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ مَثَلًا لَّرَجُلًا فِيهِ شَرَكَاءُ مُتَشَابِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لَّرْجُلٍ هُنْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام الله وحده وترك الإسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم الله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبار عن عبادته وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَحِبُّ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفهم الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جده ودفعه وغمط الناس ازدراؤهم واحتقارهم

يجب الإيمان بما أوجب الله بالإيمان به

قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} هود 14 مما أوجب الله فيه العلم واليقين وجب فيه ما أوجبه الله من ذلك كقوله {أَعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {المائدة 98} وقول {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذِنْبِكَ} {محمد 19} ولذلك يجب الإيمان بما أوجب الله بالإيمان به⁸⁸

أصل الإيمان توحيد الله والإيمان برسله

قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيْبُوكُمْ فَأَعْلَمُوْا أَنَّمَا أَنْزَلْ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُنَّ أَنْثُمُ مُسْلِمُونَ} هود 14 و أصل الإيمان توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والإيمان برسله كما قال تعالى {فَوَرَبِّكَ أَنْسَأْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} 92 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {الحجر 92-93} قال أبو العالية خلتان تسأل العباد يوم القيمة عنهمما كانوا يعملون وما اجابوا الرسل ولهذا يقرر الله هذين الأصلين في غير موضع من القرآن بل يقدمهما على كل ما سواهما لأنهما أصل الأصول ومن هذا قوله تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيْبُوكُمْ فَأَعْلَمُوْا أَنَّمَا أَنْزَلْ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُنَّ أَنْثُمُ مُسْلِمُونَ} هود 14⁸⁹

أساس الطريق الارادة

فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وأما بترك المنهي عنه الذي يسميه بعض الناس ورعا فانه اذا ترك السيئات لغير وجه الله لم يثبت عليها وان لم يعاقب عليها وان تركها لوجه الله اثيب عليها ولا يكون ذلك الا بما يقوم بقلبه من رجاء رحمة الله أو خشية عذابه ورجاء رحمته وخشية عذابه من الامور الوجودية المأمور بها فتبين ان الورع لا يكون عملا صالحا الا بفعل المأمور به من الرجاء والخشية والا فمجرد الترك العدمي لا ثواب فيه واما الزهد الذي هو ضد الرغبة فانما يحمد حمدا مطلقا وتندم الرغبة لترك العمل للأخرة قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَّاهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ} 15 {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا التَّارُ وَحَيْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 16 هود 15-16 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوفِتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} الشورى 20 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا} الإسراء 18 فمن لم يرد الدار الآخرة قولاً وعملاً وايثاراً ومحبة ورغبة وانابة فلا خلاق له في الآخرة ولا فائدة له في الدار الدنيا بل هو كافر ملعون مشتت معدب لكن قد ينتفع بزهده في الدنيا بنوع من الراحة العاجلة وهو زهد غير مشروع وقد يستضرر بما يفوته من لذات الدنيا وان كان غير زاهد فلا راحة له في هذا فمن زهد لطلب راحه الدنيا او رغب لطلب لذاتها لم يكن واحد منها في عمل صالح ولا هو محمود في الشرع على ذلك ولكن قد يتراجع هذا تارة وهذا تارة في مصلحة الدنيا كما تتراجع صناعة على صناعة وتجارة على تجارة وذلك ان لذات الدنيا لا تناول غالبا الا بنوع من التعب فقد يتراجع تارة لذة الترك على تعب الطلب وقد يتراجع تعب الطلب على لذة الترك فلا حمد على ترك الدنيا لغير

عمل الآخرة كما لا حمد لطلبها لغير عمل الآخرة فثبت ان مجرد الذهاب في الدنيا لا حمد فيه كما لا حمد على الرغبة فيها وإنما الحمد على اراده الله والدار الآخرة والذم على اراده الدنيا المانعة من اراده ذلك كما تقدم وكما في قوله تعالى {إِنْ كُنْتَ ثُرْدَنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا فَتَعَالَىٰ أَمْتَعْكُنَّ وَأَسْرَ حُكْمَ سَرَاحًا جَمِيلًا} {28} وإن كُنْتَ ثُرْدَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} {29} الأحزاب 28-29 ولهذا جرت عادة اهل المعرفة بتسمية هذا الطالب المرشد فان أول الخير اراده الله ورسوله والدار الآخرة ولهذا قال النبي انما الاعمال ⁹⁰ بالنيات

الانسان ماموراً بمخالفة هواه

واما كون الانسان مریدا لما امر به او كارها له فهذا لا تلتقت اليه الشرائع بل ولا امر عاقل بل الانسان ماموراً بمخالفة هواه و الارادة هي الفارقة بين اهل الجنة واهل النار كما قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ نَرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا} {18} ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مَشْكُورًا} {19} الإسراء 18-19 وقال تعالى {إِنَّكَ الدَّارُ الْآخِرَةَ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا} القصص 83 وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا ثُوفَقَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} {15} أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل مَا كانوا يعملون} {16} هود 15-16 وقال تعالى {وَلَا تُطْرُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52 ⁹¹

قول القلب و عمله هو الأصل

فإن الإرادة الجازمة هي التي يقترن بها المقدور من الفعل وإن لم يقترن بها المقدور من الفعل لم تكن جازمة فالمرید الزنا والسرقة وشرب الخمر العازم على ذلك متى كانت إرادته جازمة عازمة فلا بد أن يقترن بها من الفعل ما يقدر عليه ولو أنه يقربه إلى جهة المعصية مثل تقرب السارق إلى مكان المال المسروق ومثل نظر الزاني واستماعه إلى المزنى به وتكلمه معه ومثل طلب الخمر والتماسها ونحو ذلك فلا بد مع الإرادة الجازمة من شيء من مقدمات الفعل المقدور بل مقدمات الفعل توجد بدون الإرادة الجازمة عليه كما قال النبي في الحديث المتفق عليه العينان تزنيان وزناهما النظر واللسان يزنى وزناها النطق واليد تزنى وزناها البطش والرجل تزنى وزناها المشي والقلب يتمنى ويشهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وكذلك حديث أبي بكر المتفق عليه إذا إنقي المسلمين بسيفيهمما فالقاتل والمقتول في النار قبل يا رسول الله هذا القاتل بما بال المقتول قال أنه أراد قتل صاحبه وفي رواية في الصحيحين أنه كان حريضا على قتل صاحبه فإنه أراد ذلك إرادة جازمة فعل معها مقدوره منه منها من قتل صاحبه العجز وليس مجرد عزم على فعل مستقبل فإستحق حينئذ النار كما قدمنا من أن الإرادة الجازمة التي معها بالمكان يجري صاحبها مجرى الفاعل التام و الإرادة التامة قد ذكرنا انه لا بد أن يأتي معها بالمقدور أو بعضه وحيث ترك الفعل المقدور فليس

جازمة بل قد تكون حازمة فيما فعل دون ما ترك مع القدرة مثل الذي يأتى بمقومات الزنا من اللمس والنظر والقبلة ويمتنع عن الفاحشة الكبرى ولهذا قال فى حديث أبي هريرة الصحيح العين تزنى والأذن تزنى واللسان يزنى إلى أن قال والقلب يتمنى ويشتهى أى يتمنى الوطء ويشهته ولم يقل ي يريد مجرد الشهوة والتمنى ليس إرادة جازمة ولا يستلزم وجود الفعل فلا يعاقب على ذلك وإنما يعاقب إذا أراد إرادة جازمة مع القدرة والإرادة الجازمة التي يصدقها الفرج ومن هذا الحديث الذى فى الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله فذكر ذلك له فأنزل الله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ} هود 114 الآية فقال الرجل إلى هذه فقال لمن عمل بها من أمتى فمثل هذا الرجل وأمثاله لا بد فى الغالب أن يهم بما هو أكبر من ذلك كما قال والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكتبه لكن إرادته القلبية للقبلة كانت إرادة جازمة فاقترن بها فعل القبلة القدرة وأما إرادته للجماع فقد تكون غير جازمة وقد تكون جازمة لكن لم يكن قادرًا والأشبه فى الذى نزلت فيه الآية أنه كان متمكناً لكنه لم يفعل فتفرق أحمده وغيره بين هم الخطرات وهم الإصرارات هو الذى عليه الجواب فمن لم يمنعه من الفعل إلا العجز فلا بد أن يفعل ما يقدر عليه من مقوماته وإن فعله وهو عازم على العود متى قدر فهو مصر ولهذا قال ابن المبارك المصر الذى يشرب الخمر اليوم ثم لا يشربها إلى شهر وفي رواية إلى ثلاثين سنة ومن نيته أنه إذا قدر على شربها شربها وقد يكون مصرًا إذا عزم على الفعل في وقت دون وقت كمن يعزم على ترك المعاصى فى شهر رمضان دون غيره فليس هذا بتائب مطلقاً ولكنه تارك لفعل فى شهر رمضان ويثاب إذا كان ذلك الترک لله وتعظيم شعائر الله وإجتناب محارمه فى ذلك الوقت ولكنه ليس من التائبين الذين يغفر لهم بالتوبة مغفرة مطلقة ولا هو مصر مطلقاً وأما الذى وصفه ابن المبارك فهو مصر إذا كان من نيته العود إلى شربها فلت والذى قد ترك المعاصى فى شهر رمضان من نيته العود إليها فى غير شهر رمضان مصر أيضًا لكن نيته أن يشربها إذا قدر عليها غير النية مع وجود القدرة فإذا قدر قد تبقى نيته وقد لا تبقى ولكن متى كان مريداً إرادة جازمة لا يمنعه إلا العجز فهو معاقب على ذلك كما تقدم وتقدم ان مثل هذا لا بد ان يقترن بإرادته ما يتمكن من الفعل معه وبهذا يظهر ما يذكر عن الحارت المحاسبى أنه حكى الإجماع على ان الناوى لل فعل ليس بمنزلة الفاعل له فهذا الإجماع صحيح مع القدرة فإن الناوى لل فعل القادر عليه ليس بمنزلة الفاعل وأما الناوى الجازم الآتى بما يمكن فإنه بمنزلة الفاعل التام كما تقدم وما يوضح هذا أن الله سبحانه فى القرآن رب الثواب والعقاب على مجرد الإرادة كقوله تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لَمْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا} الإسراء 18 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِونَ} 15 {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَيْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 16 هود 15-16 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدُ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} الشورى 20 فرت الثواب والعقاب على كونه يريد العاجلة ويريد الحياة الدنيا ويريد حرت الدنيا وقال فى آية هود {نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا} هود 15 إلى أن قال {وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} هود 16 فل على أنه كان لهم أعمال بطلت وعقوبوا على أعمال أخرى عملوها وإن الإرادة هنا مستلزمة للعمل ولما ذكر إرادة الآخرة قال {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} الإسراء 19 وذلك لأن إرادة الآخرة وإن استلزمت عملها فالثواب إنما هو على العمل المأمور به لا كل سعي ولا بد مع ذلك من الإيمان ومنه قوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زُوَاجٍ إِنْ كُنْتُ ثَرِدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَتْهَا} الأحزاب 28 الآية {وَإِنْ كُنْتُ ثَرِدَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ} الأحزاب 29 فهذا نظير تلك الآية التى فى سورة هود وهذا يتطابق قوله إذا التقى المسلمين بسيفيهم إلا أنه قال فإنه أراد قتل صاحبه أو أنه كان حريراً على قتل صاحبه فذكر الحرص والإرادة على القتل وهذا لا بد أن يقترن به فعل وليس هذا مما دخل فى حديث العفو إن الله عفا لأمتى بما حدثت به أنفسها وما يبني على هذا مسألة معروفة بين أهل السنة وأكثر

العلماء وبين بعض القدرة هي توبة العاجز عن الفعل كتوبة المحبوب عن الزنا وتوبة الأقطع العاجز عن السرقة ونحوه من العجز فإنها توبة صحيحة عند جماهير العلماء من أهل السنة وغيرهم وخالف في ذلك بعض القدرة بناء على أن العاجز عن الفعل لا يصح أن يثاب على تركه الفعل بل يعاقب على تركه وليس كذلك بل إرادة العاجز عليها الثواب والعقاب كما بينا وبينا أن الإرادة الجازمة مع القدرة تجري مجرى الفاعل التام فهذا العاجز إذا أتى بما يقدر عليه من مباعدة أسباب المعصية بقوله وعمله وهجرانها وتركها بقلبه كالتائب القادر عليها سواء فتوبه هذا العاجز عن كمال الفعل كإصرار العاجز عن كمال الفعل وما بيني على هذا المسألة المشهورة في الطلاق وهو أنه لو طلق في نفسه وجزم بذلك ولم يتكلم به فإنه يقع به الطلاق عند جمهور العلماء وعند مالك في إحدى الروايتين يقع وقد يستدل أحمد وغيره من الأئمة على ترك الواقع بقوله إن الله تجاوز لأمتي بما حدثت به أنفسها فقال المنازع هذا المتتجاوز عنه إنما هو حديث النفس والجازم بذلك في النفس ليس من حديث النفس فقال المنازع لهم قد قال ما لم تكلم به أو تعمل به فأخبر أن التجاوز عن حديث النفس إمتد إلى هذه الغاية التي هي الكلام به والعمل به كما ذكر ذلك في صدر السؤال من إستدلال بعض الناس وهو إستدلال حسن فإنه لو كان حديث النفس إذا صار عزما ولم يتكلم به أو يعمل يؤخذ به لكان خلاف النص لكن يقال هذا في المأمور صاحب المقدرة التي يمكن فيها الكلام والعمل إذا لم يتكلم ولم يعمل وأما الإرادة الجازمة المأتمر فيها بالمقدور فتجري مجرى التي أتى معها بكمال العمل بدليل الآخرين لما كان عاجزا عن الكلام وقد يكون عاجزا عن العمل باليدين ونحوهما لكنه إذا أتى بمبلغ طاقته من الإشارة جرى ذلك مجرى الكلام من غيره والأحكام والثواب والعقاب وغير ذلك وأما الوجه الآخر الذي إحتاج به وهو أن العزم والهم داخل في حديث النفس المعفو عنه مطلقاً فليس كذلك بل إذا قيل إن الإرادة الجازمة مستلزمة لوجود فعل ما يتعلق به الذم والعقاب وغير ذلك يصح ذلك فإن المراد إن كان مقدوراً مع الإرادة الجازمة وجب وجوده وإن كان ممتنعاً فلا بد مع الإرادة الجازمة من فعل بعض مقدماته وحيث لم يوجد فعل أصلاً فهو هم وحديث النفس ليس إرادة جازمة ولهاذا لم يجيء في النصوص العفو عن مسمى الإرادة والحب والبغض والحسد والكبر والعجب وغير ذلك من أعمال القلوب إذ كانت هذه الأعمال حيث وقع عليهم ذم وعقاب فلأنها تمت حتى صارت قولاً وفعلاً وحينئذ قوله إن الله تجاوز لأمتي الحديث حق والمواحدة بالإرادات المستلزمة لأعمال الجوارح حق ولكن طائفة من الناس قالوا إن الإرادة الجازمة قد تخلو عن فعل أو قول ثم تنازعوا في العقاب عليها فكان القاضي أبو بكر ومن تبعه كابي حامد وابي الفرج ابن الجوزي يرون العقوبة على ذلك وليس معهم دليل على أنه يؤخذ إذا لم يكن هناك قول أو عمل والقاضي بنها على اصله في الإيمان الذي إتبع فيه جهماً والصالحي وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعري وهو ان الإيمان مجرد تصديق القلب ولو كذب بلسانه وسب الله ورسوله بلسانه وإن سب الله ورسوله إنما هو كفر في الظاهر وأن كلما كان كفراً في نفس الأمر فإنه يمتنع أن يكون معه شيء من تصديق القلب وهذا اصل فاسد في الشرع والعقل حتى أن الأئمة كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبى عبيدة وغيرهم كفروا من قال في الإيمان بهذا القول بخلاف المرجئة من الفقهاء الذين يقولون هو تصدق القلب واللسان فإن هؤلاء لم يكفرهم أحد من الأئمة وإنما بدعوهم وقد بسط الكلام في الإيمان وما يتعلق بذلك في غير هذا الموضوع وبين أن من الناس من يعتقد وجود الأشياء بدون لوازمهما فيقدر مالاً وجود له وأصل جهم في الإيمان تضمن غلطاً من وجوه منها ظنه انه مجرد تصدق القلب ومعرفته بدون أعمال القلب كحب الله وخشائه ونحو ذلك و منها ظنه أن من حكم الشرع بکفره وخلوده في النار فإنه يمتنع أن يكون في قلبه شيء من التصديق وجزموا بأن إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن في قلوبهم شيء من ذلك وهذا كلامهم في الإرادة والكرابة والحب والبغض ونحو ذلك فإن هذه الأمور إذا كانت هما وحديث نفس فإنه معفو عنها وإذا صارت إرادة جازمة وحبا وبغضاً لزم وجود الفعل ووقوعه وحينئذ فليس لأحد أن يقدر وجودها مجردة ثم يقول ليس فيها إثم وبهذا يظهر الجواب عن حجة السائل فإن الأئمة مجتمعة

على أن الله يثيب على محبته ومحبة رسوله والحب فيه والبغض فيه ويعاقب على بغضه وبغض رسوله وبغض أوليائه وعلى محبة الأنداد من دونه وما يدخل في هذه المحبة من الإرادات والعزوم فإن المحبة سواء كانت نوعاً من الإرادة أو نوعاً آخر مستلزم للإرادة فلا بد معها من إرادة وعزم فلما يقال هذا من حديث النفس المعفو عنه بل كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذى أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وفي الصححين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وفي صحيح البخارى عن عبدالله بن هشام قال كنا مع رسول الله وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي لا والذى نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فإنك الآن أحب إلى من نفسي فقال النبي الآن يا عمر بل قد قال تعالى {فُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَاتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةُ تَحْسُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهُدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } التوبة 24 فإنظر إلى هذا الوعيد الشديد الذي قد توعد الله به من كان أهله وماليه أحب إليه من الله ورسوله وجihad في سبيله فعلم أنه يجب أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إلى المؤمن من الأهل والمالي والمساكن والمتاجر والأصحاب والأخوان وإلا لم يكن مؤمناً حقاً ومثل هذا ما في الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله وحتى يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وهذا لفظ البخارى فأخبر أنه لا يجد حلاوة الإيمان إلا بهذه المحبات الثلاث أحدها أن يكون الله ورسوله أحب إليه من سواهما وهذا من أصول الإيمان المفروضة التي لا يكون العبد مؤمناً بدونها الثاني أن يحب العبد لا يحبه إلا الله وهذا من لوازם الأول و الثالث أن يكون القاوه في النار أحب إليه من الرجوع إلى الكفر وكذلك التائب من الذنوب من أقوى علامات صدقته في التوبة هذه الخصال محبة الله ورسوله ومحبة المؤمنين فيه وإن كانت متعلقة بالأعيان كالأرادة المتعلقة بأفعالنا فهي مستلزمة لذلك فإن من كان الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وماليه لا بد والموادة من أعمال القلوب فإن الإيمان بالله يستلزم موادته ومودة رسوله وذلك ينافي معاودة من حاد الله ورسوله وما نافى الإيمان فإنه يستلزم العزم والعقاب لأجل عدم الإيمان فإن ما نافى الإيمان كالشك والاعراض وردة القلب وبغض الله ورسوله يستلزم الذم والعقاب لكونه تضمن ترك المأمور مما أمر الله به ورسوله فإستحق تاركه الذم والعقاب وأعظم الواجبات إيمان القلب بما نافقه يستلزم الذم والعقاب لتركه هذا الواجب بخلاف ما يستحق الذم لكونه منها عنه كالفواحش والظلم فإن هذا هو الذي يتكلم في الهم به وقصده إذا كان هذا لا ينافي أصل الإيمان وإن كان ينافي كماله بل نفس فعل الطاعات يتضمن ترك المعاishi ونفس ترك المعاishi يتضمن فعل الطاعات ولهذا كانت الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر فالصلة تضمنت شيئاً واحداً نهيها عن الذنوب و الثاني تضمنها ذكر الله وهو أكبر الأمراء بما فيها من ذكر الله أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر و لبسط هذا موضع آخر و المقصود هنا إن المحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته ولهاذا جاء في الحديث الذي في الترمذى من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد إستكمل الإيمان فإنه إذا كان حبه لله وبغضه لله وهمما عمل قلبه وعطاوه لله ومنعه لله وهمما عمل بدنه دل على كمال محبته لله و دل ذلك على كمال الإيمان وذلك أن كمال الإيمان أن يكون الدين كله لله وذلك عبادة الله وحده لا شريك له والعبادة تتضمن كمال الحب وكمال الذل والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية ولا بد حى من حب وبغض فإذا كانت محبته لمن يحبه الله وبغضه لمن يبغضه الله دل ذلك على صحة الإيمان في قلبه لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف بما يعارضه من شهوات النفس واهوائها الذى يظهر فى بذل المال الذى هو مادة النفس فإذا كان حبه لله وعطاوه لله ومنعه لله دل على كمال الإيمان باطناً وظاهرًا واصل الشرك في المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً إنما هو إتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله

كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْبِونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ} البقرة 165 ومن كان حبه الله وبغضه الله لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله من عادي لي ولها فقد انته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويهبه التي يبسط بها ورجله التي يمشي بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبسط وبى يمشي ولئن سألنى لأعطيك ولئن إستعاذنى لأعيذك وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساعته ولا بد له منه فهو لاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النواقل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته ويعيذه مما إستعاد منه وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى {وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} البقرة 93 وذم من اتخذ الله هواه وهو أن يتاله ما يهواه ويهبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو ذلك من أفعال القلوب قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ} البقرة 165 قوله {كَلَّا بْنَ ثَجْيُونَ الْعَاجِلَةِ} 20 وَتَذَرُّونَ الْآخِرَةِ 21 القيامة 20-21 قوله {يُجْبِونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} الإنسان 27 قوله {إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةً شَرُّهُمْ وَإِنْ تُصِبُّمُهُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا} آل عمران 120 قوله {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّشُونَ} الزمر 45 قوله {وَإِذَا نَّلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَاتٍ تَعْرَفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} الحج 72 قوله {وَدَكَبِّرُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ} البقرة 109 قوله {مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ} البقرة 105 قوله {وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ دَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} الأنفال 7 قوله {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تَقْبِلَ مِنْهُمْ نَفَاقَهُمُ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} التوبية 54 قوله {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطْ أَعْمَالَهُمْ} محمد 9 قوله {وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} التوبية 124 الآية قوله {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْرَابِ مَنْ يُنَكِّرُ بَعْضَهُ} الرعد 36 قوله {فَلْ يَقْضِلْ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَإِنَّكَ فَلَيُفْرِحُوا} يونس 58 وقال {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} القصص 76 وقال {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَنْقَرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} غافر 75 وقال {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} لقمان 18 قوله {وَإِنَّا إِذَا أَدْقَنَا الْإِنْسَانَ مَنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا} الشورى 48 قوله {وَلَئِنْ أَدْقَنَا الْإِنْسَانَ مَنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُونَ كُفُورًا} 9 قوله {وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرَحٌ فَخُورٌ} 10 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا 11 هود 11 قوله {وَثَجِبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًا} الفجر 20 قوله {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} 6 وإنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ 7 قوله {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} 8 العاديات 6-8 قوله {وَلَا تَيَأسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} يوسف 87 قوله {وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} الحجر 56 قوله {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَّتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ الْخَاسِرِينَ} فصلت 23 قوله {بَلْ ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيَّهُمْ أَبَدًا وَرُؤْيَنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ طَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا} الفتح 12 قوله {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} النساء 54 قوله {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} الفلق 5 قوله {وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا} الحشر 9 قوله {لَا تَنْخُذُوا بِطَائِهَ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُمْ قَدْ بَدَتِ الْغَضَاءَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ 118 هَأَنْتُمْ أُولَاءِ الْجُبُونِهِمْ وَلَا يُجْبُونَكُمْ 119 آل عمران 118-119 قوله {إِنْ يَسْأَلُكُمُوا هَا فَيُحْكِمُ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجُ أَضْعَانَكُمْ} محمد 37 قوله {إِذَا بُعْثَرَ مَا فِي

الْفُتُورِ {9} وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ {10} العاديات-9-10 وقال {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً} البقرة 10 وقال {فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِ مَرَضٌ} الأحزاب 32 وقال {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} الأنفال 49 وقال {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهَّرُ قُلُوبُهُمْ} المائدة 41 وقال {قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} يومنس 57 ومثل هذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله وإنفاق المؤمنين يحمد ويذم على ما شاء الله من مسامي القلوب واعمالها مثل قوله في الحديث الصحيح المتفق عليه لا تبغضوا ولا تحاسدوا وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب أخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا إشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهور وقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وقوله لا تسموا العنبر الكرم وإنما الكرم قلب المؤمن وأمثال هذا كثير بل قول القلب وعمله هو الأصل مثل تصديقه وتكتيبيه وحبه وبغضه من ذلك ما يحصل به مدح وذم وثواب وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة ومنه مala يقترب به ذلك إلا مع الفعل بالجوارح الظاهرة إذا كانت مقدورة وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل فأقوال القلب وأفعاله ثلاثة اقسام أحدها ما هو حسنة وسيئة بنفسه و ثانية ما ليس سيئة بنفسه حتى يفعل وهو السيئة المقدورة كما تقدم و ثالثها ما هو مع العجز كالحسنة والسيئة المفعولة وليس هو مع القدرة كالحسنة والسيئة المفعولة كما تقدم فالقسم الأول هو ما يتعلق بأصول الإيمان من التصديق والتکذیب والحب والبغض وتتابع ذلك فإن هذه الأمور يحصل فيها الثواب والعذاب وعلو الدرجات وأسفل الدرجات بما يكون في القلوب من هذه الأمور وإن لم يظهر على الجوارح بل المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار على ما في قلوبهم من الأمراض وإن كان ذلك قد يقترب به أحياناً بغض القول والفعل لكن ليست العقوبة مقصورة على ذلك البعض اليسيير وإنما ذلك البعض دلالة كما قال تعالى {وَلَوْ نَسَاءَ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعْرَفْتُمُ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرَفُنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقُوْلِ} محمد 30 فأخبر أنهم لابد أن يعرفوا في لحن القول وأما القسم الثاني و الثالث فمظنة الأفعال التي لا تتفاوت أصول الإيمان مثل المعاصي الطبيعية مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر كما ثبت في الصحاح عن النبي انه قال من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر وكما شهد النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للرجل كان يكثر شرب الخمر وكان يجلده كلما جاءه به فلعنده رجل فقال لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله وفي رواية قال بعضهم أخزاه الله ما أكثر ما يؤتي به في شرب الخمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أعونا للشيطان على أخيكم وهذا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ولهذا قال إن الله تجاوز لأمته مما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به والعفو عن حديث النفس إنما وقع لأمة محمد المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فعلم أن هذا العفو هو فيما يكون من الأمور التي لا تقدح في الإيمان فاما ما نافي الإيمان فذلك لا يتناوله لفظ الحديث لأنه إذا نافي الإيمان لم يكن صاحبه من أمة محمد في الحقيقة ويكون منزلة المنافقين فلا يجب أن يعفى عما في نفسه من كلامه أو عمله وهذا فرق بين يدل عليه الحديث وبه تألف الأدلة الشرعية وهذا كما عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان كما دل عليه الكتاب والسنة فمن صح إيمانه عفى له عن الخطأ والنسيان وحديث النفس كما يخرجون من النار بخلاف من ليس معه الإيمان فإن هذا لم تدل النصوص على ترك مواجهته بما في نفسه وخطئه ونسيانه ولهذا جاء نية المؤمن خير من عمله هذا الأثر رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال من مراجع ثابت البنائي وقد ذكره ابن القيم في النية من طريق عن النبي ثم ضعفها فالله أعلم فإن النية يثاب عليها المؤمن بمجردتها وتجرى مجرى العمل إذا لم يمنع من العمل بها إلا العجز ويمكنه ذلك في عمارة أفعال الخير وأما عمل البدن فهو مقيد بالقدرة وذلك لا يكون إلا قليلاً ولهذا قال بعض السلف قوة المؤمن في قلبه وضعفه في بدنه وقوته المنافق في

يُبَدِّلُونَ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفِي هُنَّا بِهِ اللَّهُ { البقرة 284 } وَإِنْ تُبَدِّلُونَ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفِي هُنَّا بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ { البقرة 284 } وهذه الآية وإن كان قد قال طائفة من السلف أنها منسوخة كما روى البخارى فى صحيحه عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمر أنها نسخت فالنسخ فى لسان السلف أعم مما هو فى لسان المتأخرین يريدون به رفع الدلالة مطلقاً وإن كان تخصيصاً للعام أو تقبيداً للمطلق وغير ذلك كما هو معروف فى عرفهم وقد أنكر آخرون نسخها لعدم دليل ذلك وزعم قوم ان ذلك خبر والخبر لا ينسخ ورد آخرون بأن هذا خبر عن حكم شرعى كالخبر الذى بمعنى الأمر والنهى والقائلون بنسخها يجعلون الناسخ لها الآية التى بعدها وهى قوله { لَا يُكَافِئُ اللَّهُ نَسَاءً إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة 286 كما روى مسلم فى صحيحه من حديث أنس فى هذه الآية فيكون المرفوع عنهم ما فسرت به الأحاديث وهو ما هموا به وحدثوا به أنفسهم من الأمور المقدورة ما لم يتكلم به أو يعملوا به ورفع عنهم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما روى ابن ماجه وغيره بإسناد حسن إن الله تجاوز لأمتى عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحقيقة الأمر أن قوله سبحانه { وَإِنْ تُبَدِّلُونَ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفِي هُنَّا بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 284 لم يدل على المؤاخذة بذلك بل دل على المحاسبة به ولا يلزم من كونه يحاسب أن يعاقب ولهذا قال { فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 284 لا يستلزم أنه قد يغفر ويغتب بلا سبب ولا ترتيب ولا أنه يغفر كل شيء أو يغتب كل شيء مع العلم بأنه لا يغتب المؤمنين وأنه لا يغفر أن يشرك به إلا مع التوبة ونحو ذلك والأصل أن يفرق بين ما كان مجامعاً لأصل الإيمان وما كان منافياً له ويفرق أيضاً بين ما كان مقدوراً عليه فلم يفعل وبين ما لم يترك إلا لعجز عنه فهذا الفرقان هما فصل في هذه المواضيع المشتبهة وقد ظهر بهذا التفصيل أم أصل النزاع في المسألة إنما وقع لكونهم رأوا عزماً جازماً لا يقتربن به فعل قط وهذا لا يكون إلا إذا كان الفعل مقارناً للعزم وإن كان العجز مقارناً للإرادة إمتنع وجود المراد لكن لا تكون تلك إرادة جازمة فإن الإرادة الجازمة لما هو عاجز عنه ممتنعة أيضاً فمع الإرادة الجازمة يوجد ما يقدر عليه من مقدمات الفعل ولو زمه وإن لم يوجد الفعل بنفسه والإنسان يجد من نفسه إن مع قدرته على الفعل يقوى طلبه والطبع فيه وإرادته ومع العجز عنه يضعف وهو لا يعجز عما يقوله وي فعله على السواء ولا عما يظهر على صفات وجهه وفلتان لسانه مثل بسط الوجه وتعبيسه وإقباله على الشيء والإعراض عنه وهذه ما يشبهها من أعمال الجوارح التي يترتب عليها الدم والعذاب كما يترتب عليها الحمد والثواب وبعض الناس يقدر عزماً جازماً لا يقتربن به فعل قط وهذا لا يكون إلا لعجز يحدث بعد ذلك من موت أو غيره فسموا التصميم على الفعل في المستقبل عزماً وجراً ولا نزاع في إطلاق الألفاظ فإن من الناس من يفرق بين العزم والقصد فيقول ما قارن الفعل فهو قصد وما كان قبله فهو عزم ومنهم من يجعل الجميع سواء وقد تنازعوا هل تسمى إرادة الله لما يفعله في المستقبل عزماً وهو نزاع لفظي لكن ما عزم الإنسان عليه أن يفعله في المستقبل فلا بد حين فعله من تجدد إرادة غير العزم المتقدم وهي الإرادة المستلزمة لوجود الفعل مع القدرة وتتنازعوا أيضاً هل يجب وجود الفعل مع القدرة والداعي وقد ذكروا أيضاً في ذلك قولان والأولى أن القدرة مع الداعي التام تستلزم وجود المقدور والإرادة مع القدرة تستلزم وجود المراد والمتنازعون في هذه أراد أحدهم إثبات العذاب مطلقاً على كل عزم على فعل مستقبل وإن لم يقترب به فعل وأراد الآخر رفع العذاب مطلقاً عن كل ما في النفس من الإرادات الجازمة ونحوها مع ظن الإثنين أن ذلك الواحد لم يظهر بقول ولا عمل وكل من هذين إنحراف عن الوسط فإذا عرف أن الإرادة الجازمة لا يختلف عنها الفعل مع القلة إلا لعجز يجري صاحبها مجرى الفاعل التام في الثواب والعذاب وأما إذا تختلف عنها ما يقدر عليها فذلك المختلف لا يكون مراداً إرادة جازمة بل هو الهم الذي وقع العفو عنه وبه اختلف النصوص والأصول ثم هنا مسائل كثيرة فيما يجتمع في القلب من الإرادات المتعارضة كالإعتقادات المتعارضة وإرادة الشيء وضده مثل شهوة النفس للمعصية وبغض القلب لها ومثل حديث النفس الذي يتضمن الكفر إذا

قارنه بعض ذلك والتعود منه كما شكا أصحاب رسول الله إليه فقالوا أن أحدهنا يجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حمماً أو يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به فقال أو قد وجدتموه فقالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان رواه مسلم من حديث ابن مسعود وابي هريرة وفيه الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسه وحين كتبت هذا الجواب لم يكن عندي من الكتب ما يستعان به على الجواب فإن له موارد واسعة فهنا لما افترن بالوسواس هذا البغض وهذه الكراهة كان هو صريح الإيمان وهو خالصه ومحضه لأن المنافق والكافر لا يجد هذا البغض وهذه الكراهة مع الوسوسه بذلك بل إن كان في الكفر البسيط وهو الإعراض عما جاء به الرسول وترك الإيمان به وإن لم يعتقد تكذيبه فهذا قد لا يosos له الشيطان بذلك إذ الوسوسه بالمعارض المنافي للإيمان إنما يحتاج إليها عند وجود مقتضيه فإذا لم يكن معه ما يقتضي الإيمان لم يتحج إلى معارض يدفعه وإن كان في الكفر المركب وهو التكذيب فالكافر فوق الوسوسه وليس معه إيمان يكره به ذلك ولهذا لما كانت هذه الوسوسه عارضة لعامة المؤمنين كما قال تعالى {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أُودِيَّةٌ بِقَدْرِ هَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِيًّا وَمِمَّا يُوْقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةٍ أَوْ مَتَاعَ زَبَدٌ مُّثْلُهُ} الرعد 17 الآيات فضرب الله المثل لما ينزله من الإيمان والقرآن بالماء الذي ينزل في أودية الأرض وجعل القلوب كالأودية منها الكبير ومنها الصغير كما في الصحيحين عن أبي وسى عن النبي أنه قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فسقى الناس وشربوا وكانت منها طائفة إنما هي قيungan لا تمسك ماء ولا تثبت كلام ذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به فهذا أحد المثلين و المثل الآخر ما يوقد عليه طلب الخلية والمتعاج من معادن الذهب والفضة والحديد ونحوه وأخبر ان السيل يتحمل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار زبد مثله ثم قال {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الزَّبَدُ} الرعد 17 الرابي على الماء وعلى الموقد عليه فهو نظير ما يقع في قلوب المؤمنين من الشك والشبهات في العقائد والأرادات الفاسدة كما شكا الصحابة إلى النبي قال تعالى {فَيَدْهَبُ جُفَاءُ} الرعد 17 يجفو القلب فيرميه ويقذفه كما يقذف الماء الزبد ويجفوه {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} الرعد 17 وهو مثل ما ثبت في القلوب من اليقين والإيمان كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلْمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً} إبراهيم 24 إلى قوله {يَبْيَثُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّالِثِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} إبراهيم 27 فكل ما وقع في قلب المؤمن من خواطر الكفر والتفاق فكرهه وألقاه ازداد إيماناً ويفينا كما أن كل من حدثه نفسه بذنب فكرهه ونفاه عن نفسه وتركه الله ازداد صلاحاً وبراً وتقوى وأما المنافق فإذا وقعت له الأهواء والآراء المتعلقة بالتفاق لم يكرهها ولم ينفها فإنه قد وجدت منه سيئة الكفر من غير حسنة إيمانية تدفعها أو تنتفيها والقلوب يعرض لها الإيمان والتفاق فتارة يغلب هذا وتارة يغلب هذا وقوله إن الله تجاوز لأمتى عما وسوسه أو حدثت به انفسها كما في بعض الأفاظه في الصحيح هو مقيد بالتجاوز للمؤمنين دون من كان مسلماً في الظاهر وهو منافق في الباطن وهم كثيرون في المتظاهرين بالإسلام قديماً وحديثاً وهم في هذه الأزمان المتأخرة في بعض الأماكن أكثر منهم في حال ظهور الإيمان في أول الأمر فمن أظهر الإيمان وكان صادقاً مجتبها ما يضاده أو يضعفه يتجاوز له عما يمكنه التكلم به والعمل به دون ما ليس كذلك كما دل عليه لفظ الحديث فالسمان اللذان بينا أن العبد يثاب فيهما ويعاقب على أعمال القلوب خارجة من هذا الحديث وكذلك قوله من هم بحسنة و من هم بسيئة إنما هو في المؤمن الذي يهم بسيئة أو حسنة يمكنه فعلها فربما فعلها وربما تركها لأنه أخبر أن الحسنة تضاعف بسمعها ضعف إلى أضعاف كثيرة وهذا إنما هو لمن يفعل الحسنات الله كما قال تعالى {مَئُلُّ الَّذِينَ يُنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 261 و {ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} البقرة 265 و {ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} الليل 20 وهذا للمؤمنين فإن الكافر وإن كان الله يطعمه بحسنته في الدنيا وقد يخفف عنه بها في الآخرة كما خف عن أبي طالب لإحسانه إلى

النبي وشفاعة النبي فلم يوعد لكافر على حسناته بهذا التضعيف وقد جاء ذلك مقيدا في حديث آخر أنه في المسلم الذي هو حسن الإسلام والله سبحانه أعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآلته وصحبه وسلم⁹²

الزهد الشرعي

الزهد خلاف الرغبة يقال فلان زاهد في كذا وفلان راغب فيه و الرغبة هي من جنس الإرادة فالزهد في الشيء إنتفاء الإرادة له أما مع وجود كراحته وإما مع عدم الإرادة والكراهة بحيث لا يكون لا مریدا له ولا كارها له وكل من لم يرغب في الشيء ويريد فهو زاهد فيه وكما أن سبيل الله يحمد فيه الزهد فيما زهد الله فيه من فضول الدنيا فتحمد فيه الرغبة والإرادة لما حمد الله إرادته والرغبة فيه ولهذا كان أساس الطريق الإرادة كما قال تعالى {وَلَا تُطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعُدَاءِ وَالْعَشِيْرِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52 وقال تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا} الإسراء 19 ونظائره متعددة كما رغب في الزهد ونم ضده في قوله تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزِّيَّتَهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِّنُونَ} 15 {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 16 هود 15-16 وقال تعالى {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} 1 التكاثر 1 السورة وقال تعالى {وَتَكَلُّوْنَ التِّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا} 19 {وَتَحْبُّوْنَ الْمَالَ حَبًّا جَمًا} 20 الفجر 19 وقال {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُوْدٌ} 6 وإنَّهَ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ 7 وإنَّهَ لَحُبَّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ 8 العاديات 6-8 وقال تعالى {أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَرِزْيَنَهُ وَتَفَاقْرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} الحديد 20 الآية وهذا باب واسع وإنما المقصود هنا تميز الزهد الشرعي من غيره وهو الزهد المحمود وتميز الرغبة الشرعية من غيرها وهي الرغبة المحمودة فإنه كثيرا ما يشتبه الزهد بالكسل والعجز والبطالة عن الأوامر الشرعية وكثيرا ما تشتبه الرغبة الشرعية بالحرص والطمع والعمل الذي ضل سعى صاحبه⁹³

ما قد يفضي إلى حبوط العمل يجب تركه غاية الوجوب

قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزِّيَّتَهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِّنُونَ} 15 {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 16 هود 15-16 وما قد يفضي إلى حبوط العمل يجب تركه غاية الوجوب والعمل يحيط بالكفر قاله سبحانه {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطْتُ أَعْمَالُهُمْ} البقرة 217 وقال تعالى {وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلَهُ} المائدة 5 وقال {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأنعام 88 وقال {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَ

⁹²مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 744 - 742 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 172 - 174

⁹³مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 616 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 51

عملک {الزمر} 65 وقال {ذلك بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 9 وقال {ذلك بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رَضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 28 كما ان الكفر اذا قارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى {إِنَّمَا يَنْقُضُ اللَّهُ مِنَ الْمُفْتَنِينَ } المائدة 27 وقوله {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } محمد 1 وقوله {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } التوبه 54 وهذا ظاهر ولا تحبط الاعمال بغير الكفر لان من مات على اليمان فانه لابد من ان يدخل الجنة ويخرج من النار ان دخلها ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط ولان الاعمال انما يحيط بها ما ينافي الاعمال مطلاقا الا الكفر وهذا معروف من اصول اهل السنن نعم قد يبطل بعض الاعمال بوجود ما يفسده كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمُنْ وَالْأَذَى } البقرة 264 ولهذا لم يحيط الله الاعمال في كتابه الا بالكفر

البينة هي السبيل للبيان

قال تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَّلُوْهُ شَاهِدًا مَّنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَخْرَابِ فَاللَّاتِيْ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مَّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} 17

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} هود 17 ان الله علم الانسان البیان كما قال تعالى {الرَّحْمَنُ} 1
علم القرآن {2} خلق الإنسان {3} علم البیان {4} الرحمن 4-1 وقال تعالى {وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا} البقرة 31 وقال {عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} العلق 5 والبیان بیان القلب واللسان كما أن العمی والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى {صُمُّ بُكْمُ عُمِّيْ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} البقرة 18
وقال {صُمُّ بُكْمُ عُمِّيْ فَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ} البقرة 171 وقال النبي هلا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب
وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثیر فقهاؤه قليل خطباوه وسيأتي عليکم زمان قليل فقهاؤه
كثير خطباوه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحال بين والحرام بين
وبينهما امور مشتبهات الحديث وقد فریء قوله {وَكَذَلِكَ نَفَضَّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِّنَ سَبِيلُ
الْمُجْرِمِينَ} الأنعام 55 بالرفع والنصب أي ولتبين انت سبیلهم فالانسان يستبين الأشياء وهم
يقولون قد بان الشيء وبينته وتبينه وتبين الشيء واستبيان الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازما
ومتعديا ومنه قوله تعالى {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} الحجرات 6 هو هنا معتمد ومنه قوله
{بِفَاحِشَةٍ مُبِيِّنَةٍ} النساء 19 أي متبينة فهنا هو لازم والبیان كالكلام يكون مصدر بان الشيء
بيانا ويكون اسم مصدر لبيان كالكلام والسلام لسلم وبين فيكون البیان بمعنى تبيين الشيء ويكون
بمعنى بینت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله ان من البیان لسحرا
والمقصود ببيان الكلام حصول البیان لقلب المستمع حتى يتبيين له الشيء ويستبين كما قال تعالى
{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} آل عمران 138 الآية ومع هذا فالذي لا يستبين له كما قال تعالى {فَلَنْ
هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي أَذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ
مَكَانٍ بَعِيدٍ} فصلت 44 وقال {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَكَرُّرُونَ}
النحل 44 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِبَيِّنَ أَهُمْ} إبراهيم 4 وقال {وَمَا
عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النور 54 وقال {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ
أَهُمْ مَا يَتَّقْوَنَ} التوبه 115 وقال {بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلِلُوا وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ} النساء 176

وقال {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي } الأنعام 57 الآية وقال {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ } هود 17 وقال {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } البقرة 99 وقال {بُيَّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } النور 61 فاما الاشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها إلا كثرة كلام وتفييق وتشدق وتکبر والافصاح بذكر الاشياء التي يستقبح ذكرها فهذا مما ينهى عنه كما جاء في الحديث أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخل بلسانه كما تتخل البقرة بلسانها وفي الحديث الحباء والمعي شعبتان من الایمان والبذاء والبيان شعبتان من التفاق ولهذا قال إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وفي حديث سعد لما سمع ابنه أو لما وجد ابنه يدعو وهو يقول اللهم أنتي اسألك الجنة ونعمتها وبهجةها وكذا وأعوذ بك من النار وسلسلتها واغلالها وكذا قال يابني إني سمعت رسول الله يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء فياياك ان تكون منهم إنك إن أعطيت الجنة اعطيتها وما فيها من الخير وان اعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر⁹⁵

الرسول ومن اتبעה على بینة من ربهم وبصيرة

في هذه السورة من البيان والتعجب ما لا يعلمه إلا الله وفيها من المواعظ والحكم والترغيب والترهيب ما لا يقدر قدره إلا الله والمقصود هنا هو الكلام على قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مُّنْهُ } هود 17 حيث سألهسائل عن تفسيرها وذكر ما في التفاسير من كثرة الاختلاف فيها وأن ذلك الاختلاف يزيد الطالب عمي عن معرفة المراد الذي يحصل به الهدى والرشاد فإن الله تعالى إنما نزل القرآن ليهتدى به لا ليختلف فيه والهدي إنما يكون إذا عرفت معانيه فإذا حصل الاختلاف المضاد لتلك المعاني التي لا يمكن الجمع بينها وبينها ولم ير عرفاً ولم تفهم الآية ومعناها ولم يحصل به الهدى والعلم الذي هو المراد بإنزال الكتاب قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً وقال الحسن البصري ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم في ماذا نزلت وماذا عنى بها وقد قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا } محمد 24 وتدرك الكلام إنما ينتفع به إذا فهم وقال {إِنَّ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الزخرف 3 فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل والعقل يتضمن العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً ولهذا لا يعد عاقلاً إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره فالمحجرون الذي لا يفرق بين هذا وهذا قد يلقي نفسه في المهالك وقد يفر مما ينفع (فيه نقص الرجوع إلى نفس المرجع)⁹⁶

وقوله تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مُّنْهُ } هود 17 وهذا يعم جميع من هو على بینة من ربه ويتلوه شاهد منه فالبينة العلم النافع والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح وذلك يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيمة فإن الرسول على بینة من ربه ومتابعيه على بینة من ربه وقال في حق الرسول {قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي } الأنعام 57 وقال في حق

المؤمنين {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُرِّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} محمد 14
 فذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في أول السورة فقال {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} 1 {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحُقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَّهُمْ} 2 ذلك بـأنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ 3 محمد 1-3 الآيات إلى قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُرِّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} محمد 14 وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبياؤهم من البيانات والهدى وقال تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي} يوسف 108 فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة وال بصيرة هي بينة وقال {أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} الأنعم 122 الآية فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة وال بصيرة وقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35 الآية قال أبي بن كعب وغيره هو مثل نور المؤمن وهو نوره الذي في قلبه عبده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح وذلك بينة من ربه وقال {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ} الزمر 22 فهذا النور الذي هو عليه وشرح الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله {أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ} البقرة 5 واستعمل في هذا حرف الإستعلا لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالماً موقناً بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصب بها كما قال {صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً} البقرة 138 ويصير مكانة له كما قال {قُلْ يَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَتَنَوُّفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} الأنعم 135 والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطاً به كالسقف مثلاً قد يراد به ما يحيط به فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة صار مكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ} الحج 11 فإن هذا ليس ثابتاً مستقراً مطمئناً بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطاً في الوادي وكذلك فرق بين من {أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرَضْوَانِ} التوبة 109 وبين {مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَاعَةِ جُرْفٍ هَارِ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمِ} التوبة 109 وكذلك الذين كانوا {عَلَىٰ شَفَاعَةِ حُرْفٍ مِّنَ النَّارِ} آل عمران 103 فأنذنهم منها وشواهد هذا كثيرة فقد تبين أنَّ الرسول ومن اتبعه على بينة من ربهم وبصيرة وهدى ونور وهو الإيمان الذي في قلوبهم والعلم والعمل الصالح ثم قال {وَيَتَّلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 والضمير في منه عائد إلى الله تعالى أي ويتللو هذا الذي هو على بينة من ربه شاهد من الله والشاهد من الله كما أنَّ البينة التي هو عليها المذكور من الله أيضاً وأما قول من قال الشاهد من نفس المذكور وفسره بلسانه أو بعلي بن أبي طالب فهذا ضعيف لأنَّ كون شاهد الإنسان منه لا يقتضي أن يكون الشاهد صادقاً فإنه مثل شهادة الإنسان لنفسه بخلاف ما إذا كان الشاهد من الله فإنَّ الله يكون هو الشاهد وهذا كما قيل في قوله {قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِكُمْ وَمَنْ عِنْهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} الرعد 43 أنه على فهذا ضعيف لأنَّ شهادته قريب له قد اتبعه على دينه ولم يهتد إلا به لا تكون برهاناً للصدق ولا حجة على الكفر بخلاف شهادة من عنده علم الكتاب الأول فإنَّ هؤلاء شهادتهم برهان ورحمة كما قال في هذه السورة {وَمَنْ قَلِيلٌ عَلَىٰ مِثْلِهِ} الأحقاف 10 وقال {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} يونس 94 الآية وقال {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} الأنعم 114 وهذا الشاهد من الله هو القرآن ومن قال أنه جبريل فجبريل لم يقل شيئاً من تفاصيل نفسه بل هو الذي بلغ القرآن عن الله وجبريل يشهد أنَّ القرآن منزل من الله وأنَّه حق كما قال {لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء 166 والذي قال هو جبريل قال يتلوه أي يقرأه كما قال {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ} القيامة 18 أي إذا قرأه جبريل فاتبع ما قرأه وقال {عَلَمَهُ شَدِيدُ الْفُوْى} النجم 5 ومن قال

الشاهد لسانه وجعل الضمير المذكور عائداً على القرآن ولم يذكر لأنّه جعل البينة هي القرآن ولو كانت البينة هي القرآن

لما احتاج إلى ذلك وقد قال {عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 فقد ذكر أن القرآن من الله وقد علم أنه نزل به جبريل على محمد وكلاهما بلغه وقرأه قوله {وَيَتْلُوْهُ} هود 17 جبريل أو محمد تكثير لا فائدة فيه ولهاذا لم يذكر مثل ذلك في القرآن وأيضاً فكونه على القرآن لم نجد لذلك نظيراً في القرآن فإن القرآن كلام الله واحد لا يكون عليه وإذا كان المراد على الإيمان بالقرآن والعمل به فهذا الذي ذكرناه أن البينة هي الإيمان بما جاء به الرسول وهو أخباره أنه رسول الله وأن الله أنزل القرآن عليه ولما أنزلت هذه السورة وهي مكية لم يكن قد نزل من القرآن قبلها إلا بعضه وكان المأمور به حينئذ هو الإيمان بما نزل منه فمن آمن حينئذ بذلك ومات على ذلك كان من أهل الجنة وأيضاً فتسمية جبريل شاهداً لا نظير له في القرآن وكذلك تسمية لسان الرسول شاهداً وتسمية علي شاهداً لا يوجد مثل ذلك في الكتاب والسنة بخلاف شهادة الله فإن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع وسمى ما أنزله شهادة منه في قوله {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ شَهَادَ عَنْهُ} البقرة 140 فدل على أن كلام الله الذي أنزله وأخبر فيه بما أخبر شهادة منه وهو سبحانه يحكم ويشهد ويقى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه ويصف كلامة بأنه يحكم ويقى ويقص ويهدى ويبشر وينذر كما قال {قُلَّ اللَّهُ يُقْتَيَكُمْ فِيهِنَّ} النساء 127 {قُلْ اللَّهُ يُقْتَيَكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} النساء 176 وقال {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلُونَ} النمل 76 وقال {تَحْنُّ نَفْصُنْ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقُصَصِ} يوسف 3 وقال {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَبْتُمْ بِهِ مَا عَنِّي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينِ} الأنعام 57 وقال {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ} الإسراء 9 وكذلك سمي الرسول هادياً فقال {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الشورى 52 كما سماه بشيراً ونديراً وسمى القرآن بشيراً ونديراً فكذلك لما كان هو يشهد للرسول وكان المؤمنين بكلامه الذي أنزله وكان كلامة شهادة منه كان كلامة شاهداً منه كما كان يحكم ويقى ويقص ويبشر وينذر ولا قيل لعلي بن أبي طالب حكمت مخلوقاً قال ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت القرآن فإن الذي يحكم به القرآن هو حكم الله والذي يشهد به القرآن هو شهادة الله عز وجل قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد كان إماماً وأخذ التفسير عن أبيه زيد وكان زيد إماماً فيه ومالك وغيره أخذوا عنه التفسير وأخذوا عنه عبد الله

ابن وهب صاحب مالك واصبغ بن الفرج الفقيه قال في قوله تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 قال رسول الله كان على بينة من ربه والقرآن يتلوه شاهد أيضاً لأنّه من الله وقد ذكر الزجاج فيما ذكره من الأقوال ويتلّو رسول الله القرآن وهو شاهد من الله وقال أبو العالية {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 هو محمد {وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 القرآن قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية ومجاحد وأبي صالح وإبراهيم وعكرة والضحاك وقتادة والسدسي وخصيف وابن عيينة نحو ذلك وهذا الذي قالوه صحيح ولكن لا يقتضي ذلك أن المتبعين له ليسوا على بينة من ربهم بل هم على بينة من ربهم وقد قال الحسن البصري {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 قال المؤمن على بينة من ربها ورواه ابن أبي حاتم وروى عن الحسين بن علي {وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 يعني محمد شاهد من الله وهي تقتضي أن يكون الذي على البينة من شهد له وقول القائل من قال هو محمد قوله من قال هو جبريل فإن كلاهما بلغ القرآن والله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس فاصطفى جبريل من الملائكة واصطفى محمداً من الناس وقال في جبريل {إِنَّهُ أَقْوَلُ رَسُولِ كَرِيمٍ} التكوير 19 وقال في محمد {إِنَّهُ أَقْوَلُ رَسُولِ كَرِيمٍ} الحاقة 40 وكلاهما رسول من الله كما قال {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} 1 {رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحْفًا مُطَهَّرًا} 2 {فِيهَا كُتُبٌ قَيْمَةً} 3 {الْبَيِّنَةُ} 3- فكلاهما رسول من الله بلغ ما أرسل به وهو يشهد أن ما جاء به هو كلام الله وأما شهادتهم بما شهد به القرآن فهذا قدر مشترك بين كل من آمن بالقرآن فإنه يشهد بكل ما شهد به

القرآن لكونه آمن به سواء كان قد بلغه أو لم يبلغه ولهذا كان إيمان الرسول بما جاء به غير تبليغه له وهو مأمور بهذا وبهذا وله أجر على هذا وهذا كما قال {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ} البقرة 285 ولهذا كان يقول أشهد إنى عبد الله ورسوله فشهادته جبريل ومحمد بما شهد به القرآن من جهة ايمانهما به لا من جهة كونهما مرسلين به فإن الإرسال به يتضمن شهادتهما أن الله قاله وقد يرسل غير رسول بشيء فيشهد الرسول أن هذا كلام المرسل وإن لم يكن المرسل صادقاً ولا حكيناً ولكن علم ان جبريل ومحمد يعلمان أن الله صادق حكيم فهم يشهدان بما شهد الله به وكذلك الملائكة والمؤمنون يشهدون بأن ما قاله الله فهو حق وإن الله صادق حكيم لا يخرب إلا بصدق ولا يأمر إلا بعد {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}

{الأنعام 115} فقد تبين ان شهادة جبريل ومحمد هي شهادة القرآن وشهادة القرآن هي شهادة الله تعالى والقرآن شاهد من الله وهذا الشاهد يوافق ويتبع ذلك الذي على بيته من ربه فإن البينة وال بصيرة والنور والهدى الذي عليه النبي والمؤمنون قد شهد القرآن المنزلي من الله بأن ذلك حق **وَيَتَّلُو** { هود 17 } معناه يتبعه كما قال {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَّلُوْنَهُ حَقًّا تَلَوْتَهُ } البقرة 121 أي يتبعونه حق اتباعه وقال {وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا} الشمس 2 أي تتبعها وهذا قفاه إذا تبعه وقد قال {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} الإسراء 36 فهذا الشاهد يتبع الذي على بيته من ربه فيصدقه ويزكيه ويؤيده ويثبته كما قال {فَلَمَّا نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَيَبْتَتَ الَّذِينَ آمَنُوا }

{النحل 102} وقال {وَكُلَّا نَعْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَتَّبَثُ بِهِ فُوَادُكَ} هود 120 وقال {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} المجادلة 22 وقد سمي الله القرآن سلطاناً في غير موضع فإذا كان السلطان المنزلي من الله يتبع هذا المؤمن كان ذلك مما يوجب قوتده وتسلطه على وعملاً وقال {وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} الإسراء 82 وإذا ما أنزلت سورة هم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً الآية وقال جدب بن عبد الله وعبد الله بن عمر تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازدادنا إيماناً فهم كانوا يتذمرون الإيمان ثم يتذمرون القرآن وقال بعضهم في قوله {نُورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35 قال نور القرآن على نور الإيمان كما قال {وَلَكُنْ جَعْلَنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا} الشورى 52 وقال السدي في قوله {نُورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35 نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعوا فلا يكون واحداً منهم إلا بصاحبها فتبين أن قوله **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةِ مِنْ رَبِّهِ** { هود 17 } يعني هدى الإيمان **وَيَتَّلُو شَاهِدٌ مُّنْهُ** { هود 17 } أي من الله يعني القرآن شاهد من الله يوافق الإيمان ويتابعه وقال **وَيَتَّلُو** { هود 17 } لأن الإيمان هو المقصود لأن إيمانه يراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه ويدخل به الجنة والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة بل صاحبه منافق كما في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي أنه قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيبة ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانه ريحها طيبة وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ولهذا جعل الإيمان **بَيْتَةٍ** { هود 17 } وجعل القرآن شاهداً لأن البينة من البيان والبينة هي السبيل للبينة وهي الطريق للبيان الواضح وهي أيضاً ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدي كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله {أَوْلَمْ تَأْتُهُمْ بَيْتَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} طه 13 أي بيان ما فيها أو بين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بيته كما قال { حَتَّى تَأْتِيهِمُ الْبَيْنَةُ } { رَسُولٌ مِّنْ أَنَّهُ } 2 البينة 1-2 فإنه بين الحق والمؤمن على سبيل بيته نور من ربه والشاهد المقصود به شهادته للمشهود له فهو يشهد للمؤمن بما أنزل الإيمان في جذر قلوب الرجال كما في الصحيحين عن حذيفة عن النبي قال إن الله أنزل الإيمان في جذر قلوب الرجال فلعلوا من القرآن وعلموا من السنة وأيضاً بالإيمان ما قد أمر الله به وأيضاً بالإيمان إنما هو ما أخبر به الرسول وهذا أخبر به الرسول لكن الرسول له وحي تكلم الله به يتلى وحبي لا يتلى فقال {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا }

{الشورى 52} الآية وهو يتناول القرآن والإيمان وقيل الضمير في قوله {وَجَعْلَنَا نُورًا نَهْدِي بِهِ}

مَنْ نَشَاءَ مِنْ عَبَادِنَا } الشورى 52 يعود إلى الإيمان ذكر ذلك عن ابن عباس وقيل إلى القرآن وهو قول السدي وهو يتناولهما وهو في اللفظ يعود إلى الروح الذي أوحاه وهو الوحي جاء بالإيمان والقرآن فقد تبين أن كلامها من الله نور ولهى منه هذا يعقل بالقلب لما قد يشاهد من دلائل الإيمان مثل دلائل الربوبية والنبوة وهذا يسمع بالأذان والإيمان الذي جعل للمؤمن هو مثل ما وعد الله به في قوله {سُرِّيْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } فصلت 53 أي أن القرآن حق فهذه الآيات متاخرة عن نزول القرآن وهو مثل ما فعل من نصر رسوله والمؤمنين يوم بدر وغير يوم بدر فإنه آيات مشاهدة صدقت ما أخبر به القرآن ولكن المؤمنون كانوا قد آمنوا قبل هذا وقيل نزول أكثر القرآن الذي ثبت الله به لنبيه وللمؤمنين ولهذا قال {أَوْلَمْ يَكُفِّرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت 53 فهو يشهد لرسوله بأنه صادق بالآيات الدالة على نبوته وتلك آمن بها المؤمنون ثم أنزل من القرآن شاهدا له ثم أظهر آيات معانية تبين لهم أن القرآن حق فالقرآن وافق الإيمان والآيات المستقبلة وافتقر القرآن والإيمان وللهذا قال {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً } هود 17 قوله {وَمِنْ قَبْلِهِ } هود 17 يعود الضمير إلى الشاهد الذي هو القرآن كما قال تعالى قل أرأيت ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله الآية ثم قال {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً } هود 17 الآية قوله {وَمِنْ قَبْلِهِ } هود 17 الضمير يعود إلى القرآن أي من قبل القرآن كما قاله ابن زيد وقيل يعود إلى الرسول كما قاله مجاهد وما متلازمان وقوله {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ } هود 17 فيه وجهان قيل هو عطف مفرد وقيل عطف جملة قيل المعنى {وَيَتَلَوُ شَاهِدٌ مَّنْهُ } هود 17 ويتلوه أيضا من قبله كتاب موسى فإنه شاهد بمثل ما شهد به القرآن وهو شاهد من الله وقيل {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ } هود 17 جملة ولكن مضمون الجملة فيها تصديق القرآن كما قال في الأحقاق وقوله تعالى {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } هود 17 يدل على أن قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ } هود 17 تتناول المؤمنين فإنهم آمنوا بالكتاب الأول والآخر كما تتناول النبي صلى الله عليه وسلم وأولئك يعود إليه الضمير فإنهم مؤمنون به بالشاهد من الله بالإيمان به ايمان بالرسول والكتاب والسنة الذي قبله ثم قال {وَمَنْ يَكُفُّرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } هود 17 وروى الإمام أحمد وابن أبي حاتم وغيرها عن أبي سعيد بن حبیر قال ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه إلا وجدت تصديقه في كتاب الله حتى بلغنى أنه قال لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراوي ثم لم يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية {وَمَنْ يَكُفُّرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } هود 17 قال الأحزاب هي الملل كلها وقوله تعالى {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } هود 17 أي كل من كان على بينة من ربه فإنه يؤمن بالشاهد من الله والإيمان به ايمان بما جاء به موسى قال {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } هود 17 وهو المتبعون لمحمد من أصحابه وغيرهم إلى قيام الساعة ثم قال {وَمَنْ يَكُفُّرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } هود 17 والأحزاب هم أصناف الأمم الذين تحربوا وصاروا أحزابا كما قال تعالى {كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحَ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمْتُ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } غافر 5 وقد ذكر الله طوائف الأحزاب في مثل هذه السورة وغيرها وقد قال تعالى عن مكذبى محمد {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ } ص 11 وهم الذين قال فيه {فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فَطَرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِلْ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ } 30 مُنْبَيِّنَ إِلَيْهِ وَأَنْقُوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 31 مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ } 32 الروم 30-32 وقال عن أحزاب النصارى {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } مريم 37 الآيات وأما من قال الضمير في قوله {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } هود 17 يعود على أهل الحق قال أنه موسى وعيسى ومحمد فإنه إن أراد بهم من كان مؤمنا بالكتابين قبل نزول القرآن فلم يتقدم لهم ذكر والضمير في قوله مفرد ولو آمن مؤمن بكتاب موسى دون الإنجيل بعد نزوله وقيام الحجة عليه به لم يكن مؤمنا وهذا القولان حاكاهما أبو الفرج لم يسم قائلهما البغوي وغيره لم يذكروا نزاعا في أنهم من آمن

محمد ولكن ذكروا قولًا أنهم من آمن به من أهل الكتاب وهذا قريب ولعل الذي حكى قولهم أبو الفرج أرادوا هذا وإنما فلا وجه لقولهم ومن العجب أن أبا الفرج بعد هذا في الأحزاب أربعة أقوال أحدها أنهم جميع الملائكة سعيد بن حبير والثانية اليهود والنصارى قاله قنادة والثالث فريش قاله ال الرابع بنوا أمية وبنوا المغيرة قال أي أبي طلحة بن عبد العزى قاله مقاتل وهذه الآية تقضى أن الضمير يعود إلى القرآن في قوله {وَمَنْ يَكُفِرُ بِهِ} هود 17 وكذلك {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} هود 17 أنه القرآن ودليله قوله تعالى {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} هود 17 وهذا هو القرآن بلا ريب وقد قيل هو الخبر المذكور وهو أنه من يكفر به من الأحزاب وهذا أيضا هو القرآن فعلم أن المراد هو الإيمان بالقرآن والكفر به باتفاقهم وأنه من قال في أولئك أنهم غير من آمن بمحمد لم يتصور ما قال وقد تقدم في قوله {وَمَنْ قَدِيلٌ كِتَابٌ مُوسَى} هود 17 وجهاً هل هو عطف جملة أو مفرد لكن الأكثرون على أنه مفرد وقال الزجاج المعنى وكان من قبل هذا كتاب موسى دليل على أمر محمد فيقولون كتاب موسى عطا على قوله {وَيَتْلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ} هود 17 أي ويتلوا كتاب موسى لأن موسى وعيسى بشراً بمحمد في التوراة والإنجيل ونصب إما ما على الحال فلت قد تقدم أن الشاهد يتلو على من كان على بيته من رب أي يتبعه شاهدا له بما هو عليه من البينة وقوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 كمن لم يكن قال الزجاج وترك المعادلة لأن فيما بعده دليلا عليه وهو قوله {مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمُ وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ} هود 24 قال ابن قتيبة لما ذكر قبل هذه الآية قوما ركنا إلى الدنيا وأرادوها جاء بهذه الآية وتقدير الكلام ألم كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا فاكتفى من الجواب بما تقدم إذ كان دليلا عليه وقال ابن الأنباري إنما حذف لإنكشاف المعنى وهذا كثير في القرآن فلت نظير هذه الآية من المحفوظ {أَفَمَنْ زَرَّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} فاطر 8 كمن ليس كذلك وقد قال بعد هذا {وَمَنْ يَكُفِرُ بِهِ مِنَ الْأَحْرَابِ} هود 17 وهذا هو القسم الآخر المعادل لهذا الذي هو على بيته من رب وعليه هذا يكون معناها {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 أي بصيرة في دينه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وهذا كقوله {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَلَحْيَنَا} الأنعام 122 الآية وكقوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} كمن زرّيْن له سُوءُ عَمَلِهِ وَأَتَبْعَاهُ أَهْوَاءُهُمْ} محمد 14 ويكون أيضا معناها {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 أي بصيرة في دينه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وهذا كقوله {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَلَحْيَنَا} الأنعام 122 الآية وكقوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} كمن زرّيْن له سُوءُ عَمَلِهِ} محمد 14 وقوله {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَّعَ أَمْنَ لَأَيْهُدِي إِلَّا أَنْ يُهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يونس 35 الآية والمحفوظ في مثل هذا النظم قد يكون غير ذلك كقوله {أَوْ مَنْ يُشَاءُ فِي الْحِلْيَةِ} الزخرف 18 أي يجعلون له من ينشأ في الحليمة ولا بد من دليل على المحفوظ وقد يكون المحفوظ مثل أن يقال ألم هذه حاله ينم أو يطعن عليه أو يعرض عن متابعته أو يقتن أو يذهب كما قال {أَفَمَنْ زَرَّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يُشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فاطر 8 وقد قيل في هذه الآية أن المحفوظ {أَفَمَنْ زَرَّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} فاطر 8 فرأى الباطل حقاً والقيح حسناً كمن هداه الله رأى الحق حقاً والباطل باطلاً والقيح قبيحاً والحسن حسناً وقيل جوابه تحت قوله {فَلَا تَذَهَّبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتِ} فاطر 8 لكن يرد عليه أن يقال الإستفهام ما معناه إلا أن تقدر أي هذا تقدر أن تهديه أو ربك أو تقدر أن تجزيه كما قال {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هُوَاهُ أَفَإِنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} الفرقان 43 ولهذا قال {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يُشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فاطر 8 وكما قال {أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هُوَاهُ وَأَضَلَّ اللَّهُ عَلَى عِلْمِ} الجاثية 23 الآية وعلى هذا يكون معناها كمعنى قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} كمن زرّيْن له سُوءُ عَمَلِهِ} محمد 14 وعلى هذا فالمعنى هنا {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمَنْ قَدِيلٌ كِتَابٌ مُوسَى} هود 17 ينم ويخالف ويكتب ونحو ذلك كقوله {فَلْ إِنِّي عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَكَذَبْتُمْ بِهِ} الأنعام 57 وحذف جواب الشرط وكقوله {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى} 11 {أَوْ أَمَرَ بِالنَّقْوَى} 12 {أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى} 13 العلق 11-13 فقد تبين أن معنى الآية من أشرف المعاني وهذا هو الذي ينتفع به كل أحد وإن الآية ذكرت من كان على بيته من ربه من الإيمان الذي شهد له القرآن فصار على نور من ربه وبرهان من ربه على مادلت عليه البراهين العقلية والسمعية كما قال {وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} النساء 174 فالنور المبين

المنزل يتناول القرآن قال قنادة بینة من ربكم و قال الثوری هو النبي و قال البغوي هذا قول المفسرين ولم أجده منقولا عن غير الثاني ولا ذكره ابن الجوزي عن غيره وذكر في البرهان ثلاثة أقوال أحدهما أنه الحجة والثانية أنه الرسول وذكر أنه القرآن عن قنادة والذي رواه ابن أبي حاتم عن قنادة بالإسناد الثابت أنه بینة من الله والبينة والحجة تتناول آيات الأنبياء التي بعنوا بها فكل ما دل على نبوة محمد فهو برهان قال تعالى {فَذَلِكَ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكَ} القصص 32 و قال لمن قال لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى {قُلْ هَأْتُمْ بُرْهَانُكُمْ} البقرة 111 و محمد هو الصادق المصدوق قد أقام الله على صدقه براهين كثيرة وصار محمد نفسه برهانا فأقام من البراهين على صدقه فدليل الدليل دليل وبرهان البرهان برهان وكل آية له برهان والبرهان إسم جنس لا يراد واحد كما في قوله {قُلْ هَأْتُمْ بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} البقرة 111 ولو جاءوا بعده براهين كانوا ممتلين و المقصود أن ذلك البرهان يعلم بالعقل أنه دال على صدقه وهو بینة من الله كما قال قنادة وحجة من الله كما قال مجاهد والسدى المؤمن على تلك البينة ويتلوه شاهد من الله وهو النور الذي أنزله مع البرهان والله أعلم فصل وأما من قال {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 إنه محمد صلى الله عليه وسلم كما قاله طائفة من السلف فقد يربدون بذلك التمثيل لا التخصيص فإن المفسرين كثيرا ما يربدون ذلك و محمد هو أول من كان بینة من ربة وتلاه شاهد منه وكذلك الأنبياء وهو أفضلهم وإمامهم والمؤمنين تبع له وبه صاروا على بینة من ربهم والخطاب قد يكون لفظه له ومعناه عام قوله {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} يونس 94 {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ} الزمر 65 {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} الشرح 7 {قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي} سبا 50 ونحو ذلك وذلك لأن الأصل فيما خطب به النبي في كل ما أمر به ونهى عنه وأبيح له سار في حق أمته كمشاركة أمته له في الأحكام وغيرها حتى يقوم دليل التخصيص فما ثبت في حقه من الأحكام ثبت في حق الأمة إذا لم يخصص هذا مذهب السلف والفقهاء ودلائل ذلك كثيرة قوله {فَلَمَّا قَضَى زِيَّدُ مِنْهَا وَطَرَا رَوْجَنَاكَهَا} الأحزاب 37 الآية ولما أباح له الموهبة قال {خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} الأحزاب 50 الآية فإذا كان هذا مع كون الصيغة خاصة فكيف يجعل الصيغة العامة له وللمؤمنين مختصة به ولفظ من أبلغ صيغ العموم لا سيما إذا كانت شرطا أو إستعها ما قوله {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ} 7 {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ} 8 الزمر 7-8 و قوله {أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَاطرْ 8 و قوله {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْتَهُ} الأنعام 122 و قوله {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} محمد 14 و أيضا فقد ذكر بعد ذلك قوله {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} هود 17 وذكر بعد هذا {مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ} هود 24 وقد تقدم قبل هذا ذكر الفرقين و قوله {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} هود 17 إشارة إلى جماعة ولم يقدم قبل هذا ما يصلح أن يكون مشارا إليه إلا من والضمير يعود تارة إلى لفظ من وتارة إلى معناها قوله {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} الأنعام 25 {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ} يونس 42 {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرِ أَوْ أُنْثَى} النساء 124 {مِنْ عَمَلِ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنْحِيَّتَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنْجِزِيَّتَهُ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} النحل 97 الآية وأما الإشارة إلى معناها فهو أظهر من الضمير قوله {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} هود 17 دليل على أن الذي على بینة من ربه كثيرون لا واحد قال ابن أبي حاتم ثنا عامر بن صالح عن أبيه عن الحسن البصري {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 قال المؤمن على بینة من ربها وهذا الذي قاله الحسن البصري هو الصواب والرسول هو أول المؤمنين كما قال وأمرت أن أكون أول المؤمنين {قُلْ إِنَّمَا أَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} الأنعام 14 {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يونس 104 ومن قال إن الشاهد من الله هو محمد كما رواه ابن أبي حاتم ثنا الأشج ثنا أبوأسامة عن عوف عن سليمان الفلاني عن الحسين ابن علي {وَيَتَّلُو شَاهِدٌ مُّنْهُ} هود 17 يعني محمدا شاهدا من الله فهنا معنى كونه شاهدا من الله هو معنى كونه رسول الله وهو يشهد للمؤمنين بأنهم على حق وإن كان يشهد لنفسه بأنه رسول الله فشهادته لنفسه معلومة قد علم أنه صادق فيها بالبراهين الداله على

نبوته وأما شهادته للمؤمنين فهو أنها إنما تعلم من جهته بما بلغه من القرآن ويخبر به عن ربه فهو إذا شهد كان شاهدا من الله وأما شهادته عليهم بالإيمان والتصديق وغير ذلك فكما في قوله {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً} النساء 41 {وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً} البقرة 143 لكن من قال هذا فقد يريده بالبينة القرآن فإن المؤمن متبع للقرآن ومحمد شاهد من الله يتلوه كما تلاه جبريل ومن قال ان الشاهد محمد فهو إنما أراد بهذا القول التلاوة أي أن لسان محمد يقرأ القرآن وهو شاهد منه أي من نفسه فإن لسانه جزء منه وهذا القول ونحوه ضعيف والله أعلم هذا إن ثبت ذلك عمن نقل عنه فإن هذا وضده ينقلان عن علي بن أبي طالب وذلك أن طائفه من جهال الشيعة ظنوا أن عليا هو الشاهد منه أي من النبي كما قال له أنت مني وأنا منك وهذا قاله لغيره أيضا فقد ثبت في الصحيحين أنه قال الأشعريون هم مني وأنا منهم وقال عن جليليب هذا مني وأنا منه وكل مؤمن هو من النبي كما قال الخليل {فَمَنْ تَبَعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} إبراهيم 36 وقال {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} البقرة 249 ورووا هذا القول عن علي نفسه وروى عنه بإسناد أجود منه أنه قال كذب من قال هذا قال ابن أبي حاتم ذكر عن حسين بن زيد الطحان ثنا إسحق بن منصور ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهاج عن عباد بن عبدالله قال قال علي ما من قريش أحد إلا نزلت فيه آية قيل فما نزل فيك قال {وَيَتْلُو شَاهِدٌ مَّنْهُ} هود 17 وهذا كذب على علي قطعا وإن ثبت النقل عن عباد هذا فإنه له منكريات عنه كقوله أنا الصديق الأكبر أسلمت قبل الناس بسبعين سنين وقد روا عن علي ما يعارض ذلك قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي الباهلي ثنا محمد بن شواص ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عروة عن محمد بن علي يعني ابن الحنفية قال قلت لأبي يا أبي {وَيَتْلُو شَاهِدٌ مَّنْهُ} هود 17 أن الناس يقولون أنك أنت هو قال وددت لو أني أنا هو ولكنه لسانه قال ابن أبي حاتم وروى عن الحسن وقتادة نحو ذلك قلت وقد تقدم عن الحسين ابنه أن الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم وإنما تكلم علماء أهل البيت في أنه محمد ردا على من قال من الجهة أنه علي فإن هذه السورة نزلت بمكة وعلى كان إذ ذاك صغيرا لم يبلغ وكان من اتبع الرسول ولو كان ابن رسول الله ليس ابن عم له م FN شهادته تتفع لا عند المسلمين ولا عند الكفار بل مثل هذه الشهادة فيها تهمة القرابة ولهذا كان أكثر العلماء على أن شهادة الوالد وشهادة الولد لوالده لا تقبل فكيف يجعل مثل هذا حجة لنبوة محمد مؤكدا لها ولذلك قالوا في قوله تعالى {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} الرعد 43 أنه علي وهم مع كذبهم هم أجهل الناس فإنهم نسبوا الله والرسول إلى الاحتجاج بما لا يحتاج به إلا جاهل فأرادوا تعظيم على فنسبوا الله والرسول إلى الجهل وعلى إنما فضيلته بتابعه للرسول فإذا قدح في الأصل بطل الفرع وأما قول من قال من المفسرين أن الشاهد جبريل عليه السلام فقد روى ذلك عكرمة عن ابن عباس ذكره ابن أبي حاتم عنه وعن أبي العالية وأبي صالح ومجاهد في إحدى الروايات عنه وإبراهيم وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني نحو ذلك وهؤلاء جعلوا {وَيَتْلُو} هود 17 بمعنى يقرأ أي ويتلوا القرآن الذي هو البينة شاهد من الله هو وقيل بل معنى قولهم إن القرآن يتلوه جبريل هو الشاهد محمد أي الذي يتلوه جاء من عند الله وقد تقدم بيان ضعف هذا القول فإن كل من فسر يتلوه بمعنى يقرأه جعل الضمير فيه عائدا إلى القرآن وجعل الشاهد غير القرآن والقرآن لم يتقدم له ذكر إنما قال {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} هود 17 والبينة لا يجوز أن يكون تفسيرها بحفظ القرآن فإن المؤمنين كلهم على بينة من ربهم وإن لم يحفظوا القرآن بخلاف البصيرة في الدين فإنه من لم يكن على بصيرة من ربه لم يكن مؤمنا حقا بل من القائلين لمنكر ونكير آه آه لا أخرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلت له القرآن إنما مدح من كان على بينة من ربها فهو على هدى ونور وبصيرة سواء حفظ القرآن أو لم يحفظه وإن أريد إتباع القرآن فهو الإيمان وأكثر القرآن لم يكن نزل حين نزول هذه الآية وقد تقدم إنما يختص به جبريل ومحمد فهو تبلغ رسالة عن الله وصدقهما في ذلك وأما كون رسالة الله حقا فهذا هو المشهود به من كل رسول وهما لا يختصان بذلك بل يؤمان به كما يؤمن بذلك كل ملك وكل مؤمن وشهادته بأن النبي والمؤمنين على حق من هذا الوجه الثاني المشترك ولو قال وبيله وينزل به رسول من الله لكان

ما قالوه متوجهاً كما قال {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ} النحل 102 {نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} الشعراة 193 {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} البقرة 97 أما كونه شاهداً يقرأه فهذا لا نظير له في القرآن و أيضاً فالشاهد الذي هو من الله هو الكلام فإن الكلام نزل منه كما يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ويقال في الرسول أنه منه كما قال رسول من الله ويقال في الشخص الشاهد فيقال فيه هو من شهداء الله وأما كونه يقال فيه شاهد من الله أنها برهان من الله وآيات من الله في الآيات التي يخلقها الله تصدقها لرسوله وهذا يحتاج إلى شاهد والقرآن نزل بلغة قريش الموجودة في القرآن فإنها تفسر بلغته المعروفة فيه إذا وجدت لا يعدل عن لغته المعروفة مع وجودها وإنما يحتاج إلى غير لغته في لفظ لم يوجد له نظير في القرآن قوله {وَيَكَانَ اللَّهُ} القصص 82 {وَلَاتَ جِئَ مَنَاصِ} ص 3 {وَكَاسِاً دِهَاقاً} النبا 34 {وَفَاكِهَةَ وَأَبَا} عبس 31 {تِلْكَ إِذَا قَسْمَةً ضَبِيزَ} النجم 22 ونحو ذلك من الألفاظ الغريبة في القرآن والذين قالوا هذه الأقوال إنما أتوا من جهة قوله {وَيَتْلُوْهُ} هود 17 فظنوا أن تلاوته هي فراءته ولم يتقدم للقرآن ذكر ثم جعل هذا يقول جبريل تلاه وهذا يقول لسانه والتلاوه قد وجدت في القرآن ولغة المشهورة بمعنى الإتباع وكثير من المفسرين لا يذكر في هذه الآية القول الصحيح فيبقى الناظر الفطن حائراً ولم يذكر في الذي على بيته من ربه إلا أنه الرسول ويذكر في الشاهد عدة أقوال ثم من العجب أنه يقول {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} هود 17 أولئك أصحاب محمد وقيل المراد الذين أسلموا من أهل الكتاب وهو على ما فسر لم يتقدم لهم ذكر فكيف يشار إليهم بقوله {يُؤْمِنُونَ بِهِ} هود 17 وأبو الفرج ذكر قولًا أنهم المسلمين ولم يذكر أن الآية نعم النبي والمؤمنين ولما ذكر قول من قال أنهم المسلمين قال وهذا يخرج على قول الضحاك في البينة أنها رسول الله وقد ذكر في البينة أربعة أقوال أنها الدين ذكره أبو صالح عن ابن عباس وأنها رسول الله قاله الضحاك وأنها القرآن قاله ابن زيد وأنها البيان قاله مقائل ثم قال فإن قلنا المراد من كان بيته من ربه المسلمين فالمعنى أنهم يتبعون الرسول وهو البينة ويتبع هذا النبي شاهد منه بصدقه والمسلمون إذا كانوا على بيته وهي الإيمان بالرسول ليست البينة ذات الرسول والرسول ليس هو مذكوراً في كلامه فقوله {وَيَتْلُوْهُ} هود 17 لابد أن يعود إلى من لكن إعادة إلى البينة أولى

وفسر البينة بالرسول وجعل الشاهد يشهد له بصدقه ثم الشاهد جبريل أو غيره فلو قال هو القرآن يشهد للمؤمنين فإنه يتبعونه كما يتبعونه كان قد ذكر الصواب وهو قد ذكر أقوالاً كثيرة لك يذكرها غيره وذكر في يتلوه قولين أحدهما يتبعه و الثاني يقرأه وهما قولان مشهوران وذكر في ه يتلوه قولين أنها ترجع إلى النبي و الثاني أنها ترجع إلى القرآن والتحقيق أنها ترجع إلى من أو ترجع إلى البينة والبينة يراد بها القرآن فيكون المعنى أن الشاهد من القرآن وإذا رجع الضمير إلى من فإن جعل مختصاً بالنبي وهو القول الذي تقدم بيان فساده عاد الضمير إلى البينة وإن كان من تتناول كل من كان على بيته من ربه من المؤمنين ورسول الله أولى المؤمنين تناول الجميع ومما يوضح ذلك أن رسول الله جاء بالرسالة من الله وهذا يختص به وتصديق هذه الرسالة والإيمان بها واجب على التقليين والرسول هو أول من يحب عليه الإيمان بهذه الرسالة التي أرسله الله بها ولهذا قال في سورة يونس {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهُ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ وَأَمْرُتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يونس 104 وقال {قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} الأنعام 14 إلى غير ذلك من الآيات فهو يتعلق به أمران عظيمان أحدهما إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به وال تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل أحد فإنه قد يوجد فيمن يرسله المخلوق من يصدق في رسالته لكنه لا يتبعها إما لطعنه في المرسل وإما لكونه يعصيه وإن كان قد أرسل بحق فالمملوك كثيراً ما يرسلون رسولاً بكتابه وغيরها ببلغ الرسل رسالتهم فيصدقون بها ثم قد يكون الرسول أكثر مخالفة لمرسله من غيره من المرسل إليهم ولهذا ظن طائفة منهم القاضي أبو

بكر أن مجرد كونه رسولاً لا يستلزم المدح ثم قال إن هذا قد يقال فيمن قبل الرسالة وبلغها وفيمن لم يقبل لكن هذا غلط فإن الله لا يرسل رسولاً إلا وقد إصطفاه فيبلغ رسالات ربه ورسل الله هم أطوع الخلق الله وأعظم إيماناً بما بعثوا به بخلاف المخلوق فإنه يرسل من يكذب عليه ومن يعصيه ومن لا يعتقد وجوب طاعته والخالق منزه عن ذلك لكن هؤلاء الذين قالوا هذا يجوزون على الرب أن الرسل كل أحد بكل شيء ليس في العقل عندهم ^{إلا} ينبع ذلك وإنما ينزعون الرسل عاً أجمع (ملاحظة هنا يوجد خطأ في الطباعة التاكمد منه) المسلمين على تنزيتهم عنه عندهم ما ثبت بالسمع لا من جهة كونه رسولاً كما قد بسط هذا في غير هذا الموضوع وبين أن هذا الأصل خطأ ولما كان هو يتعلق به الأمران في الأول يقال آمنت له كما قال تعالى {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ} ^{يوس 83} قوله {يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ

لِلْمُؤْمِنِينَ} التوبة 61 {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا} ^{يوسف 17} وفي الثاني يقال آمنت بالله فعلينا أن نؤمن له ونؤمن بما جاء به والله تعالى ذكر هذين فذكر أولاً ما يثبت نبوته وصدقه بقوله {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَلَمْ فَأَتُوا بِعِشْرُ سُورَ مِثْلَهُ مُفَتَّرَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^{13} {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوْ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلْتُ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ^{14} هود 13-14 كما تقدم التنبية على ذلك ولما كان الذي يمنع الإنسان من اتباع الرسول شأن أم الجهل وأما فساد القصد ذكر ما يزيد الجهل وهو الآيات الدالة على صدقه ثم ذكر أهل فساد القصد بقوله {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَتْهَا نُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ} ^{15} أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ^{16} هود 15-17 فهو لاء أهل الفساد القصد فهذا الأمان من اتباع

هذا الرسول كما أنه في البقرة ذكر ما يجب العلم وحسن القصد فقال {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا نَرَزَنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ وَادْعُوا شَهَادَكُمْ مِّنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^{البقرة 23} ثم قال {فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا وَلَنْ تَفْعُلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ} ^{البقرة 24} فلما أثبت هذين الأصلين أخذ بعد هذا في بيان الإيمان به وحال من آمن ومن كفر فقال {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ} ^{هود 17} الآية ثم قال {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْلَئِكَ يُرَغِّبُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} ^{هود 18} وهذا يتناول كل كافر من كذب على الله بادعاء الرسالة كاذباً ويتناول كل من كذب رسولاً صادقاً فقال إن الله لم يرسل هذا ولم يأمر بهذا فكذب على الله وهذا إنما يقع من فساد قصده بحب الدنيا وإرادتها ومن أحب الرئاسة وأراد العلو في الأرض من أهل الجهل وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي أنه قال إن الله يدny المؤمن منه يوم القيمة حتى يلقى عليه كنهه ويقول فعلت يوم كذا وكذا ويوم كذا وكذا فيقول نعم فيقول إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته بيمنه وأما الكفار والمنافقون ^{وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ^{هود 18} ثم ذكر تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ^{هود 23} ثم ذكر {مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ} ^{هود 24} فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الإنحراف والإعوجاج وأما تفسير بمجرد ما يحتمله اللفظ مجرد عن سائر ما يبيّن معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين لاسيما كثير من يتكلّم فيه بالإختلالات اللغوية فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين فإنه لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرين وأعظم غلطاً من هؤلاء وهؤلاء من لا يكون قصده معرفة مراد الله بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصميه عن الإجتاج بها وهؤلاء يقعون في أنواع من التحريف ولهذا جوز من جوز منهم أن تتناول الآية بخلاف تأويل السلف وقالوا إذا اختلف الناس في تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم إحداث قول ثالث بخلاف ما إذا اختلقو في الأحكام على قولين وهذا خطأ فإنه إذا أجمعوا على أن المراد بالآية إما هذا كان القول بأن المراد غير هذين القولين خلافاً لجماعهم ولكن هذه طريقة من يقصد الدفع لا يقصد معرفة المراد وإنما يجوز أن تضل الأمة عن فهم القرآن ويفهمون منه كلهم غير المراد متاخرون يفهمون المراد فهذا هذا والله أعلم ^{وَقَوْلُهُ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ}

مَنْ رَّبَّهُ { هُوَدٌ } 17 كما تقدم هو كقوله { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي } الأَنْعَام١٥٧ وقوله { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } مُحَمَّد١٤ وقوله { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ } الزَّمْر٢٢ وقوله { أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الْبَقْرَة٥ فَإِنْ هَذَا النَّوْعُ يَبْيَنُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ عَلَىٰ أَمْرٍ مِّنَ اللَّهِ فَاجْتَمَعَ فِي هَذَا الْلَّفْظِ حِرْفُ الْإِسْتَعْلَاءِ وَحِرْفُ مِنْ لِإِبْتِدَاءِ الْغَایِةِ وَمَا يَسْتَعْمِلُ فِيهِ حِرْفُ ابْتِدَاءِ الْغَایِةِ فَيَقُولُ هُوَ مِنَ اللَّهِ عَلَىٰ نُوْعِينَ فَإِنَّهُ أَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّفَاتِ الَّتِي لَا تَقْوِيمُ بِنَفْسِهَا وَلَا بِمَخْلُوقٍ فَهُوَذَا يَكُونُ صَفَةً لَّهِ وَمَا كَانَ عِنْنَا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا أَوْ بِمَخْلُوقٍ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ فَالْأُولَى كَوْلُهُ { وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِي } السَّجْدَة١٣ وقوله { يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَّبِّكَ } الأَنْعَام١١٤ كَمَا قَالَ السَّلْفُ الْقَرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِّنْهُ بَدَا وَإِلَيْهِ يَعُودُ وَالنَّوْعُ الثَّانِي كَوْلُهُ { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } الْجَاثِيَّة١٣ وقوله { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النَّحْل٥٣ وَ { مَا أَصَابَكُمْ مِّنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النَّسَاءَ٦٩ وَكَمَا يَقُولُ إِلَهَمُ الْخَيْرِ وَإِيَّاهُ مِنَ اللَّهِ وَإِلَهَمُ الشَّرِّ وَإِيَّاهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالْوَسُوْسَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَهُذَا نَوْعُانَ تَارَةً بِإِعْتِبَارِ السَّبِبِ وَتَارَةً بِإِعْتِبَارِ الْعَاقِبَةِ وَالْغَایِةِ فَالْحَسَنَاتُ هِيَ النَّعْمَ وَالسَّيِّئَاتُ هِيَ الْمَصَاصَاتُ كُلُّهَا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ لَكُنْ تَلْكَ الْحَسَنَاتُ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَىِ الْعَبْدِ فَهِيَ مِنْهُ إِحْسَانًا وَتَقْضِلاً وَهَذِهِ عَقْوَةُ ذَنْبٍ مِّنْ نَفْسِ الْعَبْدِ فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ بِإِعْتِبَارِ أَنَّ عَمَلَهُ السَّيِّءَ كَانَ سَبِيبًا وَهِيَ عَقْوَةُ لَهُ لِأَنَّ النَّفْسَ أَرَادَتْ تَلْكَ الذَّنْبَ وَوَسَوَّتْ بِهَا وَتَارَةً يَقُولُ بِإِعْتِبَارِ حَسَنَاتِ الْعَمَلِ وَسَيِّئَاتِهِ وَمَا يَلْقَى فِي الْقَلْبِ مِنَ الْتَّصُورَاتِ وَالْإِرَادَاتِ فَيَقُولُ لِلْحَقِّ هُوَ مِنَ اللَّهِ أَلَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ عَبْدُكَ وَيَقُولُ لِلْبَاطِلِ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَسُوسُ بِهِ وَمِنَ النَّفْسِ أَيْضًا لِأَنَّهَا أَرَادَتْهُ كَمَا قَالَ عَمَرُ وَابْنُ عَمْرٍ وَابْنِ مُسَعُودٍ فِيمَا يَلْقَى هُنُّ أَنْجَاهُمْ إِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنَ الْشَّيْطَانِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيَّانٌ مِّنْهُ وَهَذَا لَفْظُ ابْنِ مُسَعُودٍ فِي حَدِيثِ بَرُوْعَ بَنْتِ وَاشْقَ قَالَ إِنْ يَكُنْ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ لَأَنَّهُ حُكْمٌ بِحُكْمِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ اللَّهِ لَأَنَّهُ مَوْافِقٌ لِعِلْمِهِ وَحِكْمَهُ فَهُوَ مِنْهُ إِنْ يَأْتِيَ بِإِعْتِبَارِ أَنَّهُ سَبَّحَهُ اللَّهُ عَبْدُهُ لَمْ يَحْصُلْ بِتَوْسِيْطِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَالشَّيْطَانُ وَسُوسُ بِهِ وَالنَّفْسُ أَرَادَتْهُ وَوَسَوَّتْ بِهِ وَأَنْ كَانَ ذَلِكَ مَخْلُوقًا فِيهِ وَاللَّهُ خَلَقَهُ فِيهِ لَكُنَّ اللَّهُ لَمْ يَحْكُمْ بِهِ وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مَا وَقَعَ لِي مِنْ إِلَهَمِ الْمَلَكِ كَمَا قَالَ ابْنُ مُسَعُودٍ أَنَّ لِلْمَلَكِ بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّا وَلَّتِ الشَّيْطَانُ لَمَّا فَلَمَّا الْمَلَكُ إِيَّاعَ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقَ بِالْحَقِّ وَلَمَّا الشَّيْطَانُ اِيَّاعَ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبَ بِالْحَقِّ فَالْتَّصْدِيقُ مِنْ بَابِ الْخَيْرِ وَالْايَاعُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنْ بَابِ الْتَّطْلُبِ وَالْإِرَادَةِ قَالَ تَعَالَى { الشَّيْطَانُ يَعْدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ } الْبَقْرَة٢٦٨ فَهَذِهِ حَسَنَاتُ الْعَمَلِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِذِينِ الْاعْتِبارِيْنَ أَحَدُهُمَا أَنَّ يَأْمُرُ بِهَا وَيَحْبُبُهَا إِذَا كَانَتْ خَيْرًا فَهُوَ يَصْدِقُهَا وَيَخْبُرُ بِهَا فَهِيَ مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَهُ وَهِيَ أَيْضًا مِنْ إِلَهَمِهِ لَعِبْدِهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ لَمْ تَكُنْ بِوَاسِطةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَاخْتَصَتْ بِاِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ مِنْ جَهَةِ أَنَّهَا مِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَهُ وَإِنَّ النَّازِلَ بِهَا إِلَى الْعَبْدِ مَلَكٌ كَمَا إِخْتَصَ الْقُرْآنُ بِأَنَّهُ مِنْهُ كَلَامٌ وَقُرْآنٌ مُسِيَّلَةٌ بِأَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنْ مَا يَلْقَيْهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْإِلَهَامَاتِ الصَّادِقَةِ الْعَادِلَةِ هِيَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ مَا يَرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي الْمَنَامِ قَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَوَيَّا الْمُؤْمِنَ كَلَامٌ يَكْلُمُ بِهِ الرَّبَّ عَبْدَهُ فِي مَنَامِهِ وَقَالَ عَمْرُ اقْتَرَبُوا مِنَ أَفْوَاهِ الْمَطَبِيعِينَ وَاسْمَاعُوْمِنَ مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ يَتَجَلَّ لَهُمْ أَمْوَالُ صَادِقَهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيْبِ إِنَّ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي } الْمَائِدَةَ١١١ { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْ مُوسَىٰ } الْقُصْصَ٧ { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتَبَّتْهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا } يُوسُفَ١٥ وَقَالَ { فَلَأَهْمَهُمْ فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا } الشَّمْسَ٨ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِيْنِ وَهُوَ أَنَّ الْمَرَادَ أَنَّهُ أَلْهَمَ الْفَاجِرَةَ فَجُورَهَا وَالْقَيْمَةَ تَقْوَاهَا فَالْأَلْهَامُ عِنْهُ هُوَ الْبَيَانُ بِالْأَدَلَةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعُقْلِيَّةِ وَأَهْلَ السَّنَةِ يَقُولُونَ كَلَا النَّوْعَيْنِ مِنْ اللَّهِ هَذِهِ الْهُدَى الْمُشَتَّرِكُ وَذَلِكَ الْهُدَى الْمُخْتَصُ وَإِنْ كَانَ قَدْ سَمَاهَ إِلَهَمَا كَمَا سَمَاهَ هَدِيَّ كَمَا فَوْلَهُ { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَأَسْتَحْجُوْا عَلَى الْهُدَىٰ } فَصَلَتْ ١٧ وَكَذَلِكَ قَدْ قَيْلَ فِي قَوْلِهِ { وَهَدَيْنَاهُمُ الْجَدِيْنَ } الْبَلْدَ١٠ أَيْ بَيْنَاهُ لِهِ طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَهُوَ هَدِيَّ الْبَيَانِ الْعَامِ الْمُشَتَّرِكِ وَقَيْلَ هَدِيَّنَا الْمُؤْمِنَ لِطَرِيقِ الْخَيْرِ وَالْكَافِرِ لِطَرِيقِ الشَّرِّ فَعَلَى هَذِهِ يَكُونُ قَدْ جَعَلَ الْفَجُورَ هَدِيَّ كَمَا جَعَلَ أَوْلَئِكَ الْبَيَانَ إِلَهَمَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ { إِنَّا هَدَيْنَاهُمُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا } الْإِنْسَانَ٣ قَيْلَ هُوَ الْهُدَى الْمُشَتَّرِكِ وَهُوَ أَنَّهُ بَيْنَ لِهِ طَرِيقِ الْخَيْرِ يَجِدُ سَلُوكَهَا

والطريق التي لا يجب سلوكها وقيل بل هدى كلا من الطائفتين إلى ما سلكه من السبيل إما شاكيرا وإما كفورا لكن تسمية هذا هدى قد يعتذر عنه بأنه هدى مقيد لا مطلق كما قال **{فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** {الانشقاق 24} وكما قال **{يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالْطَّاغُوتِ}** {النساء 51} وأنه **{يَقُولُ الْحَقَّ}** {الأحزاب 4} و **{يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}** {النحل 90} فهو موافق لقوله وأمره لعلمه وحكمه كما أن القرآن وسائر كلامه كذلك وباعتبار أنه أنعم على العبد بواسطة جنده بالملائكة ويقال ضد هذا وهو الخطأ هذا من الشيطان والنفس لأن الله لا يقوله ولا يأمر به وأنه إنما ينكته في قلب الإنسان الشيطان ونفسه تقبله من الشيطان فإنه يزين لها الشيء فتطيعه فيه وليس كل ما كان من الشيطان يعقوب عليه العبد ولكن يقوته به نوع من الحسناوات كالنسوان فإنه من الشيطان والاحتلام من الشيطان والنعاس عند الذكر والصلة من الشيطان والصعق عند الذكر من الشيطان ولا إثم على العبد فيما غلب عليه إذا لم يكن ذلك بقصد منه أو بذنب قوله **{إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي}** {الأنعام 57} وشبهها مما تقدم ذكره من هذا الباب وكذلك قوله **{ذَلِكَ بِإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَبْغُوا الْبَاطِلَ وَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَبْغُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ}** {محمد 3} فإن المؤمنين على تصديق ما أخبر الله به وفعل ما أمر الله بيتداء وتبلغوا كالقرآن وقد قال أن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فهي تنزل في قلوب المؤمنين من نوره وهداه وهذه حسناوات دينية وعلوم دينية حق نافعة في الدنيا والآخرة وهو الإيمان الذي هو أفضل المنعم وهو أفضل النعم وأما قوله **{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** {النساء 79} فقد دخل في ذلك نعم الدنيا كلها كالعاافية والرزق والنصر وتلك حسناوات يبتلي الله العبد بها كما يبتليه بالمصائب هل شكر أم لا وهل يصبر أم لا كما قال تعالى **{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ}** {الأعراف 168} وقال **{وَتَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَتَتَّهُ}** {الأنبياء 35} **{فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي}** {15} **{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَرَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي}** {16} **{الفرج 15 - 16}** الآيات وقد يقال في الشيء من الله وإن كان مخلوقا إذا كان مختصا بالله كآيات الأنبياء كما قال لموسى **{فَذَانِكَ بُرْهَانَنِي مِنْ رَبِّكَ}** {القصص 32} وقلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء من غير سوء مخلوق الله لكنه منه لأنه دل به وارشد إلى صدق نبيه موسى وهو تصديق منه وشهادة منه له بالرسالة والصدق فصار ذلك من الله بمنزلة البينة من الله والشهادة من الله وليست هذه الآيات مما تفعله الشياطين والكهان كما يقال هذه علامة من فلان وهذا دليل من فلان وإن لم يكن ذلك كلاما منه قد سمي موسى بذلك ببينة من الله فقال **{قَدْ جِنِّتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ}** {الأعراف 105} قوله **{بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ}** {الأعراف 105} كقوله **{فَذَانِكَ بُرْهَانَنِي مِنْ رَبِّكَ}** {القصص 32} وهذه البينة هنا حجة وأية ودلالة مخلوقة تجري مجرى شهادة الله وأخباره بكلامه كالعلامة التي يرسل بها الرجل إلى أهله وكليه قال سعيد بن جبير في الآية هي كالخاتم تبعث به فيكون هذا بمنزلة قوله صدقه فيما قال أو أعطوه ما طلب فالقرآن والهدى منه وهو من كلامه وعلمه وحكمه الذي هو قائم به غير مخلوق وهذه الآيات دليل على ذلك كما يكتب كلامه في المصاحف فيكون المراد المكتوب به كلام يعرف به الكلام قال تعالى **{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَّدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}** {الكهف 109} ولهذا يكون لهذه الآيات المعجزات حرمة كالناقة وكالماء النابع بين أصابع النبي ونحو ذلك والله سبحانه أعلم في قوله تعالى **{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَلَوُ شَاهِدًا مَّنْهُ وَمَنْ قُلِّهِ كَتَابٌ مُوسَى أَمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}** {17} **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَزِّزُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَسْهَادُ هُوُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** {18} **{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُونَهَا عِوَاجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}** {19} **{أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ}** {20} **{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}** {21} **{لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ}** {22} **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** {23} **{مَنْ الْفَرِيقُنَ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمْ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {24} هود 21-24 ذكر سبانه الفرق بين أهل الحق والباطل وما بينهما من التباين والإختلاف مرة بعد مرة ترغيباً في السعادة وترهيباً من الشقاوة وقد افتتح السورة بذلك فقال {الرَّحِيمُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ {1}} **الآيات 1-2 هود** ذكر أنه نذير وبشير نذير ينذر بالعذاب لأهل النار وبشير يبشر بالسعادة لأهل الحق ثم ذكر حال الفريقين في السراء والضراء فقال {وَلَئِنْ أَذَقْنَا إِنْسَانًا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُوْسُنْ كَفُورٌ {9}} **الآيات 9-10 هود** وإنْ أَذْقَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءً مَسْتَهْ لِيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ {10}} **الآيات 11-12 هود** إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {11} **الآيات 11-12 هود**

اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله

في الصحيحين عن النبي **أنه قال** قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمراً وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطهعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنها تجلى لهم أمور صادقة وفي الترمذى عن أبي سعيد عن النبي **أنه قال** اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لِيَاتٍ لِلْمُؤْسِمِينَ} الحجر 75 وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة عن النبي **أنه قال** ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنواول حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبسطش بها ورجله التي يمشى بها وفي رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبسطش وبى يمشى فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به وكانوا يقولون إن السكينة تتطق على لسان عمر رضى الله عنه وقال من سأل القضاء واستعن عليه وكل إليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكاً يسده و قال الله تعالى {نُورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35 نور الايمان مع نور القرآن وقال تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتَّلُو شَاهِدَةً مَّنْهُ} **هود 17** وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الايمان **98**

القرآن والتوراة كل منهما أصل مستقل

ومعلوم أن موسى أخبر بما أخبر به قبل أن يبعث محمد وقبل أن يبعث المسيح ولكل من كان عالما بحال محمد أنه نشأ بين قوم أمهين لا يقراءون كتابا ولا يعلمون علوم الانبياء وأنه لم يكن عندهم من يعلم ما في التوراة والإنجيل ونبيو الأنبياء وقد أخبر محمد من توحيد الله وصفاته وأسمائه وملائكته وعرشه وكريسيه وأنبيائه ورسله وأخبارهم وأخبار مكذيبهم بنظير ما يوجد في كتب الأنبياء من التوراة وغيرهما فمن تدبر التوراة والقرآن علم أنها جمیعا يخرجان من مشكاة واحدة كما ذكر ذلك النجاشي وكما قال ورقة بن نوفل هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى ولهاذا قرن الله تعالى بين التوراة والقرآن في مثل هذا قال تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْرَابِ فَاللَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} هود 17 هذه الطريقة كل من علم ما جاء به موسى والنبيون قبله وبعده وما جاء به محمد علم علما يقينا أنهم كلهم مخبرون عن الله صادقون في الأخبار وأنه يمتنع والعياذ بالله خلاف الصدق من خطأ وكذب⁹⁹

قال تعالى {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْرَابِ فَاللَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} هود 17 محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام هما اللذان جاءا بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى {قُلْ فَاتَّوْا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدِي مِنْهُمَا أَتَيْهُ} القصص 49 وقال تعالى {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً} هود 17 وقال تعالى {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ} الأنعام 91 إلى قوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدَّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدِيهِ} الأنعام 92 وقالت الجن لما سمعت القرآن {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدَّقًا لَمَا بَيْنَ يَدِيهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} الأحقاف 30 وقال ورقة بن نوفل إن هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن والتوراة هما كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منها كل منهما أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل منها يتضمن اثبات صفات الله تعالى والأمر بعبادته وحده لا شريك له ففيه التوحيد قوله تعالى و عملا كما في سورة الإخلاص يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وإنما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بيديه وطاعته وعبادته مطلقا وأما المسيح فإنه قال {وَلَا حَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الأكثر متبع لشريعة التوراة ولهاذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتابع ما فيها اذ كان الانجيل تبعا لها وأما القرآن فإنه مستقل بنفسه لم يحوجه أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهمينا عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ

ما نسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمود ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل
الذى نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر¹⁰⁰

{ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ }

وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ويكره من لم يتبعه منهم ويذمه ويلعنه والوعيد له كما في تكثيره من لم يتبعه من المشركين وذمه والوعيد كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ أَمْنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبَّتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَقْعُولاً }

{ النساء 47 وفي القرآن من قوله يا أهل الكتاب يا بني إسرائيل ما لا يحصى إلا بكفة وقال تعالى {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَاتُ } البينة 1 إلى قوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالَحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْحَيْرُ الْبَرِيَّةُ } 7 البينة 7 ومثل هذا في القرآن كثير جدا وقد قال تعالى {فَلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الأعراف 158 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِهً لِلنَّاسِ } سباء 28 واستفاض عنه فضلت على الأنبياء بخمس ذكر فيها أنه قال كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة بل توادر عنه أنه بعث إلى الجن والإنسان فإذا علم بالإضطرار بالنقل المتواتر الذي توادر كما توادر ظهور دعوته أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وأنه حكم بکفر من لم يؤمن به منهم وأنه أمر بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأنه قاتلهم بنفسه وسراباه وأنه ضرب الجزية عليهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنم أموالهم فحاصربني قينقاع ثم أجلاهم إلى أذرعات وحاصر بنى النضير ثم أجلاهم إلى خير وفي ذلك أنزل الله سورة الحشر ثم حاصر بنى قريظة لما نقضوا العهد وقتل رجالهم وسبى حريرهم وأخذ أموالهم وقد ذكره الله تعالى في سورة الأحزاب وقاتل أهل خير حتى فتحها وقتل من رجالهم وسبى من سبى من حريرهم وقسم أرضهم بين المؤمنين وقد ذكرها الله تعالى في سورة الفتح وضرب الجزية على النصارى وفيهم أنزل الله سورة آل عمران وغزا النصارى عام تبوك وفيها أنزل الله سورة براءة وفي عامة سور المدنية مثل البقرة وآل عمران والنسماء والمائدة وغير ذلك من سور المدنية من دعوة أهل الكتاب وخطابهم مالا تتسع هذه الفتوى لعشرين ثم خلفاؤه بعده أبو بكر وعمر ومن معهما من المهاجرين والأنصار الذي يعلم أنهم كانوا أتبع الناس له وأطوطعهم لامره وأحفظهم لعهده وقد غزوا الروم كما غزوا فارس وقاتلوا أهل الكتاب كما قاتلوا المحوس فقاتلوا من قاتلهم وضربوا الجزية على من أداها منهم عن يد وهم صاغرون ومن الأحاديث الصحيحة عنه قوله والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار قال سعيد بن جبير وغيره والأحزاب هي الملل كلها قال وهذا تصديق قول النبي والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار وقرأ هذه الآية { وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } هود 17 ومعنى الحديث متواتر عنه معلوم بالإضطرار فإذا كان الامر كذلك لزم بأنه رسول الله إلى كل الطوائف فإنه يقرر بأنه رسول الله لا يكذب ولا يقاتل الناس على طاعته بغير أمر الله ولا يستحل دماءهم وأموالهم وديارهم بغير إذن الله¹⁰¹

أهمية معرفة مراتب الأديان

فالكفار بعضهم دون بعض ولهذا يذكر الفقهاء في باب الردة والإسلام انتقال الرجل لأحد الزوجين من دين إلى دين آخر انتقال إلى دين خير من دينه أو دون دينه أو مثل دينه فيقولون إذا صار الكتابي مجوسياً أو مشركاً فقد انتقل إلى شر من دينه وإذا صار المشرك أو المجوسى كتابياً فقد انتقل إلى خير من دينه وإذا تهود النصراني أو بالعكس فقد انتقل إلى نظير دينه والتمجيس يقر عليه بالاتفاق وأما الإشراك فلا يقر عليه إلا بعض الناس عند بعض العلماء والصائبنة نوعان عند المحققين وعلى قولين عند آخرين ومعرفة مراتب الأديان محتاج إليها في مواضع كثيرة لمعرفة مراتب الحسنات والفقهاء يذكرون ذلك لأجل معرفة أحكامهم وتناكحهم وذبائحهم وفي دمائهم وقتلهم وإقرارهم بالجزية المضروبة عليهم ونحو ذلك من الأحكام التي جاء بها الكتاب والسنة في أهل الملل والأحزاب الذين قال الله فيهم قال تعالى {وَمَنْ يَكُفُّرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} ¹⁰² هود 17 (فيه نقص نفس المرجع)

لا معصوم إلا الأنبياء

فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكوننبياً فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي وإذا كان الأمر كذلك فمطلوب بالتوافق أن مخدداً ذكر أنه رسول كإبراهيم وموسى وعيسى بل أخبر أنه سيد ولد آدم وأن آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيمة وأنه لما اسرى به وعرج إلى ربه علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم وموسى وهرون ويحيى وعيسى وغيرهم وأخبر أنه لانبي بعده وأن امته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيمة وأن الكتاب الذي انزل إليه أحسن الحديث وأنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب مع تصدقه بذلك وحينئذ فإن كان عالماً بصدق نفسه فهونبي رسول ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأجرهم {وَمَنْ أَطْلَمْ مَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ لَئِكَ يُعَرَّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُونَ إِلَكُمْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ¹⁰³ هود 18

الفرق بين من لعنه الله لعنة مؤبدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقاً

فلعنة الفاسق لمعين ليس مأمولاً بها إنما جاءت السنة بلعنة الأنواع كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فقطع يده وقوله لعن الله من أحدث حدثاً أو أوى محدثاً و قوله لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقوله لعن الله المحل والمحل له لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وحامليها والمحمولة إليه وساقيها وشاربها واكل ثمنها وقد تنازع الناس في لعنة الفاسق المعين فقيل إنه جائز كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي

الفرج بن الجوزي وغيره وقيل إنه لا يجوز كما قال ذلك طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي بكر عبد العزيز وغيره والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج بن يوسف وأمثاله وأن يقول كما قال الله تعالى **{أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** ^{هود 18} وقد ثبت في صحيح البخاري أن رجلاً كان يدعى حماراً وكان يشرب الخمر وكان يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه فأتى به إليه مرة فقال رجل لعنة الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فإنه يجب الله ورسوله فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعنة هذا المعين الذي كان يكثر شرب الخمر معللاً بذلك بأنه يجب الله ورسوله مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر مطلقاً فدل ذلك على أنه يجب الله ورسوله تجوز لعنة المعين الذي يجب الله ورسوله ومن المعلوم أن كل مؤمن فلا بد أن يجب الله ورسوله ولكن في المظہرین للإسلام من هم منافقون فأولئك ملعونون لا يجبون الله ورسوله ومن علم حال الواحد من هؤلاء لم يصل عليه إذا مات لقوله تعالى **{وَلَا تُصْلِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا تُنْفِمْ عَلَى قَبْرِهِ}** ^{التوبه 84} ومن جوز من أهل السنة والجماعة لعنة الفاسق المعين فإنه يقول يجوز أن أصلى عليه وأن لعنه فإنه مستحق للثواب مستحق للعقاب فالصلاحة عليه لاستحقاقه الثواب وللعنة له لاستحقاقه العقاب وللعنة بعد عن الرحمة والصلة عليه سبب لرحمة فيرحم من وجهه ويبعده عنها من وجهه وهذا كله على مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائل أهل السنة والجماعة ومن يدخل فيهم من الكرامية والمرجئة والشيعة ومذهب كثير من الشيعة الإمامية وغيرهم الذين يقولون إن الفاسق لا يخلد في النار وأما من يقول بتأليله في النار كالخوارج والمعتزلة وبعض الشيعة فهو لاء عندهم لا يجتمع في حق الشخص الواحد ثواب وعقاب وقد استفاضت السنن النبوية بأنه يخرج من النار قوم بالشفاعة ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأما قوله **{أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}** ^{هود 18} فهي آية عامة كآيات الوعيد بمنزلة قوله **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طَلْمَأً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًاً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}** النساء 10 وهذا يقتضي أن هذا الذنب سبب اللعن والعقاب لكن قد يرتفع موجبة لمعارض راجح إما توبة وإما حسنات ماحية وإما مصائب مكفرة ¹⁰⁴

(يبدو انه فيه نقص نفس المرجع) قيل واللعن انما يستوجبه من هو كافر لكن ليس هذا جيداً على الاطلاق ويؤيد هذه أيضاً قوله تعالى **{أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبَهُ مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَيِّلًا}** ⁵¹ **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا}** ⁵² النساء 51-52 ولو كان معمصوم الدم يجب على المسلمين نصره لكان له نصير ويوضح ذلك انه قد نزل في شان ابن الاشرف وكان من لعنته ان قتل لانه كان يؤذى الله ورسوله واعلم انه لا يرد على هذا انه قد لعن من لا يجوز قتله لوجوده احدها ان هذا قيل فيه لعنه الله في الدنيا والآخرة فبين انه سبحانه اقصاه عن رحمته في الدارين وسائل الملعونين انما قيل فيهم لعنه الله او عليه لعنة الله وذلك يحصل باقصائه عن الرحمة في وقت من الاوقات وفرق بين من لعنه الله لعنة مؤبدة عامة ومن لعنه لعنة لعنة مطلقاً الثاني ان سائر الذين لعنهم الله في كتابه مثل الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ومثل الظالمين الذين

يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ومثل من يقتل مؤمناً متعمداً أباً كافراً أو مباح الدم بخلاف
بعض من لعن في السنة¹⁰⁵

من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين

كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُونَ الْأَشْهَادُ هُوَلَاءُ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} هود¹⁸ ومن كان كذلك كان الله يمتهنه ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملأ للظالم فإذا أخذته لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود¹⁰² وقال أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقىئها الرياح تقومها تارة وتتميلها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى تكون انجعافها مرة واحدة فالكافر الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنصري ومسيلمة الكاذب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاء ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا يَتَّغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْرَى السَّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزْعَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيغِيظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} الفتح²⁹ ولهذا كان أول ما يتبعهم ضففاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتتبّعين الكاذبين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبي الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع¹⁰⁶

يقع الكذب على الله من فسد قصده

قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُونَ الْأَشْهَادُ هُوَلَاءُ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} ^{18} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالآخرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ^{19} أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ مِنْ ذُنُونٍ اللَّهُ مِنْ أُولَئِكَ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا

¹⁰⁵ الصارم المسلول ج: 2 ص: 89-90

¹⁰⁶ الجواب الصحيح ج: 6 ص: 423-424

يُنْصِرُونَ {20} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُفْتَرُونَ {21} لَا حَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ {22} هود 18-22 وهذا يتناول كل كافر من كذب على الله بادعاء الرسالة كاذباً ويتناول كل من كذب رسولاً صادقاً فقال إن الله لم يرسل هذا ولم يأمر بهذا فكذب على الله وهذا إنما يقع من فسد قصده بحب الدنيا وإرادتها ومن أحب الرئاسة وأراد العلو في الأرض من أهل الجهل وفي الصالحين عن ابن عمر عن النبي أنه قال إن الله يدني المؤمن منه يوم القيمة حتى يلقى عليه كنفه ويقول فعلت يوم كذا كذا ويوم كذا كذا ويقول نعم فيقول إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسنته بيمنيه وأما الكفار والمنافقون **{وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }** هود 18¹⁰⁷

أن المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته فإنه إذا كان عالماً بمضرتها و هو غني عنها امتنع أن يفعلها و الجهل أصله عدم و الحاجة أصلها العدم فأصل وقوع السيئات منه عدم العلم و الغنى و لهذا يقول في القرآن **{مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ}** هود 20 **{أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}** يس 62 **{إِنَّهُمْ أَفْوَأُوا بَاءَهُمْ ضَالِّينَ}** 69 **{فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}** 70 **{الصَّافَاتُ 69-70}** إلى نحو هذه المعاني¹⁰⁸

وأما الموجود الذي هو سبب الشر الموجود الذي هو خاص كالآلام مثل الأفعال المحرمة من الكفر الذي هو تكذيب أو استكبار والفسوق الذي هو فعل المحرمات و نحو ذلك فإن ذلك سبب الذم والعقاب وكذلك تناول الأغذية الضارة وكذلك الحركات الشديدة المورثة للألم فهذا الوجود لا يكون وجوداً تماماً محسناً إذ الوجود التام المحسن لا يورث إلا خيراً كما قلنا إن العدم المحسن لا يقتضي وجوداً بل يكون وجوداً ناقصاً إما في السبب وإما في المحل كما يكون سبب التكذيب عدم معرفة الحق والاقرار به و سبب عدم هذا العلم والقول عدم أسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق وأعلامه وسبب عدم النظر والاستماع إما عدم المقتضى فيكون عدماً محسناً و إما وجود مانع من الكبر أو الحسد في النفس **{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}** الحديد 23 وهو تصور باطل و سببه عدم غنى النفس بالحق فتعتاض عنه بالخيال الباطل¹⁰⁹

وقال تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }** 18 **{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُونَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }** 19 **{أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ**

مجمع الفتاوى ج: 15 ص: 93-94¹⁰⁷

مجمع الفتاوى ج: 14 ص: 23¹⁰⁸

مجمع الفتاوى ج: 14 ص: 26¹⁰⁹

لَهُم مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ مَا كَانُوا يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ {20} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْرَرُونَ {21} لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ {22}

(فيه نقص هنا نفس المرجع) لكن عدم هذه الإمكانية كان بغير طلاقه ودعوانه المكذب للرسول صلى الله عليه وسلم والكافر به فإنه لم يصدق بالحق ولم يستسلم له لا جملة ولا تقسيلاً لكن قد يكون ما اتباعه من ظنه وهو موجباً لبعض ما جاء به الرسول وما نعا له من النظر فيه بحيث لا يستطيع مع ذلك أن يسمع به¹¹⁰

الإمكانية جاءت في كتاب الله على نوعين

أن الإمكانية جاءت في كتاب الله على نوعين الإمكانية المطلقة للفعل وهي مناط الأمر والنهي كقوله تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 و قوله {فَإِنَّمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16 و قوله {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طُولًا أَنْ يَتَكَبَّرَ الْمُحْسَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} النساء 25 الآية {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصَبَامْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتَّيْنَ مِسْكِينًا} المجادلة 4 و قوله {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامٌ مِسْكِينٍ} البقرة 184 و قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمرا بن حبيب صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب فإن الإمكانية في هذه النصوص لو كانت لا توجد إلا مع الفعل لوجب الالز على من حج ولا يجب صيام شهرين إلا على من صام ولا القيام في الصلاة إلا على من قام و كان المعنى على الذين يصومون الشهر طعام مسكون و الآية إنما أنزلت لما كانوا مخيرين بين الصيام والإطعام في شهر رمضان و الإمكانية التي يكون بها الفعل قد يقال هي المقارنة بالفعل الموجبة له و هي النوع الثاني وقد ذكرها فيها قوله تعالى {الَّذِينَ كَانُوا أَعْيُّهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يُسْتَطِيغُونَ سَمْعًا} الكهف 101 و قوله تعالى {يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ} هود 20 و نحو ذلك قوله {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهُوَ إِلَى الْأَدْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} 8 و جعلنا من بين أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ} 9-8 يس 9 فإن الإمكانية المنافية هنا سواء كان نفيها خبراً أو إبتداءً ليست هي الإمكانية المطلقة في الأمر والنهي فإن تلك إذا إنفت إنفتى الأمر والنهي و الوعيد والحمد والذم والثواب والعقاب و معلوم أن هؤلاء في هذه الحال مأمورون منهون موعودون متعدون فعلم أن المنافية هنا ليست المطلقة في الأمر والنهي المذكورة في قوله {فَإِنَّمَا مَا اسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16 لكن قد يقال الإمكانية هنا كالمقارنة المنافية في قول الخضر لموسى {إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا} الكهف 67 فإن هذه الإمكانية لو كان المراد بها مجرد المقارنة في الفاعل والتارك لم يكن فرق بين هؤلاء المذمومين وبين المؤمنين و لا بين الخضر و موسى فإن كل أحد فعل أو لم يفعل لأن تكون المقارنة موجودة قبل فعله و القرآن يدل على أن هذه الإمكانية إنما نفيت عن التارك لا عن الفاعل فعلم أنها مضادة لما يقوم بالعبد من الموضع التي تصد قلبه عن إرادة الفعل و

عمله و بكل حال فهذه الإستطاعة منتفية في حق من كتب عليه أنه لا يفعل بل و قضى عليه بذلك وإذا عرف هذا التقسيم أن إطلاق القول بأن العبد لا يستطيع غير ما فعل و لا يستطيع خلاف المعلوم المقدر و إطلاق القول بأن إستطاعة الفاعل و التارك سواء و أن الفاعل لا يختص عن التارك بإستطاعة خاصة عرف أن كلا الإطلاقين خطأ و بدعة و لهذا إنفق سلف الأمة و أئمتها و جمهور طوائف أهل الكلام على أن الله قادر على ما علم و أخبر أنه لا يكون و على ما يمتنع صدوره عنه لعدم إرادته للعدم قدرته عليه¹¹¹

الاستطاعة إستطاعتان إحداهما قبل الفعل وهي الإستطاعة المشروطة في التكليف كما قال تعالى {وَلِلّٰهِ عَلٰى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلٰيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 وقال النبي لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب وهذه الإستطاعة يقترب بها الفعل تارة والترك أخرى وهي الإستطاعة التي لم تعرف القدرة غيرها كما أن أولئك المخالفين لهم من أهل الإثبات لم يعرفوا إلا المقارنة وأما الذي عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فثبتات النوعين جميعاً كما قد بسطناه في غير هذا الموضوع فإن الأدلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل وهي الموجبة له وهي المنفية عنمن لم يفعل في مثل قوله {مَا كَانُواْ يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبَصِّرُونَ} هود 20 وفي قوله {لَا يَسْتَطِعُونَ سَمْعاً} الكهف 101¹¹²

والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الإستطاعة متقدمة على الفعل و مقارنة له أيضاً و تقارنه أيضاً إستطاعة أخرى لا تصلح لغيره فالإستطاعة نوعان متقدمة صالحة للضدين و مقارنة لا تكون إلا مع الفعل فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له و هذه هي الموجبة للفعل المحققة له قال الله تعالى في الأولى {وَلِلّٰهِ عَلٰى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلٰيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 ولو كانت هذه الإستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما و جب الحج إلا على من حج و لما عصى أحد بترك الحج و لا كان الحج و اجبا على أحد قبل الإحرام به بل قبل فراغه و قال تعالى {فَلَقُوا اللّٰهَ مَا اسْتَطَعُنُمْ} التغابن 16 فأمر بالتقى بمقدار الإستطاعة و لو أراد الإستطاعة المقارنة لما و جب على أحد من التقى إلا ما فعل فقط إذ هو الذي قارنته تلك الإستطاعة و قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286 و الوسع الموسوع و هو الذي تسعه و تطيقه فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتي به فقط دون ما تركه من الواجبات و قال تعالى {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَّامَ شَهْرَيْنِ مُتَّبِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأَ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} المجادلة 4 و المراد به الإستطاعة المتقدمة و إلا كان المعنى فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم و لا يكون الصوم و اجبا على أحد حتى يفعله و قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم و لو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى فاتوا منه ما فعلم فلا يكونون مأموريين إلا بما فعلوه و كذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم

تستطع فعلى جنب و لو أريد المقارن لكان المعنى فإن لم تفعل ف تكون مخيرا و نظائر هذا متعددة فإن كل أمر علق في الكتاب و السنة و جوبه بالإستطاعة و عدمه بعدها لم يرد به المقارنة و إلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها و قد أسقطها عنمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بتترك الواجب المذكور و أما الإستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى { مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُوْنَ } هود 20 و قوله { الَّذِيْنَ كَانُوا أَعْيُّنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَمْعاً } الكهف 101 فهذه الإستطاعة هي المقارنة الموجبة إذ الأخرى لابد منها في التكليف فالآلية هي الشرعية التي هي مناط الأمر و النهي و الثواب و العقاب و عليها يتكلم الفقهاء و هي الغالبة في عرف الناس و الثانية هي الكونية التي هي مناط القضاء و القدر و بها يتحقق وجود الفعل فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات و الثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال { وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُثُّبِهِ } التحرير 12 وقد اختلف الناس في قدره العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده و التحقيق أنه قد يكون قادرًا بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل فإن الله قادرًا أيضًا على خلاف المعلوم و المراد و إلا لم يكن قادرًا إلا على ما فعله و ليس العبد قادرًا على ذلك بالقدرة المقارنة الفعل فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه و أراد كونه فإنه ما شاء الله كان و ما لم يشاً لم يكن و كذلك قول الحواريين { هَلْ يَسْتَطِيْعُ رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ } المائدة 112 إنما يستفهموا عن هذه القدرة وكذلك ظن يونس { أَنْ لَنْ نَفْعِلْ عَلَيْهِ } الأنبياء 87 أي فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل كذا أي هل تفعله و هو مشهور في كلام الناس و لما اعتنقت القدرة أن الأولى كافية في حصول الفعل و أن العبد يحدث مشيئته جعله مستعيناً عن الله حين الفعل كما أن الجبرية لما اعتنقت أن الثانية موجبة لل فعل و هي من غيره راوه مجبراً على الفعل و كلاهما خطأ قبيح فإن العبد له مشيئه و هي تابعة لمشيئه الله كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ } 55 وَمَا يَذْكُرُوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } 56 المدثر 55-56 { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } 29 وَمَا تَشَاؤُوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا } 30 الإنسان 29-30 { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمْ } 28 وَمَا تَشَاؤُوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ } 29 التكوير 28-29 فإذا كان الله قد جعل العبد مريداً مختاراً شائياً إمتنع أن يقال هو مجبور مقهور مع كونه قد جعل مريداً و إمتنع أن يكون هو الذي يبتعد لنفسه المشيئه فإذا قيل هو مجبور على أن يختار مضطر إلى أن يشاء فهذا لا نظير له و ليس هو المفهوم من الجبر بالإضطرار و لا يقدر على ذلك إلا الله و لهذا افترق القدرة و الجبرية على طرف تقىض و كلاهما مصيب فيما أثبته دون ما نفاه فأبو الحسين البصري و من وافقه من القدرة يزعمون أن العلم بأن العبد يحدث أفعاله و تصرفاته علم ضروري و إن جد ذلك سفسطة و ابن الخطيب و نحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافقخار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجع من غير العبد ضروري لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجع و كلا القولين صحيح لكن دعوى إستلزم أحدهما نفي الآخر ليس بصحيح فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها و هذا الإحداث مفترى إلى محدث فالعبد فاعل صانع محدث و كونه فاعلاً صانعاً محدثاً بعد أن لم يكن لابد له من فاعل كما قال { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمْ } 28 التكوير 28 فإذا شاء الإستقامة صار مستقيماً ثم قال { وَمَا تَشَاؤُوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ } 29 التكوير 29 فما علم بالإضطرار و ما دلت عليه الأدلة السمعية و العقلية كله حق و لهذا كان لا حول و لا قوة إلا بالله و العبد فقير إلى الله فقرأ ذاتياً له في ذاته و صفاتيه و أفعاله مع أن له ذاتاً و صفات و أفعالاً فنفي أفعاله كنفي صفاتيه و ذاته و هو جد للحق شبيه بخلو غالبية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق أو جعل شيء منه مستعيناً عن الله أو كائناً بدونه جد للحق شبيه بخلو الذي قال { أَنَا رَبُّكُمْ }

الأَعْلَى } الناز عات 24 و قال إنه خلق نفسه وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة و إنما الغلط في إعتقد تناقضه بطريق التلازم وأن ثبوت أحدهما مستلزم لنفي الآخر فهذا ليس بحق و سببه كون العقل يزيد على المعلوم المدلول عليه ما ليس كذلك و تلك الزيادة تناقض ما علم و دل عليه¹¹³

نفوسهم لا تستطيع إرادته وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه

فمما تنازع المتكلمين من مثبتة القدر ونفاته في استطاعة العبد وهي قدرته وطاقته هل يجب أن تكون مع الفعل لا قبله أو يجب أن تكون متقدمة على الفعل أو يجب أن تكون معه وإن كانت متقدمة عليه فمن قال بالأول لزمه أن يكون كل عبد لم يفعل ما أمر به قد كلف ما لا يطيقه إذا لم يكن عنده قدرة إلا مع الفعل ولهاذا كان الصواب الذي عليه محققوا المتكلمين وأهل الفقه والحديث والتصوف وغيرهم ما دل عليه القرآن وهو أن الاستطاعة التي هي مناط الأمر والنهي وهي المصححة للفعل لا يجب أن تقارن الفعل وأما الإستطاعة التي يجب معها وجود الفعل فهي مقارنة له فالأولى قوله { وَرَبِّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } آل عمران 97 وقول النبي لعمran بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب و معلوم أن الحج والصلاه تجب على المستطيع سواء فعل أو لم يفعل فعلم أن هذه الاستطاعة لا تجب أن تكون مع الفعل والثانية قوله تعالى { مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُوْنَ } هود 20 وقوله تعالى { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّكَافِرِيْنَ عَرْضاً } 100 الذين كانت أعيانهم في غطاء عن ذكري و كانوا لا يستطيعون سمعاً } الكهف 100-101 على قول من يفسر الاستطاعة بهذه وأما على تفسير السلف والجمهور فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم فنفوسهم لا تستطيع إرادته وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه وهذه حال من صده هواه ورأيه الفاسد عن استماع كتب الله المنزلة واتباعها فقد أخبر أنه لا يستطيع ذلك وهذه الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له وأما الأولى فلولا وجودها لم يثبت التكليف بقوله { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أُسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأعراف 42 وأمثال ذلك فهو لاء المفرطون والمعتدون في أصول الدين إذا لم يستطعوا سمع ما أنزل إلى الرسول فهم من هذا القسم¹¹⁴

قال ابن الأنباري في قوله { وَلَا تُحَمِّلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } البقرة 286 أي لا تحملنا ما يتطلب علينا أداؤه و ان كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مکروه قال فخاطب العرب على حسب ما تعلم فإن الرجل منهم يقول للرجل ما أطيق النظر اليك و هو مطيق لذلك لكنه ثقيل عليه النظر اليه قال و مثله قوله { مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ } هود 20 قلت ليست هذه لغة العرب وحدهم بل هذا مما اتفق عليه العقلاه و الاستطاعة في الشرع هي ما لا يحصل معه للمكلف ضرر راجح

مجمع الفتاوى ج: 8 ص: 372-376¹¹³

مجمع الفتاوى ج: 3 ص: 318-322 الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 460¹¹⁴

كاستطاعة الصيام و القيام فمتي كان يزيد في المرض أو يؤخر البرء لم يكن مستطينا لأن في ذلك مقدرة راجحة بخلاف هؤلاء فإنهم كانوا لا يستطيعون السمع لبعض الحق و تقله عليهم أما حسدا لقاتلهم و أما اتباعا للهوى و رين الكفر والمعاصي على القلوب و ليس هذا عذرا فلو لم يأمر العبد إلا بما يهونه {لَقَدْ نَسِيَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ الْأَرْضَ وَمَنْ فِيهَا} المؤمنون 71 والمقصود أن السلف لم يكن فيهم من يقول أن العبد لا يكون مستطينا إلا في حال فعله وأنه قبل الفعل لم يكن مستطينا فهذا لم يأت الشرع به قط ولا اللغة ولا دل عليه عقل بل العقل يدل على نقشه كما قد بسط في غير هذا الموضوع¹¹⁵

الفرق في السمع والبصر من الإيمان وآثاره والكفر وآثاره

أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن إذا كان المسموع طلبا ففائدته ومحبته الاستجابة والقبول وإذا كان المسموع خبرا ففائدته التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدة في مسماه نفيا وإثباتا فيقال فلان يسمع لفلان أي يطيعه في أمره أو يصدقه في خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أي لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار في غير موضع قوله {وَمَنْ لِلَّهِ كَفُورٌ كَمَنْ لِلَّهِ يَتَّبِعُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِداءً} البقرة 171 وقوله {وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُ الدُّعَاء} الأنبياء 45 وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائمة يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على إنفقاء مبدئه ولهذا قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَحِيُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} الأنعام 36 ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاعية أي يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعاني السمع الذي لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم¹¹⁶

ومن هنا يظهر الفرق في السمع والبصر من الإيمان وآثاره والكفر وآثاره والفرق بين المؤمن البر وبين الكافر والفاجر فإن المؤمنين يسمعون أخبار أهل الإيمان فيشهدون روياهم على وجه العلم والمعرفة والمحبة والتعظيم لهم ولا يسمعون أخبارهم وآثارهم كرؤيا الصحابة النبي وسمعيهم لما بلغه عن الله والكافر والمنافق يسمع ويرى على وجه البعض والجهل كما قال تعالى {وَإِن يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْلَفُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الْذِكْرَ} القلم 51 وقال {فَإِذَا أَنْزَلْتِ سُورَةً مُّحْكَمَةً وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرًا مُّعْنَشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ} محمد 20 وقال {مَا كَانُوا يَسْتَطِيُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُصْرِفُونَ} هود 20 وقال {فَعَمِّلُوا وَصَمِّلُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمِّلُوا وَصَمِّلُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ} المائدة 71 وقال تعالى في حق المؤمنين {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمَيَّانًا} الفرقان 73 وقال في حق الكفار {فَمَا لَهُمْ عَنِ الذِّكْرِ مُعْرِضُينَ} المدثر 49 والآيات في هذا كثيرة جدا¹¹⁷

أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز

{أولئك لم يكُنوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ
مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ} هود 20 فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنني
فعلت هذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفي ستن أبي داود أن
رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقنسي عليه حسيبي الله
ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا
غليك أمر فقل حسيبي الله ونعم الوكيل فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما
ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله إياك نعبد وإياك نستعين قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}
هود 23 فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته إذ النافع له هو طاعة الله ولا
شيء أفعى له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لسعد إنك لن تنفق نفقة تتبعي بها وجه الله إلا
ازدلت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في أمرأتك فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن
الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمر بفعله فإن ذلك ينافي القدرة
المقارنة لل فعل وإن كان لا ينافي القدرة المقدمة التي هي مناط الأمر والنهي فإن الاستطاعة التي
توجب الفعل وتكون مقارنة له لا تصلح إلا لمقدورها كما ذكرها في قوله {أولئك لم يكُنوا
مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبَصِّرُونَ} هود 20 وأما الاستطاعة التي يتعلق بها الأمر والنهي فتلك قد يقترن
بها الفعل وقد لا يقترن كما في قوله آل عمران والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر أن صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك 118

يأمر الله ويمدح أنواع العلم وأسبابه وكماله

قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمْ مِنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئكَ يُعَرِّضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُونَ الْأَشْهَادُ
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} 18 {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْعُونَهَا عِوْجَأً وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} 19 {أُولَئكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيغُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا
يُبَصِّرُونَ} 20 {أُولَئكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْرَرُونَ} 21 لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي
الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ} 22 {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} 23 {مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 24 هود 18-24 قد مدح الله العلم والعقل والفقه وهذا كثير في القرآن يأمر
ويمدح التفكير والتذكرة والنظر والاعتبار والفقه والعلم والعقل والسمع والبصر والنطق
ونحو ذلك من أنواع العلم وأسبابه وكماله ويدم اضداد ذلك 119

¹¹⁸أمراض القلوب ج: 1 ص: 50 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 50

¹¹⁹الاستقامة ج: 2 ص: 158

الأعمال الصالحة لازمة للايمان

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} هود 23 أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر لذلك كثيرة وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب بحيث عطفت عليه الأفعال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب بل لابد معه من الأعمال الصالحة ثم للناس في مثل هذا قولان منهم من يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر بإسمه الخاص تخصيصاً له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول وقالوا هذا في كل ما عطف فيه خاص على عام قوله {من كان عدوًّا لله وَمَلَائِكَته وَرُسُلِه وَجَرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقوله {وَإِذْ أَخْدَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} محمد 2 فشخص الإيمان بما نزل على محمد بعد قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} محمد 2 وهذه نزلت في الصحابة وغيرهم من المؤمنين قوله {حَفَظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِللهِ قَانِتِينَ} البقرة 238 وقوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ} البينة 5 والصلة والزكاة من العادة قوله {آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ} البقرة 277 كقوله {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقْبِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَةَ} البينة 5 فإنه قصد أولاً أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره ثم أمر بالصلة والزكاة ليعلم أنها عبادتان واجتنان فلا يكتفى بمطلق العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الإيمان أولاً لأنه الأصل الذي لابد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضاً من تمام الدين لابد منه فلا يظن الطاغي اكتفاء بمجرد إيمان ليس معه العمل الصالح فعلى قول هؤلاء يقال الأعمال الصالحة المعطوفة على الإيمان دخلت في الإيمان وعطاف عليه عطف الخاص على العام إما لذكره خصوصاً بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلاً على أنه لم يدخل في العام وقيل بل الأعمال في الأصل ليست من الإيمان فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلاها كان إيمانه منقياً لأن إنقاء اللازم يقتضي إنقاء الملزوم لكن صارت بعرف الشارع داخلة في إسم الإيمان إذا أطلق كما تقدم في كلام النبي فإذا عطف عليه ذكرت لولا يظن الطاغي أن مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة الازمة للإيمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصاً وتتصنيفاً ليعلم أن التواب الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحاً لا يكون لمن إدعى الإيمان ولم ي عمل وقد بين سبحانه في غير موضع أن الصادق في قوله آمنت لابد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان في هؤلاء يدل على إنقاذه من سواهم¹²⁰

أن القلب له عمل مع التصديق والظاهر قول ظاهر وكلاهما مستلزم للباطن و المرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضاً وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه وإنقاء الظاهر دليل إنقاء الباطن فبقي النزاع في أن العمل الظاهر هل هو جزء من مسمى الإيمان يدل عليه بالتضمن أو لازم لسمى الإيمان و التحقيق أنه تارة يدخل في الاسم وتارة يكون لازماً للمسمى بحسب افراد الاسم واقترانه فإذا قرن الإيمان بالإسلام كان مسمى الإسلام خارجاً عنه كما في حديث جبريل وان كان لازماً له وكذلك إذا قرن الإيمان بالعمل كما في قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ البقرة 82 فقد يقال إسم الإيمان لم يدخل فيه العمل وإن كان لازماً له وقد يقال بل دخل فيه وعطف عليه عطف الخاص على العام وبكل حال فالعمل تحقيق لسمى الإيمان وتصديق له ولهذا قال طائفة من العلماء كالشيخ أبي إسماعيل الأنصاري وغيره الإيمان كله تصديق فالقلب يصدق ما جاءت به الرسل واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول كما يقال صدق عمله قوله ومنه قول النبي العيني تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتته والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ¹²¹

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة 33 فالهوى كمال العلم ودين الحق كمال العمل كقوله ¹²² ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هود 23

علق الوعد بالجنة باسم الإيمان المطلق والمقييد بالعمل الصالح

فإن الله لم يعلق وعد الجنة إلا باسم الإيمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام واخباره أنه دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما قال أن الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل إنما ذكر ذلك باسم الإيمان كقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارِ﴾ التوبة 72 فهو يعلقها باسم الإيمان المطلق أو المقييد بالعمل الصالح كقوله ¹²³ **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَثُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هود 23**

الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب على باسم الإيمان المطلق والمقييد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتي من الإيمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكن من أهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تتعلق إلا باسم الإيمان وهذا أيضاً مما

يستدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقا باسم الإسلام كما علق بإسم الإيمان وكما علق بإسم القوي واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} المرسلات 41 قوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} المطففين 22 وباسم أولياء الله كقوله {أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} 62 {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} 63 {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} 64 فلما لم يجر إسم الإسلام هذا المجرى علم أن مساماه ليس ملازمًا لمسمى الإيمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن إسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثبته على طاعته مثل أن يكون في قلبه إيمان وتفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه متقال ذرة أو أكثر من متقال ذرة من إيمان

¹²³

"إن النور إذا دخل القلب إنشرح وإنفسح"

قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يتمتع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمدى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تنقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصم وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹²⁴

وقد روى أبو هريرة عن النبي أنه قال إن العبد اذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وإن زاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله {كَلَّا بْلَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} المطففين 14 رواه الترمذى وصححه وفي الصحيح انه قال انه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة والعين حجاب رقيق أرق من الغيم فأخبر أنه يستغفر الله استغفارا يزيل الغين عن القلب فلا يصير نكتة سوداء كما أن النكتة السوداء إذا أزيلت لا تصير رينا وقال حذيفة إن الإيمان يبدو في القلب لمظلة بيضاء فكلما إزداد العبد إيمانا إزداد قلبه بياضا فلو كشفتم عن قلب المؤمن لرأيته أبيض مشرقا وإن النفاق يبدو منه لمظلة سوداء فكلما إزداد العبد نفاقا إزداد قلبه سودا فلو كشفتم عن قلب المنافق لوجدمته أسود مربدا وقال صلى الله عليه وسلم إن النور إذا دخل القلب إنشرح وإنفسح قيل فهل لذلك من علامة يا رسول الله قال نعم التجافي عن دار الغرور والإباهة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قيل نزوله وفي خطبة الإمام أحمد التي كتبها في كتابه في الرد على الجهمية والزنادقة قال الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 348¹²³

اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78¹²⁴

على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويفسرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لأليس قد أحياه وكم من ضال تائه حيران قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفعون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتهال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا الولية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون لكتاب مجتمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم نعوذ بالله من شبه المضليلين فلت وقد قرآن الله سبحانه في كتابه في غير موضع بين أهل الهدى والضلال وبين أهل الطاعة والمعصية بما يشبه هذا قوله تعالى { وما يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } 19 { وَلَا الظُّلَمَاتُ وَلَا النُّورُ } 20 { وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ } 21 { وما يَسْتُوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ } 22 } فاطر 19-22 وقال **{ مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هُلْ يَسْتُوِيَانِ مَثُلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }** هود 24 وقال في المنافقين { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاعُتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبَصِّرُونَ } 17 ص ١٧ ¹²⁵ **فَمُمْلِكُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** 18 البقرة 18-19 وقال { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكُمْ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } البقرة 257 الآية وقال { إِنَّ رَبَّكَانْزَلَنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } إبراهيم 1 والأيات في ذلك كثيرة ¹²⁶

نفي المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقاً

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهددين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار الصالحين المفسدين أهل السيئات ¹²⁶

وقوله **{ مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هُلْ يَسْتُوِيَانِ مَثُلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ }** هود 24 فنفي المساواة بين الذي يعلم والذي لا يعلم مطلقاً لم يستثن المعنور كما استثنى في تفضيل المجاهد على القاعد المعنور وكذلك سائر ما في القرآن من نحو هذا قوله تعالى { وما يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } 19 { وَلَا الظُّلَمَاتُ وَلَا النُّورُ } 20 { وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ } 21 { وما يَسْتُوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ } 22 } فاطر 19-22 ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يجعل أجر العاجز على إصابة الصواب مع اجتهاده كأجر القادر عليه كما جعل للمريض والمسافر مثل ثواب الصحيح المقيم كما جعل المعنور من القاعدين عن الجهاد الذي تمت رغبته بمنزلة المجاهد فإن الأصل هو القلب والبدن تابع فالمستويان في عمل القلب إذا فعل كل منهما بقدر بدنها متماثلان بخلاف المتقاضلين في عمل القلب علمه وإرادته وما يتبع ذلك فإنهما لا يتماثلان ولهذا يعاقب العبد على ما تركه من الإيمان بقلبه وإن قيل إن ذلك تكليف ما لا يطاق ولا يعاقب على ما عجز عنه بدنه باتفاق المسلمين فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت نفسه لا تريده ولا تحبه وليس هو معاقبا على ترك ما عجز عنه بدنه كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسلاه ولا تريده لنفريطه وتعديه إذ آيات ذلك الحق

ظاهره وهو محبوب وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة هذا الحق وعلى محبته ولكن غير فطرته بما يقلده عن غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جدعاء وإذا كان قد خلق على الصحة والسلامة فهو يستحق العقوبة على ما غيره من خلق الله بتقريره وعدوانه لاتباعه الظن وما تهوى الأنفس¹²⁷

لطائف لغوية

1- قال تعالى {الرَّحْمَنُ أَكْبَرُ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ مَمْلَكَتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }¹²⁸ {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ }² هود-12 حكيم منزه عن السفة

2- وقال تعالى { وَأَنْ اسْتَغْفِرُ وَأَرْبَكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتَّعُكُمْ مَئَانِعًا حَسَنَا إِلَى أَحْلٍ مُسَمَّى وَبُؤْتُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }³ هود 3 قال تعالى { لا يَصْلَحُهَا إِلَّا الأَشْقَى }¹⁵ { الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى }¹⁶ { الليل 15-16 أى كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في فرعون {فَكَذَبَ وَعَصَى }²¹ النازعات وقال عن جنس الكافر { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَى }³¹ { ولكن كَذَبَ وَتَوَلَّى }³² القيامة 31-32 فالتكذيب للخبر والتولى عن الأمر وانما اليمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا }¹⁵ { فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِيَلًا }¹⁶ المزمول 15-16 ولفظ التولى بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن كقوله { سَدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتَكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلٍ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }¹⁶ الفتح 16 ونمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وان الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولى عن الطاعة كما علق الذم بمطلق المعصية في مثل قوله { فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ }¹⁶ المزمول 16¹²⁹

3- قال تعالى { إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }⁴ هود 4 فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن ما شاء الله كان ولا يكون شيء إلا بقدرته وما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته وما جاز أن تتعلق به القدرة

رسالة في التوبة ج: 1 ص: 242-244¹²⁷

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407¹²⁸

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 60¹²⁹

جاز أن تتعلق به المشيئة وكذلك بالعكس وما لا فلا و لهذا قال {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 والشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كان ينال نيلًا ثم وضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى المنيل نيل المعدن و كما يسمى المقدور قدرة والمخلوق خلقاً ف قوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 20 أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شيء فوجد و منه ما لم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ} البقرة 20 يتناول ما كان شيئاً في الخارج والعلم أو ما كان شيئاً في العلم فقط بخلاف مالا يجوز أن تتناوله المشيئة وهو الحق تعالى و صفاتاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في العموم ولهاذا إنفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء¹³⁰

4- قال تعالى {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} هود 4 قادر منزه عن العجز والضعف¹³¹

5- قال تعالى {أَلَا إِنَّهُمْ يَتْلُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} هود 5 وفي الصحيح عن النبي أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث إلى آخره فذكر أربعة غشيان الرحمة وهي أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسه كما يغشى الرجل المرأة والليل النهار ثم قال ونزلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحقتهم الملائكة أى جلست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} الأعراف 54 و قوله {فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} الأعراف 189 و قوله {وَالْمُؤْتَقَكَةُ أَهْوَى} 53 فعشاهما ما عشى 54 النجم 53-54 و قوله {أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ} هود 5 هذا كله فيه احاطة من كل وجه¹³²

6- قال تعالى {أَلَا إِنَّهُمْ يَتْلُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} هود 5 وأما لفظ الذات فانها في اللغة تأنيث ذو فإذا كان الموصوف ذكرًا قيل ذو كذا وإن كان مؤنثًا قيل ذات كذا كما يقال ذات سوار وهذا اللفظ يستعمل مضافاً إلى أسماء الأجناس يتوصلون به إلى الوصف بذلك فيقال شخص ذو علم ذو مال وشرف ويعنى حقيقته أو عين أو نفس ذات علم وقدرة وسلطان ونحو ذلك وقد يضاف إلى الأعلام كقولهم ذو عمرو وذو الكلاع وقول عمر الغنى بلاه وذووه قال تعالى {فَاتَّقُوا

مجمع الفتاوى ج: 8 ص: 383¹³⁰

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407¹³¹

مجمع الفتاوى ج: 12 ص: 250¹³²

الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِينِكُمْ } الأنفال 1 و قوله { عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } هود 5 أى الخصلة والجهة
التي هي صاحبة بينكم وعليم بالخواطر ونحوها التي هي صاحبة الصدور¹³³

7- قال تعالى {وَمَا مِنْ ذَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي
كِتَابٍ مُّبِينٍ } هود⁶ والرِّزْقُ يرَادُ بِهِ شَيْئًا أَحَدُهُمَا مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعَبْدُ وَالثَّانِي
مَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ فَهَذَا الثَّانِي هُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ { وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِعُونَ } البقرة 3 و قوله {
أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } البقرة 254 و هَذَا هُوَ الْحَالَ الَّذِي مَلَكَ اللَّهُ إِيَاهُ وَأَمَّا الْأُولُ فَهُوَ
الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ { وَمَا مِنْ ذَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا } هود 6 و قوله إن نفساً لَنْ
تَمُوتْ حَتَّى تَسْتَكِنَ رِزْقَهَا وَنَحْوُ ذَلِكَ وَالْعَبْدُ قَدْ يَأْكُلُ الْحَالَ وَالْحَرَامُ فَهُوَ رِزْقُ بَهْذَا
الإِعْتَبَارِ لَا بِالإِعْتَبَارِ الثَّانِي وَمَا إِكْتَسَبَهُ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ هُوَ رِزْقُ بِالإِعْتَبَارِ الثَّانِي دُونَ الْأُولِ فَإِنْ
هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ مَالٌ وَارِثَهُ لَامَالَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ¹³⁴

8- قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوْكُمْ
أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ } هود⁷ في آيات ذكر الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما و لم يذكر وما
بينهما في آيات اخر فالسموات والأرض قد يراد بهما العلو والسفل مطلقاً فيدخل في ذلك الهواء
وغيره فإنه عال بالنسبة إلى ما تحته وسافل بالنسبة إلى ما فوقه فقد يجعل من السماء كما يجعل
السحب سماء والسفف سماء كما قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
} هود 7 ولم يقل وما بينهما كما يقول { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنُهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَأَسْلَأَ بِهِ خَيْرًا } الفرقان 59 فتارة يذكر قوله وما بينهما فيما خلقه
في ستة أيام وتارة لا يذكره وهو مراد فإن ذكره كان إيضاحاً وبياناً وإن لم يذكره دخل في لفظ
السموات والأرض¹³⁵

9- قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَبْلُوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا

مجمعو الفتاوى ج: 6 ص: 341 والصفدية ج: 1 ص: 109 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص:¹³³

334

مجمعو الفتاوى ج: 8 ص: 541¹³⁴

الحسنـة والسيئة ج: 1 ص: 156¹³⁵

سِحْرٌ مُّبِينٌ } هود 7 وهذه اللام الأولى تسمى اللام الموطئة للقسم واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب الشرط والقسم

136

10- قال تعالى { وَلَئِنْ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْسُنُهُ أَلَا يَوْمٌ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرُونَ }⁸ { وَلَئِنْ أَدْفَنَا إِلَيْهِمْ مَنَا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُونَ كُفُورٌ }⁹ { وَلَئِنْ أَدْفَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْلِكًا لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرْحٌ فَخُورٌ }¹⁰ } هود 8-10 وهذه اللام الأولى تسمى اللام الموطئة للقسم واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب الشرط والقسم جميعاً ودخلت اللام الموطئة على اداة الشرط ونظير اللام الموطئة في قوله { وَلَئِنْ أَثْيَتَ الَّذِينَ أَوْثَوْا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْغُوا قِبْلَتَكَ } البقرة 145 ونظير هذه الآية قوله { وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ } العنكبوت 10 وقوله { وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } الإسراء 86¹³⁷

11- قال تعالى { وَلَئِنْ أَدْفَنَا إِلَيْهِمْ مَنَا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَوْسُونَ كُفُورٌ }⁹ { وَلَئِنْ أَدْفَنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْلِكًا لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرْحٌ فَخُورٌ }¹⁰ { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا }¹³⁸ } 11- هود 9-11 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة

12- قال تعالى { فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود 14 لفظ العلم يضاف تارة إلى العلم وتارة إلى المعلوم فال الأول قوله { أَنَّمَا أَنْزَلِ بِعِلْمِ اللَّهِ }¹³⁹

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121¹³⁶

الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 453 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121¹³⁷

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65¹³⁸

الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 137¹³⁹

13- قال تعالى { فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود¹⁴ أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذى ارتضاه الله وبعث به رسنه هو الاستسلام لله وحده فاصله فى القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه لها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام فى الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح
¹⁴⁰

14- قال تعالى { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَنَاهُ شَاهِدٌ مُّنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُّرُ بِهِ مِنَ الْأَخْرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَأْكُ فِي مِرْيَةٍ مَّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } هود¹⁷ ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة
الخالصة هي الجنة¹⁴¹

15- قال تعالى { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتَنَاهُ شَاهِدٌ مُّنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُّرُ بِهِ مِنَ الْأَخْرَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَأْكُ فِي مِرْيَةٍ مَّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } هود¹⁷ وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بلفظ التوراة في غير موضع¹⁴²

16- قال تعالى { الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعَثُونَهَا عِوَاجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } هود¹⁹ يستعمل لازما يقال صد صدودا اي اعرض كما قال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنَّكَ صُدُّودًا } النساء⁶¹ ويقال صد غيره يصده والوصفات يجتمعان فيهـ¹⁴³

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271¹⁴⁰

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65¹⁴¹

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 243¹⁴²

مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 42 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 61¹⁴³

17- قال تعالى {أَوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَيَاءٍ
بُضَاعَفَ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُنْصَرُونَ } هود 20

وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره ¹⁴⁴

19- قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ } هود 23 ان الجنة هي الدار الجامدة لكل نعيم واعلى ما فيها النظر الى وجه الله
وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما اخبرت به النصوص وكذلك اهل النار فانهم محظوظون
عن ربهم يدخلون النار ¹⁴⁵

20- قال تعالى {مَثُلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هُنْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ } هود 24 التسوية جعل الشيئين سواء كما قال {وَمَا يَسْتُوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
فاطر 19 ¹⁴⁶

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418¹⁴⁴

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65¹⁴⁵

مجمع الفتاوى ج: 16 ص: 136¹⁴⁶

49-25 هود

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}25 {أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمَ الْيَمِ}26 {فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعْكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظَنْنُكُمْ كَاذِبِينَ}27 {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّنْ رَّبِّيِّ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزْمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}28 {وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلْكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكُنِي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}29 {وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}30 {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرْدِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ}31 {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ حَدَّالَنَا فَاتَّنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}32 {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ}33 {وَلَا يَفْعُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}34 {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ}35 {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}36 {وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرِقُونَ}37 {وَيَصْنَعِ الْفَلَكَ وَكُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخْرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخِرُوا مِنَنَا فَإِنَّا نَسْخُرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخِرُونَ}38 {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}39 {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ الشَّوْرُ فَلَنَا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}40 {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاها وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}41 {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ الْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنْيَ ارْكِبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ}42 {قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلِ يَعْصَمِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ}43 {وَقَيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءُكَ وَيَا سَمَاءَ أَقْلِعِي وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوْتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقَيْلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}44 {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ بُنْيَ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}45 {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلَكَ إِنَّهُ عَمَلَ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}46 {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا

تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ {47} قَيْلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مَّنَّا
وَبَرَكَاتٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مَّمَنْ مَعَكَ وَأَمَّمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَّنَا عَذَابٌ
الْآيُمُ {48} تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحيَهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقِّنِ {49}

الدعوة الى توحيد الله عز وجل

قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} {25} أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ أَلِيمٌ} {26} هود 25-26 ان الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه
السلام على التوحيد والاخلاص كما كان عليه ابوهم آدم ابو البشر عليه السلام حتى ابتدعوا
الشرك وعبادة الأوثان بدعة من تقاء انفسهم لم ينزل الله بها كتابا ولا ارسل بها رسولا بشبهات
زينها الشيطان من جهة المقايس الفاسدة والفلسفه الحائنة قوم منهم زعموا ان التماذيل طلاسم
الكواكب السماوية والدرجات الفلكية والأرواح العلوية وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم
من الانبياء والصالحين وقوم جعلوها لأجل الارواح السفلية من الجن والشياطين وقوم على
ماذهب آخر واكثرهم لرؤسائهم مقلدون وعن سبيل الهدى ناكبون فابتعدت الله نبيه نوح عليه
السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه وان زعموا انهم
يعبدونهم ليتقربوا بهم الى الله زلفى ويتخذونهم شفعاء فمكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فلما
اعلمه الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن دعا عليهم فاغرق الله تعالى اهل الارض بدعوته
وجاءت الرسل بعده تترى ¹⁴⁷

الغاية التي فيها صلاح للنفس

قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} {25} أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٌ أَلِيمٌ} {26} هود 25-26 ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس
وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون
 fasade لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى
{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقد قال
تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميده التي بها يحصل
كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث
الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكي وتنعم إلا بهذا ولفظ العبادة
يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبًا للإله المعبد كمال الحب ولا بد أن
يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده
وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك
يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث
هو معبودها ومتنهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء
وخلقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما

سواء وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشأه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيا في طعامه ونکاحه وكان حكما شجاعا¹⁴⁸

"ضعاؤهم هم أتباع الرسول "

قال تعالى { فَقَالَ الْمَلَائِكَةِ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِنْنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } 27 { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَاتَّقَى رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَيْتُ عَلَيْكُمُ الْتَّزْمُكُومُهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } 28 { وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بُطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكُنِّي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَحْمِلُونَ } 29 { وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 30 { هود 27-30 }

كان سعد وابن مسعود وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردتهم فنهاه الله عن ذلك وأنزل { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 52 إلى قوله { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } الأنعام 53 وقوله { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمَا وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِمُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَبْلَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هُوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } الكهف 28 وقال في المستضعفين من المؤمنين { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } 29 { وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ } 30 { وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ افْكَبُوا فَكَبَّهُمْ } 31 { وَإِذَا رَأُوهُمْ فَالَّوَا إِنَّ هُوَلَاءِ لَضَالِّوْنَ } 32 { وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِيْنَ } 33 { فَالْيَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } 34 { عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } 35 { المطففين 29-34 وقال { زِينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَسْخُرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوا فَوْقَهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعِنْدِ حِسَابِ الْبَقْرَةِ } 212 وقال { وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرُفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْكُنُرُونَ } 48 { أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةِ الْجَنَّةِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْرُنُونَ } 49 { الأعراف 48-49 وقال { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَسْرَارِ } 62 { أَتَحَدَّثُنَا هُمْ سُخْرِيَاً أَمْ رَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ } 63 ص 62-63 وقال عن قوم نوح { قَالُوا أَلَوْمَنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ } الشعراة 111 وقال تعالى { فَقَالَ الْمَلَائِكَةِ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِنْنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } هود 27 وقال عن قوم صالح { قَالَ الْمَلَائِكَةِ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَنَّعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } 75 { قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } 76 { الأعراف 75-76 وفي الصحيحين أن هرقل سأله أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشراف الناس اتبعوه أم ضعاؤهم قال بل ضعاؤهم قال هم أتباع الرسل ¹⁴⁹

الجواب الصحيح ج: 6 ص: 32¹⁴⁸

منهج السنة النبوية ج: 8 ص: 544-545¹⁴⁹

الكفار بالرسل يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي

{ فَقَالَ الْمَلِأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مَّثُلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا
بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } هود 27

والكفار بالرسل من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وقوم إبراهيم وموسى ومشركى العرب والهند والروم والبربر والترك واليونان والكشانيين وسائر الأمم المتقدمين والمستاخرين يتبعون ظنونهم واهواءهم ويعرضون عن ذكر الله الذى آتاهم من عنده كما قال لهم لما اهبط آدم من الجنة { فَإِنَّمَا يَأْتِيُكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى أَفَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُنُونَ } 38 والذين كفروا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } 39 البقرة 39-38 وفي موضع آخر { فَإِنَّمَا يَأْتِيُكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى أَفَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُى } 123 ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكًا وَنَحْسِرُهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } 124 طه 124-123 الآية وفي أخرى { إِنَّمَا يَأْتِيُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يُقْصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي } الأعراف 35 ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة ويسمون أنفسهم الحكماء وال فلاسفة ويدعون الجدل والكلام والقوة والسلطان والمال ويصفون إتباع المرسلين بأنهم سفهاء واراذل وضلالي ويسخرون منهم قال الله تعالى عن قوم نوح { فَقَالَ الْمَلِأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مَّثُلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } هود 27 { قَالُوا
أَنُؤْمِنُ لَكُمْ وَاتَّبَعْتُمُ الْأَرْذَلُونَ } الشعراة 111¹⁵⁰

المسلك الشخصى استدل به هرقل ملك الروم

والمسلك الشخصى استدل به هرقل ملك الروم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام طلب هرقل من كان هنا من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فسأل أبو سفيان وأمر الباقيين إن كذب أن يكتبوه فصار يجدهم موافقين له في الأخبار فسألهم ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق فقال وسائلكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم فقلتم ضعفاوهم وهم إتباع الرسل قال بهذه علامات الرسل وهو اتباع الضعفاء له ابتداء قال الله تعالى حكاية عن قوم نوح { فَقَالَ الْمَلِأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مَّثُلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ } 27 { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عَنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُ مُكْمُوْهَا وَأَنْثَمْ لَهَا كَارْهُونَ } 28 { وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنَّي أَرَأْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ } 29 { وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنْ طَرَدَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 30 { هود 27-30 }¹⁵¹ قالوا أنُؤْمِنُ لَكُمْ وَاتَّبَعْتُمُ الْأَرْذَلُونَ } الشعراة 111

أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَنْجِ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ

وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال قيل هو الإيمان وهم إسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذا القولان لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الإسلام والإيمان ففسر الإسلام بالاعمال الظاهرة والإيمان بالإيمان بالأسواع الخمسة فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلما ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الإسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبيه والوعد الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلم باسم الإيمان وأما اسم الإسلام مجرداً مما علق به في القرآن دخول الجنة لكنه فرضه وأخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه وبالإسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} آل عمران 19 وقال نوح {بَا قَوْمٍ إِنْ كَانَ كُبَرَ أَعْلَمُكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكِّلْتُ فَاجْمِعُوهُ أَمْرُكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ ثُمَّ افْصُوْا إِلَيْيَ وَلَا تُنْظَرُوْنَ} 71 {فَإِنْ تَوَلَّيْمُ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ} 72 {يُونس} 71-72 أو وقد أخبر أنه لم ينج من العذاب المؤمنين فقال {فَلَنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَجُلٍ اثْنَيْنِ وَاهْلَكِ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 وقال {وَأَوْحِيَ إِلَيْنَا نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمٍ كِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ} هود 36 وقال نوح {وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوْهُمْ وَلَكِنِي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَ} 30 {وَيَا قَوْمَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ} 30 هود 29-30¹⁵²

تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله

قال تعالى {وَيَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوْهُمْ وَلَكِنِي أَرَأَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَ} هود 29 أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وهذا مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام ليس هذا مما يخفى على أحد من نشأ بديار الإسلام والصحابة والتابعون وتابعوا التابعين وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجرة ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة أصلاً فإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر والأنبياء صلوات الله عليهم إنما كانوا يعلمون العلم بغير أجرة كما قال نوح عليه السلام {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَ} الشعراء 109 وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم وكذلك قال خاتم الرسل {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِيْنَ} ص 86 وقال {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا} الفرقان 57 وتعليم القرآن والحديث والفقه وغيرها ذلك بغير أجرة لم يتتسّع العلماء في أنه عمل صالح فضلاً عن أن يكون جائزًا بل هو من فروض الكفاية فإن تعليم العلم الذي بينه فرض على الكفاية كما قال النبي في الحديث الصحيح بلعوا عنى ولو آية وقال ليبلغ الشاهد الغائب¹⁵³

توسط البشر بالرسالة

وقال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلَنَا أَجَعَنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الْهَمَّ يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ } النحل 36 وقال تعالى وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وقد اخبر الله عن اول الرسل نوح عليه السلام ومن بعده من الرسل انهم قالوا لقومهم { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وقال نوح {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ } هود 31 وكذلك قال لخاتم الرسل { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } الأنعام 50 فتوسط البشر بالرسالة مثل توسط الملك بالرسالة كما قال تعالى {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } الحج 75¹⁵⁴

من يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فهذا كفر

صريح وجهل قبيح

قال تعالى {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ } هود 31 فأن الأمر كله لله¹⁵⁵

فمن يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم ان النبي صلى الله عليه واله وسلم كان كذلك وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن وتسلسل إلى شيخه فيبيت أن هذا كفر صريح وجهل قبيح وأن دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كفر دع ما سواه وقد قال الله تعالى { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ } هود 31¹⁵⁶

صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة العلم والقدرة والغنى وان شئت ان تقول العلم والقدرة والقدرة إما على الفعل وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول اجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال الا الله وحده فانه الذى احاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قادر وهو غنى عن العالمين وقد امر الرسول ان يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَرَائِنَ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } الأنعام 50

الرد على المنطقين ج: 1 ص: 538¹⁵⁴

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 307¹⁵⁵

زيارة القبور ج: 1 ص: 75¹⁵⁶

وكذلك قال نوح عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم كلاهما يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول تارة بعلم الغيب كقوله {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ} الأنبياء 38 و {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} الأعراف 187 وتارة بالتأثير قوله {وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَقْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} 90 أو تكون لك جنة من نخيل ونبت فتجعل الآثار خاللها تفجيرًا 91 أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كَسْفًا أو تأتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} 92 أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن تؤمن لرقتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرره قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً 93 الإسراء 93-90 وтара يعيين عليه الحاجة البشرية كقوله {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا} 7 أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها 8 الفرقان 7-8 فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ولا يملك خزان الله ولا هو ملك غنى عن الأكل والمال إن هو إلا متبع لما اوحى إليه واتباع ما اوحى إليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته علمًا وعملا بالباطن والظاهر وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه اياه ويكدر منه على ما اقدره الله عليه ويستغنى بما اغناه الله عنه من الامور المخالفة للعادة المطردة او لعادة غالب الناس¹⁵⁷

أن يقال الخوارق ثلاثة أنواع منها ما هو من جنس الغناء عن الحاجات البشرية ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر ومنها ما هو من جنس المقدورات الخارجية عن قدرة البشر ولهذا قال نوح عليه السلام وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 فالغناء من جنس الاستغاثة عن الأكل والشرب مدة والعلم من جنس الإخبار عن الغيوب والقدرة من جنس الأفعال الشاقة بيده والتصرف في العناصر بالاستحللة والزلزلة ونحو ذلك¹⁵⁸

دعاء الميت والغائب والاستغاثة به من افعال المشركين وعبادات الضالين

والشيوخ الذين يقتدى بهم يدللون عليه ويرشدون إليه بمنزلة الأنمة في الصلاة يصلون ويصلّى الناس خلفهم وبمنزلة الدليل الذي للحاج هو يدخلهم على البيت وهو وهو جميعاً يبحرون إليه ليس لهم من الإلهية نصيب بل من جعل لهم شيئاً من ذلك فهو من جنس النصارى المشركين الذين قال الله في حقهم {إِنَّهُمْ لَا يَخْدُنُونَ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا إِلَّا هُوَ سُبْحَانُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 وقد قال نوح عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرْدِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتَيْهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} هود 31 وهكذا امر الله محمداً ان يقول فليس لأحد ان يدعوا شيخاً ميتاً أو غائباً بل ولا يدعوه ميتاً ولا غائباً لا من الأنبياء ولا غيرهم فلا يقول لأحد هم يا سيدى فلان أنا فى حسبك او فى جوارك ولا يقول بك استغثت وبك

استجير ولا يقول إذا عثر يافلان ولا يقول محمد وعلى ولا السيدة نفيسة ولا سيدى الشيخ احمد ولا الشيخ عدى ولا الشيخ عبدالقادر ولا غير ذلك ولا نحو ذلك مما فيه دعاء الميت والغائب ومسئلته والاستغاثة به والاستئصال به بل ذلك من افعال المشركين وعبادات الضالين ومن المعلوم ان سيد الخلق محمد وقد ثبتت فى صحيح البخارى ان الناس لما اجدبوا استنقوا عمر بالعباس وقال اللهم إنا إذا اجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل بعم بنينا فاسقنا فيسوقون فكانوا فى حياة النبي يتتوسلون بدعائهما وشفاعته لهم كما يتتوسل به الناس يوم القيمة ويستشفعون به إلى ربهم فيأذن الله له فى الشفاعة فيشفع لهم إلا ترى الله يقول {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } البقرة 255 وقال تعالى {قُلْ أَدْعُوَا الَّذِينَ زَعَمْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَالَ ذَرْرَةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ هُنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } 22 {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذْنَ لَهُ } 23 {سباء 22-23} فيبين سبحانه ان المخلوقات كلها ليس لأحد منها شيء في الملك ولا له شريك فيه ولا له ظهير اي معين الله تعالى كما تعاون الملوك وبين ان الشفاعة عنده لا تفع الا لمن اذن له واذا كان يوم القيمة يجئ الناس إلى آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فيطلبون الشفاعة منهم فلا يشفع لهم احد من هؤلاء الذين هم سادة الخلق حتى يأتوا محمدا صلي الله عليه وسلم فيأتي ربه فيحمدته بمحامده ويسجد له فإذا اذن له في الشفاعة شفع لهم بهذه حال هؤلاء الذين هم أفضل الخلق فكيف غيرهم فلما مات النبي لم يكونوا يدعونه ولا يستغيثون به ولا يطلبون منه شيئا لا عند قبره ولا بعيدا من قبره بل ولا يصلون عند قبره ولا قبر غيره لكن يصلون عليه ويطبلون امره ويتبعون شريعته ويقومون بما احبه الله تعالى من حق نفسه وحق رسوله وحق عباده المؤمنين فانه قال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله رسوله وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا بعد ¹⁵⁹

الرد على الذين يقولون ان الملائكة افضل من البشر

وها نحن نذكر ما احتاجوا به قوله تعالى لنبيه **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ}** الأنعام 50 ومثله هود **{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنِّي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ}** هود 31 فالإحتجاج في هذا من وجوه أحداها أنه قرن استقرار خزاناته وعلم الغيب ببنفس القول بأنه ملك وسلبها عن نفسه في نسق واحد فإذا كان حال من يعلم الغيب ويقدر على الخزانة أفضلا من حال من لا يكون كذلك وجب أن يكون حال الملك أفضلا من حال من ليس بملك وإن كان نبينا كما في الآية وثانيها أنه إنما نفى عن نفسه حالا أعظم من حاله الثابتة ولم ينف حالا دون حاله لأن من اتصف بالأعلى فهو على ما دونه أقدر على أن حال الملك أفضلا من حاله أن يكون ملكا وهو المطلوب وثالثها ما ذكر القاضى أنه لو لا ما استقر في نفوس المخاطبين من أن الملك أعظم لما حسن مواجهتهم بسلب شيء هو دون مرتبته وهذا الإعتقداد الذي كان في نفوس المخاطبين أمر قرروا عليه ولم ينكرو عليهم فثبت أنه حق والجواب من وجوه أحداها أنه نفى أن يكون عالما بالغيب وعنه خزانة الله ونفى أن يكون ملكا لا يأكل ولا يشرب ولا يتمتع وإذا نفى ذلك عن نفسه لم يجب أن يكون الملك افضل منه لأن ترى انه لو قال ولا أنا كاتب ولا أنا قاريء لم يدل على ان الكاتب والقاريء أفضلا من ليس بكاتب ولا قاريء فلم يكن في الآية حجة وأيضا ما قال القاضى أنهم طلبوا صفات الأولوية وهي العلم والقدرة والغنا وهي ان يكون عالما بكل شيء قديرا على كل شيء غنيا عن كل شيء فسلب عن نفسه صفات الأولوية وللهذا قالوا **{مَالٌ هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي**

الْأَسْوَاق} الفرقان 7 وقال تعالى محتاجا عنه {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} الفرقان 20 فكأنهم أرادوا منه صفة الملائكة أن يكون متibusa بها فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والبشر لهم أجوف يأكلون ويسربون فكان الأمر إلى هذه الصفة وهذا بين ان شاء الله وثانيها أن الآخر اكمل في امر من الامور فنفي عن نفسه حال الملك في ذلك ولم يلزم ان يكون له فضيلة يمتاز بها وقد تقدم مثل هذا فيما ذكر من حال الملك وعظمته وانه ليس للبشر من نوعه مثله ولكن لم لا قلت من غير نوعه للبشر ما هو افضل منه ولهذا اذا سئل الإنسان عما يعجز عنه قد يقول لست بملك وان كان المؤمن افضل من حال الجن والملك من الملوك وثالثها ان أقصى ما فيه تفضيل الملك في تلك الحال ولو سلم ذلك لم ينف أن يكون فيما بعد افضل من الملك ولهذا تزيد قدرته وعلمه وغناه في الآخرة وهذا كما لو قال الصبي لا اقول انى شيخ ولا اقول انى عالم ومن الممكن ترقيه الى ذلك وأكمل منه¹⁶⁰

ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها

ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحجتهم وجوابها فهذا كثير جداً فإنه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة في النبوات وتارة في المعاد وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها كما أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى عن قوم نوح {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جَدَلَنَا فَأَتَتْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} 32 {قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيْكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِيْنَ} 33 هود 32-33

وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره¹⁶²

مجمع الفتاوى ج: 4 ص: 382-384¹⁶⁰

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 230¹⁶¹

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418¹⁶²

الإرادة في كتاب الله نوعان

إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلق الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء وملكيه سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء إلا بمشيئته وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والاذن والتحريم والبعث والرسال والكلام والجعل بين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت أصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقين وبين الدينى الذي أمر به وشرعه وأثاب عليه وذكرهم وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنته الغالبين وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه فمن استعمله الرب سبحانه تعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من أوليائه ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من أعدائه ف الإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وارادته الكونية والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتداولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح قال الله تعالى في الإرادة الكونية {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَائِنًا يَصَدَّعُ فِي السَّمَاوَاتِ} الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام لقومه {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} هود 34 وقال تعالى {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقُوَّمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالْ} الرعد 11 وله شاء الله ما أفتلوه ولكن الله يفعل ما ي يريد } البقرة 253 وقال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وقال تعالى في الإرادة الدينية {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَدْدُهُ مِنْ أَيَّامِ أَخْرَى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال في آية الطهارة {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلَيُتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} المائدة 6 وقال {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا} الأحزاب 33 ولما ذكر ما أحله وما حرم من النكاح قال {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} 26 و {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} 27 {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِيَ عَنْكُمْ وَخَلْقَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا} 28 النساء 26-28 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعي هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرة وإن كان مستلزمًا للإرادة الدينية الشرعية¹⁶³

¹⁶³ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 266 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 25 و مجموع الفتاوى ج:

2 ص: 412 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 157 و الجواب الصحيح ج: 1 ص: 150 و

أمراض القلوب ج: 1 ص: 46 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 582 و الزهد والورع والعبادة ج:

1 ص: 23 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 46 و رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص:

127 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 440

أهل الكفر والمعصية لم يرد الله أن يخلق طاعتهم لكنه أمرهم بها

أن الإرادة نوعان إرادة أن يخلق وإرادة لما أمر به فأما المأمور به فهو مراد إرادة شرعية دينية متضمنة أنه يجب ما أمر به ويرضاه وهذا معنى قولنا ي يريد من عبده فهو يريده له كما يريده الأمر الناصح للمأمور المنصوح يقول هذا خير لك وأفعن لك وهو إذا فعله أحبه الله ورضيه والمخلوقات مراده إرادة خلقية كونية وهذه الإرادة متضمنة لما وقع دون ما لم يقع وقد يكون الشيء مرادا له غير محظوظ بل أراده لفضائه إلى وجود ما هو محظوظ له أو لكونه شرطا في وجود ما هو محظوظ له

فهذه الإرادة الخلقية هي المذكورة في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَاجًا} الأنعام 125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ تُصْحِي إِنْ رَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغُويْكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وفي قوله {وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْتُمْ كُلُّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 وأمثال ذلك والإرادة الأمرية هي المذكورة في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وفي قوله {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ أَكْمَ وَيَهْدِيْكُمْ سُنْنَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَثْبُتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكْمٌ} 26 {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيَلًا عَظِيمًا} 27 {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} 28 النساء 26-28 وفي قوله {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطْهِرَكُمْ وَلَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ} المائدة 6 وأمثال ذلك

وإذا قيل الأمر هل يستلزم الإرادة أم يأمر بما لا يريده قيل هو لا يستلزم الإرادة الأولى وهي إرادة الخلق فليس كل ما أمر الله به أراد أن يخلقه وأن يجعل العبد المأمور فاعلا له والقدرة تنفي أن يريده ذلك لأنه عندهم لا يجعل أحدها فاعلا ولا يخلق فعل أحد وأما أهل السنة فعندهم هو الذي جعل الأبرار أبرا و المسلمين مسلمين وعندهم من أمره وجعله فاعلا للمأمور صار فاعلا له وإن لم يجعله فاعلا له لم يصر فاعلا له فأهل الإيمان والطاعة أراد منهم إيمانهم وطاعتهم أمرا وخلقها فامرهم بذلك وأعانتهم عليه وجعلهم فاعلين لذلك ولو لا إعانته لهم على طاعته لما أطاعوه وأهل الكفر والمعصية أمرهم ولم يجعلهم مطععين فلم يرد أن يخلق طاعتهم لكنه أمرهم بها وأرادها منهم إرادة شرعية دينية لكونها منفعة لهم ومصلحة إذا فعلوها ولم يرد هو أن يخلقها لها في ذلك من الحكمة وإذا كان يحبها بتقدير وجودها فقد يكون ذلك مستلزمًا لأمر يكرهه أو لفوائد ما هو أحب إليه منه ودفعه أحب إليه من حصول ذلك المحظوظ فيكون ترك هذا المحظوظ لدفع المكره أحب إليه من وجوده كما أن وجود المكره المستلزم لوجود المحظوظ يجعله مرادا لأجله إذا كان محبته له أعظم من محبته لعدم المكره الذي هو الوسيلة وليس كل من نصحته بقولك عليك أن تعينه على الفعل الذي أمرته به فالأنبياء والصالحون دائمًا ينصحون الناس ويأمرونهم ويدلونهم على ما إذا فعلوه كان صلحا لهم ولم يعاونونهم على أفعالهم وقد يكونون قادرين لكن مقتضى حكمتهم أن لا يفعلوا ذلك لأسباب متعددة والرب تعالى على كل شيء قادر لكن ما من شيء إلا وله ضد ينافي له لازم لا بد منه فيمتنع وجود الضدين معا أو وجود الملازم بدون اللازم كل من الضدين مقدر الله والله قادر على أن يخلقه لكن بشرط عدم الآخر فاما وجود الضدين معا فممتنع لذاته فلا يلزم من كونه قادرًا على كل منهما وجود أحدهما مع الآخر والعبد قد لا يعلمون التنافي أو التلازم فلا يكونون عالمين بالامتناع فيظنوه ممكنا الوجود مع حصول المحظوظ المطلوب للرب وفرق بين العلم بالإمكان وعدم العلم بالإمكان وإنما عندهم عدم العلم بالامتناع لا العلم بالإمكان وعدم لا فاعل له فأنروا من عدم علمهم وهو الجهل

الذي هو أصل الكفر وهو سبحانه إذا اقتضت حكمته خلق شيء فلا بد من خلق لوازمه ونفي أضداده فإذا قال القائل لم يجعل معه الضد المنافي أو لم وجِد اللازم كان عدم علمه بالحقائق وهذا مثل أن يقول القائل هلا خلق زيدا قبل أبيه فيقال له يمتنع أن يكون ابنه ويخلق قبله أو يخلق حتى يخلق أبوه والناس تظاهر لهم الحكمة في كثير من تفاصيل الأمور التي يتذربونها كما تظاهر لهم الحكمة في ملوحة ماء العين وعذوبة ماء الفم ومرارة ماء الأذن وملوحة ماء البحر وذلك يدلهم على الحكمة فيما لم يعلموا حكمته فإن من رأى إنسانا بارعا في النحو أو الطب أو الحساب أو الفقه وعلم أنه أعلم منه بذلك إذا أشـكـلـ عـلـيـهـ بـعـضـ كـلـامـهـ فـلـمـ يـفـهـمـهـ سـلـمـ ذـلـكـ إـلـيـهـ فـرـبـ الـعـالـمـيـنـ الـذـيـ بـهـرـتـ الـعـقـولـ حـكـمـتـهـ وـرـحـمـتـهـ الـذـيـ أـحـاطـ بـكـلـ شـيـءـ عـلـمـ وـأـحـصـىـ كـلـ شـيـءـ عـدـدـاـ وـهـوـ أـرـحـمـ الـراـحـمـيـنـ وـأـحـكـمـ الـحـاـكـمـيـنـ وـأـرـحـمـ بـعـبـادـهـ مـنـ الـوـالـدـةـ بـوـلـدـهـ كـيـفـ لـاـ يـجـبـ عـلـىـ

العبد أن يسلم ما جله من حكمته إلى ما علمه منها¹⁶⁴

الاعتلal بالقدر ذنب

قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكمـا ووسع كل شيء رحمة وعلما فـماـ منـ ذـرـةـ فـيـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـلـاـ مـعـنـىـ مـنـ الـمـعـانـيـ إـلـاـ وـهـوـ شـاهـدـ اللـهـ تـعـالـىـ بـتـمـامـ الـعـلـمـ وـالـرـحـمـةـ وـكـمـالـ الـقـدـرـ وـالـحـكـمـةـ وـمـاـ خـلـقـ خـلـقـ باـطـلـاـ وـلـاـ فـعـلـ شـيـئـاـ عـبـثـاـ بـلـ هـوـ الـحـكـيمـ فـيـ أـفـعـالـهـ وـأـقـوـالـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ثـمـ مـنـ حـكـمـتـهـ مـاـ أـطـلـعـ خـلـقـ بـعـضـهـمـ وـمـنـهـ مـاـ إـسـتـأـثـرـ سـبـحـانـهـ بـعـلـمـهـ وـإـرـادـتـهـ قـسـمـانـ إـرـادـةـ أـمـرـ وـتـشـرـيـعـ وـإـرـادـةـ قـضـاءـ وـتـقـدـيرـ فـالـقـسـمـ الـأـوـلـ إـنـمـاـ يـتـعـلـقـ بـالـطـاعـاتـ دـوـنـ

الـمـعـاـصـيـ سـوـاءـ وـقـعـتـ أـوـ لـمـ تـقـعـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ {يـرـيـدـ اللـهـ لـيـتـيـنـ لـكـمـ وـيـهـدـيـكـمـ سـنـنـ الـذـيـنـ مـنـ قـيـلـكـمـ وـيـتـوـبـ عـلـيـكـمـ وـالـلـهـ عـلـيـمـ حـكـيـمـ} النساء 26 وـقـوـلـهـ {يـرـيـدـ اللـهـ بـكـمـ الـيـسـرـ وـلـاـ يـرـيـدـ بـكـمـ الـعـسـرـ} البقرة 185 وأـمـاـ الـقـسـمـ الـثـانـيـ وـهـوـ إـرـادـةـ التـقـدـيرـ فـهـيـ شـامـلـةـ لـجـمـيعـ الـكـائـنـاتـ مـحـيـطـةـ بـجـمـيعـ الـحـادـثـاتـ وـقـدـ أـرـادـ مـنـ الـعـالـمـ مـاـ هـمـ فـاعـلـوـهـ بـهـذـاـ الـمـعـنـىـ لـاـ بـالـمـعـنـىـ الـأـوـلـ كـمـاـ فـوـلـهـ تـعـالـىـ {فـمـنـ يـرـدـ اللـهـ أـنـ يـهـدـيـهـ يـسـرـخـ صـدـرـهـ لـلـإـسـلـامـ وـمـنـ يـرـدـ أـنـ يـضـلـلـهـ يـجـعـلـ صـدـرـهـ ضـيـقـاـ حـرـاجـاـ} الأنعام 125 وفي قوله {وـلـاـ يـنـفـعـكـمـ نـصـحـيـ إـنـ أـرـدـتـ أـنـ أـنـصـحـ لـكـمـ إـنـ كـانـ اللـهـ يـرـيـدـ أـنـ يـغـوـيـكـمـ} هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن ونظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تشريعا ما أراد به تقديرها والعبد الشفقي من أراد به تقديرها ما أراد به تشريعها والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأفعال بهاتين العينين كان بصيرا ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعزور مثل قريش الذين قالوا {لـوـ شـاءـ اللـهـ مـاـ أـشـرـكـنـاـ وـلـاـ أـبـأـوـنـاـ وـلـاـ حـرـمـنـاـ مـنـ شـيـءـ} الأنعام 148 قال الله تعالى {كـذـلـكـ كـذـبـ الـذـيـنـ مـنـ قـبـلـهـ حـتـىـ ذـاقـوـاـ بـأـسـنـاـ قـلـ هـلـ عـنـدـكـمـ مـنـ عـلـمـ فـتـحـرـ جـوـهـ لـنـاـ إـنـ تـتـبـعـونـ إـلـاـ الـظـنـ وـإـنـ أـنـتـمـ إـلـاـ تـحـرـصـوـنـ} الأنعام 148 فـانـ هـؤـلـاءـ اـعـتـقـدـوـاـ أـنـ كـلـ مـاـ شـاءـ اللـهـ وـجـوـهـ وـكـوـنـهـ وـهـيـ إـلـاـرـادـةـ الـقـدـرـيـةـ فـقـدـ أـمـرـ بـهـ وـرـضـيـهـ دـوـنـ إـلـاـرـادـةـ الـشـرـعـيـةـ ثـمـ رـأـواـ أـنـ شـرـكـهـمـ بـغـيـرـ شـرـعـ مـاـ قـدـ شـاءـ اللـهـ وـجـوـهـ قـالـوـاـ فـيـكـوـنـ قـدـ رـضـيـهـ وـأـمـرـ بـهـ قـالـ اللـهـ هـكـذاـ كـذـبـ الـذـيـنـ مـنـ قـبـلـهـمـ بـالـشـرـاعـ مـنـ الـأـمـرـ وـالـنـهـيـ حـتـىـ ذـاقـوـاـ بـأـسـنـاـ {قـلـ هـلـ عـنـدـكـمـ مـنـ عـلـمـ}

فَتُخْرِجُهُ لَنَا } الأَنْعَام 148 بِأَنَّ اللَّهَ شَرَعَ الشَّرْكَ وَتَحْرِيمَ مَا حَرَمْتُوهُ إِنْ تَتَبَعُونَ فِي هَذَا إِلَّا الظُّنُونُ
وَهُوَ تَوْهِمُكُمْ أَنْ كُلَّ مَا قَدْرُهُ فَقَدْ شَرَعَهُ { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأَنْعَام 148 أَيْ تَكْذِيبُونَ
وَتَقْرُونَ بِإِبطَالِ شَرِيعَتِهِ { قُلْ فَلَلِهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } الأَنْعَام 149 عَلَى خَلْقِهِ حِينَ أَرْسَلَ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ
فَدَعُوكُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ شَاءَ هُدُى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَى مَتَابِعَةِ شَرِيعَتِهِ لَكُنَّهُ يَمْنُونَ
عَلَى مِنْ يَشَاءُ فِيهِدِيهِ فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَيَحْرِمُ مِنْ يَشَاءُ لَأَنَّ الْمُتَقْضِلَ لَهُ أَنْ يَتَقْضِلَ وَلَهُ أَنْ لَا
يَتَقْضِلَ فَتَرَكَ تَقْضِلَهُ عَلَى مِنْ حَرَمَهُ عَدْلُ مِنْهُ وَقُسْطُ وَلِهِ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ بِالْغَةٍ وَهُوَ يَعْاقِبُ الْخَلْقَ
عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِرَادَتِهِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِإِرَادَتِهِ الْقَرِيرَةِ فَإِنَّ الْقَدْرَ كَمَا جَرِيَ بِالْمُعَصِيَةِ
جَرِيَ أَيْضًا بِعَقَابِهَا كَمَا أَنَّهُ سَبَحَانَهُ قَدْ يَقْدِرُ عَلَى الْعَبْدِ أَمْرًا صَاحِبَتْ تَعْقِبَهُ الْآمَانَا فَالْمَرْضُ بِقَدْرِهِ وَالْآلَمُ
بِقَدْرِهِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ قَدْ تَقْدَمَتِ الْإِرَادَةُ بِالذَّنْبِ فَلَا أَعْاقِبُ كَمَا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الْمَرْيَضِ قَدْ تَقْدَمَتِ
الْإِرَادَةُ بِالْمَرْضِ فَلَا أَنْتَلُمُ أَوْ قَدْ تَقْدَمَتِ الْإِرَادَةُ بِأَكْلِ الْحَارِ فَلَا يَحِمُّ مَرْاجِيُّ أَوْ قَدْ تَقْدَمَتِ بِالْضَّرِبِ
فَلَا يَتَلَمُ الْمَضْرُوبُ وَهَذَا مَعَ أَنَّهُ جَهَلَ فِيهِ لَا يَنْفَعُ صَاحِبُهُ بِلِ اعْتَلَالِهِ بِالْقَدْرِ ذَنْبُ ثَانٍ يَعْاقِبُ عَلَيْهِ
أَيْضًا وَإِنَّمَا اعْتَلَ بِالْقَدْرِ إِبْلِيسَ حِيثُ قَالَ { بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَعْوِنُنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ } الْحَجَرُ 39 وَأَمَّا آدَمَ فَقَالَ { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفُرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ } الْأَعْرَافُ 23 فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ سَعَادَتْهُ أَهْلَهُمْ أَنْ يَقُولُ كَمَا قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ نَحْوُهُ
وَمَنْ أَرَادَ شَقاوَتِهِ اعْتَلَ بَعْلَةً إِبْلِيسَ أَوْ نَحْوُهَا فَيَكُونُ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ وَمِثْلُهِ مُثْلَ
رَجُلٍ طَارَ إِلَى دَارِهِ شَرَارةً نَارٍ فَقَالَ لِهِ الْعَقَلَاءُ أَطْفَئُهَا لَنَلا تَحْرُقُ الْمَنْزِلَ فَلَأَخْذُ بِيَقُولُ مِنْ أَيْنَ
كَانَتْ هَذِهِ رِيحُ الْقَتْهَا وَأَنَا لَا ذَنْبَ لِي فِي هَذِهِ النَّارِ فَمَا زَالَ يَتَعَلَّ حَتَّى اتَّسَرَتْ وَانْتَسَرَ الدَّارُ وَمَا
فِيهَا هَذِهِ حَالٌ مِنْ شَرِعٍ يَحِيلُ الذَّنْبَ عَلَى الْمُقَادِيرِ وَلَا يَرْدِهَا بِالْاسْتَغْفَارِ وَالْمَاعَذِيرَ بِلِ حَالَهُ أَسْوَأُ
مِنْ زَلَاتِ الذَّنْبِ وَكَانَ اللَّهُ بِخَلْفِ الشَّرْرِ فَإِنَّهُ لَا فَعْلَ لِهِ فِيهَا وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ يُوْفَقُنَا وَإِيَّاكُمْ وَسَائِرِ
إِخْوَانَنَا لَمَا يُحِبَّهُ وَيُرْضَاهُ وَلَا تَنَالْ طَاعَتَهُ إِلَّا بِمَعْوِنَةٍ وَتَنَرِكَ مَعْصِيَتَهُ إِلَّا بِعَصْمَتَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ¹⁶⁵

حال من لم يميز بين الإرادة الخلقية والإرادة الأمرية

فَالْخَبَرُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ بِالْمُخْبَرِ بِهِ وَالْأَمْرُ يَتَضَمَّنُ طَلْبًا وَإِرَادَةً لِلْمَأْمُورِ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِرَادَةُ
فَعْلَ الْأَمْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْعِبَادِ بِمَا أَمْرَهُمْ بِهِ وَلَكِنَّ أَعْنَانَ أَهْلِ الطَّاعَةِ فَصَارَ مَرِيدًا لِأَنَّ يَخْلُقَ
أَفْعَالَهُمْ وَلَمْ يَعْنِ أَهْلَ الْمُعَصِيَةِ فَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَخْلُقَ فَعْالَهُمْ فَهَذِهِ الْإِرَادَةُ الْخَلُقِيَّةُ لَا تَسْتَلزمُ
الْأَمْرِ وَإِنَّمَا الْإِرَادَةُ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ فَعْلُ مَا أَمْرَ بِهِ وَيُرْضَاهُ إِذَا فَعَلَ وَيَرِدُ مِنَ الْمَأْمُورِ أَنْ يَفْعُلَهُ
مِنْ حِيثُ هُوَ مَأْمُورٌ فَهَذِهِ لَابْدُ مِنْهَا فِي الْأَمْرِ وَلَهُذَا أَثْبَتَ اللَّهُ هَذِهِ الْإِرَادَةَ فِي الْأَمْرِ دُونَ الْأُولَى
وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ مِنْ غَلْطٍ فَنَفِى الْإِرَادَةَ مَطْلَقًا وَكَلَا الْفَرِيقَيْنِ لَمْ يَمْيِزْ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْخَلُقِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ
الْأَمْرِيَّةِ وَالْقُرْآنُ فَرَقَ بَيْنَ الْإِرَادَتَيْنِ فَقَالَ فِي الْأُولَى { فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ
لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيَّقًا حَرَجًا } الْأَنْعَامُ 125 وَقَالَ نُوحٌ وَ { وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَّ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هُودٌ 34 وَقَالَ { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَفْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ } الْبَقْرَةُ 253 وَقَالَ { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ فَلَمْ شَاءَ اللَّهُ لَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } الْكَهْفُ 39 وَلَهُذَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَاءْ لَمْ يَكُنْ وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ
{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } الْبَقْرَةُ 185 وَقَالَ { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنْكُمْ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا } الْأَحْزَابُ 33 وَقَالَ { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ

وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلَيُتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ شَسْكُرُونَ } المائدة 6 و قال { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيْكُمْ سُنَّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَثْوِبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ { 26 } وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَثْوِبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيِّلَةً عَظِيمًا { 27 } يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَفِّظَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا { 28 } النساء 26-28 وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا أنه لا بد في الأمر من طلب وإستدعاء وإقتضاء سواء قيل إن هناك إرادة شرعية وأنه لا إرادة للرب متعلقة بأفعال العباد سوها كما تقوله المعتزلة و نحوهم من القردية أو قيل لا إرادة للرب إلا الإرادة الخلقية القردية التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وأن إرادته عين نفس محبه ورضاه وأن إرادته ومحبه ورضاه متعلقة بكل ما يوجد من إيمان وكفر ولا تتعلق بما لا يوجد سواء كن إيماناً أو كفراً وأنه ليس للعبد قدرة لها أثر في وجود مقدوره وليس في المخلوقات قوى وأسباب يخلق بها ولا الله حكمة يخلق ويامر لأجلها كما يقول هذا وما يشبهه جهن بن صفوان رأس لجبرية هو ومن وافقه على ذلك أو بعضه من طوائف أهل الكلام وبعض متاخري الفقهاء وغيرهم المثبتين للقدر على هذه الطريقة لا على طريقة السلف والأئمة كأبي الحسن ويره فإن هؤلاء ناقضوا القردية المعتزلة مناقضة الجاتهم إلى إنكار حقيقة الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و إن كان من يقول ببعض ذلك يتناقض وقد يثبت أحدهم من ذلك مما لا حقيقة له في المعنى وأما السلف وأئمة الفقهاء وجمهور المسلمين فيثبتون الخلق والأمر والإرادة الخلقية القردية الشاملة لكل حادث والإرادة الأمريكية الشرعية المتناولة لكل ما يحبه الله ويرضاه لعباده وهو ما أمرت به الرسل وهو ما ينفع العباد و يصلحهم و يكون له العاقبة الحميده النافعة في المعاد الدافعة للفساد فهذه الإرادة الأمريكية الشرعية متعلقة بالهيته المتضمنة لربوبيته كما أن تلك الإرادة الخلقية القردية متعلقة بربوبيته ولهذا كان من نظر على هذه فقط وراعي هذه الخلقية الكونية القردية دون تلك يكون له بداية بلا نهاية فيكون من الأخرسين أعمالاً يحصل لهم بعض مطالبهم في الدنيا لاستعانتهم بالله إذ شهدوا ربوبيته ولا خلاق لهم في الآخرة إذ لم يعبدوا الله مخلصين له الدين وقد وقع في هذا طوائف من أهل التصوف والكلام و من نظر إلى الحقيقة الشرعية الأمريكية دون ذلك فإنه قد يكون له عاقبة حميده وقد يراعي الأمر لكنه يكون عاجز مخذولاً حيث لم يشهد ربوبية الله و فقره إليه ليكون متوكلاً عليه برياً من الحول و القوة إلا به فهذا قد يقصد أن يعبده و لا يقصد حقيقة الإستعانة به و هي حال القردية من المعتزلة و نحوهم الذين يقررون أن الله ليس خالقاً لأفعال العباد و لا مریداً للكائنات و لهذا قال أبو سليمان الداراني إنما يعجب بفعله القردي لأنه لا يرى أنه هو الخالق لفعله فأما أهل السنة الذين يقررون أن الله خالق أفعالهم وأن الله المنة عليهم في ذلك فكيف يعجبون بها أو كما قال والأول قد يقصد أن يستعينه ويسأله ويتوكل عليه و يبراً من الحول و القوة إلا به و لكن لا يقصد أن يعبد بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه على السنن رسله ولا يشهد أن الله يحب أن يعبد و يطاع و أنه يفرح بتوبة التائبين و يحب المتقين و يغضب على الكفار و المنافقين بل ينسليخ من الدين أو بعضه لا سيما في نهاية أمره وهذه الحال إن طردها أصحابها كان شرًا من حال المعتزلة القردية بل إن طردها طرد حقيقاً أخرجته من الدين خروج الشعرة من العجين وهي حال المشركين وأما من هداه الله فإنه يحقق قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 و يعلم أن كل عمل لا يراد به وجه الله ولا يوافق أمره فهو مردود على صاحبه وكل قاصد لم يعن الله فهو مصدود من مأربه فإنه يشهد أن لا إله إلا الله فيعبد الله مخلساً له الدين مستعيناً بالله على ذلك مؤمناً بخلقه وأمره بقدر وشرعه فيستعين الله على طاعته ويشكره عليه و يعلم أنها منه من الله عليه و يستعين بالله من شر نفسه وسيئات عمله و يعلم أن ما أصابه من سيئة فمن نفسه مع علمه بأن كل شيء بقضاء الله وقدره وأن الله الحجة

البالغة على خلقه وأن له في خلقه وأمره حكمة بالغة ورحمة سابعة وهذه الأمور أصول عظيمة
لبسطها موضع آخر¹⁶⁶

هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

لفظ الإرادة مجمل له معنيان فيقصد به المشيئة لما خلقه ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به فإن كان مقصود السائل أنه أحب المعاصي ورضيها وأمر بها فلم يردها بهذا المعنى فإن الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء بل قال لما نهى عنه {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} ^{الإسراء 38} وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشاً لم يكن ولا يكون في الوجود إلا ما شاء وقد ذكر الله في موضع أنه يريدها وفي موضع أنه لا يريدها والمراد بالأول أنه شاءها خلقا وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضها أمرا كما قال تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يَسْرُحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} ^{الأنعام 125} وقال نوح {وَلَا يَنْفَعُكُمْ تُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} ^{هود 34} وقال في الثاني {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} ^{البقرة 185} وقال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْيَأَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ²⁶ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمْلِأُوا مَيَادِيَا عَظِيمًا} ²⁷ {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} ²⁸ النساء 26-28 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَاجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتَمَّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} ⁶ المائدة وقال {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَدْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَلِيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} ¹⁶⁷ الأحزاب 33

وتنازع الناس في الأمر والإرادة هل يأمر بما لا يريد أو لا يأمر إلا بما يريد فإن الإرادة لفظ فيه إجمال يراد بالإرادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وكتبه تعالى {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيهِ يَسْرُحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} ^{الأنعام 125} وقول نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ تُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} ^{هود 34} ولا ريب أن الله يأمر العباد بما لا يريد بهدا التفسير والمعنى كما قال تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَأَنْتَنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} ^{السجدة 13} فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه قد أمر كل نفس بهداها وكما إنفق

العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا إن شاء الله أوليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر إن شاء الله أو ليصومن رمضان إن شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فإنه إذا لم يفعل المحلف عليه لا يحث مع أن الله أمره به لقوله إن شاء الله فعلم أن الله لم يشأ مع أمره به وأما الإرادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى وهي ملزمة للأمر كقوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ أَكْمَ وَيَهْدِيْكُمْ سُنَّ الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} النساء 26 ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيئاً لا يريده الله إذا كان يفعل بعض الفواحش أى أنه لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه وكذلك لفظ الجبر فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما رضاه كما يقال أن الأب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد الرضا والإختيار بما يفعله وليس ذلك جبراً بهذا الإعتبار ويراد بالجبر خلق مافي النفوس من الإعتقدات والإرادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذي جبر العباد على ما أراد وكما في الدعاء المأثور عن علي رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعیدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملاً نهي الأئمة الإعلام عن إطلاق إثباته أو نفيه¹⁶⁸

الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً

تغير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع

ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسباباً أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول فقد جد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العلاء على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغي للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبع عنده ورويت عنده فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المفترقات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدِيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفَاثَ سَحَابًا نَفَّالَأَسْفَلَهُ لِبَلِدَ مَيِّتٍ فَأَنْزَلَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجَنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَراتِ كَذَلِكَ تُخْرُجُ الْمُوْتَى لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 الآية وقال تعالى {وَمَا أَنَّزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ} البقرة 164 وقال تعالى {قَاتَلُوكُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْدِيْكُمْ} التوبة 14 وقال {قُلْ هُلْ تَرَبَصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ شَرَبْصُ بَعْنَكُمْ أَنْ يُصِيبُكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْذِيْنَا} التوبة 52 وقال {وَنَزَّلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارِكًا فَأَنْتُنَّا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} ق 9 وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَبَاتَ كُلُّ شَيْءٍ} الأنعام 99 وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ نَمَراتٍ مُخْتَلِفًا الْوَانُهَا} فاطر 27 وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شَيْمُونَ} 10 يُبَثِّ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْنُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} 11 النحل 10-11 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَخِيْ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا} البقرة 26 إلى قوله {يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} البقرة 26 وقال {قُدْ

جاءكم منَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ {15} يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُلَّمَ {16} المائدة 15-16 ومثل هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله لا يموت من أحد منكم إلا آذنتموني به حتى أصلى عليه فإن الله جعل بصلاتي عليه بركه ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرة في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظلون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدراً حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي أفلأ ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا أعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن أنه قيل يا رسول الله أرأيت أدوية ننداوى بها ورقى نسترقى ونقاوة نتقىها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهاذا قال من قال من العلماء الإنفاث إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدراً حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدراً بدون السبب كما قال النبي إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال أعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدهم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشققي أو سعيد ثم ينفح فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدهم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فيبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله ويختتم له به كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالخواطيم و ذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة و جميع السيئات تغفر بالتوبة و نظير ذلك من صام ثم أفتر قبل الغروب أو صلى و أحدث عمداً قبل كمال الصلاة بطل عمله و بالجملة فالذى عليه سلف الأمة و أنتما ما بعث الله به رسلاه وأنزل كتابه فيؤمنون بخلق الله و أمره بقدره و شرعاً بحكمه الكوني و حكمه الدينى وإرادته الكونية والدينية كما قال في الآية الأولى {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْنَعُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 و قال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} هود 34 و قال تعالى في الإرادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الدِّينِ مِنْ قَبْلُكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ} النساء 26 و قال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتَمِّ نِعْمَةَ عَلَيْكُمْ} المائدة 6 و هم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه و مليكه وأنه خلق الأشياء بقدرته و مشيئته يقرون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله و يحبونه ويرجونه ويخشونه و يتکلون عليه وينبئون اليه و يواليونه و يعادون أعداءه و يقرون بمحبته لما أمر به و لعباده المؤمنين و رضاه بذلك وبغضه لما أنهى عنه وللكافرين و سخطه لذلك و مقته له و يقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله أشد فرحاً بتوبه عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه و شرابه فطلبها فلم يجدوها فقال تحت شجرة فلما إستيقظ إذا بدايته عليها طعامه و شرابه فآثر فرحاً بتوبه عبده من

هذا بر احنته فهو إلههم الذي يعبدونه وربهم الذي يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 2 الفاتحة إلى قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5 الفاتحة 5 فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب محبوبه¹⁶⁹

القرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة والتحدي

قال تعالى { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مَمَّا تُجْرِمُونَ } هود 35

والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحججة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال ما مننبي من الأنبياء إلا وقد أوتني من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيها أو حاه الله إلي فأرجو أن أكثرهم تابعا يوم القيمة والقرآن يظهر كونه آية وبرهانا له من وجوه جملة وتفصيلا أما الجملة فإنه قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علما متواترا أنه هو الذي أتى بهذا القرآن وتواترت بذلك الأخبار أعظم من توادرها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك وال فلاسفة وغيرهم والقرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة والتحدي هو أن يحدهم أي يدعوهم فيبعثهم إلى أن يعارضوه فيقال فيه حداني على هذا الأمر أي بعثني عليه ومنه سمي حادي العيس لأنه بحدها يبعثها على السير وقد يزيد بعض الناس بالتحدي دعوى النبوة ولكنه أصله الأول قال تعالى في سورة الطور { أَمْ يَقُولُونَ تَوَلَّهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } 33 فليأتوا بحديث مثلك إن كانوا صادقين { 34 } الطور 33-34 فهنا قال { فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّثُلَّهٍ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } 34 في أنه تقوله فإنه إذا كان محمد قادرا على أن يقوله كما يقدر الإنسان على أن يتكلم بما يتكلمه من نظم ونشر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه فأمكن الناس أن يأتوا بمثله ثم إنه تحداهم بعشر سور مثلك فقال تعالى { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مُّثُلَّهٍ مُفْتَرِيَاتٍ } 13 هود 34 ثم تحداهم بسورة واحدة منه فقال تعالى { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الدِّيَنِ يَبْيَهُ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 37 ألم يقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةَ مُثُلَّهٍ وَادْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ } 38 يونس 37-38 فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثلك مفترياتهم وكل من استطاعوا من دون الله ثم تحداهم بسورة واحدة هم ومن استطاعوا قال { فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود 14 وهذا أصل دعوه وهو الشهادة بأنه لا إله إلا الله والشهادة بأن محمدا رسول الله وقال تعالى { فَإِنْ لَمْ يَسْتَحِيُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } هود 14 كما قال { لَكِنَّ اللّٰهَ يَشْهُدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهُدُونَ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ شَهِيدًا } النساء 16 أي هو يعلم أنه منزل لا يعلم أنه مفترى كما قال { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرِي مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الدِّيَنِ يَبْيَهُ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 37 يونس 170

الفرق بين مشيئة الله وبين محبته ورضاه

قال تعالى { وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } هود 36 والذين زعموا و قوع التكليف بالمنتزع لذاته كالرازي و غيره احتجوا بان الله كلف أبا لهب بالإيمان مع علمه بأنه لا يؤمن و اخباره بأنه لا يؤمن فكله بالجملة بين النقيضين بأن يفعل الشيء و بأن يصدق أنه لا يكون مصدقا بذلك وهو صادق في تصديقه إذا لم يكن و احتجوا بأنه كلف خلاف المعلوم و خلاف المعلوم محل فيكون حقيقة التكليف أنه يجعل علم الله جهلا وهذا ممتنع لذاته و هولاء جعلوا لفظ مالا يطاق لفظا عاما يدخل فيه كل فعل لكون القدرة عندهم لا تكون إلا مع الفعل ويدخل فيه خلاف المعلوم و يدخل فيه المعجوز عنه ويدخل فيه الممتنع لذاته ثم ذكروا نحو عشر حجج يستدلون بها على جواز هذا الجنس فإذا فصل الأمر عليهم ثبت أن دعواهم جواز ما لا يطاق للعجز عنه سواء كان ممتنعا لذاته أو ممكنا باطلة لدليل عليها وأما جواز تكليف ما يقدر العبد عليه من العبادة ويقولون هم أنه لا يكون قادرًا عليه إلا حين الفعل فهذا مما اتفق الناس على جواز التكليف به لكن ثم نزاع لفظي ومعنوي في كونه يدخل فيما لا يطاق فصار ما أدخلوه في هذا الأسم أنواعا مختلفة منها ما ينذر عون في جوازه أو وقوعه ومنها ما ينذر عون في إسمه وصفته لا في وقوعه أما تكليف أبي لهب و غيره بالإيمان فهذا حق وهو إذا أمر أن يصدق الرسول في كل ما يقوله وأخبر مع ذلك أنه لا يصدقه بل يموت كافرا لم يكن هذا متناقضًا و لا هو مأمور أن يجمع بين النقيضين فإنه مأمور بتصديق الرسول في كل ما بلغ و هذا التصديق لا يصدر منه فإذا قيل له أمرناك بأمر ونحن نعلم أنك لا تفعله لم يكن هذا تكليفا للجمع بين النقيضين فإن قال تصدقكم في كل ما تقولون يقتضي أن تكون مؤمنا إذا صدقتم و إذا صدقتم لم يكن مؤمنا لأنكم أخبرتم أنى لا أؤمن بكل ما أخبر به قيل له لو وقع منك لم يكن فيه هذا الخبر ولم يكن يخبر أنك لا تؤمن فأنت قادر على تصديقنا و بتقدير و جوده لا يحصل هذا الخبر وإنما وقع لأنك أنت لم تفعل ما قدرت عليه من تصدقنا بهذا الخبر فوق بعد تكذيبك و تركك ما كنت قادرًا عليه لم نقل لك حين أمرناك بالتصديق العام وأنت قادر عليه ولو قيل لك آمن و نحن نعلم أنك لا تؤمن بهذا الخبر فالذي أمرت أن تؤمن به هو الإخبار بأن محمدا رسول الله وهذا أنت قادر عليه ولا تفعله وإذا صدقنا في خبرنا أنك لا تؤمن لم يكن هنا تناقض لكن لا يمكن الجمع بين الإيمان والتصديق فإنه لم يقع و نحن لم نأمرك بهذا بل أمرناك بآيمان مطلق تقدر عليه و أخبرنا مع ذلك المقدور عليه و لم نقل لك صدقنا في هذا وهذا في حال واحدة لكن الواجب عليك هو التصديق المطلق و التصديق بهذا لا يجب عليك حينئذ ولو وقع منك التصديق المطلق إمتنع منا هذا الخبر بل هذا الخبر إنما وقع لما علمنا أنه لا يقع منك التصديق المطلق وهذا كله لو قدر أن أبي لهب أسمع هذه الآية و أمر بالتصديق بها و ليس الأمر كذلك لكن لما أنزل الله قوله { سَيَصْلُى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } المسد 3 لم يسلم لهم أن الله أمر نبيه بإسماع هذا الخطاب لأبي لهب و أمر أبي لهب بتصديقه بل لا يقدر أحد أن ينقل أن النبي صلى عليه وسلم أمر أبي لهب أن يصدق بنزول هذه السورة قوله أنه أمر أن يصدق بأنه لا يؤمن قول باطل لم ينل أحد من علماء المسلمين فنقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم قول بلا علم بل كذب عليه فإن قيل فقد كان بالإيمان واجبا على أبي لهب و من الإيمان أن يؤمن بهذا قيل له لانسلم أنه بعد نزول هذه السورة وجب على الرسول أن يبلغه إياها بل ولا غيرها بل حقت عليه كلمة العذاب كما حقت على قوم نوح إذ قيل له { أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } هود 36 وبعد ذلك لا يبقى الرسول مأمور بتلبيتهم الرسالة فإنه قد بلغهم فکفروا حتى حقت عليهم كلمة العذاب باعيانهم وقد يخبر الله الرسول عن معين أنه لا يؤمن لكن لا يأمره أن يعلم بذلك بل هو مأمور بتلبيغه وإن كان الرسول يعلم أنه لا يؤمن كالذين قال الله فيهم { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } 96 قوله { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنَذِرْنَاهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأليم 97 يونس 96-97 قوله { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنَذِرْنَاهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } البقرة 6 فهولاء قد يعلم بعض الملائكة وبعض البشر من الأنبياء وغيرهم في معين منهم أنه

لأيؤمن وإن كانوا مأموريين بتبليغه أمر الله ونعيه و ليس في ذلك تكليفه بالجمع بين النقيضين وذلك خلاف المعلوم فإن الله يفعل ما يشاء بقدوته وما لا يشاء يعلم أنه لا يفعله وأنه قادر عليه لو شاء لفعله و علمه أنه لا يفعله لايمنع أن يكون قادرا عليه والعباد الذين علم الله أنهم يطاعونه بإرادتهم ومشيئتهم وقدرتهم وإن كان خالقا لذلك فخلقه لذلك أبلغ في علمه به قبل أن يكون كما قال تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ} الملك 14 وما لم يفعلوه مما أمرهم به يعلم أنه لا يكون لعدم إرادتهم له لعدم قدرتهم عليه وليس الأمر به أمرا بما يعجزون عنه بل هو أمر بما لو أرادوه لقدرها على فعله لكنهم لا يفعلونه لعدم إرادتهم له و جهنم ومن وافقه من المعتزلة إشتركوا في أن مشيئة الله ومحبته ورضاه بمعنى واحد ثم قالت المعتزلة وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان فلا يشاوه فقالوا إنه يكون بلا مشيئة وقالت الجهمية بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه وأبو الحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء فذكر أبو المعلى الجوني أن أبو الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا وأما سلف الأمة وأئمتها وأكابر أهل الفقه والحديث والتصوف وكثير من طوائف النظار كالكلابية والكرامية وغيرهم فيفرقون بين هذا وهذا ويقولون أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ويرضى به كما لا يأمر ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان ولا يحبه كما لا يأمر به وإن كان قد شاءه ولهذا كان حملة الشريعة من الخلف والسلف متفقين على أنه لو حلف ليفعلن واجبا أو مستحبنا كقضاء دين يضيق وقته أو عبادة يضيق وقتها وقال إن شاء الله ثم لم يفعله لم يحيث و هذا يبطل قول القردية ولو قال إن كان الله يحب ذلك ويرضاه فإنه يحيث كما لو قال إن كان يندب إلى ذلك ويرغب فيه أو يأمر به أمر إيجاب أو إستحباب و هذا يرد على الجهمية و من يتبعهم كأبي الحسن الأشعري ومن وافقه من المتأخرین وبسط هذه الأمور له موضع آخر والمقصود هنا جواب هذه المسألة فإن هذه الإشكالات المذكورة إنما ترد على قول جهنم ومن وافقه من المتأخرین من أصحاب أبي الحسن الأشعري وغيرهم و طائفة من متأخرى أصحاب مالك و الشافعى و أحمد وأما أئممة أصحاب مالك والشافعى وأحمد وعامة أصحاب أبي حنيفة فانهم لا يقولون بقول هؤلاء بل يقولون بما اتفق عليه السلف من انه سبحانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن ويشتبون الفرق بين مشيئته وبين محبته ورضاه فيقولون ان الكفر والفسوق والعصيان وان وقع بمنشته فهو لا يحبه ولا يرضاه بل يسخطه ويعغضه ويقولون ارادة الله في كتابه نوع بمعنى المشيئة لما خلق قوله {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَ حَسْرَةً صَدْرَةً لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَةً ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 و نوع بمعنى محبته ورضاه لما امر به وإن لم يخلقه قوله {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليظهركم وليت نعمته عليكم لعلكم تشكرتون {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَنْهَا عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} 26 والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} النساء 26-28 وبهذا يفضل النزاع في مسألة الامر هل هو مستلزم للإرادة ام لا فان القردية تزعم انه مستلزم للمشيئه فيكون قد شاء المأمور به ولم يكن والجهمية قالوا انه غير مستلزم لشيء من الإرادة لا لحبه له ولا رضاه به الا اذا وقع فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن وكذلك عندهم ما احبه ورضيه كان وما يحبه لم يرضه لم يكن وتأولوا قوله {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرَ} الزمر 7 على ان المراد ممن لم يقع منه الكفر او لا يرضاه دينا كما يقولون لم يشاء من لم يقع منه او لا يشاء دينا اذا كانوا موافقين للجهمية والقردية في انه لا فرق بين المحبة والمشيئة وقد قال الله تعالى {إِنْ تَكُفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفُرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} الزمر 7 فأخبر انه اذا وقع الكفر من عباده لم يرضه لعبداته كما قال {إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنِ الْقَوْلِ} النساء 108 وقال {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} البقرة 205 مع قوله {وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَةً ضَيْقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وفصل الخطاب ان الأمر ليس مستلزم لماشيئه ان يخلق الرب الأمر الفعل المأمور به ولا ارادة ان يفعله بل قد يأمر بما لا يخلقه وذلك مستلزم لمحبه الرب ورضاه من العبد ان يفعله بمعنى انه اذا فعل ذلك احبه ورضيه وهو

يريد منه اراده الامر من المأمور بما امره به لمصلحته وان لم يريد ان يخلقه وان يعينه عليه لما له في ترك ذلك من الحكمه فان له حكمه بالغة فيما خلقه وفيما لم يخلقه وفرق بين ان يريد ان يخلق هو الفعل ويجعل غيره فاعلا يحسن اليه ويتفضل عليه بالإعانه له على مصلحته وبين ان يأمر غيره بما يصلحة ويبين له ما ينفعه اذا فعله وان كان لا يريد هو نفسه ان يعينه لما في ترك اعانته من الحكمه لكون الاعانه قد تستلزم مابينها حكمته والمنهى عنه الذي خلقه هو بغضه ويمقته كما يمقت ما خلقه من الاعيان الخبيثة كالشياطين والخواص ولتكن خلقها لحكمه يحبها ويرضاها ونحن نعلم ان العبد يريد ان يفعل ما لا يحبه لافضائه الى ما يحبه كما يشرب المريض الدواء الكريه لافضائه الى ما يحبه من العافية ويفعل ما يكرهه من الاعمال لافضائه الى مطلوبه المحبوب له ولا منفاه بين كون الشيء بغيضا اليه مع كونه مخلوقا له لحكمه يحبها وكذلك لا منفاه بين ان يحبه اذا كان ولا يفعله لأن فعله قد يستلزم تقويت ما هو احب اليه منه او وجود ما هو ابغض اليه من عدمه¹⁷¹

قدرة رب والعبد

قد تنازع الناس في قدرة رب والعبد فقالت طائفة كلا النوعين يتناول الفعل القائم بالفاعل ويتناول مقدوره وهذا أصح الأقوال وبه نطق الكتاب والسنة وهو أن كل نوع من القدرتين يتناول الفعل القائم بال قادر ومقدوره المباين له وقد تبين بعض ما دل على ذلك في قدرة رب وأما قدرة العبد فذكر قدرته على الأفعال القائمة به كثيرة وهذا متافق عليه بين الناس الذين يثبتون للعبد قدرة مثل قوله {فَانْتُوا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التعابير} 16 {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَّابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سَيِّئَيْنِ مُسْكِنَيْنِ} {المجادلة} 4 {وَسَيِّحُلُّونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرْجَنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَادِيُّونَ} {التوبه} 42 قوله النبي صلى الله عليه وسلم صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك وأيضا فالقرآن دل على أن المفهولات الخارجية مصنوعة لهم وما كان مصنوعا لهم فهو مقدور بالضرورة والإتفاق والمنازع يقول ليس شيء خارجا عن محل قدرتهم مصنوعا لهم وهذا خلاف القرآن قال تعالى لنوح **{وَاصْنَعْ الْفَلَكَ إِعْيُنَا وَوَحْيَا}** ³⁷ هود و قال **{وَيَصْنَعْ الْفَلَكَ}** ³⁸ هود وقد أخبر أن الفلك مخلوقة مع كونها مصنوعة لبني آدم وجعلها من آياته فقال {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرَيْتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَسْحُونَ} ⁴¹ يس و سخر لكم ما في الأرض والفالك تجري في البحر بأمره {الحج} 65 {وَجَاءَنَّا لَكُمْ مِنَ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكُبُونَ} الزخرف 12 وقال {أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} ⁹⁵ و قال والله خلقكم وما ¹⁷² تعملون ⁹⁶ الصافات 95-96

كل ما في الوجود فهو مخلوق لله خلقه بمشيئته وقدرته

إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو الذي يعطى ويمنع ويختفي ويرفع ويعز ويذل ويغنى ويفرق ويضل وبهدي ويسعد ويشقى ويولى الملك من يشاء وينزعه من يشاء ويشرح صدر من يشاء للإسلام ويجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد في السماء وهو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيجه أزاغه وهو الذي حب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسق والعصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلماً والمصلحي مصلياً قال الخليل {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ} البقرة 128 وقال {رَبَّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} إبراهيم 40 وقال تعالى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَمِمَّةً يَهُدُونَ بِإِمْرَنَا لَمَّا صَبَرُوا} السجدة 24 وقال عن آل فرعون {وَجَعَلْنَاهُمْ أَمِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الدَّارِ} الفصص 41 وقال تعالى {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هُلُوْعًا} 19 فإذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا 20 وإذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَتُوعًا 21 المعارض 21-22 وقال {وَاصْنَعْ الْفَلَكَ} 37 وبأعيننا وورحينا 38 وقال {وَيَصْنَعْ الْفَلَكَ} هود 39 والفالك مصنوعة لبني آدم وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه خلقها بقوله {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مَثْلِهِ مَا يَرْكُبُونَ} يس 42 وقال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ طَعْنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتُكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَسْعَارَهَا أَثَاثًا وَمَتَاثِعًا إِلَى حِينِ النَّحْلِ 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتونَ} 95 {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} 96 الصافات 95-96 فما معنى الذي ومن جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع والمليوس والمبني دل على أنه خالق كل صانع و صنته و قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَتَّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} الكهف 17 وقال {فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وهو سبحانه خالق كل شيء وربه وملكيه وله فيما خلقه حكمة بالغة ونعمته سابعة ورحمة عامة وخاصة وهو لا يسأل عما بفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهقه بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته فإنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأرحم الرحيمين وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد أحسن كل شيء خلقه وقال تعالى {وَتَرَى الْجِنَالَ تَحْسِبُهُ جَامِدَةً وَهِيَ ثَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} صنعت الله الذي أتقن كل شيء 88 والنمل 88 وقد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَنْجِيَهُ إِلَيْهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 وقال {فَانْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ} الأعراف 57 وقال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ} المائدة 16 ¹⁷³

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفعون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي

والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه **{وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنَا وَوَحْيَا وَلَا تُخَاطِبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغَرَّقُونَ}** ¹⁷⁴ هود 37

وأما لفظ العينين فليس هو في القرآن ولكن جاء في حديث **وذكر الأشعري عن أهل السنة والحديث أنهم يقولون إن الله عينين ولكن الذي جاء في القرآن **{وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنَا وَوَحْيَا وَلَا تُخَاطِبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغَرَّقُونَ}**** ¹⁷⁵ هود 37

وقال أبو عبدالله محمد بن أبي زمین الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال فيه في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال وأعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً والعجز عن ما لم يدع إليه أيماناً وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه وقد قال وهو أصدق القائلين **{وَاصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنَا وَوَحْيَا}** ¹⁷⁶ هود 37 ومثل هذا في القرآن كثير فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض كما أخبر عن نفسه وله وجه ونفس وغير ذلك مما وصف به نفسه ويسمع ويرى ويتكلم هو الأول لا شيء قبله والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده والظاهر العالى فوق كل شيء والباطن بطن علمه بخلفه فقال **{وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}** ¹⁷⁷ البقرة 29 قيوم حتى لا تأخذه سنة ولا نوم وذكر أحاديث الصفات وذكر أحاديث الصفات ثم قال بهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** ¹⁷⁸ الشورى 11 لم تره العيون فتحده كيف هو ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان

الكافر بالرسل يسمون أنفسهم الحكام وال فلاسفة ويسخرون من اتباع

المرسلين

قال تعالى **{وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنَّ شَسْرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخُرُ مِنْكُمْ كَمَا نَسْخُرُونَ}** ¹⁷⁹ فسورة تعلمون من يأتبه عذاب يخرز به ويحل عليه عذاب مقيم ¹⁸⁰ هود 39-38 والكافر بالرسل من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعييب وقوم إبراهيم وموسى ومشركى العرب والهند والروم والبربر والترك واليونان والكش丹يين وسائر الأمم المتقدمين والمستأخرين يتبعون ظنونهم واهواءهم ويعرضون عن ذكر الله الذى آتاهم من عنده كما قال لهم لما اهبط آدم من الجنة **{فَإِنَّمَا يَأْتِيُنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدًى أَيَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ}** ¹⁸¹ وآذين **{وَكَذَّبُوا بِأَيْمَانِكُمْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا حَالُدُونَ}** ¹⁸² البقرة 39-38 وفي موضع آخر **{فَإِنَّمَا يَأْتِيُنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ أَتَبَعَ هُدًى أَيَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا**

العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 11¹⁷⁴

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 413¹⁷⁵

مجمع الفتاوى ج: 5 ص: 57¹⁷⁶

يَشْتَىٰ {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْسُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ {124} } طه 123-124 الآية وفي أخرى { إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي } الأعراف 35 ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة ويسمون أنفسهم الحكام والفلسفة ويدعون الجدل والكلام والقرة والسلطان والمال ويصفون اتباع المسلمين بأنهم سفهاء واراذل وضلال ويسيرون منهم قال الله تعالى { كُلُّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ سَخْرُوا مِنْهُ } هود 38 بل هم يصفون الأنبياء بالجبن والسلفه والضلال وغير ذلك كما قالوا عن نوح { مَجْنُونٌ وَأَرْدُجَرٌ } القمر 9 وقالوا { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الأعراف 60 ولهمود { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ } الأعراف 66 ¹⁷⁷

الرد على زعم الرافضة أن امرأة نوح كانت بغيما

قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَزْوَجِنَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مِنْ سَيِّقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ أَمْنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ } 40 وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } 41 وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ الْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنْيَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ } 42 قَالَ سَاوِي إِلَى حَبْلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمٌ إِلَيْوَمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَّحْمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ } 43 وَقِيلَ يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَيَا سَمَاءَ أَقْلَعَيِ وَغَيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لَّقُومَ الظَّالِمِينَ } 44 وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } 45 قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَنِسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَنِسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } 46 قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَنِسَ لَيْ بِهِ عِلْمٌ وَإِنِّي تَعْفُرُ لِي وَتَرْحَمُنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } 47 قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مَّنْا وَبَرَكَاتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْمٍ مَّمَنْ مَعَكَ وَأَمْمٌ سَنَمْتَعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَّنَا عَذَابُ الْيَمِّ } 48 تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِيْنِ تُوَحِّيَهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقِيْنَ } 49 هود 40-49 فمن جهل

الرافضة فإنهم يرمون عائشة بالعظائم ثم منهم من يرميها بالفاحشة التي برأها الله منها وأنزل القران في ذلك ثم إنهم لفترط جهلهم يدعون ذلك في غيرها من نساء الأنبياء فيزعمون أن امرأة نوح كانت بغيما وأن الابن الذي دعا نوح لم يكن منه وإنما كان منها وإن معنى قوله { إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ } هود 46 أن هذا الولد من عمل غير صالح ومنهم من يقا { وَنَادَى نُوحَ ابْنَهُ } هود 42 يريدون ابنها ويحتاجون بقوله { إِنَّهُ لَنِسَ مِنْ أَهْلِكَ } هود 46 ويتأولون قوله تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِمْرَأَ نُوحَ وَإِمْرَأَ لُوتٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا } التحرير 10 على أن امرأة نوح خانته في فراشه وأنها كانت قحبة وضاهوا في ذلك المنافقين والفاشين أهل الإفك الذين رموا عائشة بالإفك والفاحشة ولم يتوبوا وفيهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا والله ما علمت عليه إلا خيرا ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته

رجل ويقول إنها بغي ويجعل الزوج زوج قحبة فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم
بعضًا حتى أنهم يقولون في المبالغة شتمه بالزاي والقاف مبالغة في شتمه والرمي بالفاحشة
دون سائر المعاصي جعل الله فيه حد القذف لأن الأذى الذي يحصل به للمرمى لا يحصل مثله
بغيره فإنه لو رمى بالكفر أمكنه تكذيب الرامي بما يظهره من الإسلام بخلاف الرمي بالفاحشة
فإنه لا يمكنه تكذيب المفترى بما يضاد ذلك فإن الفاحشة تخفي وتكتوم مع تظاهر الإنسان بخلاف
ذلك والله تعالى قد ذم من يحب إشاعتها في المؤمنين لما في إشاعتها من أذى الناس وظلمهم ولما
في ذلك من إغراء النفوس بها لما فيها من التشبه والاقداء فإذا رأى الإنسان أن غيره فعلها تشبه
به ففي القذف بها من الظلم والفواحش ما ليس في القذف بغيرها لأن النفوس تشتتهما بخلاف
الكفر والقتل ولأن إظهار الكفر والقتل فيه التحذير للنفوس من مضره ذلك فمصلحة إظهار فعل
فاعله في الجملة راجحة على مصلحة كتمان ذلك ولهذا يقبل فيه شاهدان ويقام الحد فيه بإقراره
مرة واحدة بخلاف الفاحشة فإنها لا تثبت إلا بأربعة شهادة بالاتفاق ولا تثبت بالإقرار إلا بإقرار
أربع مرات عند كثير من العلماء والرجل يتأنى برمي امرأته بالفاحشة كما يتأنى بفعل
أمرأته للفاحشة ولهذا شرع له الشارع العان إذا قذف امرأته وأن يدفع عنه حد القذف باللعان دون
غيرة فإنه إذا قذف محسنة لم يكن بد من إقامة الشهادة وإما الحد إن طلب ذلك المقذوف ولهذا لو
قذفت إمرأة غير محسنة ولها زوج محسن وجب حد القذف على القاذف في أحد قولى العلماء
وهو إحدى الروايتين عن أحمد وأما أهل السنة فعندهم أنه ما بعثت امرأة نبي قط وأن ابن
نوح كان ابنه كما قال تعالى وهو أصدق القائلين {وَتَأْدِي نُوحُ ابْنَهُ} هود 42 وكما قال نوح {
يَا بُنْيَ ارْكِبْ مَعَنَا} هود 42 وقال {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} هود 45 فاله ورسوله يقولون إنه ابنه
وهؤلاء الكاذبون المفترون المؤذون للأنبياء يقولون إنه ليس ابنه والله تعالى لم يقل إنه ليس ابنك
ولكن قال {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلَكَ} هود 46 وهو سبحانه وتعالى قال {فَلَنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ رَوْجِينَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ} هود 40 ثم قال {وَمَنْ آمَنْ} هود 40 أي
واحمل من امن فلم يأمره بحمل أهله كلهم بل استثنى من سبق عليه القول منهم وكان ابنه قد سبق
عليه القول ولم يكن نوح يعلم بذلك فلذلك قال {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي} هود 45 ظانا أنه دخل
في جملة من وعد بنجاتهم ولهذا قال من قال من العلماء إنه ليس من أهلك الذين وعدت بإنجائهم
وهو وإن كان من الأهل نسبا فليس هو منهم والكافر قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما
نقول إن أبيا لهب ليس من آل محمد ولا من أهل بيته وإن كان من أقاربه فلا يدخل في قولنا اللهم
صلى على محمد وعلى آل محمد وخيانة امرأة نوح لزوجها كانت في الدين فإنها كانت تقول
إنه مجنون وخيانة امرأة لوط أيضا كانت في الدين فإنها تدل قومها على الأضياف وقومها
كانوا يأتون الذكران لم تكن معصيتهم الزنا بالنساء حتى يزن أنها أنت فاحشة بل كانت تعينهم
على المعصية وترضى عملهم ثم من جهل الرافضة أنهم يعظمون أنساب الأنبياء أباءهم
وابناءهم ويقدرون في أزواجهم كل ذلك عصبية واتباع هوى حتى يعظمون فاطمة والحسن
والحسين ويقدرون في عائشة أم المؤمنين فيقولون أو من يقول منهم إن ازر أبي إبراهيم كان
مؤمنا وإن أبي النبي صلى الله عليه وسلم كانا مؤمنين حتى لا يقولون إن النبي يكون أبوه كافرا
فإذا كان أبوه كافراً أمكن أن يكون ابنه كافراً فلا يكون في مجرد النسب فصيلة وهذا مما
يدفعون به أن ابن نوح كان كافراً لكنه ابن نبي فلا يجعلونه كافراً مع كونه ابنه ويقولون أيضاً
إن أبيا طالب كان مؤمناً ومنهم من يقول كان اسمه عمران وهو المذكور في قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ
ا صَطَقَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} آل عمران 33 وهذا الذي فعلوه مع ما
فيه من الافتراض والبهتان فيه من التناقض وعدم حصول حقصودهم مالا يخفى بذلك أن كون
الرجل أبيه أو ابنه كافراً لا ينقضه ذلك عند الله شيئاً فإن الله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن المعلوم أن الصحابة أفضل من أبائهم وكان أباً لهم كفاراً بخلاف من كونه
زوج بغي قحبة فإن هذا من أعظم ما يذم به ويعبأ لأن مضره ذلك تدخل عليه بخلاف كفر أبيه
أو ابنه وأيضاً فلو كان المؤمن لا يلد إلا مؤمناً لكان بنو آدم كلهم مؤمنين وقد قال تعالى
{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ} قال لأقتنان

قَالَ إِنَّمَا يَتَّقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } المائدة 27 إلى آخر القصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل¹⁷⁸

{وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ النَّئُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكْ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْفَوْلُ وَمَنْ أَمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 فليس في الوجود واحد يفعل وحده إلا الله وحده قال تعالى {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الذاريات 49 قال مجاهد وغيره تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد قال تعالى {أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } الأنعام 101 فنفي التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له وأيضاً فانه خلق كل شيء وخلقه لكل شيء يناقض ان يتولد عنه شيء وهو بكل شيء علیم وعلمه بكل شيء يستلزم ان يكون فاعلا بارادته فان الشعورفارق بين الفاعل بالارادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالما ان يكون كالامور الطبيعية التي يتولد عنها الاشياء بلا شعور كالحار والبارد فلا يجوز إضافة الولد اليه بوجه سبحانه قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقُوهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بَغْيَرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } 100 {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } 101 الانعام 100-101 والذين قالوا إن العقول والنفوس صدرت عنه خرقوا له بنين وبنات بغير علم فان أولئك لم يكونوا يجعلون شيئاً من البنين والبنات مبدعة لكل ما سواه وهؤلاء يجعلون احد البنين وهو العقل أبدع كل ما سواه ويجعلون العقل كالذكر والنفس كالانثى وهذا مما صرحو به وكانت العرب تقر بأنه خلق السموات والارض وأحدثهما بعد أن لم تكونوا ولم يكونوا يقولون إنها قديمة أزلية معه لم تزل معه وهذا مبسط في موضع آخر¹⁷⁹

المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة

و ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو ان العرب يبحكون بالقول ما كان كلاما لا يبحكون به ما كان قوله فالقول لا يحيى به الا كلام تام او جملة اسمية او فعلية ولهذا يكسرن ان جاءت بعد القول فالقول لا يحيى به اسم والله تعالى لا يأمر احدا بذكر اسم مفرد ولا شرع لل المسلمين اسماء مفرداً مجرداً والاسم المجرد لا يفيد الایمان باتفاق اهل الاسلام ولا يؤمر به في شيء من العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر ان بعض الأعراب من مؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فاين الخبر عنه الذي يتم به الكلام وما في القرآن من قوله { وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئِنْ إِلَيْهِ تَبَّئِنْا }

¹⁷⁸ منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 345 - 351

¹⁷⁹ الرد على المنطقين ج: 1 ص: 219

{المزمول 8 قوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ} 14 وذكر اسم ربِّه فصلٍ {الاعلى 14-15} وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً بل في السنن انه لما نزل قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 قال اجعلوها في ركوعكم ولما نزل قوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قال اجعلوها في سجودكم فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربِّ العظيم وفي السجود سبحان ربِّ الأعلى وفي الصحيح انه كان يقول في رکوعه سبحان ربِّ العظيم وفي سجوده سبحان ربِّ الأعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها في رکوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربِّه الأعلى وذكر اسم ربِّه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفي الصحيح عنه انه قال كلمتان خفيتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال في يومه مائة مره لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر كتب الله له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال او زاد عليه ومن قال في يومه مائة مره سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطايته ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل ما قلته انا والنبيون من قبل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر وفي ستن ابن ماجة وغيره عنه انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في انواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى {وَلَا تَكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 121 قوله {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَإذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} المائدة 4 انما هو قوله باسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على اظهرا قولى النها او فعلية والتقدير ذبحى باسم الله او اذبح باسم الله وكذلك قول القارئ باسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتي باسم الله او اقرأ باسم الله ومن الناس من يضرم في مثل هذا ابتدائي باسم الله او ابتدأت باسم الله والأول احسن لأن الفعل كله مفعول باسم الله ليس مجرد ابتدائه كما اظهر المضرم في قوله {إِنَّمَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العلق 1 وفي قوله {بِسْمِ اللَّهِ مَحْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} هود 41 وفي قول النبي من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها اخرى ومن لم يكن ذبح فلينذبح باسم الله ومن هذا الباب قول النبي في الحديث الصحيح لرببيبة عمر بن أبي سلمة سم الله وكل بيمناك وكل ما يليك فالمراد ان يقول باسم الله وليس المراد ان يذكر الاسم مجرداً وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدى بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وامثال ذلك كثير وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وادانهم وحجهم واعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالحملة التامة كقول المؤذن الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله وقول المصلى الله اكبر سبحان ربِّ العظيم سبحان ربِّ الأعلى سمع الله لمن حمده ربنا و لك الحمد التحيات الله وقول الملبي لبيك الله لبيك وامثال ذلك فجميع ما شرعه الله من الذكر انما هو كلام تام لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمر وهذا هو الذي يسمى في اللغة كلمة قوله كلمتان خفيتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيتان الى الرحمن سبحان الله العظيم وقوله افضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبید الا كل شيء ما خلا الله باطل ومنه قوله تعالى {كَبَرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} الكهف 5 الآية وقوله {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115 وامثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة في الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب فانما يراد به الجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب اي لفظ الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام الى اسم و فعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم و فعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفاً لكن خاصة الثالث انه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي اسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبي من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنهات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الف

حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأله الخليل اصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وانما الحرف ز ثم ان النهاة اصطاحوا على ان هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وان لفظ الحرف يخص لما جاء المعنى ليس باسم ولا فعل كحرروف الجر ونحوها واما الفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللغو وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتقاده انه هكذا في لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا ان المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية واما الاقتصار على الاسم المفرد مظها او مضمرا فلا اصل له (كما يقول بعض المتصوفة وغيرهم قول (الله) فقط على اعتبار انه ذكر) فضلا عن ان يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى انواع من البدع والضلالات وذرية الى تصورات احوال فاسدة من احوال اهل الالحاد واهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع¹⁸⁰

أهل الاسلام والسنۃ الذين يذکرون أسماء الله یعرفونه ویحبونه ویظهرون ذکره

فالاسم يظهر به المسمى ويعلو فيقال للمسمي سمة اي اظهره واعله اي اعل ذكره بالاسم الذي يذكر به لكن يذكر تارة بما يحمد به ويذكر تارة بما يذم به كما قال تعالى {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخْرِينَ} الشعراة 84 وقال في النوع المذموم {وَأَتَبْعَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِنَ الْمُقْبُوحِينَ} القصص 42 وقال تعالى {تَنْتَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَنِّي مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} القصص 3 فكلامها ظهر ذكره لكن هذا امام في الخير وهذا امام في الشر وما ليس له اسم فانه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو ذكره بل هو كالشىء الخفى الذي لا يعرف ولهاذا يقال الاسم دليلا على المسمى وعلم على المسمى ونحو ذلك ولهاذا كان اهل الاسلام والسنۃ الذين يذکرون أسماء الله یعرفونه ویعبدونه ویذکرونہ ویظهرون ذکره والملائكة الذين يذکرون أسماءه وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذکره حتى ينسوا ذكره {نَسُوا اللَّهَ فَتَسِيهُمْ} التوبه 67 {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} الحشر 19 {وَإِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضُرُّ عَا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} الأعراف 205 والاسم يتناول اللغو والمعنى المتصور في القلب وقد يراد به مجرد اللغو وقد يراد به مجرد المعنى فانه من الكلام والكلام اسم لغظ والمعنى وقد يراد به أحدهما ولهاذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبیح اسمه وامر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه باسمائه الحسني فيدعى باسمائه الحسني ويسبيح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} الإسراء 110 والله تعالى يأمر بذلك تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبیحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال {ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} الأحزاب 41 {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ} الأعراف 205 وهذا كثير وقال {وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلِّ إِلَيْهِ تَبَّلِّ} المزمول 8 كما قال {فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 118 {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}

{**الأنعام** ١٢١} فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} **المائدة** ٤ لكن هنا يقال بسم الله
 فيذكر نفس الاسم الذي هو ألف سين ميم واما في قوله {وَادْكُر اسْمَ رَبِّكَ} **المزمول** ٨
 فيقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وهذا أيضا مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو
 المسمى قوله في الذبيحة {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} **الأنعام** ١١٨ قوله {اقْرَا بِاسْمِ
 رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} **العلق** ١ قوله **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاً هَا وَمُرْسَاهَا** **هود** ٤١ قوله {اقْرَا بِاسْمِ
 رَبِّكَ} **العلق** ١ هو قراءة بسم الله في أول السور وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا
 الموضع وبين ان هذه الآية تدل على أن القارئ مأمور ان يقرأ بسم الله وانها ليست كسائر
 القرآن بل هي تابعة لغيرها وهنا يقول **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** **النمل** ٣٠ كما كتب سليمان
 وكما جاءت به السنة المتواترة واجمع المسلمين بالله الرحمن الرحيم في قوله {وَادْكُر اسْمَ رَبِّكَ
 } **الإنسان** ٢٥ فانه يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ونحو ذلك وهنا قال {اقْرَا بِاسْمِ
 رَبِّكَ} **العلق** ١ لم يقل اقرأ اسم ربك وقوله {وَادْكُر اسْمَ رَبِّكَ} **الإنسان** ٢٥ يقتضي أن يذكره
 بلسانه وأما قوله {وَادْكُر رَبَّكَ} **آل عمران** ٤١ فقد يتناول ذكر القلب وقوله {اقْرَا
 بِاسْمِ رَبِّكَ} **العلق** ١ هو كقول الأكل باسم الله والذابح باسم الله كما قال النبي ومن لم يكن
 ذبح فليذبح باسم الله وأما التسبيح فقد قال {وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} **الأحزاب** ٤٢ وقال
 {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} **الأعلى** ١ وقال **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ** **الواقعة** ٧٤ وفي الدعاء
 {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} **الإسراء** ١١٠ قوله {
 أَيَّاً مَا تَدْعُوا} **الإسراء** ١١٠ يقتضي تعدد المدعو لقوله اي ما وقوله {فَلَهُ الْأَسْمَاءُ
 الْحُسْنَى} **الإسراء** ١١٠ يقتضي ان المدعو واحد له الاسماء الحسنی وقوله {ادْعُوا اللَّهَ أَوْ
 ادْعُوا الرَّحْمَنَ} **الإسراء** ١١٠ ولم يقل ادعوا باسم الله او باسم الرحمن يتضمن ان المدعو هو
 الرب الواحد بذلك الاسم فقد جعل الاسم تارة مدعوا وتارة مدعوا به في قوله {وَلَهُ الْأَسْمَاءُ
 الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} **الأعراف** ١٨٠ فهو مدعو به باعتبار ان المدعو هو المسمى وانما يدعى
 باسمه وجعل الاسم مدعوا باعتبار ان المقصود به هو المسمى وان كان في اللفظ هو المدعو
 المنادى كما قال {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} **الإسراء** ١١٠ اي ادعوا هذا الاسم او
 هذا الاسم والمراد اذا دعوته هو المسمى اي الاسمين دعوت ومرادك هو المسمى {فَلَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} **الإسراء** ١١٠ فمن تدبر هذه المعانى اللطيفة تبين له بعض حكم القرآن
 واسراره ف{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} **الفرقان** ١ فانه كتاب مبارك تنزيل من حكيم
 حميد لا تتقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء من ابتغى الهدى في غيره اضلهم الله ومن تركه من
 جبار قصمه الله وهو حبل الله المتنين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو قرآن عجب
 يهدي الى الرشد انزله الله هدى ورحمة وشفاء وبيانا وبصائر وتنذكرة فالحمد لله رب العالمين
 حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينفع لكرم وجهه وعز جلاله آخره
 والله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم^{١81}

لفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول

قال تعالى {قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ} هود 43 ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول فالمعنى مخلوق كما قال {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} النحل 1 وقال {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 فهنا المراد به المأمور به ليس المراد به أمره الذي هو كلامه وهذه الآية التي احتاج بها هؤلاء تضمنت الشرع وهو الأمر والقدر وقد ضل في هذا الموضوع فريقان الجهمية الذين يقولون كلام الله مخلوق ويحتاجون بقوله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 ويقولون ما كان مقدوراً فهو مخلوق وهؤلاء الحلوية الضالون الذين يجعلون فعل العباد قدماً بأنه أمر الله وقدره وأمره وقدره غير مخلوق ومثار الشبهة أن إسم القدر والأمر والشرع يراد به المصدر ويراد به المفعول ففي قوله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 المراد به المأمور به المقدور وهذا مخلوق وأما في قوله {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ} الطلاق 5 فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها وإنما أنزل القرآن وهذا كقوله {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 فهذا الأمر هو كلامه¹⁸²

قال تعالى {قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّقِينَ} هود 43 والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عيناً قائمة بنفسها فال الأول إضافة صفة كقوله {قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} هود 43 فالضاف في الأول صفة الله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق¹⁸³

لم يلزم من اتفاق الاسمين اتفاقهما ولا تمايز المسمى

سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاتيه بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الأسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل مساماهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تمايز المسمى عند الاضافة والتخصيص فضلاً عن ان يتحد مساماهما عند الاضافة والتخصيص فقد سمى الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْأَقِيُومُ} البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم الله مختص به وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الروم 19

اسم للحى المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلاقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق
مسمى موجود فى الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركة بين المسميين وعند
الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا فى
جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة
والاختلاف المانعة من مشاركة المخلوق للخالق فى شيء من خصائصه سبحانه وتعالى
وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فوصف نفسه بأنه استوى على
عرشه فذكر ذلك فى سبع مواضع من كتابه أنه استوى على العرش فقال {اللهُ الَّذِي رَفَعَ
السَّمَاوَاتِ بِعَيْرٍ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الرعد 2 ووصف بعض خلقه بالاستواء على
غيره فى مثل قوله {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُوْدِيِّ} هود 44 وليس الاستواء كالاستواء

الله سبحانه أحكم الحاكمين

قال تعالى { وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ } هود 45 وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين وهو
أرحم من الوالدة بولدها كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح وهو
 سبحانه أحكم الحاكمين كما قال نوح في مناجاته قال تعالى { وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } هود 45

184

نفس ما يعد الله به الأنبياء والمؤمنين حقا لا يمترون فيه كما قال تعالى في قصة نوح { وَنَادَى
نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } هود 45¹⁸⁵

الدعاء سبب يقضي الله به ما علم الله أنه سيكون

أن ما أخبر الله أن يكون فلا بد أن يكون ولو سأله أهل السموات والأرض أن لا يكون لم يجبهم
مثل إقامة القيمة وأن لا يملا جهنم من الجنة والناس أجمعين وغير ذلك بل كل ما علم الله أنه
يكون فلا يقبل الله دعاء أحد في أن لا يكون لكن الدعاء سبب يقضي الله به ما علم الله أنه
سيكون بهذا السبب كما يقضي بسائر الأسباب ما علم أنه سيكون بها وقد سأله تعالى من
هو أفضل ما هو دون هذا فلم يجابوه لما سبق الحكم بخلاف ذلك كما سأله نوح عليه السلام نجاة
ابنه { وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ }

¹⁸⁴مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 195

¹⁸⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 195

{ هود 45 } فقيل له { قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلَكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } هود 46¹⁸⁶

فالشفاعة مقصودها قبول المشفوع اليه و هي الشفاعة التامة فهذه هي التي لا تكون الا باذنه و اما اذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها و كان على صاحبها التوبة والاستغفار منها كما قال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَعْفُرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 و كما نهى الله النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين و قال له { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا تَقْمِ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } التوبه 84 و قال له { سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ } المنافقون 6 و لهذا قال على لسان المشركين { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعٍ } 100 { وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ } 101¹⁸⁷ الشعراe 101-100

فهو سبحانه قد نفى ما من الملائكة والأنبياء الا من الشفاعة بإذنه والشفاعة هي الدعاء ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعوه ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها كالشفاعة للمشركين والدعاء لهم بالمحفرة قال تعالى { مَا كَانَ اللَّهُي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } 113 { وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدٍ } 114 وَعَدَهَا إِبْرَاهِيمَ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ } 113-114 وقد ثبت في الصحيح أن الله نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه لا يغفر لهم كما في قوله { إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِنَّمَا عَظِيمًا } النساء 48 و قوله { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعَذَّبِينَ } الأعراف 55 في الدعاء ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الراب ليفعله مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانته على الكفر والفسق والعصيان فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ولو سأله أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه فإنهم مقصومون أن يقرروا على ذلك كما قال نوح { رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } 45 هود 45 قال تعالى { يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلَكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } 46 قال رب إني أعوذ بك أنسألك ما ليس لي به علم وإلا تعفر لي وترحمني أكن من الْخَاسِرِينَ } هود 47 وكل داع شافع دعا الله سبحانه وتعالى وشفاعته فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء الله وقدره ومشيته وهو الذي يحب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب والداع من جملة الأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى وإذا كان كذلك فالإلتقات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في

العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي في الاستقاء ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استبقى عمر المسلمين بالعباس عمه والناس يتطلبون الشفاعة يوم القيمة من الأنبياء¹⁸⁸

السؤال كثيراً ما يجيء باسم رب

وحل العبد المحضر الله الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وان كانت الالهية تتضمن الربوبية تستلزم الالهية فان احدهما اذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع ان يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} 1 {مَلِكِ النَّاسِ} 2 {إِلَهِ النَّاسِ} 3 الناس 1-3 وفي قوله {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة 2 فجميع بين الاسمين اسم الاله واسم رب فان الاله هو المعبود الذي يستحق ان يعبد و رب هو الذي يرب عبده فيديره ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله والسؤال متعلقا باسمه رب فإن العبادة هي الغاية التي لها خلق الخلق والالهية هي الغاية والربوبية تتضمن خلق الخلق وانشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم والمصلى اذا قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية فالعبادة غاية مقصوده والاستعانتة وسيلة إليها تلك حكمة وهذا سبب والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف ولهذا يقال اول الفكرة آخر العمل واول البغية آخر الدرك فالعلة الغائية متقدمة في التصور والارادة وهي متأخرة في الوجود فالمؤمن يقصد عباده الله ابتداء وهو يعلم ان ذلك لا يحصل الا باعانته فيقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ولما كانت العبادة متعلقة باسمه الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم مثل كلمات الأذان الله اكبر الله اكبر ومثل الشهادتين اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله ومثل التشهد للتحيات الله ومثل التسبيح والتحميد والتهليل والتکبير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واما السؤال فكثيراً ما يجيء باسم رب كقول آدم وحواء {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنُكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 وقول نوح {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} هود 47 وقول موسى {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} القصص 6 وقول الخليل {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عَنْ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقْبِلُوا الصَّلَاةَ} إبراهيم 37 الآية وقوله مع اسماعيل {رَبَّنَا تَقْبِلَ مِنَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} البقرة 127 وكذلك قول الذين قالوا {رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِيَا عَذَابَ النَّارِ} البقرة 2012 ومثل هذا كثير وقد نقل عن مالك انه قال اكره للرجل ان يقول في دعائه ياسيدى يا حنان يا حنان ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء ربنا ربنا نقله عنه العتبى في العتبية وقال تعالى عن اولى الألباب {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْقُكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ} آل عمران 191 الآيات فإذا سبق الى قلب العبد قصد السؤال ناسب ان يسأله باسمه رب وان سأله باسمه الله لتضمنه اسم رب كان حسناً واما اذا سبق إلى قلبه قصد العبادة فاسم الله اولى بذلك اذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله واذا قصد الدعاء دعا باسم رب¹⁸⁹

حسن الأدب في السؤال والدعاة

لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ أَهْلَهَا أَخْرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِبِينَ} الشعراة 213 قال الله تعالى {وَآخْرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يونس 10 وفي الحديث افضل الذكر لا الله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذى وغيره دعوة أخي ذي النون {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربته سماها دعوة لأنها تتضمن نوعي الدعاء قوله لا الله الا انت اعتراف بتوحيد الإلهية وتوحيد الإلهية يتضمن احد نوعي الدعاء فان الله هو المستحق لأن يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا الله الا هو وقوله {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 اعتراف بالذنب وهو يتضمن طلب المغفرة فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر اما بوصف حاله واما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين كقول نوح عليه السلام **{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** هود 47 فهذا ليس صيغة طلب وانما هو إخبار عن الله انه ان لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وكذلك قول آدم عليه السلام {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَجُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 هو من هذا الباب ومن ذلك قول موسى عليه السلام {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} القصص 24 فان هذا وصف حاله بأنه فقير الى ما انزل الله اليه من الخير وهو متضمن لسؤال الله انزال الخير اليه وقد روى الترمذى وغيره عن النبي انه قال من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين رواه الترمذى وقال حديث حسن ورواه مالك بن الحويرث وقال من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته افضل ما اعطي السائلين وأظن البيهقي رواه مرفوعاً بهذا اللفظ وقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله افضل الدعاء يوم عرفة لا الله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان **أَذْكُرْ حَاجَتِيْ أَمْ** قد كفاني **حَبَّاُوكْ أَنْ شَيْمَتِكْ الْحَبَاءِ** اذا اثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء قال فهذا مخلوق يخاطب مخلوقاً فكيف بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المتأثر عن موسى عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المستكى وانت المستعان وبك المستغاثة عليك التكلان فهذا خبر يتضمن السؤال ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام {أَنَّى مَسَنَّى الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} الأنبياء 83 فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره وهي صيغة خبر تضمنت السؤال وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه انا جائع انا مريض حسن ادب في السؤال وان كان في قوله اطعمنى وداونى ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب حازم من المسؤول فذاك فيه اظهار حاله وإخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت لمن يحتاج إليه الطالب او من يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنها تقال على وجه الأمر إما لما في ذلك من حاجة الطالب واما لما فيه من نفع المطلوب فاما اذا كانت منه الفقير من كل وجه للغنى من كل وجه فانها سؤال محض بتذلل وافتقار واظهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو ابلغ من جهة العلم والبيان وذلك اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالباً الدعاء من القسم الثاني لأن الطالب السائل يتصور ومقصوده ومراده فيطلب ويسأله فهو سؤال بالمطلوب والقصد الأول وتصريح به باللفظ وان لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤول فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من النوعين فإنه يتضمن الخبر والعلم المقتضى لسؤال والإجابة

ويتضمن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له والاجابة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لأنى بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له علمنى دعاء ادعوه في صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم اخر جاه فى الصحيحين فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته الى المغفرة فيه وصف ربه الذى يجب انه لا يقدر على هذا المطلوب غيره وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للاجابة وهو وصف الرب بالمعفو عنه والرحمة فهذا ونحوه اكمل انواع الطلب وكثير من الادعية يتضمن بعض ذلك قول موسى عليه السلام {أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} الأعراف 155

فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضى الاجابة وقوله {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} القصص 16 فيه وصف حال النفس والطلب وقوله {إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} القصص 24 فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال فهذا انواع لكل نوع منها خاصه يبقى ان يقال فصاحب الحوت ومن اشباهه ومن اشباهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب فيقال لان المقام اعتراف بان ما اصابنى من الشر كان بذنبى فأصل الشر هو الذنب والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره انه مسىء ظالم وهو الذي ادخل الضر على نفسه فناسب حالة ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لانه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني بخلاف كشف الكرب فانه مقصود له في حال وجوده بالقصد الاول اذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة اليه من زوال الضرر الحال من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الاول في هذه المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر فهذا مقدم في قصده وارادته وابلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده وهذا يتبيّن بالكلام على قول {سُبْحَانَكَ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ} 87 فانه هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب يقول انت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب بل انا الظالم الذي ظلمت نفسي قال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 118 وقال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} هود 101 وقال {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} الزخرف 76 وقال آدم عليه السلام {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 وكذلك قال النبي في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفصال لالله انت الملك لا الله الا انت انت ربى وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبى فاغفر لي ذنبى جميعاً فانه لا يغفر الذنوب الا انت وفي صحيح البخاري سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا الله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهلك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوه لك بنعمتك علي وابوء بذنبى فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا اصبح موتنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موتنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه ان يعترف بعد الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئاً فلا يعاقب احدا الا بذنبه وهو يحسن اليهم فكل نعمة منه عدل وكل نعمة منه

فضل 190

¹⁹⁰ الفتوى الكبرى ج: 2 ص: 308 - 314 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 244 - 249 و دقائق

إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنما لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحًا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيّبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وقال تعالى {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَعْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ} هود 47¹⁹¹

إثبات العصمة من الإقرار على الذنب مطلقاً

وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبلیغ الرسالة فلننالس فيه نزاع هل هو ثابت بالسمع ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغرى أو من بعضها أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبلیغ فقط وهل تجب العصمة من الكفر والذنب قبل المبعث أم لا والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والقول الذي عليه جمهور الناس وهو المواقف للأثار المنقوله عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنب مطلقاً والرد على من يقول أنه يجوز إقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول وحجج النفاهة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء فإن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسي بهم مشروع وذلك لا يجوز إلا مع تجويز كون الأفعال ذنوباً ومعلوم أن التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقرروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأمّا ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأمورة به ولا منها عنه فضلاً عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من أن الذنب تنافي الكمال أو أنها من عظمت عليه النعمة أقبح أو أنها توجب التتفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع وإلا فالنحو النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة وقال آخر لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة أفرح بتوبته عبده من رجل نزل منزلة إلخ وقد قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} البقرة 222 وقال تعالى {إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَّنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِمْ} الفرقان 70 وقد ثبت في الصحيح حديث

الذى يعرض الله صغار ذنوبه ويختبأ عنه كبارها و هو مشفق من كبارها أن تظهر فيقول الله له إني قد غفرتها لك وأبدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول أي رب إن لي سيئات لم أرها إذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقا منها أن تظهر ومعلوم أن حاله هذه مع هذا التبديل أعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار وي العمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { وَحَمِلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }⁷² { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }⁷³ الأحزاب 72-73 فغاية كل إنسان أن يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي أنزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعدى إحصاؤه والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدريه والدهريه لنصوص الأسماء والصفات ونصوص الفدر ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات الفرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم ويريد الإيمان بهم فيقع في الكفر بهم ثم أن العصمة المعلومة بدليل الشرع والاجماع وهي العصمة في التبليغ لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يقررون بموجب ما بلغته الأنبياء وإنما يقررون بلفظ حرفوا معناه أو كانوا فيه كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أmani والعصمة التي كانوا ادعوهها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم إليها عندهم فإنها متعلقة بغيرهم لا بما أمروا بالإيمان به فيتكلم أحدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِلْتُمْ } النور 54 الآية والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبى من الأنبياء إلا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَعْفُرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَعْفُرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 وقول الخليل عليه السلام { رَبَّنَا أَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 و قوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين } الشعراة 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } 155 واكتبه لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إننا هُدْنَا إِلَيْكَ } الأعراف 156 و قوله { قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و قوله { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 و قوله تعالى عن داود { فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } 24 فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب { 25 } ص 24-25 و قوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ } ص 35¹⁹²

وقد اتفق سلف الأمة وأنتمها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتظاهرين وعصمتهم هي من أن يقرروا على الذنوب والخطأ فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب الخطأ من غير توبة والأنبياء عليهم السلام يستدركونهم الله فيتوب عليهم

ويبين لهم قول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي
أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ } هود 473¹⁹³

التوبة من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق

فإن كل بني آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون وقد قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } 72 { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَئُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } 73 الأحزاب 72-73 فغاية المؤمنين الأنبياء فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى { فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَتَابٌ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ } البقرة 37 و قال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 و قال إبراهيم وإسماعيل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أَمَّهُ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ } البقرة 128 و قال موسى { أَنْتَ وَلَيْلَنَا فَاقْعِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 و دعاء نبينا بمثل ذلك كثير معروف¹⁹⁴

قوله تعالى { أَلَقَدْ ثَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } التوبة 11 الآية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنب كبارها وصغرها وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليس التوبة نقصا بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } 72 { لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَئُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } 73 الأحزاب 72-73 فغاية كل مؤمن هي التوبة ثم التوبة تتتنوع كما يقال حسنات الأبرار سيدات المقربين والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والإستغفار عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم فقال آدم { قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 و قال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 وقال الخليل { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيِّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقد قال الله تعالى { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمداً 19 فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم وأكبر طاعاتهم وأجل عبادتهم فما ينالوا بها أجل الثواب ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب فإذا قال القائل أي حاجة بالأنبياء إلى العبادات والطاعات كان جاهلا لأنهم إنما نالوا ما نالوه بعبادتهم وطاعتهم فكيف يقال إنهم لا يحتاجون إليها فهي أفضل عبادتهم وطاعتهم وإذا قال القائل فالنوبة لا تكون إلا عن ذنب والإستغفار كذلك قيل له الذنب الذي يضر صاحبه هو مالم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف كان داود بعد التوبة أحسن منه حالا قبل الخطيئة¹⁹⁵

رسالة في التوبة ج: 1 ص: 269¹⁹³

مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 520¹⁹⁴

مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 51-54¹⁹⁵

أقسام الكلام وأنواعه الله موصوف بها كلها

أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء والإنشاء منه الطلب والطلب ينقسم إلى أمر ونهي وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه بل هو موصوف بها كلها وأيضاً فالله تعالى يخبر أنه لما أتى موسى الشجرة ناداه فناداه في ذلك الوقت لم يناده في الأزل وكذلك قال {ولَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ} {الأعراف 11} وقال {إِنَّ مَثَنَ عِيسَىٰ عَنْدَ اللَّهِ كَمَثَنَ أَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {آل عمران 59} وقال {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ} {البقرة 30} إلى مواضع كثيرة من القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت فكيف يكون أزلياً أبداً ما زال ولا يزال وكيف يكون لم يزل ولا يزال قائلاً {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسْلَامٍ مَّنَا} {هود 48} {يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمَطْهِرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} {آل عمران 55} {يَا مُوسَىٰ} {طه 11} إلى قوله {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} طه 14 {يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ} {المزمول 1} {فِيمِ اللَّيْلِ إِلَّا فَلِيَلًا} {المزمول 2} طه 1-2¹⁹⁶

المؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة

قال تعالى {قَبِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسْلَامٍ مَّنَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَغَلَى أَمَمٌ مَّمَنَ مَعَكَ وَأَمَمٌ سَنَمَعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَّنَا عَذَابُ أَلَيْمٌ} {48} تلك من أنباء العين لوحياً إلينك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين {49} هود 48-49 وقال تعالى {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} {13} وإن الفجّار لفي جحيم {14} الانفطار 13-14 وعد الله أهل الإيمان والعمل الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة ووعد الكفار بالعذاب التام في الدار الآخرة أعظم من أن يذكر هنا وهذا مما لم ينざع فيه أحد من أهل الإسلام من الخطأ الظن بأن نعيم الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفسور ولكن تذكر هنا نكتة نافعة وهو أن الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب وما يصيب كثيراً من الكفار والفسار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفسور وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتعمدون به إلا قليلاً وكذلك قد يعتقد أن العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين وإذا سمع ما جاء في القرآن من أن العزة لله ورسوله للمؤمنين وأن العاقبة للتقوى وقول الله تعالى {وَإِنْ جَنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} الصافات 173 وهو من يصدق بالقرآن حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط وقال أما الدنيا فما نري بأعيننا إلا أن الكفار والمنافقين فيها يظهرون ويغلبون المؤمنين ولهم العزة والنصرة والقرآن لا يرد بخلاف المحسوس ويعتمد على هذا فيما إذا أدبل أدبل عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين أو الظالمين وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى فيرى أن صاحب الباطل قد علا على صاحب الحق فيقول أنا على الحق وأنا مغلوب وإذا ذكره إنسان بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين قال هذا في الآخرة فقط وإذا قيل له كيف يفعل الله بأوليائه مثل هذه الأمور قال يفعل ما يشاء وربما قال بقلبه أو لسانه أو كان حاله يقتضي أن هذا نوع من الظلم وربما ذكر قول بعضهم ما على الخلق أضر من الخالق لكن يقول يفعل الله ما يشاء وإذا ذكر برحمة الله وحكمته لم يقل إلا أنه يفعل ما يشاء فلا يعتقدون أن صاحب

الحق والتقوى منصور مؤيد بل يعتقدون أن الله يفعل ما يشاء و هذه الأقوال مبنية على مقدمتين إداتها حسن ظنه بدين نفسه نوعاً أو شخصاً واعتقاد أنه قائم بما يجب عليه وتارك ما نهي عنه في الدين الحق واعقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك أن دينه باطل نوعاً أو شخصاً لأنه ترك المأمور و فعل المحظور والمقدمة الثانية أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا فلا ينبغي الاغترار بها المؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة ومن المعلوم أن العبد وإن أقر بالآخرة فهو يطلب حسن عاقبة الدنيا فقد يطلب ما لا بد منه من دفع الضرر وجلب المنفعة وقد يطلب من زيادة النفع ودفع الضرر ما يظن أنه مباح فإذا اعتقاد أن الدين الحق قد ينافي ذلك لزم من ذلك إعراض القلب عن الرغبة في كمال الدين الحق وفي حال السابقين والمقربين بل قد يعرض عن حال المقصودين أصحاب اليمين فيدخل مع الظالمين بل قد يكفر ويصير من المرتدين المنافقين أو المعلين بالكفر وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من أصوله وفروعه كما قال النبي يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً بيعي الدين بغيره من الدنيا وذلك إذا اعتقاد أن الدين لا يحصل إلا بفساد دنياه ولذلك فإنه يفرح بحصول الضرر له ويرجو ثواب ضياع ما لا بد له من المنفعة وهذه الفتنة التي صدت أكثر بني آدم عن تحقيق الدين وأصلها الجهل بحقيقة الدين وبحقيقة النعيم الذي هو مطلوب النفوس في كل وقت إذ قد ذكرنا أن كل عمل فلا بد فيه من إرادة به لطلب ما ينعم فهناك عمل يطلب به النعيم ولا بد أن يكون المرء عارفاً بالعمل الذي يعمله وبالنعم الذي يطبه ثم إذا علم هذين الأصلين فلابد أن تكون فيه إرادة الجازمة على العمل بذلك وإلا فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصلان المقصود إلا مع الإرادة الجازمة والارادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر ولهذا قال سبحانه وتعالى {وَالْعَصْرِ} [1] إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ [2] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ [3] العصر 1-3 وَقَالَ تَعَالَى {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} السجدة 24 فاليلقين هو العلم الثابت المستقر والصبر لابد منه لتحقيق الإرادة الجازمة والمقدمتان اللتان التي بنينا عليها هذه البلية مبناهما على الجهل بأمر الله ونهييه وبوعده ووعيده فإن صاحبها إذا اعتقاد أنه قائم بالدين الحق فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور تارك للمحظور وهو على العكس من ذلك وهذا يكون من جهله بالدين الحق وإذا اعتقاد أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار على المؤمنين ولأهل الفجور على أهل البر فهذا من جهله بوعد الله تعالى من الخطأ الاعتقاد أن الله ينصر الكفار في الدنيا ولا ينصر المؤمنين أما الأول فما أكثر من يتراك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها وما أكثر من يفعل محركات لا يعلم بتحريرها بل ما أكثر من يعبد الله بما حرم ويترك ما أوجب وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم المحق من كل وجه وأنه خصم هو الظالم المبطل من كل وجه ولا يكون الأمر كذلك بل يكون معه نوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع من الحق والعدل وحبك الشيء يعمي ويصم والإنسان مجبر على محبة نفسه فهو لا يرى إلا محسنها ومبغض لخصمه فلا يرى إلا مساوئه وهذا الجهل غالباً مقرن بالهوى والظلم فإن الإنسان ظلوم جهول وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وتقليلهم في التصديق والتذيب والحب والبغض والموالاة والمعاداة كما قال تعالى {وَإِذَا قَيْلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} لقمان 21 وقال تعالى {يَوْمَ ثُقُلُّ بُوْجُوْهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولًا} [66] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءِنَا فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيلًا [67] الأحزاب 66-67 وقال تعالى {وَمَا تَرَقُّوْنَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلَمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُرْثَوُا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} الشورى 14 وأما الثاني فما أكثر من يظن أن أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاء معذبين بما فيه بخلاف من فارقهم إلى طاعة أخرى وسبيل آخر ويكتب بوعد الله بنصرهم والله سبحانه قد بين بكتابه كلام المقدمتين فقال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُونَ إِلَّا شَهَادُ} غافر 51 وقال تعالى في كتابه { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [171] إِنَّهُمْ لَهُمْ

المَنْصُورُونَ {172} وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {173} } الصافات 171-173 وقال تعالى في كتابه {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْثُوا كَمَا كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } المجادلة 5 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ {20} } كتب الله لا لأغلى أنا ورسلي إن الله قوي عزيز {21} } المجادلة 20-21 وقال تعالى في كتابه {إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {55} } ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون {56} } المائدة 55-56 ونم من يطلب النصرة بولاء غير هؤلاء فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخُذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِيَّاءَ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَّاءَ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مَنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {51} } فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنَّ نُصِيبَنَا دَارِرَةً فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عَنْهُ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ {52} } وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْكُمْ حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَاصْبَحُوا خَاسِرِينَ {53} } المائدة 53-51 وقال تعالى في كتابه {بَشِّرُ الْمُنَافِقِينَ يَا أَيُّهُمْ عَذَابًا إِلَيْمًا {138} } الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِيَّاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْيَتُهُمْ عَنْهُمُ الْعَزَّةَ فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا {139} } النساء 138-139 وقال تعالى في كتابه {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجُنَّ الْأَعْزَمَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلَلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُمُ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } المنافقون 8 وقال تعالى في كتابه {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَزَّةَ فَلَلَّهِ الْعَزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ بَيْرُ } فاطر 10 وقال في كتابه {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُنَظِّهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } الفتح 28 وقال تعالى في كتابه {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُنَظِّهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُسْرِكُونَ {9} } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُلْ أَذْلَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ شَحِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَيِّمٍ {10} } ثُوَمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {11} } يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {12} } وَأَخْرَى تَحْوِلُهَا نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ {13} } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُونَا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مِنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنَتْ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةً فَيَأْتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عُذُونَهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ {14} } الصافات 9-14 وقال تعالى في كتابه {يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } آل عمران 55 وقال تعالى في كتابه {وَلَوْ فَاتَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَوْلَا أَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلَيَا وَلَا نَصِيرًا {22} } سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا {23} } الفتح 22-23 وقال تعالى في كتابه {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْحَسَنِ } الحشر 2 إلى قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الحشر 4 وقال تعالى في كتابه {الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 وقال تعالى لما قصص قصة نوح وهي نصرة على قومه في الدنيا فقال تعالى {تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنَّتِ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَأَصِيرُ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْكِرِينَ } هود 49 وقال تعالى {وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } طه 132 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخُذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا } آل عمران 118 إلى قوله {وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } آل عمران 120 وقال تعالى {بَلِّي إِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ } آل عمران 125 وقال يوسف وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه إخوهه {قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبْصِرُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وقال تعالى في كتابه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ قُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الأنفال 29 وقال تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمُرِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ كُلُّ

شَيْءٌ قَدْرًا } الطلاق 3-2 وقد روی عن أبي ذر عن النبي أنه قال لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم وهو طاعته وهو المقدمة الأولى وأمرهم بانتظار وعده وهي المقدمة الثانية وأمرنا بالاستغفار والصبر لأنهم لا بد أن يحصل لهم تقصير وذنوب فيزيله الاستغفار ولا بد مع انتظار الوعد من الصبر فبالاستغفار تتم الطاعة وبالصبر يتم اليقين بالوعد إن كان هذا كله يدخل في مسمى الطاعة والإيمان قال تعالى {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} {يونس 109} وقال تعالى {وَلَقَدْ كُذَّبْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْذَنُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلٌ لِكَلْمَاتِ اللَّهِ} {ولَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ} {الأنعام 34} وقال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقِيْنَ} {هود 49} وأمرهم أيضاً بالصبر إذا أصابتهم مصيبة بذنبهم مثل ظهور العدو وكما قال تعالى في قصة أحد {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {139} {إِنْ يَمْسِسْكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتَلْكَ الْأَيَامُ تُنَادِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} {140} {وَلَيُمْحَصِّنَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقِّ الْكَافِرِينَ} {141} {آل عمران 139-141} وأيضاً فقد قص سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفار في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وفرعون وغير ذلك وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} {يوسف 11} وقال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ} {النور 34}

ملاحظة (تكاملة الموضوع موجود في تفسير غافر 51 وتفسير الصافات 171-173 نفس المرجع))¹⁹⁷

العقوبة للمتقين

التقوى كما فسرها الاولون والآخرون فعل ما امرت به وترك ما نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقواها بالتقوى قالوا وما التقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله¹⁹⁸

في وجود الشجاعة والسماحة تحصيل مقاصد النفوس على الاطلاق لكن العاقبة في ذلك للمتقين وأما غير المتقين ففهم عاجلة لا عاقبة والعاقبة وان كانت في الآخرة ف تكون في الدنيا ايضاً كما قال تعالى لما ذكر قصة نوح ونجاته بالسفينة {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مَنَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمِمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمِمٍ سَمَّعُوهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} {48} تلك من آباء العيُوب نوح بها إلى ما

فقاعدة في المحبة ج: 1 ص: 138-157¹⁹⁷

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 135¹⁹⁸

كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِنِ {49} هود:48-49 وقال {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَقْبِنِ

البقرة: 199

نفي علم قومه بما أخبره فيه بياناً للاء الله

فإن الذي اتفقت عليه الكتب والرسائل هو الذي لا بد للخلق منه في كل زمان ومكان وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حُوقْ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة: 62 وعامة سوره المكية كالأنعام والأعراف وأآل حم وأآل طس وأآل آذر هي من الأصول الكلية التي اتفقت عليها شرائع المسلمين كالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والصدق والعدل والإخلاص وتحريم الظلم والفواحش والشرك والقول على الله بلا علم وعامة ما عند أهل الكتاب من النقول الصحيحة عن الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور ونبوات الأنبياء توافق المنسوق عن محمد شهد هذا لهذا وهذا لذلك من دلائل نبوة أولئك الأنبياء ومن دلائل نبوة محمد وللهذا يذكر الله ذلك بياناً لإنعامه بمحمد دلالة لنبوته قوله تعالى لما قصص قصة نوح {إِنَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقْبِنِ} هود: 49 ذكر الإله نعمته وأياته بكونه لم يكن يعلمها هو ولا قومه أيضاً كانوا يعلمونها لئلا يظن أنه تعلم ذلك من قومه فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك وقد علم بالنقل المتواتر أن محمداً ولد بمكة وبها نشأ بعد أن كان مسترضاً في بادية سعد بن بكر قريباً من الطائف شرقي مكة وهو صغير ثم حملته مرضعته حليمة السعدية إلى أمه بمكة لا يعلم شيئاً من ذلك ولا هناك من يتعلم منه شيء من ذلك وأهل مكة يعلمون حاله وأنه لم يتعلم ذلك من أحد ثم أخبرهم بالغيب الذي لا يعلمه أحد إلا بتعلم الله له فكان هذا من أعلام رسالته ودلائل نبوته عليهم أولاً وعلى غيرهم آخراً فإنهم كانوا مشاهدين له يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من أحد وغيرهم يعلم ذلك بالأخبار المتواترة ويعلم أن قومه المكذبين له مع حرصهم على الطعن فيه ومع علمهم بحاله لو كان قد تعلم من أهل الكتاب لقالوا هذا قد تعلم منهم قال تعالى {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوَّنُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْثَتُ فِيْكُمْ عُمْرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقُلُونَ} يونس: 16 والمقصود أنه نفي علم قومه بما أخبره فيه بياناً للاء الله التي هي آياته ونعمه فإن ذلك يدل على أنه لم يتعلم ذلك من قومه وفيه إنعام الله على الخلق بذلك فنفي سبحانه شهادته لهذه الأمور الغائبة وحضوره لها تتبئها الناس على أنه أخبر بالغيب الذي لم يشهده ولم يعرفه من جهة أخبار الناس فإن قومه لم يكونوا يعلمون ذلك ولا عاشر غير قومه وكل من عرف حاله يعلم أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك لا من أهل الكتاب ولا من نقل عن أهل الكتاب

فإذا كان محمد أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله في باب أسماء الله وصفاته وتوحيده وملائكته وأوليائه وأعدائه مع العلم بأن في هذه الأمور من التفاصيل الكثيرة ما يمتنع اتفاق اثنين عليه إلا عن مواطأة بينهما ومحمد وموسى صلوات الله عليهما وسلم له لم يتواطأ بل لم يواطئه محمد أحداً من الرسل قبله ولا واطئه والخبر الكذب إما أن يتعمد صاحبه الكذب وإما أن يغلط فالكاذبان المتعمدان للذنب لا يتقان في القصص الطويلة والتفاصيل العظيمة وكذلك الغالطان

لا يتفق علطهما في مثل ذلك بل الاثنان من آحاد الناس إذا أخبر كل منهما عن حال بلدة وأخبر الآخر بمثل خبره من غير موافقة عرف صدقهما فكيف بالأمور الغائبة التي لا يمكن العلم بها إلا من جهة الله تعالى فهذا من دلائل نبوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأما القدر الذي يخالف ما جاء به محمد مما ينقلونه عن الأنبياء فهو نوعان أحدهما ما وقع فيه النسخ من الشرائع وهذا لا يمنعه لكن لمنسوخ مثل هذا بالنسبة إلى ما لم ينسخ من الكتاب نظير المنسوخ من القرآن والأحاديث النبوية فإنه قليل جدا بالنسبة إلى ما لم ينسخ وكذلك عامة ما أمر به موسى وداود وال المسيح وغيرهم من الأنبياء إذا اعتبر بما أمر به محمد وجد عامة ذلك متتفقاً لم ينسخ منه إلا القليل والثاني الخبريات وهذه قد ادعى بعض أهل الكتاب أن محمداً خالفاً بعض ما أخبرت به الأنبياء قبله وهذا باطل فإن أخبار الأنبياء لا يجوز أن تتناقض إذ هم كلام صادقون مصدقون ومن علم أن محمداً رسول الله وأن موسى رسول الله وأن المسيح رسول الله علم أن أخبارهم لا تتناقض لكن قد يخبر هذا بما لم يخبر به هذا فيكون في أخبار أحدهم زيادات على أخبار غيره لا ما ينافق خبر غيره وما يذكره أهل الكتاب مما ينافق خبر محمد فهو عامته مما حرفوا معناه وتأويله وقليل منه حرف لفظه وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متتفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحرير بها إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها وإنما تنازع الناس هل وقع التحرير في بعض الألفاظ ²⁰⁰
200 وشروحها وتأويلاتها وإنما تنازع الناس هل وقع التحرير في بعض الألفاظها

(فيه نقص نفس المرجع) وأشار بتلك إلى ما تلاه قبل هذه الآية قال لما ذكر آيات يخبر فيها
{تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَجِّهَا إِلَيْكَ} { هود: 49 } ²⁰¹
 عن نوح

(فيه نقص نفس المرجع) فطريق وأخبار من تقدم من الأنبياء فلا بد من أخبار الله تعالى عنها كما قال **{تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوَجِّهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ
 العَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقِيْنَ}** { هود: 49 } ²⁰²

القصص في القرآن من آيات الأنبياء

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذيبهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كإغراء الله قوم نوح لما كذبوا وكإهلاكه قوم عاد بالرياح الصرصار وإهلاك قوم صالح بالصيحة وإهلاك قوم شعيب بالظلمة وإهلاك قوم لوط بإقلاب مدائهم ورجمهم بالحجارة وكإهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله القصص في القرآن في غير موضع وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 118-123²⁰⁰

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 274²⁰¹

الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 22 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 582²⁰²

على صدقهم كما يذكره في سورة الشعراe لما ذكر قصة موسى قال {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} الشعراe 67 ثم ذكر قصة إبراهيم وقال في آخرها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} الشعراe 103 وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود صالح ولوط وشعيب وقال في قصة فرعون {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلَّمُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} 39 فأخذناه وجنوده فتبذلناه كيـفَ كـانَ عـاقـبة الـظـالـمـين {40} وجعلناهم أئمـةـ يـدعـونـ إـلـى النـارـ وـيـوـمـ الـقـيـامـةـ لـا يـنـصـرـونـ} 41 وـأـنـبـعـاـهـمـ فـي هـذـهـ الدـنـيـاـ لـعـنـهـ وـيـوـمـ الـقـيـامـةـ هـمـ مـنـ الـمـقـبـوـحـينـ} 42 القصص 39-42 ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق والثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْقَنِينَ} هو 49 فأخبر أن العاقبة للمتقين²⁰³

أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متعددة قبل المبعث وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل المبعث مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به ومثل الإلهادات الدالة عليه وأما حين المبعث فظاهر وأما في حياته فمثل نصره وإنجائه وإهلاكه أعدائه وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه وإهلاكه أعدائه كما قال تعالى {إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ} 5 غافر و محمد صلى الله عليه وسلم جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفي حياته وبعد موته إلى الساعة وإلى قيام الساعة فإن ذكره وذكر كتابه والبشرة بذلك موجود في الكتب المتقدمة كما قد بسط في موضعه والخليل دعا به فقال في دعائه لذريته {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَنْلُو عَلَيْهِمْ أَيَّاتِكَ وَيُعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرِيكُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} البقرة 129 ولما ولد اقتربن بمولده من الآيات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة وكان يحصل له في مدة نشاته من الآيات والدلائل أمور كثيرة قد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما شوهد من أحواله في صغره وأما انتصار الله له ولأتباعه وإعلاء ذكره ونشر لسان الصدق له وإهلاكه أعدائه وإذلال من يحاده ويشقه وإظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَسْرِ مَا ظَنَّنُمُ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يُحْسِنُوا وَقَدْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ يُخْرِجُونَ بِيُؤْتَهُمْ بِأَنْدِيَهُمْ وَأَيْدِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ} الحشر 2 والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم المؤمنون وإن كانوا يتلون في أول الأمر فالعقاب لهم كما قال تعالى لما قص قصة نوح {تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِبِهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْقَنِينَ} هو 49 وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى ملك الروم طلب من يخبره بسيرته وكان المسؤولون حينئذ أعداءه لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه قالوا الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنين ثم لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الإسلام²⁰⁴

والقرآن نفسه قد بين من آيات نبوته وبراهين رسالته أنواعاً متعددة مع اشتغال كل نوع على عدد من الآيات والبراهين مثال ذلك إخباره لقومه بالغيب الماضي الذي لا يمكن بشراً أن يعلمه إلا أن يكوننبياً أو يكون من تلقاء عن النبي وقومه يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر ولا من أهل الكتاب ولا غيرهم وهذا نوعان منه ما كان يسأل عنه المشركون وأهل الكتاب لينظر هل هونبي أم لا وكان قومه يرسلون إلى أهل الكتاب البعيدين عنهم مثل من كان بالمدينة وغيرها من أهل الكتاب يطلبون منهم ما يسألونه عنه فيرسلون إليهم ليسألوه عن ذلك ويتحدون بذلك هل هونبي أم لا ومنه ما كان الله يخبر به ابتداء ويجعله علماً وآية لنبوته وبرهاناً لرسالته مع ما في ذكر هذه القصص من الاعتبار لأمور أخرى فكان كل من هذين النوعين دليلاً وعبرة على نبوته من طريقين فكان دليلاً وعبرة على نبوته من جهة إخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا النبي وكانت عبرة بما فيها من أحوال المؤمنين والكافرين التي توجب اتباع سبيل المؤمنين الذين اتبعوا مثله وتجنب سبيل الكافرين الذين خالدوا مثله وحكم الشيء حكم نظيره فإذا كان من كان مثله ومثل من اتبعه سعيداً وحال من خالف مثله ومثل من اتبعه شقياً كان في هذا دلاله وعبرة توجب اتباعه وتنهى عن مخالفته وهذا أيضاً دليلاً على نبوة من قبله من الأنبياء من وجهين من جهة أنه أخبر بمثل ما أخبروا به من غير مواطأة بينهم وبينه ولا تشعر لم يأخذوا عنه ولم يأخذ عنهم وكل منهما أخبر عن الله بأخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواترها فإذا لم يكن توافق وتشاور وامتنع اتفاق ذلك من غير مواطأة علم أن كلاً من المخبرين صادق وقال تعالى لما قص قصة نوح من سورة هود وهي أطول ما قصه في قصة نوح **{إِنَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيَّاً إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُ هَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْنِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}** {هود: 49} ذكر سبحانه أن

هذا الذي أوحاه إليه من الأنبياء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر إلا قومه وقومه يعلمون ذلك منه ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعلمون أيضاً أنه هو لم يكن تعلم ذلك وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه ومثل ما أخبرهم عن قصة آدم وسجود الملائكة له وتزريين إبليس له حتى أكل من الشجرة وهبط هو وزوجه وأخبرهم عن قصة نوح ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب مقدار لبته في قومه قبل الغرق وبعده وأخبرهم عن قصة الخليل وما جرى له مع قومه والإلقاء في النار وذبح ولده ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان وتبشيره بإسحاق ويعقوب وذهاب الملائكة إلى لوط وما جرى للوط مع قومه وإهلاك الله مدائنه قوم لوط وقصة إسرائيل مع بنيه قصة يوسف وما جرى له بمصر وقصة موسى مع فرعون وتکليم الله إياه مرة بعد مرة وأياته كالعصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وتظليل الغمام علىبني إسرائيل وإطعامهم المن والسلوى وانفجار الماء من الحجر الثاني عشر عيناً لسفينه وعبادتهم العجل وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم وقصة البقرة وتنق الجبل فوقهم وقصة داود وقتلهم لجالوت وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وغير ذلك من أحوال بنى إسرائيل إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى ويعيسى بن مریم وأحوال المسيح وأياته ودعائه لقومه والآيات التي بعث بها وتفاصيل ذلك وذكر قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنيين وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكافر مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة أنه لم يتعلم هذا من بشر بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك لا يهودي ولا نصراوي ولا غيرهم فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنباء به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا النبي أو من أخذ عن النبي فإذا لم يكن هو أخذه عن النبي تعين أن يكوننبياً ثم سائر أهل الأرض يعلمون أنه لم يتعلم ذلك من بشر من طرق أحدها أن قومه المعادين له الذين هم من أحرص

الناس على القدر في نبوته مع كمال علمهم لو علموا أنه تعلم ذلك من بشر لطعنوا عليه بذلك وأظهروه فإنهم مع علمهم بحاله يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان ومع حرصهم على القدر فيه يمتنع أن لا يقدحوا فيه ويمتنع أن لا يظهر ذلك الثاني أنه قد توادر عن قومه أنهم كانوا يقولون أنه لم يكن يجتمع به من يعلمه ذلك الثالث أنه لو كانت هذه القصص المتنوعة قد تعلمتها من أهل الكتاب مع عداوته لهم لكانوا يخبرون بذلك ويظهرونها ولو أظهروا ذلك لنقل ذلك وعرف فإن هذا من الحوادث التي تتوفى الهم والداعي على قوله الرابع أنه حيث بعث كان الناس إما مشركاً وإما كتابياً فلم يكن هناك أحد على الدين الذي دعا إليه وقد علم الناس بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولو قدر أنهم كانوا يعرفونها فهم أول من دعاهم إلى دينه فعادوه وكذبوا فلو كان فيهم من علمه أو يعلم أنه تعلم من غيره لأظهر ذلك الخامس أن مثل هذا لو كان فلا بد أن يعرفه ولو خواص الناس وكان في أصحابه الذين آمنوا به من يعرف ذلك وكان ذلك ومع فرط عداوتهم له آية بينة لجميع الأمم أنه لم يكن هو ولا هم يعلمون ذلك فأخبر عن قل ذلك وهم يعلمون أن هذا من أظهر الكذب

فذكر سبحانه أن هذا الذي أوحاه إليه من أنبياء الغيب ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم وهو لم يعاشر إلا قومه وقومه يعلمون ذلك منه ويعملون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك ويعملون أيضاً أنه هو لم يكن تعلم ذلك وأنه لم يكن يعاشر غيرهم وهم لا يعلمون ذلك صار هذا حجة على قومه وعلى من بلغه خبر قومه فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنباء به الله ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلانبي أو من أخذ عن النبي فإذا لم يكن هو أخذه عن النبي تعين أن يكوننبياً فإن هذه القصص المذكورة في القرآن لم يكن بمقدمة من يعرفها فضلاً عن أن ي مليها كما قال {وَمَا كُنْتَ تَنْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأْرَأْتَ الْمُبْطَلِوْنَ} العنكبوت 48 وقال {تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِنِ} هود 49²⁰⁵

أنه كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصلاً لا يعلمه أحد إلا أن يكوننبياً أو من أخبارهنبي وقومه يعلمون أنه لم يخبره بذلك أحد من البشر وهذا مما قامت به الحجة عليهم وهم مع قوة عداوتهم له وحصرهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم وكان علمسائر الأمم بأن قومه المعادين لهم المجتهدين في الطعن عليه لم يمكنهم أن يقولوا إن هذه الغيبات علمها إياها بشر فوجب على جميع الخلق أن هذا لم يعلمه إياها بشر ولهذا قال تعالى {تَلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيَ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِنِ} هود 49 فأخبر أنه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه ولهذا زعم بعضهم أنه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد كما قال تعالى {إِذَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} 98 {إِنَّهُ لَئِسْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانَهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ} 101 قالوا إنما أنت مفترٌ بن أكثرهم لا يعلمون

الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدُىٰ وَبُشِّرَ لِلْمُسْلِمِينَ {102} وَأَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلَّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي
يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ {103} النحل 98-103²⁰⁶

التقوى سبب لحفظ الحسنات ومنع السيئات

ان اكثر بنى آدم قد يفعل بعض المأمور به ولا يترك المنهى عنه الا الصديقون كما قال سهل لان المأمور به له مقتضى في النفس واما ترك المنهى عنه الى خلاف الهوى ومجاهدة النفس فهو أصعب وأشق فقل أهله ولا يمكن أحدا أن يفعله الا مع فعل المأمور به لا تتصور تقوى وهي فعل ترك فقط فان من ترك الشرك واتباع الهوى المضل واتباع الشهوات المحرمات فلا بد أن يفعل من المأمور به أمورا كثيرة تصدء عن ذلك فتقراهم تحفظ لهم حسناتهم التي امرروا بها وتمنعهم من السيئات التي تضرهم بخلاف من فعل ما أمر به وما نهى عنه مثلا فان وجود المنهى عنه يفسد عليه من المأمور به ما يفسد فلا يسلم له ولهذا كانت العاقبة للتقوى كما قال تعالى {وَالْعَاقِبَةُ
لِلتَّقْوَىٰ} طه 132 {وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقَيِّنِ} الأعراف 128 {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَنْقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كُيُّدُهُمْ
شَيْنًا} آل عمران 120 وذلك لأن المتقين بمنزلة من أكل الطعام النافع واتقى الاطعمة المؤذنة فصح جسمه وكانت عاقبته سليمة وغير المتقى بمنزلة من خلط من الاطعمة فإنه وان اغذى بها لكن تلك التحاليل قد تورثه امراضها اما مؤذنة واما مهلكة²⁰⁷

وقد ذكر الله الصبر والتقوى جميا في غير موضع من كتابه وبين أنه ينصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين المعاندين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة وقد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموما وخصوصا وقال تعالى {تَلَكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكُمْ
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقَيِّنِ} هود 49²⁰⁸

لطائف لغوية

1- قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِّيْتَ عَلَيْكُمْ
أَلْزَمْكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} هود 28 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهوى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 193-403 و العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 193²⁰⁶

مجمع الفتاوى ج: 20 ص: 137²⁰⁷

الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 109²⁰⁸

المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله {أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحْفِ الْأُولَى} طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمى الرسول بینة كما قال {حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيْنَةُ} 1 {رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِ الْإِنْسَانِ} 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بینة ونور من ربه²⁰⁹

2- قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِّلُوهُ عَلَيْكُمْ أَنْلِزِ مُكْمُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} هود 28 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة²¹⁰

3- قال تعالى {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَاءَنَا فَأَكْثَرُتَ حَدَائِنَا فَأَنْتَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} 32
قال إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ} 33 هود 32-33

وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره²¹¹

4- قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَورُ فُلِّا احْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقُولُ وَمِنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 وزوج الشيء نظيره وسمى الصنف زوجا للتشابه افراده كقوله {فَانْبَثَّتَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ} لقمان 10 وقال {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعِلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الذاريات 49 قال غير واحد من المفسرين صنفين ونوعين مختلفين السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهر والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والكفر والإيمان والسعادة والشقاوة والحق والباطل والذكر والأنثى والنور والظلمة والحلو والمر وأشباه ذلك²¹²

مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 75²⁰⁹

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65²¹¹

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418²¹²

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 64²¹³

5- قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّثْوِرُ فُلِنَا احْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ أَمْنَ وَمَا أَمْنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولا تدل على أن الأول مخالط بالثاني في عامة موارد الإستعمال كقوله تعالى {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} الفتح 29 لم يرد أن ذواتهم مخالطة بذاته²¹³

6- قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّثْوِرُ فُلِنَا احْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ أَمْنَ وَمَا أَمْنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} هود 40 والزوج يراد به النظير المماثل والضد المخالف وهو الند²¹⁴

7- قال تعالى {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّبِينَ} هود 43 ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول فالمعنى مخلوق كما قال {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ} النحل 1 وقال {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 فهنا المراد به المأمور به ليس المراد به أمره الذي هو كلامه وهذه الآية التي إحتاج بها هؤلاء تضمنت الشرع وهو الأمر وقد ضل في هذا الموضوع فريقان الجهمية الذين يقولون كلام الله مخلوق ويحتجون بقوله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 ويقولون ما كان مقدورا فهو مخلوق وهؤلاء الحلوية الضالون الذين يجعلون فعل العباد قدما بأنه أمر الله وقدره وأمره وقدره غير مخلوق ومثار الشبهة أن إسم القدر والأمر والشرع يراد به المصدر ويراد به المفعول ففي قوله {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا} الأحزاب 38 المراد به المأمور به المقدور وهذا مخلوق وأما في قوله {ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ} الطلاق 5 فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها وإنما أنزل القرآن وهذا كقوله {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} النساء 58 فهذا الأمر هو كلامه²¹⁵

8- قال تعالى {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمِنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغَرَّبِينَ} هود 43 والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها فالاول إضافة صفة كقوله {قَالَ لَا عَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} هود 43 فالمضاف في الأول صفة الله

²¹³ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 390

²¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 35

²¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 413

قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك الله مخلوق له بائنة عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين ²¹⁶
الخلق

9- قال { وَقِيلَ يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَيَا سَمَاءَ أَفْلَعَى وَغَيْضَنَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } هود⁴⁴ إستوى على كذا فليس في القرآن و لغة العرب المعروفة إلا بمعنى واحد قال تعالى { فَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ } الفتح 29 وقال { وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ } هود⁴⁴ قال { لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكُّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ } الزخرف 13 وقال { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلْكِ } المؤمنون 28 وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بذلة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال بسم الله فلما إستوى على ظهرها قال الحمد لله وقال ابن عمر أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج لما إستوى على بعيره وهذا المعنى يتضمن شيئاً علوه على ما إستوى عليه وإعتداله أيضاً فلا يسمون المائل على الشيء مستوياً عليه ²¹⁷

10- قال { وَقِيلَ يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَيَا سَمَاءَ أَفْلَعَى وَغَيْضَنَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } هود⁴⁴ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى إستوى بمعنى علا وتقول العرب إستويت على ظهر الفرس بمعنى علوت عليه واستويت على سقف البيت بمعنى علوت عليه ويقال إستويت على السطح بمعناه وقال الله تعالى { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلْكِ } المؤمنون 28 وقال { لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ } الزخرف 13 ²¹⁸

11- قوله { يَا أَرْضُ الْبَلْعَى مَاءِكَ وَيَا سَمَاءَ أَفْلَعَى وَغَيْضَنَ الْمَاءِ } هود⁴⁴ قيل اراد بالسماء المطر اي يا مطر انقطع وليس كذلك بل الاقلاع الامساك اي يا سماء امسكي عن الامطار ²¹⁹

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 157 ²¹⁶

مجمع الفتاوى ج: 17 ص: 379 ²¹⁷

مجمع الفتاوى ج: 5 ص: 520 ²¹⁸

مجمع الفتاوى ج: 20 ص: 472 ²¹⁹

12- فان السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول لو نزلت عندنا لأكرمناك وان بت
الليلة عندنا أحسنت علينا ومنه قول آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ
لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 ²²⁰ ومثله كثير

13- أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولا تدل على أن
الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الإستعمال كقوله تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
} الفتح 29 لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته وقوله عن نوح { اهْبِطْ بِسْلَامٍ مِنْا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ
وَعَلَى أُمَّةٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُمَتَّعُهُمْ } هود 48 ²²¹

60-50 هود

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا مُفْتَرُونَ } 50 { يَا قَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي
فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ } 51 { وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزْدَكُمْ فُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ } 52 {
قَالُوا يَا هُودٌ مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي الْهَتْنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ } 53 { إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ الْهَتْنَا بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ
وَأَشْهُدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } 54 { مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا
تُنْظَرُونَ } 55 { إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ
بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 56 { فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقَدْ أَبْغَثْتُكُمْ مَا
أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلُفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ } 57 { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَلِيِّظٍ } 58 { وَتَلَكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
وَعَصَوْا رُسُلَّهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ } 59 { وَأَتَبْعَوْا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بُعْدًا لَعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ } 60 {

خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا

التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره وبه أرسل الله الرسل
 وأنزل الكتب وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتح دعوته بأن قال لقومه {
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } هود 50 وفي المسند عن بن عمر عن النبي أنه قال بعثت
 بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل
 الذل والصغر على من خالف أمرى ومن تشبيه بقوم فهو منهم 222

أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ }
 {الذاريات 56} وذلك هو أصل ما أمرهم به على السن الرسل كما قال نوح و هود و صالح
 و ابراهيم وشعيب { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } هود 50 وقال {وَمَنْ يَرْغِبُ عَنْ مَلْكَةِ إِبْرَاهِيمِ
 إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ } البقرة 130 الى قوله { إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة 133 لموسى
 {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي } طه 14 وقال المسيح {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا
 اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } المائدة 117 والاسلام هو الاستسلام لله وحده وهو أصل عبادته وحده وذلك
 يجمع معرفته ومحبته والخصوص له وهذا المعنى الذي خلق الله له الخلق هو أمر وجودي من
 باب المأمور به ثم الأمر بعد ذلك بما هو كمال ما خلق له واما المنهى عنه فاما مانع من أصل ما

خلق له واما من كمال ما خلق له فهو مانع من الاشراك لأنه مانع من الاصل وهو ظلم في الربوبية كما قال تعالى {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} لقمان 13 ومنعوا عن ظلم بعضهم في النفوس والاموال والابضاع والاعراض لأنه مانع من كمال ما خلق له فظاهر ان فعل المأمور به أصل وهو المقصود وان ترك المنهى عنه فرع وهو التابع وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} النساء 48 لأن الشرك منع الاصل فلم يك في النفس استعداد للفلاح في الآخرة بخلاف ما دونه فان مع المغفور له أصل الایمان الذي هو سبب السعادة²²³

فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله الله وبه انزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاحد الرسول والمؤمنون قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْدِنُونَ} الذاريات 56 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُنِ} الأنبياء 25 وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد أخبر عن جميع المرسلين ان كلا منهم يقول لقومه {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح وان كانت هذه الاسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها وهذا الذى يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّيْنُ كُلُّهُ لِهِ} الأنفال 39 وفي الصحيحين عن أبي موسى الشعري رضى الله عنه قال سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رداء فأى ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله²²⁴

وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوى الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال {اعْبُدُوا اللَّهَ} هو 50 فالعبادة لابد فيها من معرفته والإنابة إليه والتذلل له والإفتقار إليه وهذا هو المقصود واذا حصل الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة وانابة كان وبالا على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإيليس اللعين فإنه معترف بربه مقرر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى فباتباعه له كما قال {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذُوْمًا مَذْهُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لَمَنْ لَمْ يَأْمُلْنَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} الأعراف 18 فلا بد أن يملأ جهنم منه ومن أتباعه مع أنه معترف بالرب مقر بوجوده وانما أبي واستكبار عن الطاعة والعبادة والقدرة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية ولهذا قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذي هو انباته إلى الله وخشيته له حتى يكون عابدا له فالرسل والكتب المنزلة أمرت بهذا وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السنوية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة 21 وقال أمرت أن أقتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن

إِلَهٌ هُوَ الْمَعْبُودُ وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى يَشَهُدُوا أَنْ لَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ اسْمَ اللَّهِ أَدْلُّ عَلَى مَقْصُودِ الْعِبَادَةِ لَهُ التَّى لَهَا خَلَقَ الْخَلْقَ وَبِهَا أَمْرَوَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمَعَاذَ إِنْكَ تَأْتَى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلَيْكُنْ أُولُو مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ {أَنْ أَعْبُدُو اللَّهَ وَأَتَقْوَهُ وَأَطِيعُونَ} نُوحٌ 3 وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَغَيْرَهَا²²⁵

وقد تنازع الناس فيما ينادي من أمة موسى وعيسى هل هم مسلمون أم لا وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا صلي الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد صلي الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لـا إله إلـا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى وذكر عن رسـلـه كـنـوـحـ وـهـوـدـ وـصـالـحـ وـغـيـرـهـ اـنـهـمـ قـالـوـاـ لـقـومـهـ {أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هـوـدـ 50²²⁶

العبادة هي اسم جامع لكل ما أمر الله به

عامة الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه بما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وفي قوله {وَأَعْبُدُو اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} النساء 36 وقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُو رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} البقرة 21 وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدُو اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} الزمر 2 {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي} الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيَّهَا الْجَاهِلُونَ} الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هـوـدـ 123 وقول نـوـحـ {أَعْبُدُو اللَّهَ وَأَتَقْوَهُ وَأَطِيعُونَ} نـوـحـ 3²²⁷

أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منها مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والأخر فرع بمنزلة المعاني المتضادـية كالآبـوةـ والبنـوـةـ أو كالأخـوـةـ منـ الجـانـبـيـنـ وـنـحـوـ ذـلـكـ فعلـيـ كلـ حـالـ إـذـاـ أـمـرـ بـفـعـلـ كـانـ نـفـسـ مـصـدرـ الفـعـلـ أـمـرـاـ مـطـلـوـبـاـ لـلـأـمـرـ مـقـصـودـاـ لـهـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ {أَعْبُدُو اللَّهَ} هـوـدـ 50 وفي قوله {وَأَتَقْوَهُ اللَّهُ} البقرة 189 وفي قوله {وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 10²²⁵

مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 95²²⁶

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163²²⁷

الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 وفي قوله {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } التغابن 8 وفي قوله { فَعَلَيْهِ تَوَكِّلُوا }
 { يُونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكّل أمور مطلوبة مقصودة بل هي
 نفس المأمور به²²⁸

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلوة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر القراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشيته للإله وإلزام الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكّل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا كُنْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالُ } النحل 36²²⁹

التفوى كما فسرها الاولون والاخرون فعل ما امرت به وترك ما نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقواها بالتفوى قالوا وما التقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وأيضا فالرسل مثل نوح وهم وصالح وشعيب فاتحة دعواهم في هود {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا كُنْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ } هود 50 وفي الشعراء {أَلَا تَنْقُونَ } الشعراء 106 {فَأَتَقْتُلُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ } الشعراء 108 وقال تعالى { وَلَكِنَّ الِّبَرَّ مَنِ اتَّقَى } البقرة 189²³⁰

العبادة متضمنة لغاية الحب بغایة الذل

اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 51²²⁸

الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 362²²⁹

مجمع الفتاوى ج: 20 ص: 135²³⁰

قال تعالى {اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هود 50 المحبة التي أمر الله بها هي عبادته وحده لا شريك له وإذا كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل والمحبة لما كانت جنسا لأنواع متفاوتة في القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختص به ويليق به مثل العبادة والإنبابة ونحوهما فإن العبادة لا تصلح إلا لله وحده وكذلك الإنابة وقد تذكر المحبة المطلقة لكن تقع فيها الشركة كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَنَدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبَّاً اللَّهِ} البقرة 165 ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها وعبادة إلى آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه الذي لا يبقى في العذاب إلا أهله فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقى منهم في العذاب أحد والذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ} النساء 48 وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص أهل النوعين وأصل دعوة جميع المرسلين قولهم {اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وعلى ذلك قاتل من قاتل منهم المشركين كما قال خاتم الرسل أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال الله تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِنْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كُبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} الشورى 13 ولهذا قال في الحديث المتفق عليه في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ثلث من كن فيه وجد حلوة الإيمان وفي روایة في الصحيح لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلث أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحبه إلا الله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقي في النار²³¹

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله

فإن الله تعالى أرسل الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى وأخبر عن كلنبي أنه دعا قومه إلى ذلك فقال عن هود {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَرُونَ} هود 50 وكذلك سائرهم وأمثال ذلك فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرین²³²

²³¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 11

²³² الصفدية ج: 2 ص: 242

محبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفق عليه الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد قال تعالى {وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميده التي بها يحصل كمالبني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتتركو وتكلمو إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكيل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومتنه مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخلائقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخلقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشن عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشأه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه وكان حكماً شجاعاً²³³

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجة من توهם ان المخلوق يخرج من العبودية بوجهه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واصلهم وقال تعالى {وَلَمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكِنُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْنَطُونَ {20} الأنبياء 19-20 وقال تعالى {لَنْ يَسْتَكِنَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّهُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِنْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِنْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً} النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرَا } النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٖ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وفي المسند عن ابن عمر عن النبي انه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغر على من خالف امرى 234

اخلاص الدين كله الله هو تحقيق قول لا اله الا الله

وكلما حق العبد الاخلاص في قول لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهوه وتصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال تعالى {كَذَّلِكَ لَنْ تُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 فعمل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} الحجر 42 وقال الشيطان {قَالَ فَيُعِزِّزَنَّكَ لَا غُوَيْنَمْ أَجْمَعِينَ} 82 {إِلَّا عِبَادُكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 83 ص 83-82 وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمته النار على النار فإن الاخلاص ينفي اسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي اوقعه فيما ادخله النار والشرك في هذه الأمة اخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا في كل صلاة ان يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفترقا الى تخليص توحيده من شوائب الشرك وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره عن النبي انه قال يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا الله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذي اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب من اتخاذ الله هواه فصار فيه شرك منعه من الاستغفار واما من حق التوحيد والاستغفار فلا بد ان يرفع عنه الشر فلهذا قال ذو التون {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 وقوله {أَلَا تَعْدُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} 2 وَأَنْ اسْتَغْفِرُوْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ} 3 هود 2-3 وقوله {إِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ ابْعُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} 50 يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَخْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الدِّيَارِ فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْلَمُونَ} 51 وَبِإِنْ قَوْمَ اسْتَغْفِرُوْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَرْدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتُكُمْ وَلَا تَنْتَلُوا مُجْرِمِينَ} 52 هود 50-52 وقوله {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} 6 فصلت 6 وخاتمة المجلس سبحانه الله وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفر لك واتوب اليك كان مجلس رحمه كانت كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كانت كفارة له وقد روى ايضا انها تقال في آخر الضوء بعد ان يقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واثهد ان مخدعا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار فان صدره الشهادتان اللتان هما اصلا الدين وجماعة فان جميع الذين داخل في الشهادتين اذ مضمونها ان لا نعبد الا الله وان نطيع رسوله و الدين كله داخل في هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله وكل ما يجب او يستحب داخل في طاعة الله ورسوله وقد روى انه يقول سبحانه الله وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفر لك واتوب اليك وهكذا كفارة المجلس فقد شرع في آخر المجلس وفي آخر الوضوء وكذلك كان النبي يختتم الصلاة كما في الحديث الصحيح انه كان يقول في آخر صلاته اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت اذ اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وهذا قدم الدعاء وختمه بالتوحيد لأن الدعاء مأمور به في آخر الصلاة وختم بالتوحيد ليختتم الصلاة بأفضل الأمرين وهو التوحيد بخلاف ما لم يقصد فيه هذا فان تقديم التوحيد افضل فإن جنس الدعاء الذي هو ثناء وعبادة افضل من جنس الدعاء الذي هو سؤال وطلب وان كان المفضول قد يفضل على الفاضل في موضعه الخاص بسبب وبأشياء اخر كما ان الصلاة افضل من القراءة والقراءة افضل من الذكر الذي هو ثناء والذكر افضل من الدعاء الذي هو سؤال ومع هذا فالمفضول له امكانة وازمة واحوال يكون فيها افضل من الفاضل لكن اول

ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الایمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي انه قال ثلاث من كن فيه وجدهن حلاوة الایمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الایمان وأكبر اصوله وأجل قواعده بل هي اصل كل عمل من اعمال الایمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من أقوال الایمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الاعمال الایمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الایمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما أريده به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي انه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فانا منه برئ وهو كله للذى أشرك وثبت في الصحيح في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسرع بهم النار القارئ المرأى والمجاهد المرأى والمتصدق المرأى بل اخلاص الدين الله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والأخرin من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة اهل الایمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابليس انه قال {فَيُعَزِّزُكَ لَا غُوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ}82 {إِلَّا عَبَادَكَ مِنْهُمْ}83 المخلصين {الحاوين}83 ص 82-83 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ} النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله {فُلْنَ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} النحل 99-100 فيبين ان سلطان الشيطان واغواهه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف {كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24

وابتاع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وقد قال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ} النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله {فُلْنَ يَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} الزمر 53 فذلك في حق التائبين ولهذا عم واطلق وسباق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الأولين والآخرين انما امرموا بذلك في غير موضع كالسورة التيقرأها النبي علي ابى لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة ابلاغ واسماع بخصوصه فقال {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ}4 {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ حُنَفَاءُ}5 البينة 4-5 الآية

و هذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي لِيَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولًا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهُ يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل كما قال نوح عليه السلام {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} لاسيما أفضل الرسل الذين اتخذ الله كلامهما خليلاً ابراهيم ومحمداً عليهم السلام فإن هذا الأصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام الذي قال الله فيه {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} البقرة 124 وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم من آل الله الذين بارك الله عليهم قال سبحانه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} 26 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينَ} 27 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} 28 الزخرف 26-28 فهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 {أَنَّكُمْ مِنْ دُونِنِي إِنْ يُرْدِنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ} 23 {إِنِّي إِذَا لَمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 24 {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ} 25 يس 22-25

إلهية ما سوى الله ليس لها أساس ثابت ولا فرع ثابت بل هي أعظم الكذب والإفتراء

لفظ الإله يراد به المستحق للإلهية ويراد به ما يتخذ الناس إليها وإن لم يكن إليها في نفس الأمر بل هي أسماء سموها هم وأباوها هم فتلك ليست في نفسها آلة وإنما هي آلة في أنفس العبادين فالهيتها أمر قدره المشركون وجعلوه في أنفسهم من غير أن يكون مطابقاً للخارج كالذى يجعل من ليس بعالم عالماً ومن ليس بحي حياً ومن ليس بصادقاً ولا عدل صادقاً وعلاً فيقال هذا عندك صادق وعادل وعالم وتلك اعتقادات غير مطابقة وأقوال كاذبة غير لائقة ولهذا يجعل سبحانه ذلك من باب الإفتراء والكذب كما قال أصحاب الكهف {هُوَ لَا يَأْكُلُ فَوْمَنَا أَنْخَدُوا مِنْ دُونِهِ أَنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَحْلُقُونَ إِفْكًا} العنكبوت 17 وقال {وَمَا يَتَّبِعُ الدِّينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} يونس 66 أي شيء يتبع الدين يشرون وإنما يتبعون الظن والخرص وهو الحذر هذا صواب وإن ما يستقهمامية وقد قيل أنها نافية وبعضهم لم يذكر غيره كأبى الفرج وهو ضعيف كما قد بين ذلك في غير هذا الموضع وقال هود {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} هود 50 وإذا كانت إلهية ما سوى الله أمراً مختلفاً يوجد في الذهن واللسان لا وجود له في الأعيان وهو من باب الكذب والإعتقداد الباطل الذي ليس بمطابق وما عند عابديها من الحب والخوف والرجاء لها تابع لذلك الإعتقداد الباطل كمن يعتقد في شخص أنه صادق فصدقه فيما يقول وبنى على إخباره أ عملاً كثيرة فلما تبين كذبه ظهر فساد تلك الأعمال كأتبايع مسلمة والأسود وغيرهما من أصحاب الزوايا والترهات وما يشارونه لأنتبعهم مما لم يأذن به الله بخلاف الصادق والصدق ولهذا

كانت كلمة التوحيد {كَشَجَرَةٌ طَيْبَةٌ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُعَاهَا فِي السَّمَاءِ} إبراهيم 24 وقال في كلمة الشرك {كَشَجَرَةٌ حَبِيبَةٌ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ} إبراهيم 26 فليس لها أساس ثابت إذ كانت باطلة كأقوال الكاذبين وأعمالهم بل هي أعظم الكذب والإفتراء مع الحب لها والشرك أعظم الظلم قال ابن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل الله ندا وهو خلقك نفس تألهم لها وعبادتهم إياها وتعظيمها وحبها ودعائهما وإنقادها آلها والخبر عنها بأنها آلة موجود كما كان إنقاد الكاذبين موجودا وأما نفس إتصافها بالإلهية فمفقود كإتصاف مسلمة بالنبوة فهنا حالان حال للعبد وحال للمعبود فاما العابدون فكلهم في قلوبهم عبادة وتأله لمن عبده وأما المعبودون فالرحم من له الإلهية وما سواه لا الهية له بل هو ميت لا يملك لعباديه ضرا ولا نفعا {قُلْ لَوْ كَانَ مَعْهُ اللَّهُ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} الإسراء 42 وهو في أصح القولين سبيلا بالتقرب بعبادته وذكره ولهذا قال بعدها {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مَنْ شَيْءَ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْفَهُنَّ تَسْبِيحَهُمْ} الإسراء 44 فأخبر عن الخلاق كلها أنها تسبح بحمده وقد بسط هذا في موضع آخر²³⁷

يصف القرآن أهل الشرك بالفريدة

كما قرن الله بين الشرك والكذب في غير موضع قوله {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} 30 {خُنَفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ} 31 الحج 30-31 وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله مرتين ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَالْهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلِلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} الأعراف 152 وقال تعالى {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} 74 وتنزل علينا من كُلَّ أُمَّةٍ شهيداً فَقَنَّا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} 75 القصص 74-75 وهذا الحق الله كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال لمعاذ بن جبل يا معاذ اتدري ما حق الله على عباده قال الله ورسوله أعلم قال حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا يا معاذ اتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قال الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعبدهم وقال تعالى {وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا} قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره إن أنتم إلا مفترون 50 هود ومثل هذا في القرآن متعدد يصف أهل الشرك بالفريدة ولهم طالبهم بالبرهان والسلطان كما في قوله {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} المؤمنون 117²³⁸

وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذْبَحُ أَبْنَاءُهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} 4 ونريد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أممأ وتجعلهم

الْوَارِثِينَ {5} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ {6} القصص 4-6 فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه برسالة انه كان طاغيا مفسدا و ايضا أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغروا مما فعلوه فلو كان كالمحاب المستوى الطرفين والمعفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا يعاقب الا بعد إقامة الحجة وهذا كقوله تعالى وقال عن هود {وَإِلَيْ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} 50 يا قوم لا أسألكم على إجراء إن أجري إلا على الذي فطرني أَفَلَا تَعْقِلُونَ {51} وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} 52 هود 50-52 فأخبر في أول خطابه أنهم مفترون بأكثر الذي كانوا عليه كما قال لهم في الآية الأخرى {أَتُجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَذِّرِينَ} الأعراف 71²³⁹

الأفعال تكون قبيحة مذومة قبل مجيء الرسول إليهم (بحاجة الى مرجع آخر للتوضيحه ونفس المرجع)

وقد فرق الله بين ما قبل الرسالة وما بعدها في أسماء وأحكام وجمع بينهما في أسماء وأحكام وذلك حجة على الطائفتين على من قال ان الافعال ليس فيها حسن وقبح ومن قال انهم يستحقون العذاب على القولين اما الاول فانه سماهم ظالمين وطاغيين ومفسدين لقوله {إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} طه 24 وقوله {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ} 10 فَوْرَمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ} 11 الشعراء 10-11 وقوله {إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضِعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَدْبُحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْرِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} القصص 4 فاخبر انه ظالما وطاغيا ومفسدا هو وقومه وهذه اسماء ذم الافعال والذم انما يكون في الافعال السيئة القبيحة فدل ذلك على ان الافعال تكون قبيحة مذومة قبل مجيء الرسول إليهم لا يستحقون العذاب الا بعد اتيان الرسول اليهم لقوله {وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وكذلك أخبر عن هود انه قال لقومه {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} هود 50 فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه لكونهم جعلوا مع الله الها آخر فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة فانه يشرك بربه ويعدل به و يجعل معه الله آخر ويجعل له أندادا قبل الرسول ويثبت أن هذه الاسماء مقدم عليها وكذلك اسم الجهل والجاهلية يقال جاهليه وجاهلا قبل مجيء الرسول واما التعذيب فلا والتولى عن الطاعة كقوله {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَى} 31 ولكن كذب وتولى} 32 القيامة 31-32 فهذا لا يكون الا بعد الرسول مثل قوله عن فرعون {فَكَذَبَ وَعَصَى} النازعات 21 كان هذا بعد مجيء الرسول اليه كما قال تعالى {فَأَرَأَهُ الْأَيَّةَ الْكُبْرَى} 20 فكذب وعصى} 21 النازعات 21-20 وقال {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} المزمول 16 هذا آخر ما وجد(هذه عبارة لمن جمع مجموع الفتاوى لابن تيمية))²⁴⁰

العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضررة

الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضررة وهذا من العقل الذي ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضررة²⁴¹

قال تعالى {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ} 50 يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ} 51 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاة إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلكم تعقلون وقوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 وقوله {قَدْ بَيَّنَاهُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقل وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِرِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدرارهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلمة وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاة كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاة²⁴²

قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ} طه 54 أى العقول وقال تعالى {هُلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} الفجر 5 أى لذى عقل وقال تعالى {وَأَنَّقُولَنَّ يَا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} البقرة 197 وقال {إِنْ شَرَّ الدَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُ الْبُكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} الأنفال 22 وقال تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرِيبًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فاما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير فقط بل قال تعالى عن أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِرِ} الملك 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ نَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَعْقِلُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ

كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } الأعراف 179 وقال { ألم تحسب أن أكثر هم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا } الفرقان 44²⁴³

تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة عمل صالح

قال تعالى { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } 50 يا قوم لا أسألكم علىه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفالا تعقلون } 51 هود 50-51 أما تعليم القرآن والعلم بغير أجرة فهو أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وهذا مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام ليس هذا مما يخفى على أحد من نشأ بديار الإسلام والصحابة والتابعون وتابعوا التابعين وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجرة ولم يكن فيهم من يعلم بأجرة أصلا فإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر والأنبياء صلوات الله عليهم إنما كانوا يعلمون العلم بغير أجرة كما قال نوح عليه السلام { وما أَسَّلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } الشعراة 109 وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم وكذلك قال خاتم الرسل { قُلْ مَا أَسَّلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُنَكَّلِفِينَ } ص 86 وقال { قُلْ مَا أَسَّلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } الفرقان 57 وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجرة لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح فضلا عن أن يكون جائزا بل هو من فروض الكفاية فإن تعليم العلم الذي بينه فرض على الكفاية كما قال النبي في الحديث الصحيح بلغوا عنى ولو آية وقال ليبلغ الشاهد الغائب²⁴⁴

توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته هو قلب الإيمان

قال تعالى { وَيَا قَوْمٍ اسْتَعْفِرُوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوَّبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلُّوْا مُجْرِمِينَ } هود 52 وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما

الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيّبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه في هذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنتم بالله وقال تعالى وقال {وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَرْدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} هود 52²⁴⁵

التوبة فرض على العباد دائمًا

قال تعالى {وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَرْدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} هود 52 أن التوبة فرض على العباد دائمًا واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول في الحديث الصحيح أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسى بيده أنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة وأخر سورة نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح) 1 ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفراجاً 2 فسبح بحمد ربك واستغفر له إنما كان تواباً 3 النصر 1-3²⁴⁶

والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى في قصة يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 فالتفوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسُبْحَبْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِّيِّ وَالْإِبْكَارِ} غافر 55 فأمره مع الاستغفار بالصبر فإن العباد لأبد لهم من الاستغفار أولهم وأخرهم قال النبي في الحديث الصحيح يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسى بيده أنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقال انه ليagan على قلبي وإنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلى واسرافى في أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لي خطئي وعمدى وهزلى وجدى وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخترت وما أسررت وما أعلنت وما أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وقد ذكر عن آدم أبي البشر انه استغفر رباه وتات اليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه وعن ابليس أبي الجن لعنه الله أنه أصر متعلقاً بالقدر فلعنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية كما قال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 وفي الحديث الذى رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلكت

الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون
ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا²⁴⁷

القوة والعزة لأهل الطاعة التائبين إلى الله

وقد دل القرآن على أن القوة والعزة لأهل الطاعة التائبين إلى الله في مواضع كثيرة كقوله في سورة هود {وَبِا قَوْمٌ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مَدْرَارًا وَبَزِينُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} هود 52 وقوله {وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} المنافقون 8 {وَلَا تَهُنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 139 وإذا كان الذي قد يهجر السيئات يغض بصره ويحفظ فرجه وغير ذلك مما نهى الله عنه يجعل الله له من النور والعلم والقوة والعزة ومحبة الله ورسوله فما ظنك بالذي لم يحلم حول السيئات ولم يعرها طرفه فقط ولم تحدثه نفسه بها بل هو يجاهد في سبيل الله أهلاها ليتركوا السيئات فهل هذا وذلك سواء بل هذا له النور والإيمان والعزة والقوة والمحبة والسلطان والنجاة في الدنيا والآخرة أضعفاف ذاك وحاله أعظم وأعلى نوره اتم وأقوى فان السيئات تهواها النفوس ويزنها الشيطان فتجمعت فيها الشبهات والشهوات فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسق والعصيان حتى يغوص عن شهوات الغي بحب الله ورسوله وما يتبع ذلك وعن الشهوات والشبهات بالنور والهدى وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به حيث دفع بالعلم الجهل وبإرادة الحسنات اراده السيئات وبالقوة على الخير القوة على الشر في نفسه فقط والمجاهد في سبيل الله يطلب فعل ذلك في نفسه وغيره أيضا حتى يدفع جهله بالظلم وارادته السيئات بارادة الحسنات وتحذير ذلك والجهاد تمام الإيمان وسلام العمل كما قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} الحجرات 15 وقال {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرِجْتُ لِلنَّاسِ} آل عمران 110²⁴⁸

في قوله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال 33 والكلام عليها من وجهين أحدهما في الاستغفار الدافع للعذاب والثاني في العذاب المدفوع بالإستغفار أما الأول فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والإستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى {الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ أَيَّاثُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} 1 {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} 2 {وَأَنَّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَغَّكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمٌّ وَيُؤْتَ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلُّوْا فَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ} 3 هود 3-1 فيبين سبحانه أنه إذا

فعلوا ذلك متعوا متعاما حسنا إلى أجل مسمى ويوتي كل ذي فضل فضله فيبين سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك متعوا متعاما حسنا إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل وقال تعالى عن نوح { يا قوم إني لكم نذير مبين }² { أَن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ }³ { يَغْفِرُ لَكُمْ مَنْ دُنُوِّكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى }⁴ إلى قوله { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا }¹⁰ { يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا }¹¹ الآية وقال تعالى { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }¹¹ { يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ }⁵² وذلك أنه قد قال تعالى { وما أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنِ كَثِيرٍ }³⁰ الشورى وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا اسْتَرَاهُمُ الشَّيْطَانُ بِعَضِ مَا كَسَبُوا }¹⁵⁵ آل عمران²⁴⁹

العقل يفهم من المطلق قdra مشتركاً وعند الاختصاص يقيد ذلك

سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مخصصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مخصصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الأسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الأسميين وتماثل مساماهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص فضلا عن ان يتحدد مساماهما عند الاضافة والتخصيص فقد سمي الله نفسه حيا فقال { إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ } البقرة²⁵⁵ وسمى بعض عباده حيا فقال { يُخْرِجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ } الروم¹⁹ وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم الله مختص به وقوله { يُخْرِجُ الْحَيَ مِنَ الْمَيِّتِ } الروم¹⁹ اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتلقان اذا اطلاقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قdra مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ دُوَّالْفُوَّةِ الْمُتَّبِينُ } الداريات⁵⁸ وسمى صفة المخلوق قوة فقال { وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ }⁵² هود²⁵⁰

لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد

فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن لسان الشرك لا يكون له لسان التوحيد وأن أقوال المشركين الذين قالوا { لَا تَتَرْكُنَ الْهَتَّكُمْ وَلَا تَذَرُنَ وَدَادَ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }²³ نوح والذين قالوا { مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر³ والذين قالوا { وَمَا تَحْنُ بِتَارِكِي الْهَتَّا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا تَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ }⁵³ هود⁵³ وقالوا { إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ

الْهَتَّا بِسُوءٍ } هود 54 والذين قالوا { حَرْ قُوَّةٌ وَانصُرُوا الْهَتَّكُمْ } الأنبياء 68 ونحو هؤلاء ليس هذا هو لسان التوحيد²⁵¹

بِتُوكُلِهِ عَلَى اللَّهِ يعْجِزُهُمْ عَما تَحْدَاهُمْ بِهِ

قال تعالى { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } 56 { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخِلُّ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ } 57 { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبَنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَا وَنَجَّبَنَا مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ } 58 { هود 56-58 } ويرى أنه ما من دابة إلا ربى أخذ بناصيتها وأنه على كل شيء وكيل وانه رب العالمين وان قلوب العباد ونواصيه بيده لا خالق غيره ولا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع ولا حافظ ولا معز ولا مذل سواه²⁵²

فالتوكل فله وحده لا شريك له كما قال { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ } هود 56²⁵³

قال عن هود لما قال لقومه { إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مَمَّا تُشْرِكُونَ } 54 { منْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ } 55 { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } 56 { فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخِلُّ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ } 57 { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبَنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَا وَنَجَّبَنَا مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ } 58 { هود 54-58 } فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكله على الله يدفع شرهم عنه فدعاهم إذا استعظموا ما يفعله كارهين له أن يجتمعوا ثم يفعلوا به ما يريدونه من الإهلاك وقال تعالى { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } هود 56 فلولا أن تتحقق هذه الكلمة وهو توكله على الله يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تعجيزا لهم من مناجزته لكان قد طلب منهم أن يهلكوه وهذا لا يجوز وهذا طلب تعجيز لهم فدل على أنه بتوكله على الله يعجزهم عما تحداهم به وكذلك هو يشهد الله وإياهم أنه بريء مما يشركونه بالله ثم يتحداهم ويعجزهم بقوله { فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ } 55 { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } 56 هود 55-56 بين أنه توكل على من أخذ بنواصي الأنفس وبسائر الدواب فهو يدفعكم عني لأنني متوكلا عليه ولو كان وجود التوكيل كعدمه في هذا لكان قد أغراهم بالإيقاع به ولم يكن لذكر توكله فائدة إذ كان حقيقة الأمر عند هؤلاء أنه لا فرق بين من توكل ومن لم يتوكلا في وصول العذاب عليه وهم كانوا أكثر وأقوى منه فكانوا يهلكونه لولا قوته

مجمع الفتاوى ج: 2 ص: 349²⁵⁴

مجمع الفتاوى ج: 2 ص: 459²⁵⁵

مجمع الفتاوى ج: 1 ص: 69²⁵⁶

بتوكله عليه فإن التوكل إن لم يعطه قوة فهم أقوى منه وهو لو قال بأن الله مولاي وناصري ونحو ذلك لعلم أنه قاله مخبرا فالله يدفعهم عنه وإنما يدفعهم لإيمانه وتقواه ولأنه عبده ورسوله والله تعالى مع رسالته وأوليائه فإذا كان بسبب الإيمان والتقوى يدفع الله عن المؤمنين التقين كما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ حَوَانٍ كُفُورًا} الحج 38 علم أن العبد تقوم به أعمال باطنة وظاهرة يجلب بها المنفعة ويدفع بها المضرة فالتوكل من أعظم ذلك وعلم أن من ظن أن المقدور من المنافع والمضار ليس معلقا بالأسباب بل يحصل بدونها فلو غلط وكذلك قول من جعل ذلك مجرد أمارة وعلامة لا قرآن هذا بهذا في غير موضع من القرآن في خلقه وأمره كقوله تعالى {فَأَخْرَجَنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْمُرَاتَ كَذَلِكَ نُخْرُجُ الْمُؤْمَنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 57 وقوله تعالى {كُلُّوا وَانثِرُبُوا هَيْنَا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْحَالِيَّةِ} الحاقة 24 وقوله تعالى {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} السجدة 17 وأنكر تعالى على من ظن وجود الأسباب كعدمها في قوله تعالى {أَفَقَدْ جَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} القلم 35 وقوله تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَاجَارِ} ص 28 وأمثال ذلك وهؤلاء الذين يقولون بالجبر قالوا بالأمر والنهي حقيقته أنه إعلام بوقوع العذاب بالمعاصي بمحض المشيئة لا لسبب ولا لحكمة فقلبوا حقيقة الأمر والنهي إلى الجبر كما أبطلوا الأسباب والحكم وأبطلوا قدر العباد وهم وإن كانوا يردون على القدرة ويدركون من تناظفهم ما يبين به فساد قول القدرة فردوه باطلًا وقابلوا بدعة كرد اليهود على النصارى والنصارى على اليهود مقاتلهم في المسيح وكلا المقاتلين باطلة وكذلك تقابل الخوارج والشيعة في علي كلًاهما باطل على باطل ونظائر متعددة²⁵⁴

(ناقص هنا) مدبرا مصرفا تحت مشيئة الرب من غير امتياز منه بوجه من الوجوه وهذا شامل للجمادات والحيوانات وكل شيء قال تعالى {مَا مِنْ ذَبَابٍ إِلَّا هُوَ أَخْذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبَّيَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56

المشركون يخشون أهتم ويرجونها

المشركون يخشون أهتم ويرجونها ولهذا لما قالوا لهود عليه السلام {إِنْ تَنْهَوْلُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ الْهَتَنَّا بِسُوءِ قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَآشْهَدُو أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} 54 من دونه فكيدوني جميـعاً ثم لا تنتظرون {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ ذَبَابٍ إِلَّا هُوَ أَخْذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {56} هود 54-55 ولما حاجوا إبراهيم عليه السلام قال لهم {أَتَحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسَعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عَلَمًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} 80 وكيـف أخاف ما أشركـتم ولا تخافـون أنكم أشرـکتم بالله ما لم ينزلـ به علـيـكم سـلطـاناً فـأـيـ الفـريـقـينـ أـحـقـ بـالـأـمـنـ إـنـ كـنـتـ تـعـلـمـونـ {81} الذـينـ آمـنـوا وـلـمـ يـلـبـسـوا إـيمـانـهـ بـظـلـمـ أوـلـئـكـ لـهـمـ الـأـمـنـ وـهـمـ مـهـتـدـونـ {82} الـاعـامـ 80-82

رسالة في تحقيق التوكل ج: 1 ص: 96-98²⁵⁴

رسالة في فنون الأشياء ج: 1 ص: 25 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 257²⁵⁵

الرب سبحانه على صراط مستقيم

قال تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَ الرِّزْقَ حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُنَّ يَسْتَوْنَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 75 {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنَ أَحَدُهُمَا أَبْكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنَّ يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 76 {النحل 75-76} والمثلان ضربهما الله سبحانه لنفسه المقدسة ولما يبعد من دونه فإن الأولان لا تقدر لا على عمل ينفع ولا على كلام ينفع فإذا قدر عبد مملوك لا يقدر على شيء وأخر قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهاً هل يستوى هذا المملوك العاجز عن الاحسان وهذا القادر على الاحسان المحسن إلى الناس سراً وجهاً وهو سبحانه قادر على الاحسان إلى عباده وهو محسن إليهم دائماً فكيف يشبه به العاجز المملوك الذي لا يقدر على شيء حتى يشرك به معه و المثل الثاني إذا قدر شخصان أحدهما أبكم لا يعقل ولا يتكلم ولا يقدر على شيء وهو مع هذا كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير فليس فيه من نفع قط بل هو كل على من يتولى أمره وأخر عالم عادل يأمر بالعدل ويعمل بالعدل فهو على صراط مستقيم وقد ضرب ذلك مثلاً لنفسه فإنه سبحانه عالم عادل يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم كما قال تعالى {شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 18 وقال هود {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56²⁵⁶

أن الله سبحانه وتعالى يقول الصدق و يعمل بالعدل كما قال {وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام 115} وقال هود {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هود 56 فأخير أن الله على صراط مستقيم وهو العدل الذي لا عوج فيه وقال {هُنَّ يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {النحل 76} وهو مثل ضربه الله لنفسه و لما يشرك به من الأولان كما ذكر ذلك في قوله {قُلْ هُنَّ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ} {يوسف 35 الآية} وقال {أَفَقَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ} {النحل 17} الآيات إلى قوله {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثِلُونَ} {النحل 21} فأخبر أنه خالق من عم عالم و ما يدعون من دونه لا تخلق شيئاً و لا تتعم بشيء و لا تعلم شيئاً و أخبر أنها ميتة فهل يستوى هذا وهذا فكيف يعبدونها من دون الله مع هذا الفرق الذي لا فرق أعظم منه و لهذا كان هذا أعظم الظلم و الافاك ومن هذا الباب قوله تعالى {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِ الدِّينِ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرًا مَمَّا يُشْرِكُونَ} {النمل 59} فقوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَ الرِّزْقَ حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هُنَّ يَسْتَوْنَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} 75 {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنَ أَحَدُهُمَا أَبْكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُنَّ يَسْتَوْيُ هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 76 {النحل 75-76} كلاهما مثل بين الله فيه أنه لا يستوي هو و ما يشركون به كما ذكر نظير ذلك في غير موضع وإن كان هذا الفرق معلوماً بالضرورة لكل أحد لكن المشركون مع

اعترافهم بأن آهاتهم مخلوقة مملوكة له يسون بينه وبينها في المحبة والدعاء والعبادة ونحو ذلك و المقصود هنا أن الرب سبحانه على صراط مستقيم²⁵⁷

الكافر الذين جدوا ما علموا أنه الحق

(ناقص هنا نفس المرجع) قال تعالى {وَتَلَكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَأَنْبَغُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ} {59} وَأَنْبَغُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنْ عَادًا كَفَرُوا وَرَبَّهُمْ أَلَا بُعدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُودٌ} {60} هود 59-60 فالكافر الذين جدوا ما علموا أنه الحق فإن في العالم من يكذب في خبر بخلاف ما يعلم في كثير من الأمور ليس في العالم من يكذب في كل ما يقول وكذلك في العالم من كذب بكثير من الحق الذي يعلمه لكن لا يكذب بكل ما يقال له من الحسبيات وغيرها فمن نفي الحقائق مع علمها بها ونفي العلم مع ثبوته فهو من الكاذبين ومن تجاهل وقال لا أدرى فهو من الكاذبين ما معه من الحق مثل كاتم الشهادة²⁵⁸

بالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء وبين الحق والباطل

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاصل يستدعي معرفة كل منهما ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي يقع بها التماثل والتفاصل كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم وكتابه أصح أو أن سيبويه أعلم من الأخفش ونحو ذلك وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال تعالى {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَّا أَنْذَرْنَا ذَوْلَدْ رَبُّورَا} الإسراء 55 والكلام في شيء أحدهما في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل وهذا غاية الجهل والظلم كقول الرافضة الذين يقولون إن عليا كان إماما عالما عادلا والثلاثة لم يكونوا كذلك وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون إن موسى كان رسولا ومحمد لم يكن كذلك فإن هذا في غاية الجهل والظلم بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ولكن فضل المفضول لهذا أقل جهلا وظلما ومحظوظ أن المسلمين يتلقون تارة في الكتب المنزلة عليهم وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل وتارة في أممهم فمن عنده علم وعدل فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب للتوراة وإنجيل أو في معجزات محمد ومعجزات غيره أو في شريعته وشريعة غيره أو في أمته وأمة غيره وجد له من التفضيل على غيره ما لا يخفى إلا على مفرط في الجهل أو الظلم فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر وغيره هو النبي الصادق نعم كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ما يبيّن لهم ذلك كما أن كثيرا من الرافضة لم يعرفوا من أخبار الثلاثة ما يبيّن لهم فضليتهم عن علي رضي الله عنه فهو لاء في الجهل وطلب العلم عليهم فرض خصوصا أمر النبوة فإن النظر في أمر من قال {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا رَسُولُ اللَّهِ يُبَشِّرُ بِمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَنْبَغُوا لَعْلَكُمْ تَهَذَّدُونَ} الأعراف 158 مقدم على كل شيء إذ كان

التصديق بهذا مستلزم لغاية السعادة والتکذیب به مقتضیا لغاية الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء وبين الحق والباطل والهوى والضلالة والفرق بين أولياء الله وأعدائه وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار بأن يعتبر حال محمد وكتابه وشرعه وأمته الحال غيره وكتابه وشرعه وينظر هل هما متماثلان أو متباينان وأليهما أفضل وإذا ثبنت أن حاله أفضل كان تصديقه أولى وامتنع أن يكون غيره صادقا وهو كاذب بل لو كانا متماثلين وجوب كونه صادقا بل وكذلك لو كانا متقاربين وغيره أفضل فإن المتتبلي الكذاب لا يقارب الصادق بل بينهما من التباين ما لا يخفى إلا على أعمى الناس وكذلك نسلك هذه الطريق في جنس الأنبياء عليهم السلام مطلاً وأمهم بأن تعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم وترى آثار هؤلاء وهؤلاء كما قال تعالى عن عاد **{وَأَثْبُعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلْبَدَ قَوْمًا هُودٍ}**²⁵⁹ 60

عاد عصوا هودا معصية تکذیب لجنس الرسل

قال تعالى **{وَتَلْكَ عَادٌ حَدُّوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَّهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ}**⁵⁹ **{وَأَتَبْعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلْبَدَ قَوْمًا هُودٍ}**⁶⁰ هود 60-59 وكذلك لفظ المعصية و الفسوق و الكفر فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسق كقوله **{وَتَلْكَ عَادٌ حَدُّوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَّهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيدٍ}**⁵⁹ هود فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودا معصية تکذیب لجنس الرسل فكان الملعنة لجنس الرسل كمعصية من قال **{فَكَذَبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}** الملك 9 ومعصية من كذب وتولى قال تعالى **{لَا يَصْلَحَا هَا إِلَّا أَلْأَشْقَى}**¹⁵ **{الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى}**¹⁶ الليل 15-16 أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمرموا وكذلك قال في فرعون **{فَكَذَبَ وَعَصَى}** **{النَّازَعَاتِ 21}** وقال عن جنس الكافر **{فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى}**³¹ **{وَلِكُنَّ كَذَبَ وَتَوَلَّى}**³² **{الْقِيَامَةُ 31-32}** فالتكذیب للخبر والتولى عن الأمر وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمرموا²⁶⁰

لطائف لغوية

1- قال تعالى **{وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَبَرِدَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَشَوُّلُوا مُحْرِمِينَ}**⁵² هود و قال تعالى **{فَإِنْ تَوَلُوا فَقَدْ أَبْلَغْنُتُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَبِسْتَخْلِفُ رَبِّيْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّيْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}**⁵⁷ **{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَّا وَتَجَنَّبَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}**⁵⁸ هود 57-58 قال تعالى

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 136²⁵⁹

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 59²⁶⁰

{ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا أَشْقَى }¹⁵ { الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّ }¹⁶ { الْلَّيلَ 15-16 } أى كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في فرعون { فَكَذَبَ وَعَصَى }¹⁷ { النَّازِعَاتِ 21 } وقال عن جنس الكافر { فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى }¹⁸ { وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ }¹⁹ { الْقِيَامَةَ 31-32 } فالتكذيب للخبر والتولي عن الأمر وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتكم فيما أمروا ومنه قوله { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْ فِرْعَوْنَ رَسُولًا }²⁰ { فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَا أَخْذًا وَبِيَلًا }²¹ { المزمل 15-16 } ولفظ التولي بمعنى التولي عن الطاعة مذكور في مواضع من القرآن كقوله { سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَاسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتَكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلُوا كَمَا تَوَلَّتُمْ مِنْ قَبْلٍ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا }²² الفتح 16 وذمه في غير موضع من القرآن من تولي دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وإن الأمر المطلق يتضمن وجوب الطاعة وذم المتولى عن الطاعة كما على الذم بمطلق المعصية في مثل قوله { فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَا أَخْذًا وَبِيَلًا }²³ المزمل 16

2- وقال تعالى { إِنْ تَوَلُوا فَقَدْ أَبْلَغْنَاهُمْ مَا أُرْسِلْنَا بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَحْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ }²⁴ { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَبَنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِظٍ }²⁵ هود 57-58 الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتاج في هذا الإسم إلى الاستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنّة يدل على أن هذا الإسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }²⁶ يونس 14 وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ }²⁷ الأنعام 165 وقال { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً }²⁸ في الأرض يخلدون }²⁹ الزخرف 60 قوله { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ }³⁰ الأعراف 69 وفي القصة الأخرى { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ }³¹ الأعراف 74 { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي }³² الأعراف 142 فهذا استخلاف وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا }³³ الفرقان 62 وقال { إِنِّي فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ }³⁴ يونس 6 أي هذا يخالف هذا وهذا يخالف هذا فيما يتعاقبان وقال موسى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهَلِّكَ عَذَوْكُمْ وَيَسْتَخْفِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }³⁵ الأعراف 129

وال الخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول اللهم أنت الصاحب في السفر وال الخليفة في الأهل وقال صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا و من خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم و له نبيب كنبيب التيس يمنح أحداهن اللبنة من اللبن لتن أظفرني الله بأحد منهم لأجعلنه نكلا و في القرآن { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ }³⁶ الفتح 11 و قوله { فَرِحَ

الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ { التُّوْبَة١٨١ وَالْمَرَادُ بِالْخَلِيفَةِ أَنَّهُ خَلَفَ مِنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْخَلْفُ فِيهِ مَنْاسِبَةٌ كَمَا كَانَ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقُ خَلِيفَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ خَلَفَ عَلَى أُمَّتِهِ بَعْدِ مَوْتِهِ وَكَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ لِحَجَّ أَوْ عُمْرَةَ أَوْ غَزْوَةً يَسْتَخْلِفُ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ يَكُونُ خَلِيفَةً لَهُ مَدْعَةً فَيَسْتَخْلِفُ تَارَةً ابْنَ أَمْ مَكْتُومَ وَتَارَةً غَيْرَهُ وَاسْتَخْلِفُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَتَسْمَى الْأَمْكَنَةُ الَّتِي يَسْتَخْلِفُ فِيهَا الْإِمَامُ مَخَالِيفٌ مِثْلُ مَخَالِيفِ الْيَمَنِ وَمَخَالِيفِ أَرْضِ الْحَجَازِ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ حِيثُ خَرَجَ مِنْ مَخَالِيفِ الْمُخَالِفِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتِ لَيْلَيْلَكُمْ فِي مَا آتَكُمْ } الْأَنْعَامُ ١٦٥ وَقَوْلُهُ تَعَالَى { وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا الْفُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا } يُونِس١٣ إِلَى قَوْلُهُ تَعَالَى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ } يُونِس١٤ وَمِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ } النُّورُ ٥٥ الْآيَة٢٦٣

3- قال تعالى {وَتَلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَأَنْتُمْ أُمَّرَ كُلَّ جَبَارٍ عَنِيدٍ} {٥٩} وَأَنْتُمْ أُمَّرَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٌ قَوْمٌ هُودٌ} {٦٠} هُود٥٩-٥٩ وكذلك لفظ المعصية و الفسوق و الكفر فإذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله {وَتَلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَأَنْتُمْ أُمَّرَ كُلَّ جَبَارٍ عَنِيدٍ} هُود٥٩ فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودا معصية تكذيب لجنس الرسل فكانت المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال {فَكَذَّبُنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} {الملائكة٩} ومعصية من كذب وتولى قال تعالى {لَا يَصْلَاحَا إِلَّا الْأَشْقَى} {١٥} الذي كذب وَتَوَلَّ} {١٦} الليل ١٥-١٦ أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة الأمر وانما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوه فيما أمروا وكذلك قال في فرعون {فَكَذَّبَ وَعَصَى} {النازارات٢١} وقال عن جنس الكافر {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} {٣١} ولكن كذب وَتَوَلَّ} {٣٢} القيامة ٣١-٣٢ فالتكذيب للخبر والتولى عن الأمر وانما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا²⁶⁴

هود-61

{وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيْ قَرِيبٌ مُحِبٌ} {61} قَالُوا يَا صَالِحٍ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ} {62} قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّيْ وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرْنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} {63} وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} {64} فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} {65} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمَنْ خَرَّى يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} {67} كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّ ثُمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بُعْدًا لِثُمُودَ} {68}

رأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله

التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} هود 61 وفي المسند عن بن عمر عن النبي أنه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه به فهو منهم²⁶⁵

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنما لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبيها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله

وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده فلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله وقال تعالى وقال **{فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوَبُوا إِلَيْهِ}** 61 هود²⁶⁶

إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل كما قال صالح عليه السلام **{وَإِلَى نَمُوذَأَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** 61 هود²⁶⁷

فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرین 268

فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله وبه انزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}** النحل 36 وقد أخبر عن جميع المرسلين ان كلاماً منهم يقول لقومه **{أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}** الأعراف 59 وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات والصالحات والعمل الصالح وإن كانت هذه الأسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا موضعها وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى **{وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}** الأنفال 39 وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله

مجمع الفتاوى ج: 1 ص: 72²⁶⁶

أمراض القلوب ج: 1 ص: 60²⁶⁷

الصفدية ج: 2 ص: 242²⁶⁸

عنه قال سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رداء فأى ذلك فى سبيل الله فقال
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله²⁶⁹

وقد تنازع الناس فيما نقدم من أمة موسى ويعيسى هل هم مسلمون أم لا وهو نزاع لفظي
فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا صلي الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس
عليه إلا أمة محمد صلي الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام
المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبها فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء ورأس
الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى وذكر عن رسle
كتوح وهود وصالح وغيرهم انهم قالوا لقومهم {اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هود 61²⁷⁰

كلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله

قال تعالى {وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالَحًا قَالَ بِإِنْ قَوْمٌ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَأَسْتَغْفِرُهُ لَمَّا تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ قَرِيبٌ مُّحِيطٌ} هود 61 ففي صحيح مسلم
عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم اليمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي انه قال ثلاط من كن فيه وجد بهن حلوة اليمان
أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن
يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على
المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات اليمان وأكبر اصوله وأجل
قواعد بل هي اصل كل عمل من اعمال اليمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من
أقوال اليمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو
عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع
الاعمال اليمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة محمودة وأصل المحبة محمودة هي محبة الله
سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحًا بل جميع
الاعمال اليمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما اريد به
وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي انه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك
فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فانا منه برئ وهو كله للذى أشرك وثبت في الصحيح في
حديث الثلاثة الذين هم اول من تسرع بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق
المرائي بل اخلاص الدين الله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين
والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل اليمان وهذا هو خلاصة
الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم
وابليس انه قال {فَبِعِزِّتِكَ لَا عَوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ} 82 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ} 83 {ص 82-83}

وقال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 وقال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99، {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّنَهُ} والذين هم به مشركون {100} النحل 99-100، وبين ان سلطان الشيطان واغواته انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف {كَذَلِكَ لِتُصْرِفَ عَنِ السُّوءِ وَالْفُحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخَلَّصِينَ} يوسف 24

وابتع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى {لَأَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وقد قال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصوص الشرك وقيد ما سواه بالمشينة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه ومادونه بغفره لمن يشاء واما قوله {قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْتَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ النَّذُوبَ جَمِيعًا} الزمر 53 فذلك في حق التائبين ولهذا عم واطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الاولين والآخرين انما امرموا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي علي ابى امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة ابلاغ وإسماع بخصوصه فقال {وَمَا تَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ البَيِّنَاتُ} 4 وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَّافَ 5 الآية وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَهْمَةً يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} لاسيما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهم السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام الذي قال الله فيه {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً} البقرة 124 وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم من الله الذين بارك الله عليهم قال سبحانه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَأَءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} 26 إلا الذي فطرني فإنه سيهدين {27} وجعلها كلمة باقية في عقده لعلهم يرجعون {28} الزخرف 26-28 وهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22، {أَتَأْخُذُ مِنْ دُونِهِ أَهْمَةً إِنْ يُرْدِنَ الرَّحْمَنْ بِضُرٍّ لَا تُعْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ} 23، {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} 24، {إِنِّي 271 أَمْنَتْ بِرَبِّكُمْ فَلَاسْمَعُونَ} 25، {يس 22-25} يس 25-22

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته الله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم وقال تعالى {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْهُ لَا يَسْكُنُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} 19، {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْنُرُونَ} 20، الأنبياء 19-20 وقال تعالى {لَنْ يَسْتَنِكْفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ وَمَنْ يَسْتَنِكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيَسْتَكِرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً } النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرًا } النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْوْا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الداريات 56 وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وفي المسند عن ابن عمر عن النبي انه قال ^{بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل} رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغر على من خالف امرى ²⁷²

أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول

(ناقص نفس المرجع) وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعُفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } 4 وترى الله تعالى أن تمنى على الذين استضعفوا في الأرض ²⁷³ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ } 5 وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } 6 القصص 4-6 فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه بر رسالة انه كان طاغيا مفسدا و ايضا أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالimbاح المستوى الطرفين والمغفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا يعاقب الا بعد إقامة الحجة وهذا كقوله تعالى { يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّحِيطٌ } هود 61

التوبة فرض على العباد دائمًا

والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى في قصة يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 فاللائق فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 فأمره مع الاستغفار بالصبر فإن العباد لابد لهم من الاستغفار أولهم وأخرهم قال النبي في الحديث الصحيح يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إنما لاستغفر الله وأنتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقال انه ليغاف على قلبي وإنما لاستغفر الله وأنتوب إليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطئي وجهي واسرافى في أمرى وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي خطئي وعمدى وهلى وجدى وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخربت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وقد ذكر عن آدم أبي البشر انه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتائب عليه وهداه وعن ابليس أبي الجن لعنه الله أنه أصر متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم ولهذا قرن الله سبحانه بين

التوحيد والإستغفار في غير آية كما قال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محدث 19 وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ²⁷⁴ ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعوا

قال تعالى {وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} هود 61 أن التوبة فرض على العباد دائماً واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول في الحديث الصحيح أيها الناس توبوا إلى ربكم فالذي نفسى بيده أنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة وآخر سورة نزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا {2} فَسَبَّ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا {3}) النصر 1-3 ²⁷⁵
(اضافة مواضيع اخرى عن التوبة والاستغفار)

قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقواها بالتقوى

قال تعالى {وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} هود 61 التقوى كما فسرها الأولون والآخرون فعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقواها بالتقوى قالوا وما التقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وأيضا فالرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب فاتحة دعواهم { اعْبُدُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} هود 61 { أَلَا تَنْتَفِعُونَ }
الشعراء 106 {فَانْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} الشعراء 108 وقال تعالى { وَلَكِنَ الْبِرُّ مَنِ اتَّقَى }
²⁷⁶ البقرة 189

وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوته الإنسانية العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال { اعْبُدُوا اللَّهَ } هود 61 فالعبادة

مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 121²⁷⁴

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 280²⁷⁵

مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 135²⁷⁶

لابد فيها من معرفته والإنابة إليه والتذلل له والإفتقار إليه وهذا هو المقصود و إذا حصل الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة وإنابة كان وبلا على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإبليس اللعين فإنه متعرف بربه مقر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى فباتباعه له كما قال {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْوِومًا مَّذْحُورًا لَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} الأعراف 18 فلا بد أن يملا جهنم منه ومن أتباعه مع أنه متعرف بالرب مقر بوجوده وإنما أبي واستكبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية ولها قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذي هو انباته إلى الله وخشيته له حتى يكون عابدا له فالرسل والكتب المنزلة أمرت بهذا وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السننية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة 21 وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن الإله هو المعبد ولم يقل حتى يشهدوا أن لا رب إلا الله فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها خلق الخلق وبها أمروا وكذلك قوله لمعاذ إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوههم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال نوح عليه السلام {أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ} نوح 3 وكذلك الرسل في سورة الأعراف 277 وغيرها

ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِيُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميضة التي بها يحصل كمالبني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزکو وتکمل إلا بها ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبا للإله المعبد كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبارة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومتنهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وحالها فمن آمن بالله رب كل شيء وحالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى

عنه من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحة وكان حكما شجاعا²⁷⁸

قرب الله الذي في القرآن خاص لا عام

وليس في القرآن وصف للرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلًا بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام كقوله تعالى {وَإِذَا سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وقوله تعالى {وَإِلَى نَمُوذَأَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْتُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} هود 61 فهو سبحانه قريب من دعاه وكذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أسم ولا غائبًا انما تدعون سمعيا قريبا ان الذى تدعونه اقرب الى أحكم من عنق راحته فقال ان الذى تدعونه أقرب الى أحكم لم يقل أنه قريب الى كل موجود وكذلك قول صالح عليه السلام {فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ} هود 61 هو كقول شعيب {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} هود 90 ومعلوم أن قوله { قَرِيبٌ مُجِيبٌ } هود 61 مفرون بالتوبة والاستغفار أراد به قريب مجتب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه كما أنه رحيم ودود بهم وقد قرن القريب بالممجيب ومعلوم أنه لا يقال انه مجتب لكل موجود وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه وكذلك قربه سبحانه وأسماء الله المطلقة كاسم السميع والبصير والغفور والشكور والممجيب والقريب لا يجب أن تتعلق بكل موجود بل يتعلق كل اسم بما يناسبه وأسمه العليم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوما تعلق بكل شيء وأما قوله {ولقد حَلَقَنَا إِلَّا إِنَسَانٌ وَنَعْلَمُ مَا تُؤْسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} 16 {إِذْ يَتَّلَقَّى الْمُتَّلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ} 17 {مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} 18 {قَـ 16-18} قوله {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُومُ} 83 {وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظَرُونَ} 84 {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُمْ لَا تُبْصِرُونَ} 85 الواقعة 83-85 فالمراد به قربه إليه بالملائكة وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا ملك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تتصرون الملائكة وقد قال طائفة ونحن أقرب إليه بالعلم وقال بعضهم بالعلم والقدرة ولفظ بعضهم بالقدرة والرؤية وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا ان يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية فإن لفظ المعية في سورة الحديد والجادلة في قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} الحديد 4 قوله تعالى

{ مَا يَكُونُ مِنْ نَحْوِي ثَلَاثَةُ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ } المجادلة 7
وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبدالبر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يخالفهم فيه أحد يعتقد قوله وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم²⁷⁹

فإن قربه من عباده وتقربيه لهم عند سلف الأمة وأمتها وعامة المشايخ الأجلاء ليس مجرد الإنعام والكرامة بل يقرب من خلقه كيف شاء ويقرب إليه منهم من يشاء كما قد بينا ذلك في موضعه وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر وثبت في الصحيح أنه قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال تعالى { وَاسْجُدْ وَاقْرُبْ } العلq 19 وليس في أسماء الله البعيد ولا وصفه بذلك أحد من سلف الأمة وأمتها بل هو موصوف بالقرب دون البعد { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُحِيطٌ } هود 61 وفي الحديث المشهور في التفسير أن المسلمين قالوا يا رسول الله أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله وإذا سألك عبادي عنني قريب وهذا يقتضي وصفه بالقرب دون البعد وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه لما جعلوا يرثون أصواتهم بالتكبير أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائب إنما تدعون سماعا قربا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحته²⁸⁰

الرحمة تحصل بالقرآن

و قال النبي ص في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيته من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيما عنده و قد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَتْصِرُّنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرِدُونِي عَيْرَ تَخْسِيرٍ } هود 63²⁸¹

مجمع الفتاوى ج: 5 ص: 493 و زيارة القبور ج: 1 ص: 21²⁷⁹

الاستقامة ج: 1 ص: 139²⁸⁰

الاستقامة ج: 1 ص: 396²⁸¹

المضاف إلى الله نوعان

المضاف إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة كان منه إضافة المخلوقات كقوله **{نَاقَةٌ هُوَدٌ}** 64 و قوله **{وَطَهَرْ بَيْتَى لِلْطَّاغِفِينَ}** الحج 26 و قوله **{رَسُولُ اللَّهِ النَّسَاءُ}** 157 و **{عِبَادُ اللَّهِ الصَّافَاتُ}** 40 و قوله **{ذُو الْعَرْشِ}** غافر 15 و قوله **{وَسَعَ كُرْسِيًّا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}** البقرة 255 فهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق²⁸²

والمضارف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها فال الأول إضافة صفة كقوله **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ}** البقرة 255 فالمضاف في الأول صفة الله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك الله مخلوق له بائنة عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق والثاني إضافة عين كقوله تعالى **{وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ هُوَدٌ}**²⁸³

والمضارف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة كان صفة له وإن كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقا مملوكا مضافا إلى خالقه ومالكه ولكن الإضافة تقضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم بيت الله وناقة الله وعباد الله كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها روح الله بخلاف الأرواح الخبيثة وأرواح الشياطين والكفار فإنها مخلوقة لله ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف الكعبة ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آية من آياته كما قال تعالى **{وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}**²⁸⁴ 64

معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية

قال تعالى **{وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}** 64 **{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْنُوبٍ}** 65 فلما

مجمع الفتاوى ج: 6 ص: 144²⁸²

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 156²⁸³

الجواب الصحيح ج: 3 ص: 249²⁸⁴

جاء أَمْرُنَا نَجَّبِنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَا وَمِنْ خَرْزِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ
 العَزِيزُ {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ {67} كَانَ لَمْ يَغُلُّوا فِيهَا أَلَا
 إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ {68} هود 64-68 ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن
 القوانين الطبيعية مثل ذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب فإن هذا خارج عن قوى
 النفس والطبيعة لأن الهضبة لا يمكن ان تخرج ناقة حية تأكل وتشرب منها منهاولا يمكن في
 القوى الطبيعية أن تخرجها لا بقوى نفس ولا بسحر ولا غير ذلك بل الساحر غايته أن يتصرف
 في الأعراض بفعل ما يحدث عنه الأمراض والقتل ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الآدميين فإن
 الإنسان يمكنه أن يضر بغيره حتى يمرضه أو يقتله فالساحر والعائن وغيرهما من يتصرف
 بقوى الأنفس يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل وهذا من أفعال العباد المعروفة
 المقدروة وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه فإخراج صالح الناقة من هضبة
 من الهضاب فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتادا ولا نادرا ولا يحصل بقوى نفس أصلا
 وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوةأنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على
 هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علما ضروريأ أنه من القادر المختار لتصديق صالح عليه
 السلام ²⁸⁵

والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متعددة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من
 الأنبياء ويسمىها من يسميها من الناظر معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه
 الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أولى على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ
 المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير
 في القرآن كما قال صالح لقومه {وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ} هود 64 ²⁸⁶

آيات الأنبياء لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته

فإن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئا إلا بإحداث أسباب ودفع مواعن مثل ذلك غرق قوم نوح لم
 يكن ماء وجد بلا سبب بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض كما قال تعالى {كَذَّبُتْ قَبْلَهُمْ
 قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُرُجَرٌ} 9 فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَإِنَّتَصَرَ {10} فَفَتَحْنَا
 أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْنُونَا فَالْتَّقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَرَ {12}
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدُسْرٍ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفُورٌ {14} وَلَقَدْ تَرَكَنَاهَا أَيَّهُ
 فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ {15} الْفَمْ 9-15 وكذلك ثمود قال لهم صالح {وَيَا قَوْمَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} 64 فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَنَّعُوا
 فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْوُبٍ {65} فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبِنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
 بِرَحْمَةٍ مَّنَا وَمِنْ خَرْزِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ {66} وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ

الصفدية ج: 1 ص: 138²⁸⁵

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 415²⁸⁶

فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ{67} كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا

لَثَمُودَ{68} وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته كآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد أن ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النارخارقة للعادة وإما عند مطالبة فرعون له بالآلية وإما عند معارضته السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتى إغراق فرعون كان بعد مسيرة الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستتسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع أي تفجر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع وكذلك البئر كان ماوراها يكثر إما بإلقاء سهاما من كنانته فيها وإما بصبه الماء الذي يصدق فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفع فيه فيكون طيرا بإذن الله إلى أمثال ذلك²⁸⁷

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْتُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُحِيطٌ} هود 61 عامة الأسماء يتتنوع مسمهاها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به فيما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وفي قوله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} النساء 36 وقوله {بِاِيمَانِ النَّاسِ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} البقرة 21 وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} الزمر 2 {قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَاهِلِونَ} الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قول نوح {أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوْهُ وَأَطِيعُونِ} نوح 3²⁸⁸

2- قال تعالى {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرْتُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُحِيطٌ} هود 61 أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منها مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضادتين للأبوبة والبنوة أو كالأخوة من الجانبيين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبا للأمر مقصودا له كما في قوله {أَعْبُدُوا اللَّهَ} هود 61 وفي قوله {وَأَنْقُوْهُ اللَّهَ} البقرة 189 وفي قوله {وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} المائدة 93 وفي قوله {فَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} النجاشي 8 وفي قوله {فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا} يونس 84

فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكيل أمور مطلوبة مقصودة بل هي نفس
المأمور به²⁸⁹

3- قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةً مِّنْ رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِ { هود 63 } ورحمته
اسم جامع لكل خير ودار الرحمة
الخالصة هي الجنة²⁹⁰

4- قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةً مِّنْ رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِ { هود 63 } البينة من البيان و البينة هي السبيل
البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها
وقد تقسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدي كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر
بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةً مَا فِي الصُّحْفِ الْأُولَى } طه 133
أي بيان ما فيها أو بين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمى الرسول بینة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِهِمْ
البَيِّنَةُ } 1 { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ } 2 { البَيِّنَةُ } 1- 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بینة ونور من ربه
²⁹¹

5- قال تعالى {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبَنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَا وَمِنْ خَزْنِي يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ } هود 66 قوي عزيز منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب
²⁹²

اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 51²⁸⁹

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65²⁹⁰

مجمع الفتاوى ج: 15 ص: 75²⁹¹

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407²⁹²

هود 83-69

{ وَلَقْدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ
جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ } { 69 } فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفُ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ } { 70 } وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرَنَا هَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } { 71 } قَالَتْ يَا وَيْلَتِي أَلَدْ وَأَنَا
عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْنَيْ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } { 72 } قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ } { 73 } فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ } { 74 } إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَحَلِيمٌ أَوَّاهُ مُنِيبٌ } { 75 } يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرَضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَإِنَّهُمْ أَتَيْهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } { 76 } وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيَّعَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ } { 77 } وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ
وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَوْلَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
فَاتَّقُوا اللهُ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفِي أَلِيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } { 78 } قَالُوا لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ } { 79 } قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ
فُؤْوَةً أَوْ أَوْيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } { 80 } قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ
فَأَسْرِ بِأَهْلَكَ بِقُطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا
أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ أَلِيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } { 81 } فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
جَعَلْنَا عَالِيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَنْضُودٍ } { 82 }
مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ } { 83 }

إثبات الملائكة وأنهم أحيا ناطقون

قال تعالى { وَلَقْدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ
حَنِيدٍ } { 69 } فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفُ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْ
قَوْمٍ لُوطٍ } { 70 } وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَنَا هَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ } { 71 } قَالَتْ
يَا وَيْلَتِي أَلَدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْنَيْ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ } { 72 } قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ } { 73 } هود 69-73 من المعلوم بالاضطرار
أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن وأنها أحيا ناطقة قائمة بأنفسها ليست إعراضًا قائمة بغيرها
وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة وأنهم يفعلون أفعالا خارجة عن قدرة البشر كما أخبر
الله تعالى عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم الخليل عليه السلام ثم ذهبوا منه إلى لوط وهذه القصة
مذكورة في التوراة وغيرها من كتب أهل الكتاب كما هي مذكورة في القرآن مع العلم بأن كلام
النبيين موسى ومحمد لم يأخذها عن الآخر وهذا مما يوجب العلم بصحتها قبل ثبوت نبوتها فإن
الاتفاق على مثل هذه الحكاية من غير توافق يمتنع في العادة فإذا اتفق إخبار المخبرين بمثل هذه
القصة الطويلة التي يتمتع في العادة اتفاق الإناثين فيها على الكذب من غير توافق علم أنها حق
فكان إخبار كل منها بها دليلا على نبوته فهذه القصة فيها إثبات الملائكة وأنهم أحيا
ناطقون منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم ويرونهم في صور الآدميين الأنبياء وغير الأنبياء كما

رأتهم سارة امرأة الخليل عليه السلام وكما كان الصحابة يرون جبريل إذا جاء لما جاء في صورة أعرابي وتارة في صورة دحية الكلبي²⁹³

البشرة باسحق كانت معجزة

قال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامٌ قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَيْثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيدٍ }⁶⁹ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ تَكَرَّهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخْفِ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمٌ لَوْطٌ⁷⁰ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكتْ فَبَشَّرُنَا هَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ⁷¹ { قَالَتْ يَا وَيَلَّتِي الَّذِي وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لِسْنِي عَجِيبٌ }⁷² قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }⁷³ هود 69-73 ان البشرة باسحق كانت معجزة لأن العجوز عقيم ولها قال الخليل عليه السلام { قَالَ أَبْشِرْنُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَنِي الْكِبْرُ فَيُمَّ نُبَشِّرُونَ }⁷⁴ الحجر 54 وقالت امرأته { الَّذِي وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا }⁷⁵ هود 72 وقد سبق ان البشرة باسحق في حال الكبر وكانت البشرة مشتركة بين ابراهيم وامرأته²⁹⁴

والبشرة بيعقوب تقتضي ان اسحق يعيش ويولد له بيعقوب²⁹⁵

المضاف إلى الله نوعان

والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وأما أن يكون عيناً قائمة بنفسها فال الأول إضافة صفة كقوله { قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }⁷⁶ هود 73 فالمضاد في الأول صفة الله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائنة عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق²⁹⁶

الصفدية ج: 1 ص: 194²⁹³

مجمع الفتاوى ج: 4 ص: 334²⁹⁴

مجمع الفتاوى ج: 4 ص: 335²⁹⁵

الجواب الصحيح ج: 2 ص: 157²⁹⁶

قالت الملائكة { رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ } هود 73 وإبراهيم داخل فيهم وكما قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم آل إبراهيم وإبراهيم داخل فيهم دخل فيهم وكما في قوله تعالى { إِلَّا آن لُوطٌ نَجَّيْنَاهُم بِسَحْرٍ } القراءة 34 فإن لوطا دخل فيهم وكذلك قوله { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران 33 فقد دخل إبراهيم في الاصطفاء وكذلك قوله { سَلَامٌ عَلَى إِلَيْسِينَ } الصافات 130 فقد دخل ياسين في السلام وكذلك قول النبي اللهم صل على آل أبي أوفى دخل في ذلك أبو أوفى وكذلك قوله لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود²⁹⁷

لفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول

قال تعالى { قَالُوا أَتَعْجَبُنَّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ } 73 فلما ذهب عن إبراهيم الرؤوف وجاءه الشرى يجادلنا في قوم لوط { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنْبِيٌّ } 74 يا إبراهيم أعرض عن هذا إن الله قد جاء أمر ربك وإنهم آتتهم عذاب غير مردود { 75-76 } 75 وقوله تعالى { فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجْلٍ مَنْضُودٍ } 76 مسومة عند ربك وما هي من الطالبين ببعيد { 83 } هود 82-83 ولفظ الأمر يراد به المصدر والمفعول فالمفوعول مخلوق كما قال { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ } النحل 1 وقال { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا } الأحزاب 38 فهنا المراد به المأمور به ليس المراد به أمره الذي هو كلامه وهذه الآية التي احتاج بها هؤلاء تضمنت الشرع وهو الأمر والقدر وقد ضل في هذا الموضع فريقان الجهمية الذين يقولون كلام الله مخلوق ويحتاجون بقوله { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا } الأحزاب 38 ويقولون ما كان مقدورا فهو مخلوق و هؤلاء الحولية الضاللون الذين يجعلون فعل العباد قد يدعا بأنه أمر الله و قدره و أمره و قدره غير مخلوق و مثار الشبهة أن إسم القدر والأمر والشرع يراد به المصدر والمفعول ففي قوله { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا } الأحزاب 38 المراد به المأمور به المقدور وهذا مخلوق و أما في قوله { ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ } الطلاق 5 فأمره كلامه إذا لم ينزل إلينا الأفعال التي أمرنا بها و إنما أنزل القرآن وهذا كقوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمْمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا } النساء 58 فهذا الأمر هو كلامه²⁹⁸

اللفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمراً و المقدور قدرة و المرحوم به رحمة و المخلوق بالكلمة كلمة فإذا قيل في المسيح أنه كلمة الله فالمراد به أنه خلق بكلمة قوله كن و لم يخلق على الوجه المعتمد من البشر و إلا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به و كذلك إذا قيل عن المخلوق أنه أمر الله فالمراد أن الله كونه بأمره قوله {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ} النحل¹ و قوله {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِهًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَنْصُودٍ} هود²⁹⁹ 82

الله هو المستحق للمحامدة الكاملة

قال تعالى { قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَحِيدٌ } هود⁷³ اخبر ان له الحمد وانه حميد وان له الحمد في الاولى والاخيرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المحامد و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعمت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وانما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي امور وجودية فان الامور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال و معلوم ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذى منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامدة الكاملة وهو احق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب³⁰⁰

"أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجهه"

وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيمة قال يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولي منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله فكلما كان الرجل أتم إخلاصاً لله كان أحق بالشفاعة وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويحافه بهذا من أبعد الناس عن الشفاعة فشفاعة المخلوق عند المخلوق تكون بإعانته الشافع للمسفوع له بغير إذن المسفوع عنده بل يشفع إما لحاجة المسفوع عنده إليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته عنده والله تعالى غني عن العالمين وهو وحده سبحانه يدبر العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة وهو يقبل شفاعته كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه فالأمر كله له فإذا كان العبد يرجو شفيعاً من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع أن يشفع له وإن اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته وأفضل

الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ثم إبراهيم وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه أبي طالب بعد أن قال لأستغفرن لك مالم أنه عنك وقد صلى على المنافقين ودعا لهم فقيل له {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْبَى وَلَا تَقْعُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا أَتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} التوبة 84 وقال الله له أولاً {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} التوبة 80 فقال لو أعلم اني لو زدت على السبعين يغفر لهم لزدت فأنزل الله {سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} المنافقون 6 وقال تعالى {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ} 74 {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ} 75 {يَا إِبْرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيْمُ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} 76

301 هود 74-76

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ}

قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ} هود 75 وقد مدح الله إبراهيم بأنه أواه وقد فسر بالذى يتلوه من خشية الله

302

قال تعالى {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} الصافات 101 وقد انطوت البشارة على ثلاثة على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ الحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} 102 الصافات 102 وقيل لم ينعت الله الانبياء بأقل من الحلم وذلك لعزه وجوده ولقد نعت ابراهيم به فى قوله تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} التوبة 114 {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ} هود 75 لأن الحادثة شهدت بحلهما

303

الله سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش

قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن كان الظاهر مزينا مجملًا بحال الباطن أحبه الله وإن كان مقبحا مدنسا بقبح الباطن أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش وأهل جمال

اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 446

301

مجمع الفتاوى ج: 22 ص: 623

302

مجمع الفتاوى ج: 4 ص: 331

303

الصوره بيتبون بالفاحشه كثيرا واسمها ضد الجمال فـي ان الله سماه فاحشه وسوءا وفسادا وخبيثا قال تعالى {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } الأعراف 80
وقال {وَلُوطاً أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَمًا وَجَبَّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سُوءٌ فاسقين } الأنبياء 74 وقال {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُوكُمْ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } النمل 54 وقال {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } العنكبوت 28 وقال

{وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونَ فِي ضَيْفِي أَلِيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ } هود 78 والفاشي والخبيث ضد الطيب والجميل فإذا كان كذلك أبغضه الله ولم يحبه ولم يكن من درجا في الجميل ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب الفحش ولا التفاحش وقوله إن الله يبغض الفاحش البذى ³⁰⁴

عقوبة أهل الفواحش طمس الأ بصار

قال تعالى {وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُّهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرْ } القراء 37 وخبر تعالى عن اللوطية أنه طمس أبصارهم فكانت عقوبة أهل الفواحش طمس الأ بصار كما قد عرف ذلك فيهم وشوه منهم وكان ثواب المعتبرين بهم التاركين لفعالهم إعطاء الأنوار وهذا مناسب لذكر آية النور عقيب غض الأ بصار وأما القدرة والقوة التي يعطيها الله لمن اتقاه وخالف هواه فذلك حاصل معروف كما جاء إن الذي يترك هواه يفرق الشيطان من ظله وفي الصحيح أن النبي قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وفي رواية أنه من بقوم يخذلون حبرا فقال ليس الشدة في هذا وإنما الشدة في أن يمتليء أحدهم غيظا ثم يكتظمه الله أو كما قال وهذا ذكره في الغضب لأنه معتاد لبني آدم كثيرا ويظهر للناس وسلطان الشهوة يكون في الغالب مستورا عن أعين الناس وشيطانها خاف ويمكن في كثير من الأوقات الإعتعاض بالحلال عن الحرام وإلا فالشهوة إذا إشتغلت وإستولت قد تكون أقوى من الغضب وقد قال تعالى {وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا } النساء 28 أي ضعيفا عن النساء لا يصبر عنهن وفي قوله {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } البقرة 28 ذكرها منه العشق والعشق يفضي بأهله إلى الأمراض والإهلاك وإن كان الغضب قد يبلغ ذلك أيضا وقد دل القرآن على أن القوة والعزوة لأهل الطاعة التائبين إلى الله في مواضع كثيرة كقوله في سورة هود {وَيَا قَوْمَ إسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَرْدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتُكُمْ } هود 52 قوله {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } المنافقون 8 {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 وإذا كان الذي قد يهجر السيدات يغض بصره ويحفظ فرجه وغير ذلك مما نهى الله عنه يجعل الله له من النور والعلم والقوة والعزوة ومحبة الله ورسوله فما ظنك بالذى لم يحلم حول السيدات ولم يعرها طرفه قط ولم تحدثه نفسه بها بل هو يجاهد في سبيل الله أهله ليتركوا السيدات فهل هذا وذلك سواء بل هذا له النور والإيمان والعزوة والقوة والمحبة والسلطان والنجة في الدنيا والآخرة أضعف أضعف ذاك وحاله أعظم وأعلى ونوره اتم وقوى فان السيدات تهواها النفوس ويزنها

فَإِذَا كَانَ الْمُؤْمِنُ قَدْ حَبِّبَ اللَّهَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ وَكَرِهَ إِلَيْهِ الْكُفَّارُ وَالْفَسُوقُ وَالْعَصِيَانُ حَتَّى يَعْوَضَ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْغَيِّ بِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشَّبَهَاتِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَأَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ مَا أَيْدَهُ بِهِ حِيثُ دَفَعَ بِالْعِلْمِ الْجَهْلَ وَبِارَادَةِ الْحَسَنَاتِ ارَادَةِ السَّيَّئَاتِ وَبِالْقُوَّةِ عَلَى الْخَيْرِ الْقُوَّةِ عَلَى الشَّرِ فِي نَفْسِهِ فَقَطْ وَالْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطْلُبُ فَعْلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ أَيْضًا حَتَّى يَدْفَعَ جَهْلَهُ بِالظُّلْمِ وَارَادَتِهِ السَّيَّئَاتِ بِارَادَةِ الْحَسَنَاتِ وَنَحْوَذُلَكَ وَالْجَهَادُ تَامَ الْإِيمَانَ وَسَنَامُ الْعَمَلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لِئَلَّا هُمُ الصَّادِقُونَ} الحجرات 15 وقال {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ} آل عمران 110 الآية وقال {أَجَعَلْنَا سِقَايَةَ الْحَاجِ} التوبه 19 الآية فكذا يكون هذا الجزء في حق المجاهدين كما قال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَنَّهُمْ سُبُّلَنَا} العنکبوت 69 فهذا في العلم والنور وقال {وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} النساء 66 إلى قوله {وَلَهَدَيَنَّهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} النساء 68 فقتل النفوس هو قتل بعضهم بعضاً وهو من الجهاد والخروج من ديارهم هو الهجرة ثم أخبر أنهم إذا فعلوا ما يوعظون به من الهجرة والجهاد كان خيراً لهم وأشد تثبيتاً في الآية أربعة أمور الخير المطلق والتثبيت المتضمن للقوة والمكنة والاجر العظيم وهداية الصراط المستقيم وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُبَيِّنُ أَقْدَامَكُمْ} محمد 7 وقال {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} الحج 40 إلى قوله {وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج 41 وقال {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمٍ} المائد 54 وأما أهل الفواثر الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله بضد ذلك من السكرنة والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد والبغض وطممس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام فقال عن قوم لوط {أَبْلَأْنَتُمْ قَوْمًّا تَجْهَلُونَ} النمل 55 فوصفهم بالجهل وقال {الْعَمَرُكَ أَنْهُمْ لَفِي سُكُرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} الحجر 72 وقال {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} هود 78 وقال {فَقُطِّمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ} القمر 37 وقال {أَبْلَأْنَتُمْ قَوْمًّا مُسْرِفُونَ} الأعراف 81 وقال {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} الأعراف 84 وقال {أَنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا سُوءٍ فَاسِقِينَ} الأنبياء 74 وقال {أَنِّتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} العنکبوت 29 إلى قوله {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} العنکبوت 30 إلى قوله {بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} العنکبوت 34 قوله {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} الذاريات 34³⁰⁵

الطهارة في كتاب الله على قسمين

الطهارة في كتاب الله على قسمين طهارة حسية من الاعيان النجسة و من اسباب الحدث المعلومة و طهارة عقلية من الاعمال الخبيثة فالاول قوله تعالى {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} التوبه 108 نزلت في اهل قباء لما كانوا يستجنون من البول والغائط و قوله تعالى {وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرُنَّ فَإِذَا تَطَهَّرُنَّ فَأَتُوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمْرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} البقرة 222 و الثاني قوله سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدِي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} المجادلة 12 و قوله تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيَّمُ بِهَا} التوبه 103 و قوله تعالى {وَجَاءُهُ قَوْمُهُ}

يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ { هود 78 } 306

التقوى ان تعمل بطاعة الله وأن ترك معصية الله تخاف عذاب الله

قال تعالى {وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَتَقْوُا اللَّهُ وَلَا تُخْزُنَ فِي ضَيْقِي أَلِيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ } هود 78 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا افرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما امر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن ترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله {إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَّهَرِ } 54 { فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عَنْ مَلِيكٍ مُّفْتَدِرٍ } 55 القمر 55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } 3 الطلاق 2-3 وقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ } يوسف 90 وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ } النساء 1 307

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جداً بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وأخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال إنني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحها وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائل الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمري ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهو هجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه وبين بهذا أن النبي عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين الله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَبْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْنَا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده فللت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله وقال تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطْبِعُونَ } الزخرف 63 فجعل العبادة والتقوى لله وجعل له أن يطاع وكذلك في مواضع كثيرة جداً من القرآن اتقوا الله اتقوا الله { فَاتَّقُوا اللَّهَ } هود 78 308

شرح العمدة ج: 4 ص: 406³⁰⁶

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 164³⁰⁷

مجمع الفتاوى ج: 1 ص: 72³⁰⁸

أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريما وتتنزيها وهذا
يجمع حقوق الله وحقوق العباد³⁰⁹

عذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب الذين كانوا يعملون الخبائث

عجز السوء امرأة لوط كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله تعالى فيها {فَانجِبْنَا وَاهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} الأعراف 83 وقال تعالى {فَاسْرُ بِاهْلَكَ بِقْطَعٍ مِّنَ اللَّيلِ وَلَا يَلْقَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ} هود 81 فعذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث³¹⁰

يكون في هذه الأمة من يمسخ قردة وخازير

قد حرم الله سبحانه وتعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان اتي هذه الفواحش معتقداً تحريرها فهو من المسلمين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وان زنا وان سرق فإن المسلم الذي يأتي بفاحشة اما ان يتوب الى الله ويستغفر له فيدخل في قوله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ السَّيِّئَاتِ} ذلك ذكرى للذاكرين هود 114 وفي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اصاب من امرأة قبله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل عليه {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ السَّيِّئَاتِ} ذلك ذكرى للذاكرين هود 114 قال الرجل الى هذه الاية قال لم من عمل بها من امتى والمسلم اذا اتي بالفاحشة لا يكفر وان كان كمال الایمان الواجب قد زال عنه كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهبا نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن فأصل الایمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمنا اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعنده الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته كما تقدم في الحديث الاخر الصحيح وان زنا وان سرق وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خطيئة عقاب الله ورجاء رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذنب عبد ذنبا فقال أي رب اذنب ذنبا فاغفر لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا آخر فقال أي رب اذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي رب قد اذنبت ذنبا فاغفره لي وكذلك في الصحاح من غير وجه حديث الذي لم يعمل خيرا قط وقال لأهله اذا

الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 90³⁰⁹

مجمع الفتاوى ج: 28 ص: 306 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 63³¹⁰

انا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم ريح الحديث فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يا رب فغفر الله له بتلك الخشية وكذلك من افضل اعمال المؤمن التوبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للغامريه التي اقرت بالزنا حتى رجمها لقد ابى توبه لو تابها مكس لغفر له وهل وجدت توبة افضل من ان جادت بنفسها الله وحديث صلاة التوبة محفوظ في السنن عن علي عن ابي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يذنب ذنبًا فيتوضاً ويحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر له وقرأ هذه الآية {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفَسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرُوْاْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} آل عمران 135 وهذا باب واسع فان الذنوب التي يبتلى بها العبد يسقط عنهم وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن فأصل الایمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمنا اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلی الله عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعن الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلی الله عليه وسلم فقال النبي صلی الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهاد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته كما تقدم في الحديث الآخر الصحيح وان زنا وان سرق وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خشيته عقاب الله ورجاء رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلی الله عليه وسلم الذنب كما يقوله الخوارج ولا انه يخرج من الایمان بالكلية كما يقوله المعتزلة لكن ينقص الایمان ويمنع كماله الواجب وان كانت المرجئة تزعم ان الایمان لا ينقص ايضا فمذهب اهل السنة المتبعون للسلف الصالح ان الایمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاما استحلال ما حرم الله ورسوله من الفواحش وغيرها فهو كفر وبمثله اهلك الله قوم لوط الذين استحلوا الفاحشة وفعلوها معلنين بها مستحلين لها قال تعالى **{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَنْضُودٍ}** {82} **مُسَوَّمَةً عَنْ دَرَبِكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْدِ** {83} **هُودٌ** 82-83 وقد روى عن قنادة من الظالمين من هذه الامة وقد روى انه يكون فيها خسف وقذف ومسخ وقد شرع الله سبحانه في شريعة اهل التوراة وشريعة اهل القرآن رجم الزاني المحسن بالحجارة كما رجم الله اهل الفاحشة واما اهل الفاحشة واللوطية فيرجمان سواء كانوا بكرین او ثيبيين عند جمهور العلماء كما رجم الله قوم لوط وليس في الذنوب ما يعاقب اهله بالرجم الا اهل هذه الفاحشة وقد رجم النبي صلی الله عليه وسلم غير واحد رجم اليهوديين ورجم ماعز بن مالك ورجم الغامدية ورجم اخر وكذلك رجم خلفاؤه الراشدون ايضا وكذلك ما يعاقب الله به اهل ذلك كما روی البخاري في صحيحه تعليقا مجزوما به وهو داخل في الصحيح الذي شرطه عن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه سمع النبي صلی الله عليه وسلم يقول ليكون من امتى اقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن اقوام الى جنب علم يروح عليها بسارة لهم يأتيهم حاجتهم فيقولون ارجع اليها غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ اخرين قردة وخنازير الى يوم القيمة فالعقوبة بما عوقبت به الام المتقدمة من قذف ومسخ وخفف انما يكون لمن شاركهم فاستحل ما حرم الله ورسوله كما قال النبي صلی الله عليه وسلم ليكون من امتى اقوام يستحلون ثم قد يستحل بعضهم بعض انواع الخمر بتأويل كما استحل ذلك اهل الكوفة كما روی في الحديث ليكون من امتى اقوام يستحلون

³¹¹ الخمر يسمونها باسم غير اسمها

ثبت في الصحيح أنه يكون في هذه الأمة من يمسخ قردة وخنازير وكما روى أنه سيكون فيها خسف وقدف ومسخ وقال بعض السلف في قوله تعالى **{مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْلَمِ}** **هود 83** أي من ظالمي هذه الأمة وفي ذلك من الأحاديث ما يضيق هذا الموضع عن ذكره³¹²

لطائف لغوية

1- قال تعالى **{رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}** **هود 73** ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³¹³

2- لفظ آل فلان إذا أطلق في الكتاب والسنة دخل فيه فلان كما في قوله {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} آل عمران 33 قوله {إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَاحِرٍ} القمر 34 قوله {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} غافر 46 قوله {سَلَامٌ عَلَى إِلَيْنَا يَسِينَ} الصافات 130 قوله النبي قولوا لهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وكذلك قوله كما باركت على آل إبراهيم فإبراهيم داخل في ذلك وكذلك قوله للحسن أن الصدقة لا تحل لآل محمد وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان القوم إذا أتوا رسول الله بصدقة يصلى عليهم فاتا أبي بصدقه فقال لهم صل على آل أبي أوفى وأبو أوفى هو صاحب الصدقة وكذلك لفظ أهل البيت قوله تعالى **{رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}** هود 73 فإن إبراهيم داخل فيهم وقوله تعالى **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا}** الأحزاب 33 قوله النبي سلمان من أهل البيت وذلك لأن آل الرجل من يبؤول إليه ونفسه من يبؤول إليه وأهل بيته هم من يأهل وهو هو من يأهل بيته وكذلك قوله من سره ان يكتال بالمكيال الأولى إذا صلي علينا أهل البيت فليقل الله صل على محمد النبي الحديث وسبب ذلك أن لفظ الآل أصله أول تحركت الواو وإنفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فقيل آل ومثله باب وناب وفي الأفعال قال وعاد ونحو ذلك ومن قال أصله أهل فقلبت الهاء الفاء فقد غلط فإنه قال مالا دليل عليه وإدعى القلب الشاذ بغير حجة مع مخالفته للأصل وأيضاً فإن لفظ الأهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير المعظم كما يقولون أهل البيت وأهل المدينة وأهل الفقر وأهل المسكين وإما الآل فإنما يضاف إلى معظم من شأنه أن يبؤول غيره أو يسوسه فيكون ماله إليه ومنه الإيالة وهي السياسة فالشخص هم من يبؤول إليه

الاستقامة ج: 1 ص: 456³¹²

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65³¹³

ويرجع إليه ونفسه هي أول وأولى من يسوسه ويؤول إليه فلهذا كان لفظ آل فلان متناولاً له ولا يقال هو مختص به بل يتناوله ويتناول من يؤوله فلهذا جاء في أكثر الألفاظ كما صلبت على آل إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم وجاء في بعضها إبراهيم نفسه لأنه هو الأصل في الصلاة والزكاة وسائر أهل بيته إنما يحصل لهم ذلك تبعاً وجاء في بعضها ذكر هذا وهذا تنبئها على هذين³¹⁴

3- قال تعالى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهُ مُنْبِبٌ} هود 75 وقد مدح الله إبراهيم بأنه أوه وقد فسر بالذى يتاؤه من خشية الله³¹⁵

4- قال تعالى {وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمٍ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَتَقْوُا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْقٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} هود 78 عامة الأسماء يتتنوع مسماتها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} 54 في مفعد صدق عند مليك مقتدر³¹⁵ {المر 54-55} وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا} 2 {وَيَرْزُقُهُ مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} 3 الطلاق 2-3 وقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرُ} {يوسف 90} وقوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1³¹⁶

5- قال تعالى {وَجَاءَهُ قَوْمٌ يُهَرَّعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمٍ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَتَقْوُا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْقٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} هود 78 أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريما وتتنزيها وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد³¹⁷

مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 463 و الفتوى الكبرى ج: 1 ص: 197 و مجموع الفتاوى ج:³¹⁴

2 ص: 282

مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 623³¹⁵

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164³¹⁶

الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 90³¹⁷

95-84 هود

{وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا قَالَ يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ مُحِيطٍ} 84 {وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} 85 {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظٍ} 86 {قَالُوا يَا شُعِيبَ أَصَلَّتَكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} 87 {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} 88 {وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمْنَكُمْ شَقَاقِي أَنْ يُصِيبُكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحَ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ} 89 {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} 90 {قَالُوا يَا شُعِيبَ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مَمَّا تَقُولُ وَإِنَا لِنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لِرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} 91 {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَهْطِي أَعْزِزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاعُوكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٍ} 92 {وَيَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعْكُمْ رَقِيبٌ} 93 {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّبَنَا شُعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَا وَأَخْذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} 94 {كَانَ لَمْ يَغْنُوا إِلَّا بُعْدًا لِمَدِينَ كَمَا بِعْدَتْ ثَمُودَ} 95 .

خلق الله الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله الله

قال تعالى {وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا قَالَ يَا قَوْمٍ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ مُحِيطٍ} 84 {وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} 85 {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظٍ} 86 {هود 84-86} قال الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله الله وبه انزل الكتب وبه أرسل الرسل وعليه جاهد الرسول والمؤمنون قال الله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْحَنَّ وَالْأَنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّا فَاعْبُدُونَ} الأنبياء 25 وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد أخبر عن جميع المسلمين ان كلا منهم يقول لقومه {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ} الأعراف 59 وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات والصالحت و العمل الصالح وان كانت هذه الاسماء بينها فروق طفيفة ليس هذا موضعها وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى {وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} الأنفال 39 وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه

قال سئل النبي عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله³¹⁸

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجة من توهם ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم وقال تعالى {وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} عن عبادته ولا يسْتَحْسِرُونَ {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْنُرُونَ {20} الأنبياء 19-20 وقال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَكْفِفُ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِفُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مَّنْ دُونَ اللَّهِ وَلِيَّا وَلَا نَصِيرًا} النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وفي المسند عن ابن عمر عن النبي انه قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغرى على من خالف امرى³¹⁹

وقد تنازع الناس فيما نقدم من أمة موسى وعيسي هل هم مسلمون أم لا وهو نزاع لنظري فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا صلي الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد صلي الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبياً فإنه يتناول إسلام كل أمة متتبعة لنبي من الأنبياء ورأس الإسلام مطلقاً شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع الرسل كما قال تعالى وذكر عن رسليه كنوح وهود وصالح وغيرهم انهم قالوا³²⁰

قطب القرآن

والتوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } هود 84 وفي المسند عن بن عمر عن النبي أنه قال بعثت

مجمع الفتاوى ج: 28 ص: 61³¹⁸

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 176-178³¹⁹

مجمع الفتاوى ج: 3 ص: 95³²⁰

بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رحمى وجعل الذل والصغار على من خالٍ أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم³²¹

النقوى كما فسرها الاولون والاخرون فعل ما امرت به وترك ما نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة انقوها بالنقوى قالوا وما النقوى قال ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وان تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وأيضا فالرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب فاتحة دعوام في هود {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} هود 50 وفي الشعراء {أَلَا تَتَّقُونَ} الشعراء 106 {فَانْتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ} الشعراء 108 وقال تعالى {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى} البقرة 189³²²

ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم اليمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي انه قال ثلاٌث من كن فيه وجده بهن حلاوة اليمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن نقضه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات اليمان وأكبر اصوله وأجل قواعده بل هي اصل كل عمل من اعمال اليمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من أقوال اليمان والدين فان كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الاعمال اليمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة الم محمودة وأصل المحبة الم محمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال اليمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريده به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي انه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل فأشرك فيه غيري فانا منه برئ وهو كله لذى أشرك وثبت في الصحيح في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل اخلاص الدين الله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والأخرin من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة اهل اليمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابليس انه قال {فَيُعَزِّزُكَ لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} 82 {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ} المخلصين 83 ص 82-83 وقال تعالى {إِنَّ عَبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} الحجر 42 وقال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} 99 {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} 100 النحل 99-100 فيبين ان سلطان

الشيطان واغوائه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءِ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24

وابتع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ وَمَمَّنْ تَبَعَكُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 وقد قال سبحانه {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتبع ولها خصوص الشرك وقيد ما سواه بالمشينة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتبع منه وما دونه يغفر له من يشاء واما قوله {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْتُلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر 53 فذلك في حق التائبين ولهذا عم واطلق وسياق الآية وبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الاولين والآخرين انما امرروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي علي ابى لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة ابلاغ واسماع بخصوصه فقال {وَمَا تَقْرَئُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْبَيِّنَاتُ } 4 {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُكْمَاء } 5 } البينة 5-4 الآية وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ } الأنبياء 25 وقال {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ الَّهُمَّ يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْنَا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ } لاسيما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحما عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً } البقرة 124 وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم من الله الذين بارك الله عليهم قال سبحانه {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَأَ مِمَّا تَعْبُدُونَ } 26 {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِيْنِ } 27 وجعلها كلمة باقية في عقده لعلمهم يرجعون } 28 } الزخرف 26-28 وهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب پيس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 22 {أَنَّكُنْ مِنْ دُونِهِ أَلَّهُ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا ثُغْنَ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِلُونَ } 23 {إِنِّي إِذَا لَقَيْ ضَالِّ مُبِينٍ } 24 {إِنِّي 323
أَمْنَتْ بِرَبِّكُمْ فَلَا سَمْعُونَ } 25 {يس 25-22 } 324

الغاية التي فيها صلاح للنفس

فإن الله تعالى أرسل الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى وأخبر عن كلنبي أنه دعا قومه إلى ذلك فقال عن شعيب {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفَضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنَّى أَرَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } هود 84 وكذلك سائرهم وأمثال ذلك فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرین 324

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبِيوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقد قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميـدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكـو وتكـمل إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابـد محبـا للإله المعـبود كـمال الحـب ولا بد أن يكون ذـليلـا له كـمال الذـل فـمن أـحب شـيـئـا وـلم يـذـلـ له لـم يـعـبـدـه وـمن خـضـعـ له وـلم يـحبـ له لـم يـعـبـدـه وـكمـالـ الحـبـ والـذـلـ لا يـصـلـحـ إـلاـ اللهـ وـحـدهـ فـهـوـ إـلهـ الـمـسـتـحـقـ لـلـعـبـادـةـ الـتـيـ لـاـ يـسـتـحـقـهاـ إـلاـ هـوـ وـذـلـكـ يـتـضـمـنـ كـمالـ الـحـبـ وـالـذـلـ وـالـإـجـالـ وـالـإـكـرامـ وـالـتـوـكـلـ وـالـعـبـادـةـ فـالـفـوـسـ مـحـتـاجـةـ إـلـىـ اللهـ مـنـ حـيـثـ هـوـ مـعـبـودـهـ وـمـنـتـهـيـ مرـادـهـ وـبـغـيـتـهـ وـمـنـ حـيـثـ هـوـ رـبـهـ وـخـالـقـهـ فـمـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ رـبـ كـلـ شـيـءـ وـخـالـقـهـ وـلمـ يـعـبـدـ إـلاـ اللهـ وـحـدهـ بـحـيـثـ يـكـونـ اللهـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـخـشـىـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـعـظـمـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ وـأـرـجـىـ عـنـدـهـ مـنـ كـلـ مـاـ سـوـاهـ بـلـ مـنـ سـوـىـ بـيـنـ اللهـ وـبـيـنـ بـعـضـ الـمـخـلـوقـاتـ فـيـ الـحـبـ بـحـيـثـ يـحـبـ مـثـلـ مـاـ يـحـبـ اللهـ وـيـخـشـاهـ مـثـلـ مـاـ يـخـشـىـ اللهـ وـبـرـجـوـهـ مـثـلـ مـاـ يـرـجـوـ اللهـ وـيـدـعـوـهـ مـثـلـ مـاـ يـدـعـوـهـ فـهـوـ مـشـرـكـ 325 الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيمـا شـجـاعـا

العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر

وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوى الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركة الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال {أَعْبُدُوا اللَّهَ} هود 84 فالعبادة لابد فيها من معرفته والإنبـةـ إلـيـهـ وـالـذـلـ لـهـ وـالـإـفـقـارـ إلـيـهـ وـهـذـاـ هـوـ المـقصـودـ وـإـذـ حـصـلـ الـاعـتـرـافـ بـالـرـبـ وـالـاقـرـارـ بـهـ مـنـ غـيرـ عـبـادـةـ وـإـنـابـةـ كـانـ وـبـالـاـ عـلـىـ صـاحـبـهـ وـشـقـاءـ لـهـ كـمـاـ جاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ أـشـدـ النـاسـ عـذـابـاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ عـالـمـ لـمـ يـنـفـعـهـ اللـهـ بـعـلـمـ كـاـبـلـيـسـ اللـعـبـينـ فـإـنـ مـعـتـرـفـ بـرـبـهـ مـقـرـ بـوـجـودـهـ لـكـنـ لـمـ يـعـبـدـ كـانـ رـأـسـ الـأـشـقـيـاءـ وـكـلـ مـنـ شـقـىـ فـبـاتـبـاعـهـ لـهـ كـمـاـ قـالـ {قـالـ أـخـرـجـ مـنـهـ مـذـؤـومـاـ مـذـحـورـاـ لـمـ تـبـعـكـ مـنـهـ لـأـمـلـأـ جـهـنـمـ مـنـكـ أـجـمـعـيـنـ} الأعراف 18 فلا بد أن يـمـلـأـ جـهـنـمـ مـنـهـ وـمـنـ أـتـبـاعـهـ مـعـ أـنـهـ مـعـتـرـفـ بـالـرـبـ مـقـرـ بـوـجـودـهـ وـانـماـ أـبـىـ وـاستـكـبرـ عنـ الطـاعـةـ وـالـعـبـادـةـ وـالـقـوـةـ الـعـلـمـيـةـ مـعـ الـعـلـمـيـةـ بـمـنـزـلـةـ الـفـاعـلـ وـالـغـاـيـةـ وـلـهـذـاـ قـيلـ الـعـلـمـ بلاـ عـلـمـ كـالـشـجـرـ بلاـ ثـمـرـ وـالـمـرـادـ بـالـعـلـمـ هـنـاـ عـلـمـ الـقـلـبـ الـذـىـ هـوـ اـنـابـتـهـ إـلـىـ اللـهـ وـخـشـيـتـهـ لـهـ حـتـىـ يـكـونـ عـابـدـاـ لـهـ فـالـرـسـلـ وـالـكـتـبـ الـمـنـزـلـةـ أـمـرـتـ بـهـذـاـ وـأـوـجـبـتـ بـلـ هـوـ رـأـسـ الـدـعـوـةـ وـمـقـصـودـهـ وـأـصـلـهـ وـالـطـرـيقـةـ الـنـبوـيـةـ الـقـرـآنـيـةـ السـنـنـيـةـ الـجـمـاعـيـةـ فـيـهـاـ الـعـلـمـ وـالـعـلـمـ كـامـلـيـنـ فـفـاتـحةـ دـعـوـةـ الرـسـلـ الـأـمـرـ بـالـعـبـادـةـ قـالـ تـعـالـىـ {يـاـ أـيـهـاـ النـاسـ اـعـبـدـوـاـ رـبـكـمـ الـذـيـ خـلـقـكـمـ وـالـذـيـ مـنـ قـبـلـكـمـ لـعـلـكـمـ تـتـقـوـنـ} البقرة 21 وـقـالـ أـمـرـتـ أـنـ أـفـاقـلـ النـاسـ حـتـىـ يـشـهـدـوـاـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـأـنـ مـحـمـداـ عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ وـذـلـكـ يـتـضـمـنـ الـإـقـرـارـ بـهـ وـعـبـادـتـهـ وـحـدـهـ فـإـنـ إـلـهـ هـوـ الـمـعـبـودـ وـلـمـ يـقـلـ حـتـىـ يـشـهـدـوـاـ أـنـ لـاـ رـبـ إـلـاـ اللـهـ فـإـنـ اللـهـ أـدـلـ عـلـىـ مـقـصـودـ الـعـبـادـةـ لـهـ التـىـ لـهـ خـلـقـ الـخـلـقـ وـبـهـ أـمـرـواـ وـكـذـلـكـ قـوـلـهـ لـمـعـاذـ إـنـكـ تـأـتـىـ قـوـمـاـ مـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ فـلـيـكـ أـوـلـ مـاـ تـدـعـوـهـ إـلـيـهـ شـهـادـةـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـأـنـ مـحـمـداـ رـسـوـلـ اللـهـ وـقـالـ نـوحـ

عليه السلام {أَن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} نوح 3
وكذلك الرسل في سورة الأعراف
³²⁶
وغيرها

الله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط

قال تعالى {وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمُكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ} 84 {وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمُكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَنْجُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} 85 {بَقِيَةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ} 86 هو 84-86 العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال وإنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط
³²⁷

أن العدل محمود محظوظ باتفاق أهل الأرض وهو محظوظ في النفوس مرکوز حبه في القلوب تحبه القلوب وتحمده وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب والظلم من المنكر الذي تتذكره القلوب فتبغضه وتذمه والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديده 25 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} الشورى 17 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 وقال {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} المائدة 42 وقال {فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَّعَّ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} المائدة 48 فأمره أن يحكم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله مما أنزل الله هو القسط والقسط هو ما أنزل الله ولهذا وجوب على كل من حكم بين أثنتين أن يحكم بالعدل لقوله تعالى {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبداً والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلاً بل حكم الله أحسن الأحكام والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل
³²⁸

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 10³²⁶

الصفدية ج: 2 ص: 327³²⁷

منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 130³²⁸

بخس المكيال و الميزان من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب

قال تعالى { وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ }⁸⁴ وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمِكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَنْجُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }⁸⁵ بِقِيَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَقِيقَةٍ }⁸⁶ هود 84-86 أما بخس المكيال و الميزان فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب و قص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لتعتبر بذلك و الاصرار على ذلك من أعظم الكبائر و صاحبه مستوجب تغليظ العقوبة و ينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان و يصرف في صالح المسلمين اذا لم يمكن إعادةه إلى أصحابه و المكيال و الوزان الذي يبخس الغير هو ضامن محروم مأثوم و هو من أحسن الناس صفة اذ باع آخرته بدنيا غيره ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالا أو زانا يبخس أو يحابي كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي بحيث يكيل أو يزن أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره أو يكون له جاه و نحوه بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم أو يظلم من يبغضه و يزيد من يحبه قال الله تعالى { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152 و قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا فَوَّاقِمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَنْتَسِعُوا أَهْوَى وَإِنْ تَلُوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا } النساء 135 و الله أعلم ³²⁹

خبر عن اعمال قوم شعيب أنها من السيئات القبيحة قبل أن ينهاهم

وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }⁴ وَنَرِيدُ أَنْ نَنْهَى عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَمَمَةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ }⁵ وَنَمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ }⁶ القصص 4-6 فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه بر رسالة انه كان طاغيا مفسدا و ايضا أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالمحاج المستوى الطرفين والمعفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا يعاقب الا بعد إقامة الحجة وهذا وكذلك قول شعيب { أَوْفُوا الْمِكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَنْجُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }⁸⁵ هود 85 بين أن ما فعلوه كان بخسا لهم أشياءهم وأنهم كانوا عاثين في الأرض مفسدين قبل أن ينهاهم بخلاف قول المجبرة أن ظلمهم ما كان سيئة إلا لما نهاهم وانه قبل النهي كان بمنزلة سائر الأفعال من الأكل والشرب وغير ذلك كما يقولون في سائر ما نهت عنه الرسل من الشرك والظلم والفواحش (ناقص) ³³⁰

عامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة يكذبونهم

وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجده ذلك لحسده إياه أو طلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكرهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإيليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح {أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ} الشعراء 111 ومعلوم أن إتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه لكن كروا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي وقاص وإن مسعود وخطاب بن الارت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل الصفة فأنزل الله تبارك وتعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلِيهِ مِنْ حَسَابٍ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حَسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 52 {وَكَذَلِكَ فَتَنَا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّيَقُولُوا أَهْوَلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّنْ بَيْنَنَا إِلَيْنَاهُ بِأَعْلَمِ بِالشَّاكِرِينَ} 53 الأنعام 52-53 قول قوم شعيب له {أَصَلَّاثُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ أَبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ} هود 87 وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسل بل تبين أنها تختلف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانتوا يعلمون صدقه ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم ونم قريش لهم مما إحتملت نفوسهم ترك تلك العادة وإحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس فكيف يقال إن كل كافر إنما كافر لعدم علمه بالله³³¹

توحيد الإلهية هو الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به

قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ} 88 {وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَيْقَاقٌ أَنْ يُصِيبَنَّكُمْ مُّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودِ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مُّنْكِمٌ بِيَعْيِدِ} 89 {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُوْدُ} 90 هود 88-89 توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به وهو أن لا يعبد إلا إياه ولا يعبد إلا بطاعته وطاعة رسوله فمن استشعر هذا في قوله {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} الأنبياء 87 كان عابداً متوكلاً عليه وكان ممثلاً قوله {وَفَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْنَ عَلَيْهِ} هود 123 وقوله {عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ

أَنِيبٌ { هو 88 وقوله { وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَّلِ إِلَيْهِ تَبَتِّلَا } 8 } رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } 9 } المزمل 8-9³³²

كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول ربنا و لك الحمد ملء السماء و ملء الأرض و ملء ما بينهما و ملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد و كلنا لك عبد فهذا حمد و هو شكر الله تعالى و بيان أن حمده أحق ما قاله العبد ثم يقول بعد ذلك اللهم لامانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت و لا ينفع ذا الجد منك الجد وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقا و قدراء بداية و هداية هو المعطى المانع لامانع لما أعطي و لا معطي لما منع و لتوحيد الإلهية شرعا و أمرا و نهيا و هو أن العباد و إن كانوا يعطون ملكا و عظمة و بختا و رياضة في الظاهر أو في الباطن ك أصحاب المكافئات و التصرفات الخارقة فلا ينفع ذا الجد منك الجد أي لينجيه و لا يخلصه من سؤالك و حسابك حظه و عظمته و غناه ولهذا قال لainفعه منك و لم يقل لainفعه عندك فإنه لو قيل ذلك أو هم أنه لا يتقرب به إليك لكن قد لا يضره فيقول صاحب الجد إذا سلمت من العذاب في الآخرة فما أبالي كالذين أوتوا النبوة و الملك لهم ملك في الدنيا و هم من السعداء فقد يظن ذو الجد الذي لم يعمل بطاعة الله من بعده أنه كذلك فقال ولا ينفع ذا الجد منك ضمن ينفع معنى ينجي و يخلاص فيبين أن جده لا ينجيه من العذاب بل يستحق بذنبه ما يستحقه أمثاله و لا ينفعه جده منك فلا ينجيه و لا يخلصه فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد و تحقيق قوله { إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 و قوله { فَاغْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 و قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ } هود 88 و قوله { وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَّلِ إِلَيْهِ تَبَتِّلَا } 8 } رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } 9 } المزمل 8-9 قوله لامانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت توحيد الربوبية الذي يقتضي أنه سبحانه هو الذي يسأل و يدعى و يتوكّل عليه وهو سبب لتوحيد الإلهية و دليل عليه كما يحتاج به في القرآن على المشركين فأن المشركين كانوا يقررون بهذا التوحيد توحيد الربوبية و مع هذا يشركون بالله فيجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله و يقولون إنهم شفاؤنا عنده و إنهم يتقررون بهم إليه فيتخذونهم شفعاء و قربانا كما قال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَاعَوْنَاهُ عَنَّ اللَّهِ } يومن 18 و قال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِنَقْرِبُوْنَا إِلَيْهِ زُلْفَى } الزمر 3 و قال تعالى { وَأَقْدَ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } 27 فلولا نصرهم الذين اتّخذوا من دون الله قربانا الله بل ضلوا عنهم وذلك إفکهم وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } 28 الأحقاف 27-28 وهذا التوحيد هو عبادة الله و حده لا شريك له و أن لأنعبد إلا بما أحبه و ما رضيه و هو ما أمر به و شرعيه على ألسن رسليه صلوات الله عليه فهو متضمن لطاعته و طاعة رسوله و موالاة أوليائه و معاداة أعدائه و أن يكون الله و رسوله أحب إلى العبد من كل ما سواهما وهو يتضمن أن يحب الله حبا لا يماثله و لا يساويه فيه غيره بل يقتضي أن يكون رسوله صلى الله عليه و سلم أحب إليه من نفسه فإذا كان الرسول لأجل أنه رسول الله يجب أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه فكيف بربه سبحانه و تعالى وفي صحيح البخاري أن عمر قال يارسول الله و الله إنك لأحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك قال فو الذي بعثك بالحق إنك لأحب إلى من نفسي قال لأن

ياعمر وقد قال تعالى {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} الأحزاب 6 و قال تعالى {فَلْ} إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَارَةً تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِإِمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} النوبة 24 فان لم يكن الله و رسوله و الجهاد في سبيله أحب إلى العبد من الأهل و المال على اختلاف أنواعه فانه داخل تحت هذا الوعيد فهذا التوحيد الالهي يتضمن فعل المأمور و ترك المحظور ومن ذلك الصبر على المقدور كما أن الأول يتضمن الاقرار بأنه لا خالق و لا رازق معطي و لا مانع إلا الله و حده فيقتضي أن لا يسأل العبد غيره و لا يتوكلا عليه و لا يستعين إلا به كما قال تعالى في النوعين {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ} الفاتحة 5 وقال {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والشركين و عليه يقع الجزاء و الثواب في الأولى و الآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء أما توحيد الربوبية فقد أقر بها المشركون و كانوا يعبدون مع الله غيره و يحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم فإذا كان الله هو رب كل شيء و مليكه و لا خالق و لا رازق إلا هو فلماذا يعبدون غيره معه و ليس له عليهم خلق و لا رزق و لا بيده لهم منع و لا عطاء بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرا و لافعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا فان قالوا ليشفع فقد قال الله {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة و النبيين إلا باذنه و أما قبورهم و ما نصب عليها من قباب و أنصاب أو تماثيلهم التي مثلت على صورهم مجسدة أو مرقومة فجعل الاستشفاع بها استشفاعا بهم فهذا باطل عقلا و شرعا فانها لاشفاعة لها بحال و لا لسائر الأصنام التي عملت للكواكب و الجن و الصالحين و غيرهم³³³

قدر الله الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها

قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تُوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ} 88 وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِي مَنْكُمْ شَقَاقٌ أَنْ يُصِيبِكُمْ مَثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مَنْكُمْ بِيَعْيِدِ} 89 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَدُودٌ} 90 هود 88-90 وهناك طائفة هم مستمسكون بالدين في اداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما امرنا به من الاسباب التي هي عبادة ظالمين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاح آبائهم وبعمل اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلاندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسرا لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به

عبدة من الأسباب فهو عبادة والتوكيل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَأْبِ } الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ومنهم طائفة قد ترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم بما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيرة ما تعرض لاهل السلوكي والتوجيه وإنما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمة الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق³³⁴

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّي وَرَرَقْتَيْ مِنْهُ رُزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } 88 وَيَا قَوْمَ لَا يَحْرِمْنَكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ لَمْ يَنْكُمْ بِبَعْدِ { 89 } وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُو دُودٍ } 90 هود 88-90 والمؤمن يجد نفسه محتاجة إلى الله في تحصيل مطالبه ويجد في قلبه محبة الله غير هذا فهو محتاج إلى الله من جهة أنه ربه ومن جهة أنه إلهه قال تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فلا بد أن يكون العبد عابدا الله ولا بد أن يكون مستعينا به ولهذا كان هذا فرضا على كل مسلم أن يقوله في صلاته وهذه الكلمة بين العبد وبين الرب وقد روى عن الحسن البصري رحمة الله أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع سرها في الأربعه وجمع سر الأربعه في القرآن وجمع سر القرآن في الفاتحة وجمع سر الفاتحة في هاتين الكلمتين { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 ولهذا ثناها الله في كتابه في غير موضع من القرآن قوله { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَأْبِ } الرعد 30³³⁵

وقال الله تعالى { وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } 2 وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بِالْعُمُرِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرًا } 3 الطلاق 2-3 قد روى عن أبي ذر عن النبي أنه قال لو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكتفهم وقوله { مَخْرَجًا } الطلاق 2 عن بعض السلف أي من كل ما صار على الناس وهذه الآية مطابقة لقوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 الجامعة لعلم الكتب الإلهية كلها وذلك أن التقوى هي العبادة المأمور بها فإن تقوى الله وعبادته وطاعتة أسماء متقاربة متكافئة متلازمة والتوكيل عليه هو الإستعانة به فمن يتقى الله

³³⁴الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 171-172

³³⁵منهاج السنّة النبوية ج: 5 ص: 394

مثال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} الفاتحة⁵ ومن يتوكل على الله مثل {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ كما قال {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقال {عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبْنَا} الممتحنة⁴ وقال {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ} هود 88³³⁶

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناجيه وندعوه بهاتين الكلمتين {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ في كل صلاة معمول أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن نستعينه إذ إيجاب القول الذي هو إقرار و اعتراف و دعاء و سؤال هو إيجاب لمعناه ليس إيجاباً لمجرد لفظ لامعنى له فإن هذا لا يجوز أن يقع بل إيجاب ذلك أبلغ من إيجاب مجرد العبادة والاستعانة فإن ذلك قد يحصل أصله بمجرد القلب أو القلب و البدن بل أوجب دعاء الله عزوجل و مناجاته و تكريمه و مخاطبته بذلك ليكون الواجب من ذلك كاملاً صورة و معنى بالقلب و بسائر الجسد وقد جمع بين هذين الأصلين الجامعين إيجاباً و غير إيجاب في مواضع كقوله في آخر سورة هود {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 و قول العبد الصالح شعيب {وَمَا تُوْفِيقِي إِلَّا بِإِلَهٍ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ} هود 88 و قول إبراهيم و الذين معه {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة⁴ و قوله سبحانه إذ أمر رسوله أن يقول {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّمٌ لَّتَلَوَّ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَنَابِ} الرعد 30 فأمر نبيه بأن يقول على الرحمن توكلت و إليه متاب كما أمره بهما في قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 والأمر له أمر لأمته و أمره بذلك في أم القرآن و في غيرها لأمته ليكون فعلهم ذلك طاعة الله و أمثالاً لأمره و لا يتقدموها بين يدي الله و رسوله و لهذا كان عامة ما يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم و الخالصون من أمته من الأدعية و العبادات و غيرها إنما هو بأمر من الله بخلاف من يفعل ما لم يؤمن به و إن كان حسناً أو عفواً و هذا أحد الأسباب الموجبة لفضله و فضل أمته على من سواهم و فضل الخالصين من أمته على المشوبين الذين شابوا ماجأء به بغيره كالمنحرفين عن الصراط المستقيم و إلى هذين الأصلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد في عباداته و أذكاره و مناجاته مثل قوله في الأضحية اللهم هذا منك و لك فإن قوله منك هو معنى التوكل والاستعانة و قوله لك هو معنى العبادة و مثل قوله في قيامه من الليل لك أسلمت و بك آمنت و عليك توكلت وإليك أنت و بك

خاصمت و إليك حاكمت أعود بعزتك لا إله إلا أنت أنت تضلني أنت الحي الذي لا تموت و الجن و الانس يموتون إلى أمثال ذلك

من ظن الاستغاء بالسبب عن التوكل فقد أخل بواجب التوحيد

قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمنته فاستطعمونى أطعمكم وكلكم عار إلا من كسوته فإستكسونى أكسم فيقضتى أصلين عظيمين أحدهما وجوب التوكل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضررة كالباس وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة وإنما القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال {وَعَلَى الْمُؤْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} البقرة 233 وقال {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءِ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوْهُمْ} النساء 5 فالمأمور به هو المقدور للعباد وكذلك قوله {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَةٍ} 14 بتبييناً ذا مَقْرَبَةِ} 15 أو مَسْكِينًاً ذَا مَتْرَبَةٍ} 16 البلد 14-16 وقوله {وَأَطْعَمُوا الْفَانِعَ وَالْمُعْتَرَ} الحج 36 وقوله {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} الحج 28 وقال {وَإِذَا قَبَلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطُعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمُهُ} يس 47 فذم من يترك المأمور به إكتفاء بما يجري به القدر ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله فى وجوب السبب بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب إذ ليس فى المخلوقات ما هو وحده سبب نام لحصول المطلوب ولهذا لا يجب أن تقتربن الحوادث بما قد يجعل سبباً إلا بمشيئة الله تعالى فإنه ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن فمن ظن الاستغاء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ولهذا يخذل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب فمن رجا نصراً أو رزقاً من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه وقد قال تعالى {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فاطر 2 وقال تعالى {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ يُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} يونس 107 وقال {فَلَمَّا أَفْرَأَيْتُمْ مَا نَذَرْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةِ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ فَلَمَّا حَسِبَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 وهذا كما أن من أخذ يدخل فى التوكل تاركاً لما أمر به من الأسباب فهو أيضاً جاهل ظالم عاصى الله بترك ما أمره فإن فعل المأمور به عبادة الله وقد قال تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقال {فَلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ} الرعد 30 وقال شعيب عليه السلام **(عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَيْ)** هود 88 وقال {وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَيْ} الشورى 10 وقال {فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقُومُهُمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدَى حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَيْنا} الممتحنة 4 فليس من فعل شيئاً أمر به من التوكل بأعظم ذنباً من فعل توكلًا أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب إذ كلما هما مخل ببعض ما وجب عليه وهما مع إشتراكهما فى جنس الذنب فقد يكون هذا ألوى وقد يكون الآخر مع أن التوكل فى الحقيقة من جملة الأسباب وقد روى أبو داود فى سننه أن النبي قضى بين رجلين فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي أنه قال المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك وإستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ففي قوله صلى الله عليه وسلم إحرص على ما ينفعك وإستعن بالله ولا تعجز أمر بالتبسيب المأمور به وهو الحرص على المنافع وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الإستعانة بالله فمن إكتفى بأحد هما فقد عصى أحد الأمرين ونهى عن العجز الذى هو ضد الكيس

كما قال في الحديث الآخر إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس وكما في الحديث الشامي الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من إتبع نفسه هوها وتمني على الله فالعاجز في الحديث مقابل الكيس ومن قال العاجز هو مقابل البر فقد حرف الحديث ولم يفهم معناه ومنه الحديث كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ومن ذلك ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا سألا الناس فقال الله تعالى { وَتَرَوَدُوا فَإِنْ خَيْرُ الرَّازِدِ التَّقْوَى }

البقرة 197 فمن فعل ما أمر به من التزود فإستعان به على طاعة الله وأحسن منه إلى من يكون محتاجاً كان مطيناً لله في هذين الأمرين بخلاف من ترك ذلك ملتفتاً إلى أزواد الحجيج كلام على الناس وإن كان مع هذا قوله غير ملتفت إلى معين فهو ملتفت إلى الجملة لكن إن كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكيل على الله ومواساة المحتاج فقد يكون في تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به وفي هذه النصوص بيان غلط طائفه تضعف أمر السبب المأمور به فتعده نقصاً أو فدحاً في التوحيد والتوكيل وإن تركه من كمال التوكيل والتوحيد وهم في ذلك ملبوس عليهم وقد يقتربن بالغلط إتباع الهوى في إخلاد النفس إلى البطالة ولهذا تجد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الأسباب يتعلقو بأسباب دون ذلك فأما إن يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة وإما أن يتركوا لأجل ما تبتلوا له من الغلو في التوكيل واجبات أو مستحبات أفعى لهم من ذلك فمن يصرف همته في توكيله إلى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلا سعي فقد يحصل ذلك لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعى اليسيير وصرف تلك الهمة والتوجه في عمل صالح أفعى له بل قد يكون أوجب عليه من تبتله لهذا الأمر اليسيير الذي قدره درهم أو نحوه فوق هؤلاء من يجعل التوكيل والدعاء أيضاً نقصاً وإنقطاعاً عن الخاصة ظناً أن ملاحظة ما فرغ منه في القدر هو حال الخاصة وقد قال في الحديث كلّم جائع إلا من أطعنته فاستطعوني أطعمكم وقال فاستكسوني أكسكم وفي الطبراني أو غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس أحدكم رب حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع فإنه إن لم يبسره لم يتسير وهذا قد يلزمه أن يجعل أيضاً استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقاً بل دفع المخلوق والمأمور وإنما غلطوا من حيث ظنوا سبق التقدير يمنع أن يعون بالسبب المأمور به كمن يتزندق فيترك الأعمال الواجبة بناء على أن القدر قد سبق بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولم يعلم أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه فمن قدره الله من أهل السعادة كان مما قدره الله يتيسر لعمل أهل السعادة ومن قدره من أهل الشقاوة كان مما قدره أنه يبسره لعمل أهل الشقاوة كما قد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال في حديث علي بن أبي طالب وعمران بن حصين وسراقة بن جعشن وغيرهم ومنه حديث الترمذى حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبي خزامة عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقىها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وطائفة تظن أن التوكيل إنما هو من مقامات الخاصة المتقربيين إلى الله بالنواول كذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والسكر ونحو ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الأمور فروض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان ومن تركها بالكلية فهو إما كافر وإما منافق لكن الناس هم فيها كما هم في الأعمال الظاهرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقصد ومنهم سابق بالخيرات ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الأمور علمًا و عملاً بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الأعمال بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه إلى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة إن كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها والأمور الظاهرة كما لها وفروعها التي لا تتم إلا بها

الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ }⁸⁸ وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمْنَكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مَنْكُمْ بِيَعْدِ { 89 } وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }⁹⁰ هود 88-90 فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسلاه بتحصيل المصالح وتمكيلها وتعطيل المفاسد وتقليلها { وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيلاً المفسدين } الأعراف 142 وقال شعيب { إن أريد إلا إصلاح ما استطعت } هود 88 وقال تعالى { فمن أتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } الأعراف 35 وقال تعالى { وإذا قيل لهم لا تقدسوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون }¹¹ { 12 } البقرة 11-12

³³⁹

12

في حديث أبي هريرة رضي الله عنهمما الذي رواه الترمذى وصححه قيل يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق قيل وما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجوافان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهمما قال قال رسول الله أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق ومعולם أن الإيمان كله تقوى الله شمول التقوى وتصحيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضوع فإنها الدين كله لكن ينبع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة وإستعانة كما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وفي قوله { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ } هود 88 وفي قوله { فَابتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا أَهْلَهُ } العنکبوت 17 بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين إنتقاها بهم أو عملا لأجلهم ويجعل همه ربه تعالى وذلك بمخالفة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل الله بكل محظوظ ³⁴⁰

ومتى اهتمت الولاة باصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم ودنياهم وإلا اضطررت الأمور عليهم وملائكة ذلك كله صلاح النية للرعاية وإخلاص الدين كله الله والتوكل عليه فان الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ } هود 88 كما امرنا ان نقول في صلاتنا { إِيَّاكَ نَعْبُدُ

مجمع الفتاوى ج: 31 ص: 266³³⁹

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 659 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 91³⁴⁰

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة⁵ فان هاتين الكلمتين قد قيل انهما يجمعان معانى الكتب المنزلة من السماء وقد روى أن النبي كان مرة فى بعض مغازييه فقال يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين فجعلت الرعوس تذر عن كواهلها وقد ذكر ذلك فى غير موضع من كتابه قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود123 وقوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود84 وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته يقول اللهم منك ولك ³⁴¹

من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله

ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدهه الله فيهم فإذا انقطع طلب القلب للمساعدة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو قال تعالى {ما يفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها وما يمسك فلا مرسلا له من بعده} فاطر2 وقال تعالى {وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ} يونس107 وقال تعالى {وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدَ لِفَضْلِهِ} الأعراف17 قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} الزمر38 وقال صاحب پس {أَتَتَذَّمِنْ مِنْ دُونِهِ اللَّهِ إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنَ بِضُرٍ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ} 23 إِنَّمَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ²⁴يس23-24 ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع وفي الآخر من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده قال تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عَبَادِهِ خَيْرًا} الفرقان58 والله تعالى أمر بعبادته والتوكيل عليه قال تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود123 وقال تعالى {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} الرعد30 {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يونس84 وقال شعيب {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود84 ³⁴²

³⁴¹مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 361 و رسالة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة ج: 1

ص: 82 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 110

³⁴²مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 323

العبادة والتوكيل يجمعان الدين كله

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ }⁸⁸ وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مُّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ صَالِحَ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِتَبَعِيدٍ }⁸⁹ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَدُودٌ }⁹⁰ هود 88-90 واما المحبة لله والتوكيل عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل احد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر او منافق وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بينا غلطه فيه وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات بكلام مبسط وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فلل خاصة خاصتها وللعامية عامتها مثل ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكيل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لا يناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الامور بفروعها منها فلا يطلب شيئاً فيقال اما الاول فان التوكيل اعم من التوكيل في مصالح الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الامور اليه ولها ينادي ربه في كل صلاة بقوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 كما في قوله تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْنَ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ } هود 88 وقوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ } الرعد 30 فهو قد جمع بين العبادة والتوكيل في عدة مواضع لان هذين يجمعان الدين كله ولها قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }

{ الفاتحة 5 وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدي يقول العبد ايها نعبد واياك نستعين يقول الله بهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأله يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأله فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فايها نعبد واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه قال كنت رديفا للنبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ان لا يعندهم العبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحب الخلی عن ذل والذل الخلی عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الا مرين ولها كانت العبادة لا تصلح الا الله وهي وان كانت منفعتها للعبد والله غني عن العالمين فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها ولها كان الله اشد فرحا بتوبية العبد من الفاقد لراحته عليها طعامه وشرابه في ارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فانه اشد فرحا بتوبية عبده من هذا براحته وهذا يتعلق به امور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكيل والاستعانتة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانتة كالدعاء والمسئلة وقد روى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم إنما هي أربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لي فتعبدنى لا تشرك

بِي شَيْئاً وَمَا الَّتِي هِيَ لَكَ فَعَمَلْكَ اجْزَيْكَ بِهِ أَحَوجُ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ وَمَا الَّتِي بَيْنِ يَدَيْكَ فَمِنْكَ
الدُّعَاءِ وَعَلَى الْإِجَابَةِ وَمَا الَّتِي بَيْنِكَ وَبَيْنِ خَلْقِي فَأَتَ لِلنَّاسِ مَا تَحْبُّ إِنْ يَأْتُوا إِلَيْكَ وَكَوْنُ هَذَا
اللَّهُ وَهَذَا لِلْعَبْدِ هُوَ بِاعتِبَارِ تَعْلُقِ الْمُحَبَّةِ وَالرِّضَا بِابْتِدَاءِ فَانِ الْعَبْدِ ابْتِدَاءٌ يُحِبُّ وَيُرِيدُ مَا يَرَاهُ مِلَائِمًا
لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ وَيُرِيدُ مَا هُوَ الْغَايَةُ الْمُقْصُودَةُ فِي رِضاَهُ وَيُحِبُّ الْوَسِيلَةَ تَبْعَدُ لَذِكْرَكَ وَالْفَكِّ
مَأْمُورٌ بِهِ فَمِنْفَعَتِهِ عَائِدَةٌ عَلَى الْعَبْدِ وَكُلُّ ذَلِكَ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُرِيدُهُ وَعَلَى هَذَا فَالَّذِي ظَنَّ إِنَّ التَّوْكِلَ
مِنَ الْمَقَامَاتِ الْعَالَمَةَ ظَنَّ إِنَّ التَّوْكِلَ لَا يَطْلُبُ بِهِ إِلَّا حَظْوَنَ الدُّنْيَا وَهُوَ غَلْطٌ بِلِ التَّوْكِلِ فِي الْأَمْوَارِ
الْدِينِيَّةِ أَعْظَمُ وَإِيْضًا التَّوْكِلُ مِنَ الْأَمْوَارِ الْدِينِيَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَهِ الْوَاجِبَاتُ وَالْمُسْتَحِبَاتُ إِلَيْهَا وَالْمُزَاهِدُ
فِيهَا زَاهِدٌ فِيمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُأْمِرُ بِهِ وَيُرِيدُهُ وَالْزَاهِدُ الْمُشْرُوعُ هُوَ تَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيمَا لَا
يَنْفَعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهُوَ فَضْلُ الْمَبَاحِ الَّتِي لَا يَسْتَعْنَى بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ كَمَا إِنَّ الْوَرْعَ
الْمُشْرُوعُ هُوَ تَرْكُ مَا قَدْ يَضْرِرُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهُوَ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالشَّهَدَاتِ الَّتِي لَا تَسْتَلزمُ
تَرْكَهَا تَرْكُ مَا فَعَلَهُ ارْجَحُ مِنْهَا كَالْوَاجِبَاتِ فَمَا مَا يَنْفَعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِنَفْسِهِ أَوْ يَعْيَنُ عَلَى مَا
يَنْفَعُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَالْأَزْهَدُ فِيهِ لَيْسُ مِنَ الدِّينِ بِلِ صَاحِبِهِ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} الْمَايِّدَةُ 87 كَمَا إِنَّ
الْأَشْتَغَالَ بِفَضْلِ الْمَبَاحِتِ هُوَ ضَدُّ الْأَزْهَدِ الْمُشْرُوعِ فَانِ اشْتَغَلَ بِهَا عَنْ فَعْلِ وَاجِبٍ أَوْ فَعْلِ مُحَرَّمٍ
كَانَ عَاصِيَا وَالَا كَانَ مَنْقُوصَا عَنْ دَرْجَةِ الْمُقْرَبِينَ إِلَى دَرْجَةِ الْمُقْصِدِينَ وَ إِيْضًا فَانَّ
الْتَّوْكِلَ هُوَ مَحِبُوبُ اللَّهِ مَرْضِيٌّ لَهُ مَأْمُورٌ بِهِ دَائِمًا وَمَا كَانَ مَحِبُوبًا لِلَّهِ مَرْضِيًّا لَهُ مَأْمُورًا بِهِ دَائِمًا لَا
يَكُونُ مِنْ فَعْلِ الْمُقْصِدِينَ دُونِ الْمُقْرَبِينَ فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَجْوَبَةٍ عَنْ قَوْلِهِمُ الْمُتَوْكِلُ يَطْلُبُ حَظْوَنَهُ
وَإِنَّ قَوْلِهِمُ إِنَّ الْأَمْوَارَ قَدْ فَرَغَ مِنْهَا فَهَذَا نَظِيرُ مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ فِي الدُّعَاءِ إِنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ لَآنَ
الْمَطْلُوبُ أَنْ كَانَ مَقْدِرًا فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ مَقْدِرًا لَمْ يَنْفَعُ الدُّعَاءُ وَهَذَا القَوْلُ مِنْ أَفْسَدِ
الْأَقْوَالِ شَرْعًا وَعُقْلًا وَكَذَلِكَ قَوْلُ مِنْ قَالَ الْتَّوْكِلُ وَالدُّعَاءُ لَا يَجْلِبُ بِهِ مَنْفَعَةً وَلَا يَدْفَعُ بِهِ
مَضْرَةً وَانَّمَا هُوَ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ وَانَّ حَقِيقَةَ التَّوْكِلِ بِمَنْزِلَةِ حَقِيقَةِ التَّقْوِيَّةِ الْمَحْضَةِ وَهَذَا وَانَّ كَانَ
قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُشَائِخِ فَهُوَ غَلْطٌ إِيْضًا وَكَذَلِكَ قَوْلُ مِنْ قَالَ إِنَّ الدُّعَاءَ إِنَّمَا هُوَ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ
فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ وَمَا اشْبَهُهَا يَجْمِعُهَا أَصْلُ وَاحِدٍ وَهُوَ إِنَّ هُؤُلَاءِ ظَنُوا إِنَّ الْأَمْوَارَ مَقْدِرَةٌ مَقْضِيَّةٌ
يَمْنَعُ إِنَّ تَنْوِيفَ عَلَى أَسْبَابِ مَقْدِرَةٍ إِيْضًا تَكُونُ مِنَ الْعَبْدِ وَلَمْ يَعْلَمُوا إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُنَّ يَقْدِرُ الْأَمْوَارَ
وَيَقْضِيهَا بِالْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا مَعْلَقَةً بِهَا مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَغَيْرِ افْعَالِهِمْ وَلِهَذَا كَانَ طَرَدُ قَوْلِهِمُ
يُوجِبُ تَعْطِيلَ الْأَعْمَالِ بِالْكَلِيلِ وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ
مَرَاتٌ فَأَجَابَ عَنْهُ كَمَا أَخْرَجَ فِي الصَّحِيحِيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنَ حَسْنَيْنَ قَالَ قَوْلُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا فِيمِ الْعَمَلِ قَالَ كُلُّ مَيْسِرٍ لَمَّا خَلَقَ لَهُ
وَفِي الصَّحِيحِيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ كُنَا فِي جَنَّةٍ فِي هَذِهِ الْمَسْكُونَيْةِ فَلَمَّا خَلَقَ لَهُ
فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِالْمَخْصُرَةِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفَوْسَةٌ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ مَكَانَهَا
مِنَ النَّارِ أَوِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَتْ شَقِيقَةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِفْلَا يَمْكُثُ عَلَى
كَتَابِنَا وَنَدِعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لِيَكُونَنَّ إِلَيْهَا سَعَادَةً وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوةِ لِيَكُونَنَّ
إِلَيْهَا شَقاوةً قَالَ اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسِرٍ لَمَّا خَلَقَ لَهُ إِنَّمَا أَهْلَ السَّعَادَةِ فَيُبَيِّسُونَ لِلْسَّعَادَةِ وَإِنَّمَا أَهْلَ الشَّقاوةِ
فَيُبَيِّسُونَ لِلشَّقاوةِ ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ {فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَيَ وَآتَيَ} 5 {وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى} 6 {فَسَيِّسِرُهُ
لِلْيُسْرَى} 7 {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْنَى} 8 {وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى} 9 {فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى} 10 الْلَّيْلُ 6-5
أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ فِي الصَّحَاحِ وَالسُّنْنِ وَالْمَسَانِيدِ وَرَوَى التَّرمِذِيُّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَيْتَ أَدْوِيَةَ نَتَدَارِيَّ بِهَا وَرَقَّ نَسْرَفَةَ بِهَا وَنَقِيَّهَا هُلْ تَرَدُّ
مِنْ قَدْرِ اللَّهِ شَيْئًا قَالَ هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ فِي عَدَةِ أَحَادِيثٍ فَبَيْنَمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنْ تَقْدِمُ الْعِلْمُ وَالْكِتَابُ بِالسَّعِيدِ
وَالشَّقِيقِ لَا يَنْافِي إِنَّ تَكُونَ سَعَادَةً هَذَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ وَشَقاوةً هَذَا بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فَإِنَّهُ سَبَّحَهُ
يَعْلَمُ الْأَمْوَارَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهَا فَهُوَ يَعْلَمُ إِنَّ السَّعِيدَ يَسْعَدُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ وَالشَّقِيقِ
يَشْقَى بِالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فَمَنْ كَانَ سَعِيدًا يَسِّرُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ الَّتِي تَقْضِيَ السَّعَادَةَ وَمَنْ كَانَ شَقِيقًا
يَسِّرُ لِلْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تَقْضِيَ الشَّقاوةَ وَكَلَاهُمَا مَيْسِرٌ لَمَّا خَلَقَ لَهُ وَهُوَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ مَشِيَّةٍ

الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى {وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْهُمْ} 119 هود 118-119 وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية التي أمرنا بموجبها بذلك مذكور في قوله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات و الأمر و الإرادة و الأذن و الكتاب و الحكم و القضاء و التحرير و نحو ذلك ما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه وامرره الشرعي وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية مثل ذلك انه قال في الامر الدينى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} النحل 90 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 و نحو ذلك وقال في الكوني {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ سَيِّئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وكذلك قوله {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهَلِّكَ قَرِيبَةً أَمْرَنَا مُتَرْفِيَّهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقٌ عَلَيْهَا الْقُولُ قَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا} الإسراء 16 على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الإرادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 {يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْيَّنَ لَكُمْ وَبِهِدْيِكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُنَوِّبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء 26 {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} المائدة 6 وقال في الإرادة الكونية {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَوْا وَلَكُنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} البقرة 253 وقال {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرَحُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ} هود 34 وقال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وقال تعالى في الأذن الدينى {مَا قَطْعَنْمَ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} الحشر 5 وقال تعالى في الكوني {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَذِنُ اللَّهُ} البقرة 102 وقال تعالى في القضاء الدينى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الإسراء 23 اي امر وقال تعالى في الكوني {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمِينَ} فصلات 12 وقال تعالى في الحكم الدينى {أَحَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلِي عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} المائدة 1 وقال تعالى {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} الممتحنة 10 وقال تعالى في الكوني عن ابن يعقوب {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذِنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يوسف 80 وقال تعالى {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبِّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا نَصَفُونَ} الأنبياء 112 وقال تعالى في التحرير الدينى {حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ} المائدة 3 {حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ أَمْهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} النساء 23 الآية وقال تعالى في التحرير الكوني {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَبَاهُونَ فِي الْأَرْضِ} المائدة 26 وقال تعالى {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ مَعْلُومٌ} 24 للسائل والمحروم 25 المعارض 25-24 وقال تعالى في الكلمات الدينية {وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} البقرة 124 وقال تعالى في الكوني {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} الأعراف 137 ومنه قوله المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول في استعانته اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يتجاوزهن برولا فاجر ومن المعلوم ان هذا هو الكوني الذي لا يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه واما الكلمات الدينية فقد خالفها الفجار بمعصيته والمقصود هنا انه بين ان العواقب التي خلق لها الناس من سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك كما ان سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه يخلق الولد وسائر الحيوان في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع المائين في الرحم فلو قال الانسان انا اتوكل ولا اطأ زوجتي فان كان قد قضي لي بولد وجد ولا لم يوجد ولا حاجة الى وطء كان احمد بخلاف ما اذا وطيء وعزل الماء فان عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يسبق الماء بغير اختياره ومن هذا ما ثبت في الصحيحين عن ابى سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله فى غزوة بنى المصطلق فاصبنا سببا من العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزبة واحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله فقال ما عليكم الا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيمة وفي

صحيح مسلم عن جابر ان رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وسانيتها في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سبأيتها ما قدر لها وهذا مع ان الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من خلقه من ام فقط كما خلق آدم ومن خلقه من اب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير ومن خلقه من ام فقط كما خلق المسيح بن مرريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب اخرى غير معتادة وهذا الموضع وان كان انما يجده الزنادقة المعطلون للشراع فقد وقع في كثير من دقه كثير من المشائخ المعظامين يسترسل احدهم مع القدر غير محقق لما امر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكيل والجري مع الحقيقة القدريه ويحسب ان قول القائل ينغي للعبد ان يكون مع الله كالملائكة بين يدي الغاسل يتضمن ترك العمل بالامر والنهي حتى يترك ما امر به ويفعل ما نهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذي يفرق به بين ما امر الله به واحبه ورضي عنه وبين ما نهى عنه وبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه كما قال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ احْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ تَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية 21 وقال تعالى {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} 35 تَحْكُمُونَ 36 القلم 35-36 وقال تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقْبِينَ كَالْفَجَارِ} ص 28 وقال تعالى {فَلْنَهْلَ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} الزمر 9 وقال تعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} 19 وَلَا الظُّلَمَاتُ وَلَا النُّورُ 20 وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ 21 وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنِ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنِ فِي الْقُبُورِ} 22 فاطر 19-22 وامثال ذلك حتى يفضي الامر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الامر بالامور النبوى الالهي الفرقاني الشرعى الذى دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون فى الوجود من الاحوال التى تجري على ايدي الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة كون الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته العامة وأنه داخل فى ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذى فرق الله به بين اولياته واعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين واهل الطاعة الذين اطاعوا امره الدينى واهل المعصية الذين عصوا هذا الامر ويستشهدون في ذلك بكلمات نقلت عن بعض الاشياء او ببعض غلطات بعضهم وهذا اصل عظيم من اعظم ما يجب الانتباه به على اهل طريق الله السالكين سبيل الارادة اراده الذين يريدون وجهه فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسق والعصيان مala يعلمها الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلمين فى الارض من اهل الظلم والعلو كالذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهونونه من اهل العلو فى الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها فى ذلك كانوا بذلك من اوليات الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحة وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تارة ومكروها لله اخري وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الامر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف يكشف له او تأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاها وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اولياته ومعاداة اعدائه وهؤلاء هم اوليات الله الذين قال الله فيهم {أَلَا إِنَّ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ} يونس 62 فإن كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولا هو انه عليه بل قد يسعد بها قوم اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك قال الله تعالى {فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} 15 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} 16 الفجر 15-16 ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة اقسام قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة اذا

استعملوها في طاعة الله وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوها في معصية الله ك/bl/gam

وغيره وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحثات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذي انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله او لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولکثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد فروي مسلم في صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الصعييف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان اصابك شيء فلا تقل لو انى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفي سنن ابى داود ان رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على احدهما فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال رسول الله ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيis فادا علبك امر فقل حسبي الله ونعم الوكيل فأمر النبى لقوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء انفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح قال النبى فى الحديث الصحيح لسعد انك لن تتفق نفقة تتبعي بها وجه الله الا ازدت بها درجة ورفعه حتى اللقمة تضعها فى امرأتك فأخبر النبى ان الله يلوم على العجز الذى هو ضد الكيس وهو التغريط فيما يؤمر بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينافي القدرة المتقدمة التى هي مناط الامر والنهي فإن الاستطاعة التي توجب الفعل تكون مقارنة له ولا تصلح الا لمقدورها كما ذكرها الله تعالى في قوله {مَا كَانُواْ يَسْتَطِيُونَ السَّمْعَ} هود 20 وفى قوله {وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيُونَ سَمْعاً} الكهف 101 واما الاستطاعة التي يتعلق بها الامر والنهي فتاك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن كما فى قوله تعالى {وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 وقول النبى لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وهذا الموضع قد انقسم الناس فيه الى اربعة اقسام قوم ينظرون الى جانب الامر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالهية الرب سبحانه الذي امرروا ان يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكيل والاستعانة وهو حال كثير من المتقهنة والمتعبدة فهم مع حسن قصدتهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأن الاستعانة بالله والتوكيل عليه واللجاج عليه والدعاء له هي التي تقوى العبد وتيسير عليه الامور ولهذا قال بعض السلف من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صفتة في التوراة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكلا ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويغفر ويغفر ولن اقتضيه حتى اقيم به الملة العوجاء فافتتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلبا بان يقولوا لا الله الا الله ولهذا روى ان حملة العرش انما اطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله وقد ثبت في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انها كنز من كنوز الجنة قال تعالى {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ}

{الطلاق 3 وقال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِيبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران 173 الى قوله {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 175 وفي صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله {وَقَالُوا حَسِيبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران 173 قالها ابراهيم الخليل حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس قد جمعوا لكم وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون به لكن على اهوائهم وادوا عليهم غير ناظرين الى حقيقة امره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتقهنة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصدون ما يرضي الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون ان معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويطيرون ان هذه الحقيقة القدرة يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الامرية الدينية

التي هي تحوى مرضاه الرب ومحبته وامره ونهيه ظاهرا وباطنا و هؤلاء كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند امر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه تارة بدعة يظلونها شرعا وتارة في الاحتجاج بالقدر على الامر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركون في سورة الانعام والاعراف ذكر ما ابتدعوه من الدين وجعلوه شرعا كما قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعا مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبه من هذا وهذا واما القسم الثالث وهو من اعراض عن عبادة الله واستعانته به فهو لاء شر الاقسام و القسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ} هود 123

فاستعنوا به على طاعته وشهدوا انه لهم الذي لا يجوز ان يعبد الا ايها بطاعتة وطاعة رسوله وانه ربهم الذي ليس لهم ولی ولا شفيع وانه {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فاطر 2 {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفٌ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادٌ لِفِضْلِهِ} يومن 107 ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكيل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد تبين ان من ظن التوكيل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشائخ كصاحب علل المقامات وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وظهر ضعف حجة من قال ذلك لظننه ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لا فائدة له في تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك كمن اشتغل بالتوكيل عن ما يجب عليه من الاسباب التي هي عبادة وطاعة مأمور بها فان غلط هذا في ترك الاسباب المأمور بها التي هي داخلة في قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ} هود 123 كغلو الاول في ترك التوكيل المأمور به الذي هو داخل في قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ} هود 123 لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحثاته فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكيل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعراض عن التوكيل فهو عاصي الله ورسوله بل خارج عن حقيقة الایمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة قال الله تعالى {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ أَمْنَثُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يومن 84 وقال تعالى {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبٌ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلَيَتَوَكُّلُّ الْمُؤْمِنُونَ} آل عمران 160 وقال تعالى {وَعَلَى اللهِ فَلَيَتَوَكُّلُّ الْمُؤْمِنُونَ} المائدة 11 وقال تعالى {فَلَمَنْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَذَعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِي اللهُ بِضُرٍّ هُنْ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ} الزمر 38 الى قوله {فَلَمَنْ يَتَوَكُّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 وقد ذكر الله هذه الكلمة {حَسْبِيَ اللهُ} الزمر 38 في جلب المنفعة تارة وفي دفع المضررة اخرى فالاولى في قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُوتَنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ} التوبة 59 الآية و الثانية في قوله {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران 173 وفي قوله تعالى {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} الأنفال 62 قوله {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُوتَنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} التوبة 59 يتضمن الامر بالرضا والتوكيل والرضا والتوكيل يكتفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه ولهذا كان

النبي يقول في الصلاة اللهم بعلمنك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوافقني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم انى اسألك خشيتك في الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق في الغصب والرضا واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيم لا ينفد واسألك قرة عين لا تقطع اللهم انى اسألك الرضا بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك واسألك الشوق الى لقائك من غير ضراء مضره ولا فتنه مضلة اللهم زينا بزينة الایمان واجعلنا هداة مهتدین رواه احمد والنسائي من حيث عمار بن ياسر واما ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا ولهذا كان طائفه من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فإذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى {وَلَقَدْ كُنْتُ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَتَظَرُّرُونَ} آل عمران 143 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَنُوْلُوا مَا لَا تَنْعَلُونَ}2 مَقْتاً عند الله أن تُنُولُوا مَا لَا تَنْعَلُونَ3 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْاتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا كَانُهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ4 الصف 4-2 نزلت هذه الآية لما قالوا له ما علمنا أى الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله سبحانه وتعالى آية الجهاد فكره من كرهه ولهذا كره للمرء ان يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه مالا يوجه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك او يطلب ولاية او يقدم على بلد فيه طاعون كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي انه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخل وثبت عن في الصحيحين انه قال لعبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فلت الذى هو خير وكفر عن يمينك وثبت عنه في الصحيحين انه قال في الطاعون اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانت بها فلا تخرجا فرارا منه وثبت عنه في الصحيحين انه قال لاتتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية ولكن اذا لقيتموه فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيف وماثل ذلك مما يقتضى ان الإنسان لاينبغى ان يسعى فيما يوجب عليه اشياء ويحرم عليه اشياء فيدخل باللوفاء كما يفعل كثير من يعاهد الله عهودا على امور وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود ويقتضى ان الانسان إذا ابتلى فعليه ان يصبر ويثبت ولا ينكى حتى يكون من الرجال الموقنين الفائمين بالواجبات ولا بد في جميع ذلك من الصبر ولهذا كان الصبر واجبا باتفاق المسلمين على اداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن ان يجزع فيها والصبر عن اتباع اهواء النفوس فيما نهى الله عنه وقد ذكر الله الصبر في كتابه في اكثر من تسعين موضعا وقرنه بالصلوة في قوله تعالى {وَاسْتَعِنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْحَاشِيَّةِ} البقرة 45 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ} البقرة 153

³⁴³ 343

من راعى الأمر والقدر كما ذكر كان عابدا الله متوكلا عليه

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَرَقْتِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَافِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ } 88 وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيبُكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحَ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِعَيْدٍ } 89 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } 90 وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَفْعُلَ الْمَأْمُورَ وَيَتَرَكُ الْمُحَظَّوْرَ وَيَصْبِرُ عَلَى الْمَقْدُورِ كَمَا قَالَ

تعالى في قصة يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 فاللتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِّيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 فأمره مع الاستغفار بالصبر فإن العباد لابد لهم من الاستغفار أولهم وأخرهم قال النبي في الحديث الصحيح يا أيها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده إنى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي وإنى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطئي وجهلى واسرافى في أمري وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لي خطئي وعمدى وهزلى وجدى وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وقد ذكر عن آدم أبي البشر انه أصر متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبهه أباه فما ظلم قال الله تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } 72 ليعذب الله المُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ 73-72 ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية كما قال تعالى { أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } فصلت 6 { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } محمد 19 وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلك الناس بالذنب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد ذكر سبحانه عن ذى النون انه { فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } 87 فاستجبنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْعَمَّ وَكَذَلِكَ نُنْحِي الْمُؤْمِنِينَ } 88 الانبياء 87-88 قال النبي دعوة أخي ذى النون ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربه وجماع ذلك انه لابد له في الأمر من أصلين ولا بد له في القدر من أصلين ففي الأمر عليه الإجتهاد في الإمتحان علمًا و عملا فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك ثم عليه أن يستغفر ويتوسل من تقريره في المأمور وتعديه الحدود ولهذا كان من المشروع أن يختم جميع الاعمال بالإستغفار فكان النبي اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقد قال الله تعالى { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } آل عمران 17 فقاموا بالليل وختمه بالإستغفار وآخر سورة نزلت قول الله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) 1 وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) 2 فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا } 3 النصر 3-1 وفي الصحيح انه كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك الله ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأنل القرآن وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل عليه ويدعوه ويرغب اليه ويستعيذ به ويكون مفترا اليه في طلب الخير وترك الشر وعليه أن يصبر على المقدور ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصبهه وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب وأن يستغفروها من المعائب كما قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِّيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55 فمن راعى الأمر والقدر كما ذكر كان عابدا الله مطينا له مستعينا به متوكلا عليه من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله {

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ { هود 123 } وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } الشورى 10 { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 وقوله { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالَّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } 3

الطلاق 2-3 فالعبادة لله والاستعانة به وكان النبي يقول عند الأضحية اللهم منك ولك فما لم يكن بالله لا يكون凡ه لا حول ولا قوة إلا بالله وما لم يكن الله فلا ينفع ولا يدوم ولابد في عبادته من أصلين أحدهما اخلاص الدين له والثاني موافقة أمره الذي بعث به رسله ولهاذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئاً وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى { لِيَنْهَا لَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } المالك 2 قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أيها على ما أخلصه وأصوبه قال إذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة³⁴⁴

"إذا سألت فسائل الله وإذا استعن فاستعن بالله"

الدعاء قصد المدعو والتوجيه إليه إما على وجه المسألة وإما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء شيء هو طلبه وإرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَحِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } القصص 88 فان الدعاء في هذه الموارد يراد به نفس اتخاذ المدعو ربا وإلهها بحيث يسأل ويعبد وقد فصل معنى الدعاء بقوله { إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 و قوله تعالى { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 و نحو ذلك من الآي فهو يعبد من حيث هو الله و يسأل من حيث هو رب و إن كان كل عابد سائلا و طالبا و كل سائل عابدا و قاصدا من جهة الإلتزام فسميت العبادات الله المحضة مثل الصلاة و الذكر و السؤال و الركوع و السجود و الطواف صلاة أو هي دعاء الله و عبادة الله بلا توسط شيء آخر و لهذا قال ابن مسعود ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة و إن كنت في السوق³⁴⁵

وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها رحرا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارج له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما

نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى دنيا يصيّبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنَّ اعْبُدُوا إِلَهَهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعن فاستعن بالله وقال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَافِكُمْ إِلَىٰ مَا آنَهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} 88 ويا قوم لا يجر منكم شفافي أن يصيّبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم بعيد 89 واسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثم توبوا إليه إن ربّي رحيم ودود 90 هود 88-90

346

فتوحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة وإستعانة هي قطب رحى الدين وذلك أن العبد بل كل حى بل وكل مخلوق سوى الله هو فقير محتاج الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحى هي من جنس النعيم واللذة والمضررة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرتين أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذى ينتفع ويلتذ به والثانى هو المعين الموصى المحصل لذلك المقصود والمائع من دفع المكرور وهذا هى الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثانى أمر مكرور مبغض مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب المحبوب والرابع الوسيلة الى دفع المكرور وهذه الأربعة الأمور ضرورية للعبد بل وكل حى لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحى فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله تعالى هو الذى يجب أن يكون هو المقصود المدعى المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكرور وهو المعين على دفع المكرور فهو سبحانه الجامع للأمور الأربع دون ما سواه وهذا معنى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب فالأول من معنى الألوهية والثانى من معنى الربوبية إذ الإله هو الذى يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما والرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها وكذلك قوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 قوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله {عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} المتحنة 4 قوله تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} الفرقان 58 قوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} الرعد 30 قوله {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّيِّلًا} 8 رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا 9 المزمول 8-9 فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين

347

فالعبادة والإستعانة فللها وحده لا شريك له وقد جمع بينهما في مواضع كقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ }
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ³⁴⁸

الاستغفار من أعظم الحسنات

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تُؤْفِقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } 88 { وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِيْ مَنْكُمْ شَقَاقٌ أَنْ يُصِيبِكُمْ مُّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمً نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِيَعْدِ } 89 { وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيْ رَحِيمٌ وَدُودٌ } 90 { هود 88-90 أن التوبة فرض على العباد دائمًا واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول في الحديث الصحيح أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده أني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وفي رواية أكثر من سبعين مرة وأخر سورة نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح) 1 { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَذْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا } 2 { فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا } 3 { النصر 1-3 } ³⁴⁹

وما رواه البخاري عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن يقول العبد لله أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بعملي على وابوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقفنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها إذا أمسى موقفنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار وكل من هذين من الأمور اللازم للعبد دائمًا فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وألائه ولا يزال محتاجا إلى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم وإمام المتقين يستغفر في جميع الأحوال وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة وقال عبد الله بن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب أغفر لي وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة وقال إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم اثنين وسبعين مرة وفي صحيح مسلم أنه قال إنه

مجمع الفتاوى ج: 1 ص: 69 ³⁴⁸

مجمع الفتاوى ج: 2 ص: 280 ³⁴⁹

ليغان على قلبي وإنني لأشتغف الله في اليوم مائة مرة ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك ياذا الجلال والإكرام قال الله تعالى {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} هو 90 ولهذا جاء في الحديث يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار وكفاررة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم³⁵⁰

الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكره إلى الفعل المحبوب من العمل الناقص إلى العمل التام ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل فأن العابد الله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علما بالله وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقطنه و قوله و فعله ويرى تقديره في حضور قلبه في المقامات العالية واعطائها حقها فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار بل هو مضطرب إليه دائمًا في الأقوال والأحوال في الغوايб والمشاهد لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرات وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والدينية اليمانية وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله من أولهم إلى آخرهم ومن آخرهم إلى أولهم ومن الأعلى إلى الأدنى وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم وهم فيها درجات عند الله وكل عامل مقام معلوم فشهادته أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله دقه وجله خطأه وعمده أوله وآخره وسره وعلاناته وتتأثر على جميع صفاته وخفائيه ودقائقه والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك فأن الذنب كلها من شعب الشرك فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه فابلغ الثناء قول لا إله إلا الله وأبلغ الدعاء قول أستغفر الله فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولأخوانه من المؤمنين وقال إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلما قوى نور الحق وبرهانه في القلوب خفى عن المعرفة كما يبهر ضوء الشمس عيون الخفافيش بالنهار فاحذر مثل هؤلاء وعليك بصحبة أتباع الرسل المؤيدين بنور الهدى وبراهمين اليمانيين أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات الفارقين بين الواردات الرحمانية والشيطانية العالمين العاملين {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة 22 وقال التوبة من أعظم الحسنات والحسنات كلها مشروط فيها الأخلاص الله وموافقة أمره باتباع رسوله والاستغفار من أكبر الحسنات وبابه واسع فمن أحس بتقصيره في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلب فعليه بالتوحيد والاستغفار فيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص وكذلك إذا وجد العبد تقصيرًا في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والأخوان فعليه بالدعاء لهم والاستغفار قال حذيفة بن اليمان للنبي صلى الله عليه وسلم إن لي لسانا ذريبا على أهلى فقال له أين أنت من الاستغفار إنني لأشتغف الله في اليوم أكثر من سبعين مرة³⁵¹

الرد على انكار الجهمية المجبرة للوازム كرم الله سبحانه ورحمته وحكمته

قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِإِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ }⁸⁸ وَيَا قَوْمَ لَا يَحْرِمْنَكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيبُكُمْ مُثْلُ مَا أَصَابَ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٌ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مُنَكِّبٌ بِيَعْدِ {⁸⁹} وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }⁹⁰ هُودٌ⁹⁰ وأن المنكرين لكونه يحب من الجهمية ومن وافقهم حقيقة قولهم أنه لا يستحق أن يعبد كما أن قولهم إنه يفعل بلا حكمة ولا رحمة يقتضي أنه لا يحمد فهم إنما يصفونه بالقدرة والقهر وهذا إنما يقتضي الإجلال فقط لا يقتضي الإكرام والمحبة والحمد وهو سبحانه الأكرم قال تعالى {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ }¹² {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ }¹³ البروج 12-13 ثم قال { وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ }¹⁴ {ذُو الْعَرْشِ الْمَحِيدُ }¹⁵ {فَعَالَ لَمَّا يُرِيدُ }¹⁶ البروج 14-16 وقال شعيب { وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ } هود 90 وفي أول ما نزل وصف نفسه بأنه الذي خلق وبأنه الأكرم والجهمية ليس عندهم إلا كونه خالقا مع تقديرهم في إثبات كونه خالقا لا يصفونه بالكرم ولا الرحمة ولا الحكمة وإن أطلقوا ألفاظها فلا يعنون بها معناها بل يطلقونها لأجل مجدها في القرآن ثم يلحدون في أسمائه ويحرفون الكلم عن مواضعه فتارة يقولون الحكمة هي القدرة وتارة يقولون هي المشيئة وتارة يقولون هي العلم وأن الحكمة وإن تضمنت ذلك واستلزمته فهي أمر زائد على ذلك فليس كل من كان قادر أو مريدا كان حكيمانا ولا كل من كان له علم يكون حكيمانا حتى يكون عاملا بعلمه قال ابن قتيبة وغيره الحكمة هي العلم والعمل به وهي أيضا القول الصواب فنتناول القول السديد والعمل المستقيم الصالحة والرب تعالى أحكم الحاكمين وأحكمن الحكام والأحكام الذي في مخلوقاته دليل على علمه وهم مع سائر الطوائف يستدلون بالأحكام على العلم وإنما يدل إذا كان الفاعل حكيمانا بفعل لحكمة وهم يقولون إنه لا يفعل لحكمة وإنما يفعل بمشيئة تخص أحد المتماثلين بلا سبب يوجب التخصيص وهذا مناقض للحكمة بل هذا سفسه وهو قد نزع نفسه عنه في قوله { لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْخَذْ لَهُوا لَأَنْتَخْذَنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ }¹⁷ بل نُقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }¹⁸ الأنبياء 17-18 وقد أخبر أنه إنما خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق وأنه لم يخلقها باطلا وأن ذلك ظن الذين كفروا وقال {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتًا } المؤمنون 115 وقال {أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّي }³⁵² القيامة 36 أي مهملا لا يؤمر ولا ينهى وهذا إستفهام إنكار على من جوز ذلك على الرب والجهمية المجبرة تجوز ذلك عليه ولا تنزعه عن فعل وإن كان من منكريات الأفعال ولا تتعنته بلوازم كرمه ورحمته وحكمته وعدله فيعلم أنه يفعل ما هو اللائق بذلك ولا يفعل ما يضاد ذلك بل تجوز كل مقدور أن يكون وأن لا يكون وإنما يجزم بأحدهما لأجل خبر سمعى أو عادة مطردة مع تناقضهم في الاستدلال بالخبر أخبار الرسل وعادات الرب كما بسط هذا في مواضع مثل الكلام على معجزات الأنبياء وعلى إرسال الرسل والأمر والنهى وعلى المعاد ونحو ذلك مما يتعلق بأفعاله وأحكامه الصادرة عن مشيئته فإنها صادرة عن حكمته وعن رحمته ومشيئته مستلزمة لهذا وهذا لا يشاء إلا مشيئة متضمنة للحكمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها

ما ذكره الله عن أعداء الرسل تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله و عن تدبر كتابه

قال تعالى { قَالُوا يَا شَعِيبٌ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ } هود 91 و أما أهل البدع والضلال من الجهمية و نحوهم فإنهم جدوا ما في كتب الله من المعانى و حرفوا الكلم عن مواضعه أو قالوا نحن كالآميين لا نعلم الكتاب إلا أمانى أو قلوبنا غلف و قالوا لما جاء به الرسول من الكتاب و السنة نظير ما قاله الكفار { وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةٍ مَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَنَا حَجَابٌ } فصلت 5 و { قَالُوا يَا شَعِيبٌ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مَّا تَقُولُ } هود 91 وهذا قال هؤلاء لا نفقه كثيرا مما يقول الرسول و قالوا كما قال الذين يستمعون للرسول فإذا خرجوا من عنده { قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا } محمد 16 و صاروا كالذين قيل فيهم { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حَجَابًا مَسْتُورًا } 45 وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَقْعُدُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْلَا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا } 46 الإسراء 45-46 فتدبر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم و تكذيبهم تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله و عن تدبر كتابه و إتبع ما تتلوه الشياطين و ما توحيه إلى أوليائها و الله يهدينا صراطا مستقيما³⁵³

الله قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه رحيم و دود بهم

الله سبحانه و تعالى هو العزيز الرحيم الغفور الوود المجيد الوود فعول من الود و قال شعيب { وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَدُودٌ } هود 90 و قال تعالى { وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ } البروج 14 فقرنه بالرحيم في موضع وبالغفور في موضع قال أبو بكر ابن الأنصاري الود معناه المحب لعباده من قولهم و ددت الرجل أوده و دادا و ودادا و يقال و ددت الرجل و دادا و ودادا و ودادا وقال الخطابي هو اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان أحدهما أن يكون فعلا في محل مفعول كما قيل رجل هيوب بمعنى مهيب و فرس ركوب بمعنى مرکوب والله سبحانه و تعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفونه من إحسانه إليهم والوجه الآخر أن يكون بمعنى الود أي أنه يود عباده الصالحين بمعنى أنه يرضي عنهم و يتقبل أعمالهم ويكون معناه أن يودهم إلى خلقه كقوله { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا } مريم 96 قلت قوله { سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا } مريم 96 فسروها بأنه يحبهم و يحببهم إلى عباده كما في الصحيحين

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله العبد نادى يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبور في الأرض وقال في البعض مثل ذلك اذ المقصود هنا ذكر اسمه الودود والاكثرون على ما ذكره ابن الأنباري وأنه فعل بمعنى فاعل أي هو الواد كما قرنه بالغفور وهو الذي يغفر وبالرحيم وهو الذي يرحم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري حدثنا سفيان في قوله {إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ} هود 90 قال محب وقال قرئ على يونس حدثنا ابن وهب قال وقال ابن زيد قوله الودود قال الرحيم وقد ذكر فيه قولين القول الاول رواه من تفسير الوالبي عن ابن عباس قوله الودود قال الحبيب والثاني قول ابن زيد الرحيم وما ذكره الوالبي أنه الحبيب قد يراد به المعنيان أنه يحب ويحب فان الله يحب من يحبه وأولياؤه يحبهم ويحبونه والبعوي ذكر الأمرتين فقال وللودود معنيان أن يحب المؤمنين وقيل هو بمعنى المودود أي محبوب المؤمنين وقال أيضا في قوله {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} البروج 14 أي المحب لهم وقيل معناه المودود كالحليب والركوب بمعنى المحبوب والمركمب وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل المتودد إلى أوليائه بالمغفرة قلت هذا للفظ معروف في اللغة أنه بمعنى الفاعل كقول النبي صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود وفعول بمعنى فاعل كثير كالصبور والشكور وأما بمعنى مفعول قليل وأيضا فان سياق القرآن يدل على أنه أراد أنه هو الذي يود عباده كما أنه هو الذي يرحمهم ويغفر لهم فان شعيبا قال {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ} هود 90 فذكر رحمته ووده كما قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لَّسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقُوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} الروم 21 وهو أراد وصفا يبين لهم أنه سبحانه يغفر الذنب ويقبل على التائب وهو كونه ودودا كما قال {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْتَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} البقرة 222 وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يفرح بتوبة التائب أشد من فرح من فقد راحلته بأرض دوية مهلكة ثم وجدها بعد اليأس فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومونته له وكذلك قوله في الآية الأخرى {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} البروج 14 فإنه مثل قوله وهو الغفور الرحيم وأيضا فان كونه مودودا أي محبوبا يذكر على الوجه الكامل الذي يتبيّن اختصاصه به مثل اسم الآله فإن الآله المعبد هو مودود بذلك ومثل اسمه الصمد ومثل ذي الجلال والإكرام ونحو ذلك وكونه مودودا ليس بعجب وإنما العجب جوده واحسانه فإنه يتودد إلى عباده كما في الآخر يا عبدي كم أتودد إليك بالنعم وأنت تتمقت إلى بالمعاصي ولا يزال ملك كريم يصعد إلى منك بعمل شيء وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وجاء في تفسير اسمه الحنان المنان أن الحنان الذي يقبل على من أعرض عنه والمنان الذي يوجد بالنوال قبل السؤال وأيضا فمبدأ الحب والود منه لكن اسمه الودود يجمع المعنيين كما قال الوالبي عن ابن عباس انه الحبيب وذلك أنه إذا كان يود عباده فهو مستحق لأن يوده العباد بالضرورة ولهذا من قال انه يحب المؤمنين قال انهم يحبونه فان كثيرا من الناس يقول انه محبوب وهو لا يحب شيئا مخصوصا لكن محبته بمعنى مشيئته العامة ومن الناس من قال إنه لا يحب مع أنه يثبت محبته للمؤمنين فالقسمة في المحبة رباعية فالسلف وأهل المعرفة أثبتوا النوعين قالوا إنه يحب ويحب والجهمية والمعزلة تتكر الأمرين ومن الناس من قال إنه يحب المؤمنون وأما هو فلا يحب شيئا دون شيء ومنهم من عكس فقال بل هو يحب المؤمنين مع أن ذاته لا يحب كما يقولون إنه يرحم ولا يرحم فإذا قيل إن الودود بمعنى الواد لزم أن يكون مودودا بخلاف العكس فالصواب القطع بأن الودود وان كان ذلك متضمنا لأنه يستحق أن يود ليس هو بمعنى المودود فقط ولفظ الوداد بالكسر هو مثل الموادة والتoward وذاك يكون من الطرفين كالتحاب وهو سبحانه لما جعل بين الزوجين مودة ورحمة كان كل منهما يود الآخر ويرحمه وهو سبحانه كما ثبت في الحديث الصحيح أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد بين الحديث الصحيح أن فرحه بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد ماله ومركتبه في مهلكة إذا وجدهما بعد اليأس وهذا الفرح يقتضي أنه أعظم مودة

لعبد المؤمن من المؤمنين بعضهم لبعض كيف وكل ود في الوجود فهو من فعله فالذي جعل الود في القلوب هو أولى بالود كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما في قوله { سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا } مريم 96 قال يحبهم وقد دل الحديث الذي في الصحيحين على أن ما يجعله من المحبة في قلوب الناس هو بعد أن يكون هو قد أحبه وأمر جبريل أن ينادي بأن الله يحبه فنادى جبريل في السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه³⁵⁴

وليس في القرآن وصف للرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلا بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام كقوله تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186 فهو سبحانه قريب من دعاك وكذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي في سفر فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبانا تدعون سميها قربيا ان الذى تدعونه اقرب الى أحدكم من عنق راحته فقال ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم لم يقل أنه قريب الى كل موجود وكذلك قول صالح عليه السلام { فَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ } هود 61 هو قول شعيب { وَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ } هود 90 ومعلوم أن قوله { قَرِيبٌ مُحِبٌّ } هود 61 مقوون بالتبوية والاستغفار أراد به قريب محب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه كما أنه رحيم ودود بهم وقد قرن القريب بالمحب وعلم أنه لا يقال انه محب لكل موجود وإنما الاجابة لمن سأله ودعاك وكذلك قربه سبحانه وأسماء الله المطلقة كاسمه السميع وال بصير والغفور والشكور والمحيي والقريب لا يجب أن تتعلق بكل موجود بل يتعلق كل اسم بما يناسبه وأسمه العظيم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوما تتعلق بكل شيء وأما قوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } 16 إذ يتلقى المتألقين عن اليمين وعن الشمال فعيد 17 ما يلفظ من قول إلا لديه قريب عتيق 18 ق 16-18 قوله { قَلُولًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُوقُومَ } 83 وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْتَظِرُونَ 84 وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبَصِّرُونَ 85 الواقعة 83-85 فالمراد به قربه اليه بالملائكة وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا ملك الموت أدنى اليه من اهله ولكن لا يتبررون الملائكة وقد قال طائفة ونحن أقرب اليه بالعلم وقال بعضهم بالعلم والقدرة لفظ بعضهم بالقدرة والرؤية وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا ان يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية فان لفظ المعية في سورة الحديد والجادلة في قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } الحديد 4 وقوله تعالى { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَتَّهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } المجادلة 7 وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من

الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم³⁵⁵

الدين مجموع في التوحيد والاستغفار

فلا إنسان ظالم جاهم كما قال تعالى {إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} الأحزاب 72 إلى قوله {ظُلُومًا جَهُولاً} الأحزاب 72 وإنما غالية أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنه الغالبين التوبة وقد قال تعالى {فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا} النصر 3 وتبة كل إنسان بحسبه وعلى قدر مقامه وحاله ولهذا كان الدين مجموعاً في التوحيد والاستغفار قال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذِنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 وقال تعالى {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} فصلت 6 وقال تعالى قال تعالى {قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} 88 {وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَقَاقٌ أَنْ يُصِيبَكُمْ مُّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحَ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مُّنْكَمْ بِيَعْيِدِ} 89 {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ تَمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} 90 هود 88-90 ففعل جميع المأمورات وترك جميع المخظورات يدخل في التوحيد في قول لا إله إلا الله فانه من لم يفعل الطاعات لله ويترك المعاصي لله لم يقبل الله عمله قال تعالى {إِنَّمَا يَتَّقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المائدة 27 قال طلاق بن حبيب القوي ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وان ترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله ولا بد لكل عبد من التوبة والاستغفار بحسب حاله والعبد اذا انعم الله عليه بالتوحيد فشهد ان لا إله إلا الله مخلصاً من قبله والله هو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالأجلال والاكرام والخوف والرجاء يفني القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكيل عليه وسؤاله عما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه حاله الله بالأمن والسرور والحبور والرحمة للخلق والجهاد في سبيل الله فهو ي jihad ويرحم له الصبر والرحمة قال الله تعالى {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} البقرة 17 وكلما قوى التوحيد في قلب العبد قوى ايمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه قوله عز وجل {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 و 356

الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئاً إلا بإحداث أسباب ودفع موائع

قال تعالى {وَيَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سُوفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِبُهُ وَمَنْ هُوَ كاذبٌ وَارْتَقَبُوا إِنِّي مَعْكُمْ رَقِيبٌ} 93 {وَلِمَا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَبْنَا شُعْبِيَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَا وَأَخْذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} 94 {كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثُمُودٌ} 95 هود 93-95 فإن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئاً إلا بإحداث أسباب ودفع موائع مثل ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء

مجمع الفتاوى ج: 5 ص: 493-495³⁵⁵

مجمع الفتاوى ج: 28 ص: 34³⁵⁶

الأرض كما قال تعالى { كَذَّبْتُ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَنْهُمَا وَقَالُوا مَحْكُونٌ وَأَزْدْجَرٌ }⁹ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَإِنَّصِرْ }¹⁰ فَفَتَحْنَا لَهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهْمَرٍ }¹¹ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عَيْوَنًا فَالْقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَرَ }¹² وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدُسْرٍ }¹³ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَرَاءً لَمَنْ كَانَ كُفَّارٌ }¹⁴ وَلَقَدْ تَرَكَنَاهَا أَيَّهُ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ }¹⁵ القمر ٩-١٥ وكذلك قوم شعيب {ولما جاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّا نَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْخَةَ فَاصْبَحُوا فِي بَيْارٍ هُمْ جَائِمِينَ } هود ٩٤ وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته كآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد أن ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى الناز الخارقة للعادة وإما عند مطالبة فرعون له بالآية وإما عند معارضه السحرة لتبتلى بهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتى إغراق فرعون كان بعد مسيرة الجيش وضرره البحر بالعصا وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستتسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع أي تفجر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقاءه سهلاً من كنانته فيها وإنما بصبه الماء الذي يصدق فيه وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفع فيه فيكون طيراً بإذن الله إلى أمثال ذلك³⁵⁷

الحكم بين الشيئين

والحكم بين الشيئين بالتماثل أو التفاضل يستدعي معرفة كل منهما ومعرفة ما اتصف به من الصفات التي يقع بها التماثل والتفاضل كمن يريد أن يعرف أن البخاري أعلم من مسلم وكتابه أصح أو أن سيبويه أعلم من الأخفش ونحو ذلك وقد فضل الله بعض النبيين على بعض كما قال تعالى { وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَّيْنَا دَأْوِدَ رَبُّورَا } الإسراء ٥٥ والكلام في شيءٍ أحدٌ في كون المفضول يستحق تلك المنزلة دون الفاضل وهذا غاية الجهل والظلم كقول الرافضة الذين يقولون إن علياً كان إماماً عالماً عادلاً والثلاثة لم يكونوا كذلك وكذلك اليهود والنصارى الذين يقولون إن موسى كان رسولاً ومحمد لم يكن كذلك فإن هذا في غاية الجهل والظلم بخلاف من اعترف باستحقاق الاثنين للمنزلة ولكن فضل المفضول فهذا أقل جهلاً وظلماً ومعلوم أن المرسلين يتقابلون تارة في الكتب المنزلة عليهم وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل وتارة في أممهم فمن عنده علم وعدل فينظر في القرآن وفي غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل أو في معجزات محمد ومعجزات غيره أو في شريعته وشريعة غيره أو في أمته وأمة غيره وجد له من التفضيل على غيره ما لا يخفى إلا على مفرط في الجهل أو الظلم فكيف يمكن مع هذا أن يقال هو كاذب مفتر وغيره هو النبي الصادق نعم كثير من أهل الكتاب لم يعرفوا من أخباره ما يبيّن لهم ذلك كما أن كثيراً من الرافضة لم يعرفوا من أخبار

الثلاثة ما يبين لهم فضيلتهم عن علي رضي الله عنه فهو لاء في الجهل وطلب العلم عليهم فرض خصوصاً أمر النبوة فإن النظر في أمر من قال {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ الِّيْكُمْ حَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَامْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَّى الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} الأعراف 158 مقدم على كل شيء إذ كان التصديق بهذا مستلزم لغاية السعادة والتکذیب به مقتضايا لغاية الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين السعداء والأشقياء وبين الحق والباطل والهدى والضلال والفرق بين أولياء الله وأعدائه وكما يسلك هذه الطريق العقلية في القياس والاعتبار بأن يعتبر حال محمد وكتابه وشرعه وأمهاته الحال غيره وكتابه وشرعه وينظر هل مما متماثلان أو متقاربان وأيهما أفضل وإذا تبين أن حاله أفضل كان تصديقه أولى وامتنع أن يكون غيره صادقاً وهو كاذب بل لو كانوا متماثلين وجوب كونه صادقاً بل وكذلك لو كانوا متقاربين وغيره أفضل فإن المتنبي الكذاب لا يقارب الصادق بل بينهما من التباين ما لا يخفى إلا على أعمى الناس وكذلك نسلك هذه الطريق في جنس الأنبياء عليهم السلام مططاً وأمهم بأن تعرف أخبار من مضى من الأنبياء وأممهم وترى آثار هؤلاء وهؤلاء كما قال تعالى عن قوم شعيب {كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا أَلَا بَعْدًا لَمَدِينَ كَمَا يَعْدَتْ تَمُودُ} هود 95³⁵⁸

لطائف لغوية

1- قال { وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَصُرُوا الْمُكَيَّلَ وَالْمِيزَانَ إِنَّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } هود 84 أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقاً منها أو كان كل واحد منها مشتقاً من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضایفة كالآبوبة والبنوة أو كالأخوة من الجانبيين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمراً مطلوباً للأمر مقصوداً له كما في قوله { اعْبُدُوا اللَّهَ } هود 84 وفي قوله { وَأَنْقُوا اللَّهَ } البقرة 189 وفي قوله { وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 وفي قوله { فَامْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } التغابن 8 وفي قوله { فَعَلَيْهِ تَوَكِّلَا } يونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكلاً أمور مطلوبة مقصودة بل هي نفس المأمور به³⁵⁹

2- قال { وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْتَصُرُوا الْمُكَيَّلَ وَالْمِيزَانَ إِنَّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ } هود 84 عامة الأسماء يتبع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله { وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وفي قوله { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً } النساء 36 وقوله {بِاَئِهَا النَّاسُ اَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ } البقرة 21
وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْنَا اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ } الزمر 2 {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ
مُخْلِصاً لَهُ دِينِي } الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64
ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح {أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ } نوح 3³⁶⁰

3- قال تعالى { قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ
أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحٌ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُ
وَإِلَيْهِ أُنِيب } هود 88 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة
وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي ببنه فى نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهى الدلالة
والإرشاد فتكون كالهوى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة
والفاعل ومنه قوله {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةً مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } طه 133 أي بيان ما فيها أو بين ما
فيها أو الأمر البين فيها وقد سمى الرسول بینة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَةُ } 1 رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ
{2} البينة 1- 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بینة ونور من ربه³⁶¹

4- قال تعالى { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعِيباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ } هود 94 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة
الخالصة هي الجنة

5- قال تعالى { وَيَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْرِيْهِ وَمَنْ
هُوَ كَاذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِبٌ } 93 { وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعِيباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مَّنَا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ } 94 { كَانَ لَمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا
لِمَدِينَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودٌ } 95 هود 93-95³⁶²

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65³⁶⁰

مجمع الفتاوى ج: 15 ص: 75³⁶¹

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65³⁶²

هود-96-123

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} {96} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} {97} يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} {98} وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ} {99} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} {100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَتْهِمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ عِنْ تَشْبِيهِ} {101} وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} {102} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَايَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} {103} وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجْلٍ مَعْدُودٍ} {104} يَوْمٌ يَأْتِ لَا تَكَلُّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ} {105} فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} {106} حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} {107} وَأَمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ} {108} فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هُوَلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مَنْ قَبْلَ وَإِنَّا لَمُوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ} {109} وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} {110} وَإِنَّ كُلًا لَمَّا لَيُوْفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} {111} فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} {112} وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ ثُمَّ لَا تُشَرِّعُونَ} {113} وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} {114} وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} {115} فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} {116} وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهَلِّكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} {117} وَلَوْلَا شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} {118} إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَثَّلَ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ} {119} وَكُلًا نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبَّتْ بِهِ فَوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} {120} وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} {121} وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} {122} وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {123}

لم يكفر أحد بالله ويدعى لنفسه الربوبية والإلهية مثل فرعون

قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِإِيمَانِنَا وَسُلْطَانِ مُبِينٍ} {96} إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتَّشَعُوا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ {97} يَقْدُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَفْوَرَدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ {98} وَأَتَّشَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةِ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ {99} هود 96 - 99 في قوله تعالى {يَقْدُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَفْوَرَدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} هود 98 وزعمت طائفه من هؤلاء الاتحادية الذين أحدوا في أسماء الله وأياته أن فرعون كان مؤمنا وأنه لا يدخل النار وزعموا أنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه بل فيه ما ينفيه قوله {النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقْوُمُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} غافر 46 قالوا فإنما أدخل آله دونه قوله {يَقْدُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَفْوَرَدُهُمُ النَّارَ} هود 98 قالوا إنما أوردهم ولم يدخلها قالوا ولأنه قد آمن أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ووضع جبريل الطين في فمه لا يرد إيمان قلبه وهذا القول كفر معلوم فساده باضطرار من دين الإسلام لم يسبق ابن عربي إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة بل ولا من اليهود ولا من النصارى بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل فإنه لم يكفر أحد بالله ويدعى لنفسه الربوبية والإلهية مثل فرعون ولهذا ثنى الله قصته في القرآن في مواضع فإن القصص إنما هي أمثل مضروبة للدلالة على الإيمان وليس في الكفار أعظم من كفره والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع أحدها قوله تعالى في القصص {فَذَانِكَ بُرْهَانَنَ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسْقِنَ} {32} قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون {33} وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفَصَحُ مِنِي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَاهُ مَعِي رَدْءًا يُصَدِّقُنِي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونَ {34} قال سَنَشِدُ عَضْدُكَ بِأَخِيكَ وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِإِيمَانِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِلُونَ {35} فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِإِيمَانِنَا فَلَوْلَا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَا فِي أَبَانِنَا الْأَوَّلِينَ {36} وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {37} وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الْطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعْلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظْنُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ {38} وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَطَنَوْا إِنْهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ {39} فَلَأَخْذُنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبْذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ {40} وَجَعَلْنَاهُمْ أَنَمَّةً يُدْعَونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ {41} وَأَتَبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُفْتُوحِينَ {42} القصص 32 - 42 فأخبر سبحانه أنه أرسله إلى فرعون وقومه وأخبر أنهم كانوا قوما فاسقين وأخبر أنهم { قالوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٌ } القصص 36

وأخبر أن فرعون قال { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } القصص 38 وقال { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } الناز عات 24 وأنه أمر باتخاذ الصرح ليطلع إلى إله موسى وأنه يظنه كاذبا وأخبر أنه { وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ وَطَنَوْا إِنْهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ } 39 فلأخذناه وجنوده فنبذناهم في الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ {40} وَجَعَلْنَاهُمْ أَنَمَّةً يُدْعَونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ {41} وَأَتَبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُفْتُوحِينَ {42} القصص 39 - 42 فهذا نص في أن فرعون من الفاسقين المكذبين لموسى الظالمين الداعين إلى النار الملعونين في الدنيا بعد غرقهم المقبوحين في الدار الآخرة وهذا نص في أن فرعون بعد غرقه ملعون وهو في الآخرة مقيوح غير منصور وهذا إخبار عن غاية العذاب وهو موافق للموضع الثاني في سورة المؤمن وهو قوله { وَحَاقَ بِالِّ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } 45 { النَّارُ يُعَرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقْوُمُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } 46 غافر 45 - 46 وهذا إخبار عن

فرعون وقومه أنه حاقد بهم سوء العذاب في البرزخ وأنهم في القيمة يدخلون أشد العذاب وهذه الآية أحد ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ وإنما دخلت الشبهة على هؤلاء الجهل لما سمعوا آل فرعون فظنوا أن فرعون خارج منهم وهذا تحريف للكلام عن مواضعه بل فرعون دخل في آل فرعون بلا نزاع بين أهل العلم بالقرآن واللغة يتبين ذلك بوجوه أحدها أن لفظ آل فلان في الكتاب والسنة يدخل فيها ذلك الشخص مثل قوله {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ} وآل عمران على العالمين {آل عمران} 33 قوله {سَلَامٌ عَلَيْ إِلَيْ يَاسِينَ} الصافات 130 ومنه قوله تعالى {وَإِذْ جَيَّنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} البقرة 49 {كَذَابٌ آلَ فِرْعَوْنَ} 11 قوله في الملائكة الذي ضافوا إبراهيم {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ} 58 {إِنَّا لَوْطٌ إِنَّا لَمُنْجُوْهُمْ أَجْمَعِينَ} 59 {إِنَّ امْرَأَهُ} 60 الحجر 57-60 ثم قال {فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ} 61 قال إنكم قوم منكرون {الحجر} 61-62 قال يعني لوطا إنكم قوم منكرون وكذلك قوله {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا لَوْطٌ جَنَاحَاهُ بَسَرْ} القمر 34 ثم قال بعد ذلك {وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ} 41 {كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلَّهَا فَلَأَخْذُنَاهُمْ أَحَدَ عَزِيزٍ مُفْتَدِرٍ} 42 القمر 41-42 ومعلوم أن لوطا في هذه الموضع وكذلك فرعون داخل في آل فرعون والمكينين الماخوذين وقوله {أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَ الْعَذَابِ} غافر 46 متداول له ولهم باتفاق المسلمين وبالعلم الضروري من دين المسلمين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وكذلك قوله كما باركت على آل إبراهيم فإبراهيم داخل في ذلك وكذلك قوله للحسن إن الصدقة لا تحل لآل محمد وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان القوم إذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة يصلى عليهم فاتى أبي بصدقه فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأبو أوفى هو صاحب الصدقة وقوله لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود ونظير هذا الاسم أهل البيت فإن الرجل يدخل في أهل بيته كقول الملائكة {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ} هود قوله صلى الله عليه وسلم سلمان من أهل البيت وقوله تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ} الأحزاب 33 وذلك لأن آل الرجل من يؤول إليه ونفسه من يؤول إليه وأهل بيته هم من يأهلله وهو من يأهل بيته فقد تبين أن الآية التي ظنوا أنها حجة لهم هي حجة عليهم في تعذيب فرعون مع سائر آل فرعون في البرزخ وفي يوم القيمة ويبين ذلك أن الخطاب في القصة كلها إخبار عن فرعون وقومه قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانًا مُبِينًا} 23 إلى فرعون وهمان وقارون فقالوا ساحر كاذب {غافر} 23-24 إلى قوله {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} غافر 29 إلى قوله {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنَ لَيْ صَرْحًا لَعَلَيْ أَبْلُغُ الْأَسْبَابِ} 36 أسباب السماوات فأطّلع إلى الله موسى وإنني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصعد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب {غافر} 36-37 إلى قوله {وَحَاقَ بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} 45 النار يعرضون عليها غدوأ وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب {غافر} 45-46 إلى قوله {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَمَّ بَيْنَ الْعِبَادِ} غافر 48 فأخبر عقب قوله {أَدْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَ الْعَذَابِ} 46 غافر 46 عن محاجتهم في النار وقول الضعفاء للذين استكروا وقول المستكرين للضعفاء {إِنَّا كُلُّ فِيهَا} غافر 48 ومعلوم أن فرعون هو رأس المستكرين وهو الذي استخف قومه فأطاعوه ولم يستكرب أحد استكبار فرعون فهو أحق بهذا النعت والحكم من جميع قومه الموضع الثاني وهو حجة عليهم لا لهم قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانًا مُبِينًا} 96 إلى فرعون وملئه فأتبعوا أمراً فرعون وما أمر فرعون برشيد {يَقُدُّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ} 98 واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود {هود} 99 هود 99 فأخبر أن يقدم قومه ولم يقل يسوقهم وأنه أوردتهم النار ومعلوم أن المتقدم إذا أورد المتأخرین النار كان هو أول من يردها وإلا لم يكن قداما بل كان سائقا يوضح ذلك أنه قال {وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ} سورة هود 99 فعلم أنه وهم يردون النار وأنهم

جميعاً ملعونون في الدنيا والآخرة وما أخلق المحاج عن فرعون أن يكون بهذه المثابة فإن المرء مع من أحب {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءِ بَعْضٍ} الأنفال 73 وأيضاً فقد قال الله تعالى {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةٌ آمَنَتْ فَقَعَهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَى لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْنِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} يونس 98 يقول هلا آمن قوم ففعهم إيمانهم إلا قوم يومن وقال تعالى {أَوْ لَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُواْ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ} غافر 21 إلى قوله {سُنْنَتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} غافر 85 فأخبر عن الأمم المكذبين للرسل أنهم آمنوا عند رؤية البأس وأنه لم يك ينفعهم إيمانهم حينئذ وأن هذه سنة الله الخالية في عباده وهذا مطابق لما ذكره الله في قوله لفرعون {إِلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} يونس 91 فإن هذا الخطاب هو استفهام إنكار أي الآن تؤمن وقد عصيت قبل فأنكر أن يكون هذا الإيمان نافعاً أو مقبولاً فمن قال إنه نافع مقبول فقد خالف نص القرآن وخالف سنة الله التي قد خلت في عباده يبين ذلك أنه لو كان إيمانه حينئذ مقوياً لدفع عنه العذاب كما دفع عن قوم يومن فإنهم لما قبل إيمانهم متعوا إلى حين فإن الإغراء هو عذاب على كفره فإذا لم يكن كافراً لما يستحق عذاباً وقوله بعد هذا {فَالْيَوْمَ نُنْجِيَكَ بِذَلِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيِّهً} يونس 92 يوجب أن يعتبر من خلفه ولو كان إنما مات مؤمناً لم يكن المؤمن مما يعتبر بإهلاكه وإغرائه وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره ابن مسعود بقتل أبي جهل قال هذا فرعون هذه الأمة فضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في رأس الكفار المكذبين له برأس الكفار المكذبين لموسى فهذا يبين أنه هو الغاية في الكفر فكيف يكون قد مات مؤمناً ومعلوم أن من مات مؤمناً لا يجوز أن يوسم بالكفر ولا يوصف لأن الإسلام يهدم ما كان قبله وفي مسند أحمد وإسحاق وصحيح أبي حاتم عن عوف بن مالك عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم في تارك الصلاة يأتي مع قارون وفرعون وهمان و أبي بن خلف³⁶³

النسخ لا يجوز في الأخبار

قال الإمام أبو عبدالله الحارث بن اسماويل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة علينا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلية فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الاصوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا الكلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فإذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون {حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَتُّو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} يونس 90 الآيات وقال قد تأول قوم أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار لأنه آمن عند الغرق وقال إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال {فَأَفْرَدَهُمْ}

³⁶³ دقائق التفسير ج: 2 ص: 254-257 و رسالة في الرد على ابن العربي ج: 1 ص: 213-

النَّارَ } هود 98 و قال { وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } غافر 45 ولم يقل بفرعون قال و هكذا الكذب على الله لأن الله تعالى يقول { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى } الناز عات 25³⁶⁴

حرم الله على نفسه الظلم

أخبر الله أنه خلق الخلق ليجزى كل نفس بما كسبت و أنه لا يظلم أحدا فينقص من حسناته شيئاً بل كما قال { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } الكهف 49 وقد نزه نفسه في غير موضع من القرآن أن يظلم أحدا من خلقه فلا يؤتيه أجره أو يحمل عليه ذنب غيره فقال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالَحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْنًا } طه 112 و قال تعالى { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعْدِ } 28 { مَا يُبَدِّلُ الْفَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ } 29 و قال تعالى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقَصَهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكُنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آهَانُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرُ تَشْبِيهِ } 101 { هود 100-101 و في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرماً فلا تظلموا³⁶⁵

كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعترضة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتباعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتاجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } الإسراء 15 وهو حجة عليهم أيضاً في نفي العذاب مططاً إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً قط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } الإسراء 15 وقال تعالى عن النار { كُلُّمَا أَقْيَ فِيهَا فَوْرُجْ سَأَلُهُمْ خَرَّنَهَا أَلْمَ بِأَنْتُمْ نَذِيرٌ } 8 قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وفُتنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضلالٍ كَبِيرٍ } 9 الملك 8-9 فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سالمهم الخزنة هل جاءهم نذير فيعرفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأته نذير لم يدخل النار وقال تعالى لإبليس { لَأَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 فقد أقسم سبحانه أنه يملأها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم ي عمل ذنباً لم يطعه فلا يكون ممن تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي روایة فيضع قدمه عليها فتقول قط قط وينزوى بعضها إلى بعض أي تقول حسي حسي وأما

الجنة فيبقى فيها فضل فينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضول الجنة هكذا روي في الصحاح من غير وجه وقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه في سائر المواقع على الصواب ليبين غلط هذا الرواية كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواية غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواية التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخرير أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري والذي أنكر على الشيوخين أحاديث قليلة جداً وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يسترثرون في ذلك وقد قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَمْ يَأْتُكُمْ رُسُلٌ مَّنْ كُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيَ وَيُنذِرُوكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} 130 ذلك أن لم يكن ربكم مهلك القرآن بظلم وأهله غافلون {131} الأنعام 131-130 فقط خاطب الجن والإنس واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسائل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيمة ثم قال {ذلك أن لم يكن ربكم مهلك القرآن بظلم وأهله غافلون} الأنعام 131 أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يذهب من كان غافلاً ما لم يتألم نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضاً على أن ذلك ظلم تنزعه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكم بظلم بل كيماً أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية الجبرية وقد قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرْآنِ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أَمْمَاهَا رَسُولًا يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كَنَّا مُهْلِكِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَأَهْلَهَا ظَالِمُونَ} القصص 59 وقال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرْآنِ بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ} هود 117 وقال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسناته فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلماً وتنزه نفسه عنه ومثل هذا كثير قوله {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 وقوله {وَلَا تَنْزِرْ وَازِرَةً وَزْرَ أَخْرَى} الأنعام 164 وكذلك قوله {لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ} 28 {مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ} 29 ق 28-29 فيبين سبحانه أنه قدم بالوعيد وأنه ليس بظلم للعبد كما قال في الآية الأخرى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ تَفَصِّلُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ الْهُنْمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَشْبِيهِ} 101 هود 100-101 فهو سبحانه نزع نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشرکهم فمن لم يكن ظالماً لنفسه تكون عقوبته ظلماً تنزعه الله عنه وقال في الآية الأخرى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} 74 {لَا يُفَتَّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} 75 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} 76 الزخرف 74-76³⁶⁶

نزع الله نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه

أن سائر أهل السنة الذين يقررون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجباً ولا أن يفعل قبيحاً فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان كافراً مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر والنزع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة ونحوهم

قولهم هو الذي ذهب إليه متأخر الإمامية وأما المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهو لاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تزييه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير مقدور وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكן مقدور فليس هو ظلماً ولهؤلاء هم الذين قصدوا الرد عليهم وهؤلاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظالماً و قالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربع وقال طائفة بل الظلم مقدور ممكן والله تعالى منزه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112
 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْفُرْقَى نَصْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَاتِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَيْتَ عَنْهُمْ
 إِلَهُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ شَيْبٍ} 101 هود
 100-101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بذنبهم وقال تعالى {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط
 ظلم والله منزه عنه وقال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقُسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا ظُلْمُ
 شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَاتِلٍ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْذَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} الأنبياء 47 أي لا تنقص من حسناتها ولا
 تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزله الله عنه وقال تعالى {قَالَ لَا تَحْصِمُوا لَدَيْ
 وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْأَوَّلِيَّدِ} 28 {مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ} 29 ق 28-29 وإنما نزه
 نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما يبين
 أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزله الله عنه
 وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى {وَلَا تُتَرُّ وَأَزِرَّ وَزِرَّ أَخْرَى} الأنعام 164
 فإن ذلك ينزله الله عنه بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
 محراً ما فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله { كَتَبَ رَبُّكُمْ
 عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ} الأنعام 54

وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له سبحانه فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمثبتين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربع
 367 وغيرهم

جعل إهلاك المهاجرين حصداً لهم

قال تعالى {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ
 كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ}

وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ } الحديد 20 وقد جعل إهلاك المهلكين حسادا لهم فقال

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ تَقْصِيْهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَسِيدٌ } هود 100³⁶⁸

أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ يَعْلَمُ بِالسَّمْعِ وَالنَّفْلِ تَارِيْخِهِ وَيَعْلَمُ بِالْعُقْلِ وَالْاعْتَبَارِ بِآثَارِهِمْ تَارِيْخِهِ

قال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ تَقْصِيْهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَسِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَيْتُ عَنْهُمْ إِلَهُمْ لَتَّهُمْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لِمَا جَاءَهُمْ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ عَيْنَ تَتْبِيبٍ} 101 {وَكَذِلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} 102 هود 100-102

ومن آيات الأنبياء إهلاك الله لمكذيبهم ونصره للمؤمنين بهم فهذا من أعلام نبوتهم ودلائل صدقهم كإغراق الله قوم نوح لما كذبوا وكإهلاكه قوم عاد بالرياح الصرير وإهلاك قوم صالح بالصيحة وإهلاك قوم شعيب بالظلة وإهلاك قوم لوط بإقلاب مداينهم ورجمهم بالحجارة وكإهلاك قوم فرعون بالغرق وقد ذكر الله القصص في القرآن في غير موضع وبين أنها من آيات الأنبياء الدالة على صدقهم كما يذكره في سورة الشعراة لما ذكر قصة موسى قال {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} الشعراة 67 ثم ذكر قصة إبراهيم وقال في آخرها {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} الشعراة 103 وكذلك ذكر مثل ذلك في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك ما جعله من اللعنة الشائعة لمن كذبهم ومن لسان الصدق والثناء والدعاء لهم ولمن آمن بهم كما قال تعالى لما ذكر قصة نوح عليه السلام {وَتَرَكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَتِ} 78 سلام على نوح في العالمين 79 {الصافات 78-79} ولهذا قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} هود 49 فأخبر أن العاقبة للمتقيين ثم إنه ما وقع لهؤلاء وهؤلاء يعلم بالسمع والنفل تارة ويعلم بالعقل والاعتبار بآثارهم تارة كما قال عن أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقَلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 كما ذكر الله الطريقين في قوله لما قص قصص نوح وهو وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى في سورة هود {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ تَقْصِيْهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَسِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَيْتُ عَنْهُمْ إِلَهُمْ لَتَّهُمْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لِمَا جَاءَهُمْ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ عَيْنَ تَتْبِيبٍ} 101 {وَكَذِلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} 102 هود 100-102³⁶⁹

ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب

فإله سبحانه وتعالى حرم على نفسه الظلم والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى باتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئاً قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال المفسرون هو أن يحمل عليه سيدات غيره ويحاسبه ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته³⁷⁰

والتحقيق أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب وفي الصحيحين أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي فقال اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي كان يقول في استفتاحه اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدى لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيدتها فإنه لا يصرف عنى سيدتها إلا أنت وقد قال أبو البشر وزوجته {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّا لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 وقال موسى {رَبِّنَا ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} القصص 16 وقال ذو النون يونس {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 وقالت بليقيس {رَبِّنَا ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} النمل 44 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي³⁷¹

وقال تعالى عموماً عن أهل القرى المهلكة **{وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ}** هود 101
فظلموا أنفسهم بإرتکابهم ما نهوا عنه وبعصيائهم لأنبيائهم وبتركهم التوبة إلى ربهم³⁷²

أن الإنسان هو فاعل للسيئات و انه يستحق عليها العقاب و الله ينعم عليه بالحسنات عملها و جزائها فإنه إذا كان ما أصحابهم من حسنة فهو من الله فالنعم من الله سواء اء كانت ابتداء أو كانت جزاء و إذا كانت جزاء و هي من الله فالعمل الصالح الذي كان سببها هو أيضاً من الله أنعم بهما الله على العبد و إلا فلو كان هو من نفسه كما كانت السيئات من نفسه لكان كل ذلك من نفسه و الله تعالى قد فرق بين النوعين في الكتاب و السنة كما في الحديث الصحيح الالهي عن الله يا

مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219³⁷³

مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 693³⁷⁴

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 572 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 13³⁷⁵

عبداني إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من إلا نفسه³⁷³

و هذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء وأنه لا يبخس عامل عمله وكذلك قوله فيمن عاقبهم {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهُنْمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} هود 101 قوله {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} الزخرف 76 بين أن عقاب المجرمين عدلا لذنبهم لأن ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذي في السنن لو عذب الله أهل سعاداته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمة لهم وكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم وبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وهذا يبين أن من الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلُ يَوْمِ الْأَحْرَابِ} 30 مثل دأب قوم نوح وعاد وئمود والذين من بعدهم وما الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَبَادِ} 31 غافر 32 يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلما لاستحقاقهم ذلك وأن الله لا يريد الظلم

لا يعذب الله في الآخرة إلا من أذنب

قال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَاتِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهُنْمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَشْبِيبٍ} 101 {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنِ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَيْمٌ شَدِيدٌ} 102 {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ} 103 {وَمَا نُؤَخْرُهُ إِلَّا لِأَجْلٍ مَعْدُودٍ} 104 {يَوْمٌ يَأْتِ لَا تَكَلُّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ} 105 {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} 106 {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ} 107 {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُوذٍ} 108 {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هُوَلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَإِنَّا لَمُوْفُوْهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْفُوسٍ} 109 {وَلَقَدْ آتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلْمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَّ بِيَنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} 110 {وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيُوْفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ} 111 {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} 112 {وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ نَّمَّ لَا تُنْصَرُونَ} 113 {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ الَّذِينَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُذْهِبَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلَّذِكْرِيْنَ {114} وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ {115} فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
 الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرْفَوْا فِيهِ وَكَانُوا
 مُحْرِمِينَ {116} وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ {117} وَلَوْ شَاءَ
 رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّلُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِكْرِ
 خَلْقِهِمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {119} هود:100-
374 117

ويجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله ورحمته ومن نعمته كما قال أهل الجنة
 الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ {الأعراف:43} وقال تعالى {وَلَكَنَّ
 اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَرَبَّيْتُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفَرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعُصُبَيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ
 } الحجرات:7 وقال تعالى {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْفَاسِيَّةِ
 قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ } الزمر:22 وقال {أَوْ مَنْ كَانَ مِنْتَ فَأَحْيَيْنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
 كَمَنْ مَثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } الأنعام:122 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
 أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاكَ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ تَنَاهَى مِنْ عِبَادِنَا
 } الشورى:52 وكذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل
 موجود من الأعيان والصفات والحركات والسكنات كما قال آدم {رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ
 لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف:23 وقال موسى {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي
 } القصص:16 وقال الخليل {وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء:82 وقال
 لخاتم الرسل {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذِنْكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد:19 وقد قال
 تعالى في حق من عذبهم {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } هود:101 {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ
 جَاءُهُمْ بِأَسْنَانًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } الأعراف:5 وأمثال هذا كثير في الكتاب والسنة وفي
 الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه مسلم وغيره عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
 يروي عن ربه تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي جعلته بينكم محربا فلا تظلموا يا
 عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهر وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أبالي فاستغفرونني أغفر لكم يا
 عبادي لكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي لكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونـي
 نـى أطعمكم يا عبادي لكم عار إلا من كسوته فاستكسونـي أكسكم يا عبادي لو أنـ أو لكم وآخركم
 وإنـ لكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أنـ أولـكم
 وآخرـكم وإنـ لكم وجنـكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لمـ
 ينقص ذلك من ملكي إلا كما ينفعـنـ البحر إذ يغمـسـ فيه المحيط غـمةـ واحدةـ يا عبادي إنـما هيـ
 أعمالـكم أحـصـيها لكمـ ثمـ أـوفـيكـ إـيـاهـاـ فـمـنـ وـجـدـ خـيرـاـ فـلـيـحـمـدـ اللـهـ وـمـنـ وـجـدـ غـيرـ ذلكـ فـلـاـ يـلـوـمـ إـلاـ
 نفسـهـ فقدـ بـيـنـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ أـنـ مـنـ وـجـدـ خـيرـاـ بـالـعـمـلـ الصـالـحـ فـلـيـحـمـدـ اللـهـ فـإـنـهـ هوـ الـذـيـ أـنـعـمـ بـذـلـكـ
 وإنـ وـجـدـ غـيرـ ذلكـ إـمـاـ شـرـاـ لـهـ عـقـابـ إـمـاـ عـبـثـ لـأـفـائـدـ فـيـهـ فـلـاـ يـلـوـمـ إـلاـ نفسـهـ إـنـهـ هوـ الـذـيـ ظـلـمـ
 نفسـهـ وـكـلـ حـادـثـ فـبـقـدـرـةـ اللـهـ وـمـشـيـتـهـ } 375

مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 145³⁷⁴

مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 443 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 78³⁷⁵

حرم الله الظلم على نفسه ونفاه عن نفسه بقوله **{وَمَا ظَلْمَنَاهُ}** هود 101 وقوله **{وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}** الكهف 49 وقوله **{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ}** فصلت 46 وقوله **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ قَبْلِ نَذْرَةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا}** النساء 40 وقوله **{قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا ظُلْمُونَ فَتَيْلًا}** النساء 77 ونفي إرادته بقوله **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ}** آل عمران 108

وقوله **{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَبْدِ}** غافر 31 ونفي خوف العباد له بقوله **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}** طه 112 فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازع عا صاروا فيه بين طرفين متباينين ووسط بينهما وخيار الأمور أو سلطتها وذلك بسبب البحث في القدر ومجامعته للشرع إذ الخوض في ذلك بغیر علم تام أو جب ضلال عامة الأمم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن التنازع فيه فذهب المكنبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يرد أن يكون إلا ما أمر بأن يكون وغلاتهم المكنبون بتقدم علم الله وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعزلة وغيرهم إلا أن الظلم منه هو نظير الظلم من الأدميين بعضهم البعض وشبيهه ومثلوه في الأفعال بأفعال العباد حتى كانوا هم ممثلة الأفعال وضرروا الله الأمثال ولم يجعلوا له المثل الأعلى بل أوجبوا عليه وحرموا ما رأوا أنه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد وإثبات الحكم في الأصل بالرأي وقالوا عن هذا إذا أمر العبد ولم يعنه جميع ما يقدر عليه من وجوه الإعانة كان ظالما له والتزموا أنه لا يقدر أن يهدى ضالا كما قالوا إنه لا يقدر أن يضل مهتميا وقالوا عن هذا إذا أمر اثنين بأمر واحد وشخص أحدهما بإعانته على فعل المأمور كان ظالما إلى أمثل ذلك من الأمور التي هي من باب الفضل والإحسان جعلوا ترکه لها ظالما وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدرا ظلما له ولم يفرقوا بين التعذيب لمن قام به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم وإن كان ذلك الاستحقاق خلقه لحكمه أخرى عامة أو خاصة وهذا الموضع زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر فقالوا ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا ولا يقال إنه هو تارك له باختياره ومشيئته وإنما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما وإلا فمهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنا والله قادر عليه وليس بظلم منه سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الإثبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن شراح الحديث ونحوهم وفسروا هذا الحديث بما يبني على هذا القول وربما تعلقوا بظاهر من أقوال مؤثرة كما رويناه عن إيس بن معاوية أنه قال ما نظرت بعقلي كله أحدا إلا القردية قلت لهم ما الظلم قالوا أن تأخذ ما ليس لك أو أن تتصرف فيما ليس لك فلله كل شيء وليس هذا من إيس إلا ليبين أن التصرفات الواقعية هي في ملكه فلا يكون ظلما بموجب حدتهم وهذا مما لا نزاع بين أهل الإثبات فيه فإنهم متافقون مع أهل الإيمان بالقدر على أن كل ما فعله الله هو عدل وفي حديث الكرب الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيديك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلفك أو استثارت به في علم الغيب عندك أن يجعل القرآن ربعم قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدل مكاهنه فرحا قالوا يا رسول الله أفلأ نتعلمه قال بلى ينبعي لمن سمعهن أن يتعلمهن فقد بين أن كل قضائه في عدله عمل وهذا يقال كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل ويقال أطعنك بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك أو بعدلك والحجة لك فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتك إلا ما غفرت لي وهذه المناظرة من إيس كما قاله ربيعة بن أبي عبد الرحمن لغيلان حين

قال له غيلان نشتك الله أترى الله يحب أن يعصى فقال نشتك الله أترى يعصى قسرا يعني قهرا فكأنما ألقمه حمرا فإن قوله يحب أن يعصى لفظ فيه إجمال وقد لا يتأتى في المناظرة تفسير المجملات خوفا من لدد الخصم فيؤتى بالواضحات فقال أفتراء يعصى قسرا فإن هذا إلزام له بالعجز الذي لازم للقدرة ولمن هو شر منهم من الدهرية الفلسفية وغيرهم وكذلك إيات رأى أن هذا الجواب المطابق لحدهم خاصم لهم ولم يدخل معهم في التفصيل الذي يطول وبالجملة فقوله تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِن الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال أهل التفسير من السلف لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا يهضم فينقض من حسناته ولا يجوز أن يكون هذا الظلم هو شيء ممتنع غير مقدر عليه فيكون التقدير لا يخاف ما هو ممتنع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فإن مثل هذا إذا لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا إنه غير مقدر وأراده كخلق المثل له فكيف يعقل وجوده فضلا أن يتصور خوفه حتى ينفي خوفه ثم أي فائدة في نفي خوف هذا وقد علم من سياق الكلام أن المقصود بيان أن هذا للعامل المحسن لا يجزى على إحسانه بالظلم والهضم فعلم أن الظلم والهضم المنفي يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل التفسير وأن الله لا يجزيه إلا بعمله ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من أذنب كما قال {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مَنْكَ وَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 فلو دخلها أحد من غير أتباعه لم تمتليء منهم ولهذا ثبت في الصحيحين في حديث تجاج الجنة والنار من حديث أبي هريرة وأنس أن النار تمتليء من كان ألقي فيها حتى ينزو يبعضها إلى بعض وتقول قط قط بعد قولها هل من مزيد وأما الجنة فيبقى فيها فضل من يدخلها من أهل الدنيا فينشيء الله لها خلقا آخر ولهذا كان الصواب الذي عليه الأئمة فيمن لم يكلف في الدنيا من أطفال المشركين ونحوهم ما صح به الحديث وهو أن الله أعلم بما كانوا عاملين فلا تحكم لكل منهم بالجنة ولا لكل منهم بالنار بل هم ينقسمون بحسب ما يظهر من العلم فهم إذا كلفوا يوم القيمة في العرصات كما جاءت بذلك الآثار وكذلك قوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلْنَفِسْهُ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ} فصلت 46 يدل الكلام على أنه لا يظلم محسنا فينقضه من إحسانه أو يجعله لغيره ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا كقوله {أَمْ لَمْ يُبَيِّنَا بِمَا فِي صُحْفٍ مُوْسَى} 36 {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى} 37 {أَلَا تَرُ وَازِرَةً وَزَرَ أَخْرَى} 38 {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} 39 النجم 36-39 فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لا يستحق إلا ما ساعاه وكلا القولين حق على ظاهره فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لا يستحق إلا ما ساعاه وكلا القولين حق على ظاهره وإن ظن بعض الناس أن تعذيب الميت بكاء أهله عليه ينافي الأول فليس كذلك إذ ذلك الناتج يعذب بنوته لا يحمل الميت وزره ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتالم الإنسان من أمور خارجة عن كسبه وإن لم يكن جزاء الكسب والعقاب أعم من العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب وكذلك ظن قوم أن انتقام الميت بالعبادات البدنية من الحي ينافي قوله {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} النجم 39 فليس الأمر كذلك فإن انتقام الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة إلى الآية كانتقامه بالعبادات المالية ومن أدعى أن الآية تختلف أحدهما دون الآخر فقوله ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة إلى الآية كانتقامه بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد بينا في غير هذا الموضوع نحو ما من ثلاثين دليلا شرعا يبين انتقام الإنسان بسعي غيره إذ الآية إنما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل ما لا يستحقه الإنسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن إليه مالكه ومستحقه بما ينتفع به منه فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كل ما لا يملكه الإنسان لا يحصل له من جهته منفعة فإن هذا كذب في الأمور الدينية والدينوية وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء وأنه لا يبخس عامل عمله وكذلك قوله فيمن عاقبهم {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَمَّةُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} هود 101 وقوله {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} الزخرف 76 بين أن عقاب المجرمين عدلا لذنبهم لا لأن ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذي في السنن لو عذب الله أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم وكانت رحمة لهم خيرا من أعمالهم

يبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وهذا يبين أن من الظلم المنفي عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله تعالى { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ }³⁷⁶ مِثْلَ دَأْبٍ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ طُلُمًا لِلْعَبَادِ }³⁷⁶ غافر 31-30 يبين أن هذا العقاب لم يكن ظلماً لاستحقاقهم ذلك وأن الله لا يريد الظلم والأمر الذي لا يمكن القرء عليه لا يصلح أن يمدح المدح بعدم إرادته وإنما يكون المدح بترك الأفعال إذا كان المدح قادراً عليها فعلم أن الله قادر على ما نزع نفسه عنه من الظلم وأنه لا يفعله

الجهمية وغيرهم يقولون بأن الله عز وجل يخلق ما هو شر محض لا نفع فيه ولا رحمة ولا حكمة لأحد وإنما يتصف بإرادة ترجح مثلاً على مثل لا فرق عنده بين أن يرحم أو يعذب وليس نفسه ولا إرادته مرجة للاحسان إلى الخلق بل تعذيبهم وتعنيتهم سواء عنده وهو مع هذا يخلق ما يخلق لمجرد العذاب والشر ويفعل ما يفعل لا لحكمة ونحو ذلك مما يقوله الجهمية وهؤلاء يقيمون حجج إبليس وأتباعه على الله ويجعلون الرب ظالماً لهم وهو خلاف ما وصف الله به نفسه في قوله تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } هود 101 كيف يكون ظالماً لهم فيما بينهم لو أساء بعضهم إلى بعض أو قصر في حقه لكن يؤاخذه ويعاقبه وينتقم منه ويكون ذلك عدلاً إذا لم يعتد عليه ولو قال إن الذي فعلته قدر علي فلا ذنب لي فيه لم يكن هذا عذراً له عندهم باتفاق العقلاة فإذا كان العقلاة متلقين على أن حق المخلوق لا يجوز إسقاطه احتجاجاً بالقدر فكيف يجوز إسقاط حق الخالق احتجاجاً بالقدر وهو سبحانه الحكم العدل الذي لا يظلم متقاً ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنـه أجراً عظيماً

قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِإِظْلَمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } هود 117 كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والممعزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَّثَ رَسُولًا } الإسراء 15 وهو حجة عليهم أيضاً في نفي العذاب مطلقاً إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً لأنـه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً فقط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَّثَ رَسُولًا }³⁷⁸ الإسراء 15

الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 402-406³⁷⁶

الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 79³⁷⁷

منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 1³⁷⁸

و هذه الصيغة تدل على امتناع المنفي كقوله {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} هود 117 و قوله {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} الأنفال 33³⁷⁹

لُفْظ الدُّعَاء وَالدُّعْوَة فِي الْقُرْآن يَتَنَاهُ مَعْنَيِّين

الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَهْئُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيبٍ} هود 101³⁸⁰

قال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الَّهُمَّ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيبٍ} هود 101 لفظ الدُّعَاء وَالدُّعْوَة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَنْدُعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ فَنَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراة 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ لَا يُرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَنْدُعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخْرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لَبِدًا} الجن 19 وقال {إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا إِنَّا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانٌ مَّرِيدًا} النساء 117 لفظ الصلاة في اللغة اصله الدُّعَاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدُّعَاء و هو العبادة و المسألة

وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغرنى فأغفر له ذكر او لا لفظ الدُّعَاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفار سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد واحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضره بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعبد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعبد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب

يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا} الأنبياء 90 قال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ حَوْفًا وَطَمَعًا} السجدة 16 ولا يتصور أن يخلو داعي الله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع ³⁸¹

والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة والإستعانة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ} الأنعام 52 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَمْمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَثْبِيْبٍ} هود 101 ³⁸²

الشفاعة التي نفتها القرآن مطلقاً ما كان فيها شرك

وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَثَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُكُمُ السَّاعَةُ أَغْيَرُ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 40 {بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا تُشْرِكُونَ} 41 {الْأَنْعَامَ 40-41} وكذلك قوله {آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} 59 {أَمْنٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا بِهِجَةً مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْثِيَا شَجَرَهَا أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} 60 {أَمْنٌ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ} 61 {النَّمْلَ 59-61} أى إله مع الله فعل هذا وهذا استفهم انكار وهم مقررون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله الآخر فقد غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى {أَنْتُكُمْ لَتَشَهُدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلَهَةً أَخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ} الأنعام 19 وقال تعالى {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَمْمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} هود 101 وقال تعالى عنهم {أَجَعَلَ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} ص 5 وكانوا معتبرين بأن آلهتهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض ولا خلق شيء بل كانوا يتخدونهم شفعاء ووسائل كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شُفَاعَوْنَ أَعْنَدُ اللَّهِ} يونس 18 وقال عن صاحب بيس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} 22 {أَتَتَخَذَ مِنْ دُونِهِ آلَهَةً إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنَ بِضُرٍّ لَا ثُغْنَ عَنِي شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يُقْدِرُونَ} بيس 22-23 وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} السجدة 4 وقال {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعْمَنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قَالَ ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِّكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} 22 {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} 23 سباء 22-23 فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تتفق إلا من أدن له الرب كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255 وقال تعالى عن

الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى } الأنبياء 28 وقال { وَكُمْ مَنْ مَلِكٌ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 هذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منقية يوم القيمة كما نفاحتها القرآن وأما ما أخبر به النبي أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً فإذا سجد وحمد رباه بمحامد يفتحها عليه يقال له أى محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واسفع تشفع فيقول أى رب أمتى فيحد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك في الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيمة قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتاك الشفاعة هي لأهل الاخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون الا باذن الله وحقيقة ان الله هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون كما كان في الدنيا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجب دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم ببعض لا بد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظلم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظلم المطلق ماله من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة أخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفي الشفاعة نفي الشرك وهو أن أحدا لا يعبد إلا الله ولا يدع غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكى على غيره لا في شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكى على أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكى على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاحتها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منقية مطلقا ولهذا أثبتت الشفاعة باذنه في مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد³⁸³

{ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَثْبِيبٍ }

قول الخليل عن الأصنام {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ} إبراهيم 36 فنسب بالإضلal إليهن والإضلal هو ضرر لمن أضللن وكذلك قوله { وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَثْبِيبٍ } هود 101 وهذا كما يقال أهلك الناس الدرهم والدينار وأهلك النساء الأحرمان الذهب والحرير كما يقال للمحبوب المغشوق الذي تضر محبته وعشقه إنه عذب هذا وأهلكه وأفسده وقتله وعثره وإن كان ذاك المحبوب قد لا يكون شاعرا بحال هذا البتة وكذلك يقال في المحسود إنه يعذب حاسديه وإن كان لا شعور له بهم وفي الصحيحين عن عمرو بن عوف عن النبي أنه قال والله ما الفقر أخشع عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوا فيها وتهلكتم كما أهلكتم فجعل الدنيا الميسورة هي المهلكة لهم وذلك بسبب حبها والحرص عليها والمنافسة فيها وإن كانت مفعولا بها لا اختيار لها فهذا المدعا المعبد من دون الله الذي لم يأمر بعبادة نفسه إما لكونه جمادا وإما لكونه عبدا مطينا لله من الملائكة والأنبياء والصالحين من الإنس والجن فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر لكن هو السبب في دعاء الداعي له وعبادته إياه وعبادة ذاك ودعاؤه هو الذي ضره فهذا الضر المضاف إليه غير الضر

المنفي عنه فضرر العابد له بعبادته يحصل في الدنيا والآخرة وإن كان عذاب الآخرة أشد فالمسركون الذين عدوا غير الله حصل لهم بسبب شركهم بهؤلاء من عذاب الله في الدنيا ما جعله الله عبرة لأولي الأ بصار قال الله تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ تَقْسِيْمٌ عَلَيْكَ مِنْهَا قَاتِلٌ وَحَسِيدٌ} 100 {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} 101 هود 100-101 فبين أنهم لم تتفهم بل ما زادتهم إلا شرا وقد قيل في هذا كما قيل في الضرب قيل ما زادتهم عبادتها وقيل أنها في القيامة تكون عونا عليهم فتقريدهم شرا وهذا قوله {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلَّهَ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا} 81 {كَلَّا سَيَكُفُّرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا} 82 مريم 82-81 والتتبib عبر عنه الأكثرون بأنه التحسير كقوله تعالى {تَبَيَّنْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَيَّنَ} المسد 1 وقيل التنبير والإهلاك وقيل ما زادتهم إلا شرا وقوله {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} هود 101 فعل ماض يدل على أن هذا كان في الدنيا وقد يقال فالشر كله من جهتهم فلم قيل فيما زادتهم فيقال بل عذبوا على كفرهم بالله ولو لم يعبدوه فلما عدوهم مع ذلك إزدادوا بذلك كفرا وعداها بما زادتهم إلا خسارة وشرا مازادوه ربحا وخيرا³⁸⁴

الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

والقرآن يبين في غير موضع أن الله لم يهلك أحدا ولم يعذبه إلا بذنب قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبَّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود 102

وقال {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسَكُ} النساء 79 وقال لهم في شأن أحد {أَوَلَمَّا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مُنْتَهِيَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا فُلْنُ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ} آل عمران 165 وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنِ كَثِيرٍ} الشورى 30 وقال تعالى في سورة الشورى أيضا {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} الشورى 48³⁸⁵

قال تعالى {وَلَوْ نَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَدُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} 50 {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ} 51 {كَذَابٌ أَلْ فَرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} 52 {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا

نَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ} 53، كَذَابٌ إِلَّا فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكُنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقُنَا إِلَّا فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ} 54

الانفال 50-54 فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب ولفظ الهلاك يقتضي هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكروا أخذهم بالنقمة كما قال {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود 102 ولا يوقع النقمة 386 ويسلب النعم إلا من أتى بالسيئات المقتضية لذلك كما فعل بمن خالف رسle من جميع الأمم لـ

الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب وأنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة وإنه علم ذلك كان هذا كذبا وبهتانا بخلاف ما إذا قال {فَلَمَّا قَدِمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْأَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه 121 فإنه يكون صادقا في ذلك و الله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون وهو عالم به بعد أن كان وكذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بذنبهم وأنه نجى الأنبياء ومن إتبعهم بإيمانهم وتقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَا عَنِ السُّوءِ وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِدَابٍ بَيْسِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ} الأعراف 165 وقال {فَكُلَا أَخْذَنَا بِنَبِيِّهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخْذَنَاهُ الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَقَنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقَنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} العنكبوت 40 وقال {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ} 387

"إِنَّ اللَّهَ يَمْلِي لِلظَّالِمِ إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يَفْلَهْ"

قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملي للظلم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} هود 102 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامدة من الزرع تقيتها الرياح تقومها تارة وتتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصولها حتى يكون انبعاثها مرة واحدة فالكافر الفاجر وإن أعطى دولة

فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمها ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنси ومسيرة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فان الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاء ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَسْبَادَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَّدًا بَيْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا نَاسٍ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعِجِّبُ الزَّرَاعَ لِيغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الفتح 29 ولهذا كان أول ما يتبعهم ضفاعة الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتتبّعين الكاذبين مما يجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتتبّع الكاذب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع ³⁸⁸

وقوله تعالى **{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }** هود 102 فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل هو سبحانه لا يفوّت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التمايز وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في الخلق والأمر وأنه سبحانه يسوّي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع قوله تعالى **أَفَجَعَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** سورة القلم 35 ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولو لاقياس واطراد فعله وسننته لم يصح الإعتبار بها والإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة ³⁸⁹

استعمال اللفظ في حال في معنى وفي حال أخرى

ومن ظن ان الحقيقة في مثل قوله **{وَاسْأَلُ الْفَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا}** يوسف 82 هو سؤال الجدران فهو جاهل هناك من ينكرون استعمال اللفظ في حال في معنى وفي حال أخرى كما يستعمل لفظ القرية تارة في السكان وتارة في المساكن ويدعون انه لا يعني به الا المساكن وهذا غلط في بعضهم يقولون هنا محفوظ تقديره وسائل أهل القرية وبعضهم يقولون بل المراد وسائل الجدران والصواب ان المراد بالقرية نفس الناس المسترکين الساكنین في ذلك المكان فلفظ القرية هنا أريد به هؤلاء كما في قوله تعالى **{وَكَائِنٌ مَنْ قَرْيَةٌ هِيَ أَشَدُ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتَكَ الَّتِي أَخْرَجْتُكَ أَهْلَكَنَاهُمْ لَا نَاصِرٌ لَهُمْ }** محمد 13 وكذلك قوله تعالى **{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ }** هود 102 وقوله **{وَكَائِنٌ مَنْ قَرْيَةٌ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبَنَاها حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَاها عَذَابًا نُكْرًا }** الطلاق 8 ونظائره متعددة ³⁹⁰

الجواب الصحيح ج: 6 ص: 423³⁸⁸

رسالة في لفظ السنة في القرآن ج: 1 ص: 56³⁸⁹

مجمع الفتاوى ج: 20 ص: 463³⁹⁰

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ}

قال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَفْصُلُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} {100} وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء إلا ما جاء أمر ربكم وما زادوهم غير تنبيب {101} وكذلك أخذ ربكم إذا أخذ القرآن وهي ظالمة إن أخذه إليه شديد {102} إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود {103} وما نؤخر إلا لأجل معذوب {104} يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد {105} فاما الذين شفوا في النار لهم فيها رزق وشهيق {106} حاليدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربكم إن ربكم فعل لما يريد {107} وأاما الذين سعدوا في الجنة حالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربكم وإن ربكم عطاء غير محدود {108} 100-108 فإنه قد يقال غالبا ما أصاب هؤلاء أنهم ماتوا والناس كلهم يموتون وأما كونهم أهلوا كلهم وصارت بيوتهم خاوية وصاروا عبرة يذكرون بالشر ويلعنون إنما يخاف ذلك من آمن بالآخرة فإن لعنة المؤمنين لهم بالآخرة وبعضهم لهم كما جرى لآل فرعون هو مما يزيدهم عذابا كما أن لسان الصدق وثناء الناس ودعائهم للأنبياء وإتباعهم لهم هو ما يزيده ثوابا فمن استدل بما أصاب هؤلاء على صدق الأنبياء فامن بالآخرة خاف عذاب الآخرة وكان ذلك له آية وأما من لم يؤمن بالآخرة ويظن أن من مات لم يبعث فقد لا يبالي بمثل هذا وإن كان يخاف هذا من لا يخاف الآخرة لكن كل من خاف الآخرة كان هذا حاله وذلك له آية ³⁹¹

اليوم الآخر هو الذي ذكره الله في القرآن

قال تعالى {قَاتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} التوبه 29 مع ان النصارى يقرنون بمعاد الابدان لكن لما انكروا ما اخبر به الرسول من الاكل والشرب ونحو ذلك صاروا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وهؤلاء الفلاسفة لا يقرنون بمعاد الابدان ولهم في معاد النفوس ثلاثة اقوال والثلاثة تذكر عن الفارابي نفسه انه كان يقول تارة هذا وتارة هذا وتارة هذا منهم من يقر بمعاد الانفس مطلقا ومنهم من يقول انما تعدد النفوس العالمية دون الجاهلة فان العالمة تبقى بالعلم فان النفس تبقى ببقاء معلومها والجاهلة التي ليس لها معلوم باق تقدس وهذا قول طائفة من اعيانهم ولهم فيه مصنفات ومنهم من ينكر معاد الانفس كما ينكر معاد الابدان وهو قول طوائف منهم وكثير منهم يقول بالتناسخ وليس شيء من ذلك ايمانا باليوم الاخر فان اليوم الاخر هو الذي ذكره الله في قوله تعالى {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} آل عمران 9 وقوله تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْآنِ نَفْصُلُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} {100} وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء إلا ما جاء أمر ربكم وما زادوهم غير تنبيب {101} وكذلك أخذ ربكم إذا أخذ القرآن وهي ظالمة إن أخذه إليه شديد {102} إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود {103} وما نؤخر إلا لأجل معذوب {104} يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي

وَسَعِيدٌ {105} فَمَا الَّذِينَ شَقُوا فَيْنِ التَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {106} خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ {107} وَمَا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ {108} هود 100-
³⁹² 108

طوى السموات لا يوجب عدمها وفسادها بل أصلها باق

وسائل رحمة الله عن قوله تعالى {وَمَا الَّذِينَ سُعدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ} هود 108 قوله تعالى {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطْيَ السَّجْلَ لِكُلِّ
الْأَنْبِيَاءِ} 104 فأجاب الحمد لله قال طوائف من العلماء ان قوله {مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضُ} هود 108 أراد بها سماء الجنة وأرض الجنة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال إذا سألتم الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة
وسقفه عرش الرحمن وقال بعض العلماء في قوله تعالى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرَّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثِيْهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} الأنبياء 105 هي أرض الجنة وعلى هذا فلا منافاة
بين انطواء هذه السماء وبقاء السماء التي هي سقف الجنة إذا كلما علا فإنه يسمى في اللغة سماء
كما يسمى السحاب سماء والسقف سماء وأيضا فإن السموات وأن طويت وكانت كالمهل
وإستحالات عن صورتها فإن ذلك لا يوجب عدمها وفسادها بل أصلها باق بتحويلها من حال إلى
حال كما قال تعالى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} إبراهيم 48 وإذا بدل فياته
لا يزال سماء دائمة وأرض دائمة والله أعلم
³⁹³

الحق الذي على الله هو أحقه على نفسه

قال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا بِقَدْرِ} القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل
ما سيكون وهو يخلق بمشيئة فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به
كما في قوله {وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقْضَيْ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَئِنِي شَكَّ مِنْهُ مُرِيبٌ} 110 {وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيْوَ فَيَنْهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
³⁹⁴ خَيْرٌ} 111 هود 110-111

³⁹² الرد على المنطقين ج: 1 ص: 459

³⁹³ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 109 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 258

³⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 382

أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه إذ العلم يطابق المعلوم فعمله بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر المحسن كاشف عن الخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعوه إلى الفعل ولا إلى الترك بخلاف قوله

{ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأَنْعَامٌ 12 وحرم على نفسه الظلم فإن التحرير مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأَنْعَام١2 ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكن قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله { كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } البقرة 178 وبين قوله { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوْهُ فِي الرِّبُّ } القمر 52 قوله { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَهَا } الحديد 22 قوله فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضاً ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى { وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 وقول النبي في الحديث الصحيح يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً اتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ألا يذهبون ومنه قوله في غير حديث كان حقاً على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظير تحريره على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخرب به من قسمه ليفعلن وكلمه السابقة كقوله { وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقْتُ مِنْ رَبِّكَ } طه 129 قوله { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } السجدة 13 و { لَنَهْلَكَنَّ الظَّالَمِينَ } إبراهيم 13 { فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلٍ وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا لَا كُفَّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخُلُلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } آل عمران 195 { فَلَنَسَلَّ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلَسَلَّ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6 ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى بخلاف القسم المتضمن للخبر المحسن ولهذا قال الفقهاء اليمين إما أن توجب حقاً أو منعاً أو تصديقاً أو تكذيباً³⁹⁵

إقامة الحجة على أهل الشرائع ونحو تفرقهم و اختلافهم

قال تعالى { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا خُلُفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقْتُ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بِنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ } 110 وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيُوقِنُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } 111 هو د 110-111 لفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التمايز كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

{ النساء 82 } قوله { إِنَّكُمْ لَنَفِي قَوْلٌ مُخْتَلِفٌ } 8 { يُؤْفَكُ عَنْهُ مِنْ أُفْكٍ } 9 { الذاريات 8 - 9 } قوله { وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ } 253 ³⁹⁶ البقرة

قال تعالى { وَمَا تَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } البينة 4 فيه إقامة الحجة على أهل الشرائع و نم تفرقهم و اختلافهم و أن ذلك بعد أن جاءتهم البينة و هاتان الجملتان نظيرهما قوله { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنَزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } البقرة 213 ثم قال { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ } البقرة 213 و مثل ذلك قوله تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنْقِرُوا فِيهِ كُبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَحْبِبُ إِلَيْهِ مَنْ يَسْأَءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 ثم قال { وَمَا تَرَقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مُرِيبٌ } الشورى 14 و قوله { وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ لَفَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مُرِيبٌ } هود 110 في سورة هود ³⁹⁷ و سورة عسق

(فيه نقص الرجوع الى نفس المرجع) وهذا توجه عامة اليهود والنصارى في شك من ذلك مرريب ³⁹⁸

أهل الرحمة لا يختلفون

أن الله تعالى ذكر أن المخالفين جاءتهم البينة وجاءهم العلم وإنما اختلفوا بغيانا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين بل كانوا قاصدين البغي عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به ونظير هذا قوله { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } آل عمران 19 قال الزجاج اختلفوا للبغى لا لقصد البرهان وقال تعالى { وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوًّا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } يونس 93 وقال تعالى { وَلَقَدْ أَتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّورَةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } 16 { وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ

مجمع الفتاوى ج: 13 ص: 19 ³⁹⁶

مجمع الفتاوى ج: 16 ص: 510 ³⁹⁷

الجواب الصحيح ج: 3 ص: 56 ³⁹⁸

يَقْضِيَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {17} ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
 وَلَا تَشْيِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ {18} إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنِوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ
 بَعْضٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُنْتَقِيْنَ {19} هَذَا بَصَارُ اَللَّهَسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ {20} الْجَاثِيَّةُ 16-20
 فَهَذِهِ الْمَوْاضِعُ مِنَ الْقُرْآنِ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمُخْتَلِفِينَ مَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ وَالْبَيِّنَاتُ
 فَاخْتَلَفُوا لِلْبَغْيِ وَالظُّلْمِ لَا لِأَجْلِ اشْتِبَاهِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ عَلَيْهِمْ وَهَذِهِ حَالُ الْاِخْتِلَافِ الْمَذْمُومُ مِنْ
 أَهْلِ الْأَهْوَاءِ كُلَّهُمْ لَا يَخْتَلِفُونَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَظْهُرَ لَهُمُ الْحَقُّ وَيَجِدُهُمُ الْعِلْمُ فَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى
 بَعْضٍ ثُمَّ الْمُخْتَلِفُونَ الْمَذْمُومُونَ كُلُّ مِنْهُمْ يَبْغِي عَلَى الْآخِرِ فَيَكْذِبُ بِمَا مَعَهُ مِنْ الْحَقِّ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ
 حَقٌّ وَيَصْدِقُ بِمَا مَعَ نَفْسِهِ مِنَ الْبَاطِلِ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَهُوَ لِلْمُذْمُومُ وَلِهَذَا كَانَ
 أَهْلُ الْاِخْتِلَافِ الْمُطْلَقُ كُلَّهُمْ مَذْمُومُونَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ فَإِنَّهُمْ لَا مِنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَالِفٍ حَقًا وَاتِّبَاعِ
 بَاطِلًا وَلِهَذَا أَمْرَ اللَّهِ الرَّسُولُ أَنْ تَدْعُوا إِلَى دِينِ وَاحِدٍ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ وَلَا يَتَفَرَّقُوا فِيهِ وَهُوَ دِينُ
 الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ مِنَ الرَّسُولِ وَاتِّبَاعِهِمْ قَالَ تَعَالَى {شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْتُ بِهِ نُوحًا
 وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنَّ أَفِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كُلُّ
 عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَعْلَمُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشُّورِيَّةُ 13 {يَا
 أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنَّمَا بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ} 51 {وَإِنَّ هَذِهِ أَمْثُكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْتَطِعُوا أَمْرَهُمْ بِيَنْهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ} 52 {وَإِنَّهُمْ لَكُلُّهُمْ 53
 الْمُؤْمِنُونَ 51-53 أَيْ كَتَبَ اتَّبَعَ كُلُّ قَوْمٍ كَتَبَابَا مُبْدِعًا غَيْرَ كَتَبِ اللَّهِ فَصَارُوا مُتَفَرِّقِينَ مُخْتَلِفِينَ لِأَنَّ
 أَهْلَ التَّفْرِقِ وَالْاِخْتِلَافِ لَيْسُوا عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ الْمُحْسَنَةِ الَّتِي هِيَ إِلَيْسَمُ الْمُحْسَنُ الَّذِي هُوَ إِخْلَاصُ
 الدِّينِ اللَّهُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ {وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ حُفَّاءَ وَيَقِيمُوا
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْبَيِّنَاتِ} الْبَيِّنَاتُ 5 وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ
 حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَعْلَمُونَ} 30 {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 31 {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
 دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ} 32 {الرُّومُ 30-32 فَنَاهَ أَنْ يَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً وَأَعْدَادُ حِرْفٍ مِنْ لَبِيَّنَ اَنَّ الثَّانِي بَدْلٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَالْبَدْلُ هُوَ الْمَقصُودُ
 بِالْكَلَامِ وَمَا قَبْلَهُ تَوْطِئَةُ لَهِ وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَقْتَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلَمَةً
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّيَّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مَّنْهُ مُرِيبٌ} 110 {وَإِنَّ كُلَّا لَمَّا لَيْوَفَيْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ
 إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} 111 {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعُوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ} 112 {وَلَا تَرْكُوكُ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ ثُمَّ لَا
 تُتَصَرُّونَ} 113 {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِيَ النَّهَارِ وَرُلْفَا مِنَ الْلَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ
 ذِكْرٌ لِلذاكِرِينَ} 114 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 115 {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ
 مِنْ قَلْكُمْ أُولَئِكَ بِقَيْمَةِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مَمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
 أَتَرْفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُحْرِمِينَ} 116 {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهُكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلَهَا مُصْلَحُونَ} 117 {وَلَوْ
 شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُهُمْ
 399 119-110 هُودٌ}

الاستقامة اتباع ما أمر

ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به والوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبيه **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا}** **112** قال **{فَإِذَاكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءِهِمْ}** **15** الشورى وقال **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** **14** **{قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** **15** الأنعام-
15 وقال **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لِّهِ الدِّينَ}** **11** **{وَأَمِرْتُ لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ}** **12** الزمر-
12 وقال **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلِكٌ إِنْ أَتَتْكُمْ إِلَيَّ مَا يُوَحَّى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَّقَرَّبُونَ}** **50** الأنعام وقال **{وَاتَّبِعْ مَا يُوَحَّى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}** **109** يونس
وقال **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** **153** الأنعام الى أمثال هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما أمر ويبين أن الاستقامة في ذلك وانه لم يأمر الا بذلك وأنه ان ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبين ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهي عنه فرع خاص ⁴⁰⁰

الظالم لا يجوز أن يؤتى به في ظلمه ولا يركن إليه

وإذا قيل هذا هو الإمام فهو الذي يستحق أن يؤتى به كما قال تعالى لابراهيم **{قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذَرَرْتَيْ قَالَ لَا يَنْالَ عَهْدِ الظَّالِمِينَ}** **124** البقرة فعهده بالإمامية لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتى به في ظلمه ولا يركن إليه كما قال تعالى **{وَلَا تَرْكُوا إِلَيَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** **113** هود فمن انت من لا يصلح للإمامية فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله لها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالى **{لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** النساء ⁴⁰¹ 48

يعزى مع كل أمير برا كان أو فاجرًا إذا كان الغزو مشروعا

ولا خلاف بين علماء السنة أنهم يقاتلون مع أئمة العدل مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكن هل يقاتلون مع أئمة الجور فقل عن مالك أنهم لا يقاتلون وكذلك قال فيمن نقض العهد من أهل الذمة لا يقاتلون مع أئمة الجور ونقل عنه أنه قال ذلك في الكفار وهذا منقول عن مالك وبعض أصحابه ونقل عنه خلاف ذلك وهو قول الجمهور وأكثر أصحابه خالفوه في ذلك وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا يعزى مع كل أمير برا كان أو فاجرًا إذا كان الغزو الذي يفعله جائزًا فإذا قاتل الكفار أو المرتدين أو ناقضي العهد أو الخوارج قاتلا مشروعا قوتل معه وإن قاتل قاتلا وإن قاتل غير جائز لم يقاتل معه فيقاتلون على البر والتقوى ولا

يعاون على الإثم والعدوان كما أن الرجل يسافر مع من يحج ويغترم وإن كان في القافلة من هو ظالم فالظلم لا يجوز أن يعاون على الظلم لأن الله تعالى يقول {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوْنِي وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَأَنْقُوا اللَّهَ مِنَ الْمَائِدَةِ} 2 وقال موسى {رَبِّ بِمَا أَعْمَتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ} **القصص** 17 وقال تعالى {وَلَا تُرْكُحُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} **هود**⁴⁰² 113 وقال تعالى {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} النساء 85 والشيفع المعين فكل من أعاد شخصا على أمر فقد شفعه فيه فلا يجوز أن يعاد أحد لا ولد غيره على ما حرم الله ورسوله وأما إذا كان للرجل ذنب وقد فعل برا فهذا إذا أعين على البر لم يكن هذا محظيا كما لو أراد مدحه أن يؤدى زكاته أو يحج أو يقضى ديونه أو يريد بعض ما عنده من المظالم أو يوصى على بناته وهذا إذا أعاد عليه فهو إعانة على بر وتقى ليس إعانة على إثم وعدوان فكيف الأمور العامة والجهاد لا يقوم به إلا ولادة الأمور فإن لم يغز معهم لزم أن أهل الخير الأبرار لا يجاهدون فتقى عزمات أهل الدين عن الجهاد فإما أن يتغىط وإما أن ينفرد به الفجرا فيزم من ذلك استيلاء الكفار أو ظهور الفجرا لأن الدين لمن قاتل عليه وهذا الرأي من أفسد الآراء وهو رأي أهل البدع من الرافضة والمعزلة وغيرهم حتى قيل البعض شيوخ الرافضة إذا جاء الكفار إلى بلادنا فقتلوا النفوس وسبوا الحرمين وأخذوا الأموال هل نقاتلهم فقال لا المذهب أنا لا نغزو إلا مع المعصوم فقال ذلك المستقى مع عاميته والله إن هذا المذهب يفضي إلى فساد الدين والدنيا وصاحب هذا القول تورع فيما يظنه ظلما فوق في أضعف ما تورع عنه بهذا الورع الفاسد وأين ظلم بعض ولادة الأمور من استيلاء الكفار بل من استيلاء من هو أظلم منه فال أقل ظلما ينبغي أن يعاون على الأكثر ظلما فإن الشريعة مبنها على تحصيل المصالحة وتكليلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان ومعرفة خير الخيرين وشر الشررين حتى يقدم عند التزاحم خير الخيرين ويدفع شر الشررين ومعلوم أن شر الكفار والمرتدين والخوارج أعظم من شر الظالم وأما إذا لم يكونوا يظلمون المسلمين والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم فهذا عدوان منه فلا يعاون على العدوان ⁴⁰²

ما خطب به خطبته الأمة ما لم يرد نص بالتفصيص

فإن الله سبحانه لما قال {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} **الأعراف** 204 وقال {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخَيْفَةً وَذُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقُولِ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} **الأعراف** 205 وهذا أمر للنبي ولأمته فإنه ما خطب به خطبته الأمة ما لم يرد نص بالتفصيص كقوله {وَسَيِّئْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ} **ق 39** وقوله **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ** **هود**⁴⁰³ 114 وقوله **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ** **الإسراء** 78 ونحو ذلك وهذا أمر يتناول الإمام والمأمور والمنفرد بأن يذكر الله في نفسه بالغدو والأصال وهو يتناول صلاة الفجر والظهر والعصر فيكون المأمور مأمورا بذلك ربه في نفسه لكن إذا كان مستمدا كان مأمورا بالاستماع وإن لم يكن مستمدا كان

مأموراً بذكر ربه في نفسه والقرآن أفضل الذكر كما قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} ⁴⁰³
الأنبياء 50

الإسلام هو الإسلام لخلقه وأمره

فإنه لا يقبل دين إلا دين الإسلام وهو الإسلام لخلقه وأمره فمسلم لما قدره وقضاءه ويسلم لما يأمر به ويحبه وهذا نفعه وندعو إليه وذاك نسلمه ونتوكل فيه عليه ففرضى بالله ربنا وبالإسلام دينا وبمحمد نبينا ونقول في صلاتنا {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 مثل قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله تعالى {اسْتَعِينُوا بِالصَّبَرْ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153 قوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِكِيرِينَ} 114 واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين {البقرة 115} هود 114 - ⁴⁰⁴ 115

لم يخاطبوا بالصلة إلا وسماتها معلوم عندهم

وبسبب الكلام في مسألة الإيمان تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن سماتها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الأسماء وهكذا قالوا في إسم الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم أن الإيمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهب طائفة ثلاثة إلى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة إلى اللغة مجاز وبالنسبة إلى عرف الشارع حقيقة والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما يستعمل نظائرها ولفظ الإيمان أمر به مقيدا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الإسلام بالإسلام الله رب العالمين وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال أنها منقولة ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم إنما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم يستعمل مطلقا وهو إنما قال {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بعد أن عرفهم الصلاة المأمور بها فكان التعريف منصرا إلى الصلاة التي يعرفونها لم يرد لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة أنه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لترددته بين المعنى اللغوي والشرعى ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ إنما ورد خبرا أو أمرا فالخبر قوله {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى} 9 {عَبْدًا إِذَا صَلَّى} 10 العلق 9-10 وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار أما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي عن الصلاة وقال لمن رأيته يصلى لأطأن عنقه فلما رأه ساجدا رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبيه فإذا قيل {أَرَأَيْتَ الَّذِي

يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} العَلْقَ-9-10 فَقَدْ عَلِمَتْ تَلْكَ الصَّلَاةُ الْوَاقِعَةُ بِلَا إِجْمَالٍ فِي الْفَظْ
وَلَا عُومٍ ثُمَّ أَنَّهُ لَمَّا فَرَضَتِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ لِلَّيْلَةِ الْمُعْرَاجِ أَقَامَ النَّبِيُّ لَهُمُ الصَّلَاةَ بِمَوَاقِعِهَا
صَبِيحةً ذَلِكَ الْيَوْمِ وَكَانَ جَبْرَائِيلُ يَوْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يَأْتِيُونَ بِالنَّبِيِّ فَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} عَرَفُوا أَنَّهَا تَلْكَ الصَّلَاةُ وَقِيلَ أَنَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ لَهُ صَلَاتَانِ طَرْفَيِ
النَّهَارِ فَكَانَتْ أَيْضًا مَعْرُوفَةً فَلَمْ يَخَاطِبُوهَا بِإِسْمِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا وَمَسَمَاهُ مَعْلُومٌ عِنْهُمْ فَلَا إِجْمَالٌ
فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَنَاهُ كُلُّ مَا يُسَمِّي حِجَّاً وَدُعَاءً وَصُومًا فَإِنْ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ الْفَظْ مُطْلَقاً
وَذَلِكَ لَمْ يَرِدْ 405

الصلوة عمود الدين فمتى ذهب سقط الدين

و عماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المراجعة وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وأخر ما يفقد من الدين فإذا ذهب ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهب سقط الدين قال النبي رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سلامه الجهاد في سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر هنا فإنها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه يخصها بالذكر تارة وبقرينه بالذكر تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة⁴⁰⁶

إقامة الصلاة تتضمن إتمامها بحسب الإمكان

قال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْهَارِ} هود:114 وان الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة و نم المصلين الساهرين عنها المضيعين لها فقال تعالى في غير موضع {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} و إقامتها تتضمن إتمامها بحسب الإمكان كما سيأتي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقيموا الركوع والسجود فإني أراك من بعد ظهري وفي رواية أتموا الركوع والسجود وسيأتي تقرير دلالة ذلك وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين وأخرج أصحاب السنن أبو داود والترمذى والنمسائى وابن ماجة وأصحاب المسانيد كمسند احمد وغير ذلك من أصول الإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فصل فإنك

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 300⁴⁰⁵

مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 430⁴⁰⁶

لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم سلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وعليك السلام ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلث مرات فقال الرجل والذي
 بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبث ثم اقرأ ما تيسر معك من
 القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاث ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس
 حتى تطمئن جالسا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية للبخاري إذا قمت إلى الصلاة فاسبع
 الموضوع ثم استقبل القبلة فكبث واقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع
 رأسك حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالسا ثم اسجد
 حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تستوي قائمًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية له ثم
 اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوي قائمًا وباقيه مثله وفي رواية وإذا فعلت هذا فقد
 تمت صلاتك وما انتقصت من هذا فإنما انتقصته من صلاتك وعن رفاعة بن رافع رضي
 الله عنه أن رجلا دخل المسجد فذكر الحديث وقال فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا تتم
 صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيوضع الموضوع مواضعه ثم يكبث ويرفع رأسه عز وجل ويتثبي
 عليه ويقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن راكعا ثم يقول الله أكبر ثم
 يرفع رأسه حتى يستوي قائمًا ثم يسجد حتى يطمئن ساجدا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى
 يستوي قاعد ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبث فإذا فعل ذلك فقد
 تمت صلاته وفي رواية إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يستوي الموضوع كما أمر الله عز وجل
 فيغسل وجهه ويديه إلى المرقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم يكبث الله ويعده ثم
 يقرأ من القرآن ما أذن له وتنص وذكر نحو اللفظ الأول وقال ثم يكبث فيمكن وجهه و
 ربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتنترخي ثم يكبث فيستوي قاعدا على مقعدته
 ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى يفعل
 ذلك رواه أهل السنن أبو داود والنسياني وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن والروايتان
 لفظ أبي داود وفي رواية ثالثة له قال إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبث ثم اقرأ بأم القرآن و
 بما شاء الله أن تقرأ فإذا ركعت فضع راحتلك على ركبتيك وامدد ظهرك وقال إذا سجست فممكن
 لسجودك فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى وفي رواية أخرى قال إذا أنت قمت في صلاتك
 فكبث الله عز وجل ثم اقرأ ما تيسر عليك من القرآن وقال فيه فإذا جلست في وسط الصلاة
 فاطمئن وافتشر خذك اليسرى ثم تشهد ثم إذا قمت فمثل ذلك حتى تقرع من صلاتك وفي رواية
 أخرى قال فتوضاً كما أمرك الله ثم تشهد فأتم ثم كبر فإن كان معك قرآن فاقرأ به و إلا فاحمد الله
 عز وجل و كبره و هله و قال فيه وإن انتقصت منه شيئاً انتقصت من صلاتك فالنبي صلى
 الله عليه وسلم أمر ذلك المسيطر في صلاته بأن يعيد الصلاة و أمر الله و رسوله إذا أطلق كان
 مقتضاه الوجوب و أمره إذا قام إلى الصلاة بالطمائنية كما أمره بالركوع و السجود و أمره
 المطلق على الإيجاب و أيضاً قال له فإنك لم تصل فلن يكون عمله الأول صلاة و العمل
 لا يكون منفياً إلا إذا انتفى شيء من واجباته فاما إذا فعل كما أوجبه الله عز وجل فإنه لا يصح
 نفيه لأنفقاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة⁴⁰⁷

الوقت في كتاب الله وسنة رسول الله نوعان

وأما الوقت فالأصل في ذلك أن الوقت في كتاب الله وسنة رسول الله نوعان وقت اختيار ورفاهية وقت حاجة وضرورة أما الأول فالأوقات خمسة وأما الثاني فالأوقات ثلاثة فصلات الليل وصلات النهار وما اللتان فيها الجمعة والقصر بخلاف صلاة الفجر فإنه ليس فيها جمع ولا قصر لكل منها وقت مختص وقت الرفاهية والإختيار والوقت مشترك بينهما عند الحاجة والإضطرار لكن لا تؤخر صلاة نهار إلى ليل ولا صلاة ليل إلى نهار ولهذا وقع الأمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال النبي فيها من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله وقال فكأنما وتر أهله ومالي وقد دل على هذا الأصل أن الله في كتابه ذكر الوقت تارة ثلاثة وتارة خمسة أما الثلاثة ففي قوله **{وأقم الصلاة طرفي النهار ورُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ}** ⁴⁰⁸ هود 114 وفي قوله **{أقم الصلاة لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}** ⁴⁰⁹ الإسراء 78 وقوله **{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** } ⁴¹⁰ **{48} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ** ⁴¹¹ الطور 48-49 وأما الخمس فقد ذكرها أربعة في قوله **{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}** ⁴¹² **{17} وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحِينَ تُظْهَرُونَ** ⁴¹³ **{18} الروم 17-18** وقوله **{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَكَ تَرْضَى}** ⁴¹⁴ **{130 طه 130} وقوله { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ⁴¹⁵ **{39} وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ** ⁴¹⁶ **{40} 40-39** والسنة هي التي فسرت ذلك وبينته وأحكنته وذلك أنه قد ثبت بالنقل المتواتر عن النبي أنه كان يصلى الصلوات الخمس في خمس مواقف في حال مقامه بالمدينة وفي غالب أسفاره حتى أنه في حجة الوداع آخر أسفاره كان يصلى كل صلاة في وقتها ركعتين وإنما جمع بين الظهر والعصر بعرفة وبين العشاءين بمزدلفة ولهذا قال ابن مسعود ما رأيت رسول الله صلى صلاة لغير وقتها إلا المغرب ليلة جمع والفجر بمزدلفة وإنما قال ذلك لأنه غلس بها تعليسا شديدا وقد بين جابر في حديثه انه صلاها حين طلع الفجر ولهذا إنفق المسلمون على الجمع بين الصلاتين بعرفة ومزدلفة لأن جمع هاتين الصلاتين في حجة الوداع دون غيرهما مما صلاه المسلمين بمنى أو بمكة هو من المنقول نقلًا عاماً متواتراً مستقيضاً وثبت عنه أنه بين مواقف الصلاة بفعله لمن سأله عن الموقف بالمدينة كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى وحديث بريدة بن الحصيب وبين له جبريل المواقف بمكة كما رواه جابر وابن عباس وروى مسلم في صحيحه المواقف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن عمر وهو أحسن أحاديث المواقف لأنه بيان بكلام النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وقت الفجر مالم تطلع الشمس ووقت الظهر مالم يصر ظل كل شيء مثله وقت العصر مالم تصفر الشمس ووقت المغرب مالم يسقط نور الشفق وقت العشاء إلى نصف الليل وقد روى نحو ذلك من حديث أبي هريرة مرفوعاً وفيه نظر وعلى هذه الأحاديث إنتم الإمام أحمد لكثرة إطلاعه على السنن وأما غيره من الأئمة فإنه بعض هذه الأحاديث دون بعض فاتبع ما بلغه ومن إنبع ما بلغه فقد أحسن وما على المحسنين من سبيل ⁴⁰⁸

أكثر آيات القرآن بدأت بالفجر

أن أكثر آيات القرآن بدأت بالفجر مثل قوله **{وأقم الصلاة طرفي النهار}** ⁴⁰⁹ هود 114 وقوله **{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}** ⁴¹⁰ **{130 طه 130}** وقوله **{فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ**

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } ق 39 وإنما بدأ بالظهر تارة كما بدا في المغرب في قوله تعالى {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ } الروم 17 الآية فتارة يبدأ أول النهار وتارة بأوسطه وتارة بأول الليل ولأن النائم إذا استيقظ بأول النهار كان بمنزلة الخلق الجديد فإن الانتباه حياة بعد الموت ونشرور بعد السكون فما فعله حينئذ كان أول أعماله وبهذا يتبيّن أن أعمال النهار سابقة لأعمال الليل وإن أعمال النهار فواتيحة وأعمال الليل خواتيم وإن كان الليل هو المتقدم على النهار خلفاً وإبداعاً⁴⁰⁹

ولفظ الليل والنهار في كلام الشارع اذا أطلق فالنهار من طلوع الفجر كما في قوله سبحانه وتعالى **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفَأَ مِنَ اللَّيْلِ}** هود 114 وكما في قوله صم يوماً وافترط يوماً وقوله كالذى يصوم النهار ويقوم الليل ونحو ذلك فانما أراد صوم النهار من طلوع الفجر وكذلك وقت صلاة الفجر واول وقت الصيام بالنقل المتواتر المعلوم للخاصة والعامة والاجماع الذى لا ريب فيه بين الامة وكذلك فى مثل قوله صلاة الليل مثلى مثلى فإذا خفت الصبح فأوتر برкуة ولهذا قال العلماء كالامام أحمد بن حنبل وغيره ان صلاة الفجر من صلاة النهار وأما اذا قال الشارع نصف النهار فانما يعني به النهار المبتدئ من طلوع الشمس لا يزيد قط لا في كلامه ولا في كلام أحد من علماء المسلمين بنصف النهار النهار الذى أوله من طلوع الفجر فان نصف هذا يكون قبل الزوال ولهذا غلط بعض متاخرى الفقهاء لمارأى كلام العلماء ان الصائم المتطوع يجوز له ان ينوى التطوع قبل نصف النهار وهل يجوز له بعده على قولين هما روایتان عن احمد ظن أن المراد بالنهر هنا نهار الصوم الذى أوله طلوع الفجر وسبب غلطه في ذلك أنه لم يفرق بين مسمى النهار اذا أطلق وبين مسمى نصف النهار فالنهار الذى يضاف اليه نصف في كلام الشارع وعلماء امته هو من طلوع الشمس والنهر المطلق في وقت الصلاة والصيام من طلوع الفجر⁴¹⁰

الجمع لا يختص بالسفر الطويل بل يجمع للمطر ويجمع للمرض

قال تعالى **{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفَأَ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِكْرِيَنَ }** هود 114 وفعل كل صلاة في وقتها أفضل إذا لم يكن حاجة عند الأئمة كلهم وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعى وأحمد في ظاهر مذهبهما بل تنازعوا في جواز الجمع على ثلاثة أقوال فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجمع إلا بعرفة ومزدلفة ومذهب مالك وأحمد في إحدى الروايتين أنه لا يجمع المسافر إذا كان نازلا وإنما يجمع إذا كان سائرا بل عند مالك إذا جد به السير ومذهب الشافعى وأحمد في الرواية الأخرى أنه يجمع المسافر وإن كان نازلا وسبب هذا

شرح العمدة ج: 4 ص: 149⁴⁰⁹

مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 471⁴¹⁰

النزع ما بلغهم من أحاديث الجمع فإن أحاديث الجمع قليلة فالجمع بعرفة ومزدلفة متفق عليه وهو منقول بالتواتر فلم يتنازعوا فيه وأبو حنيفة لم يقل بغيره لحديث ابن مسعود الذي في الصحيح أنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة لغير وقتها إلا صلاة الفجر بمزدلفة وصلاة المغرب ليلة جمع وأراد قوله في الفجر لغير وقتها التي كانت عادته أن يصليها فيه فإنه جاء في الصحيح عن جابر أنه صلى الفجر بمزدلفة بعد أن برق الفجر وهذا متفق عليه بين المسلمين أن الفجر لا يصلى حتى يطلع الفجر لا بمزدلفة ولا غيرها لكن بمزدلفة غلس بها تغليسًا شديداً وأما أكثر الأئمة فبلغتهم أحاديث في الجمع صحيحة ك الحديث أنس وابن عباس وابن عمر ومعاذ وكلها من الصحيح ففي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ارتحل قبل أن تزيف الشمس آخر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فصلاهما جميعاً وإذا ارتحل بعد أن تزيف الشمس صلى الظهر والعصر ثم ركب وفي لفظ في الصحيح كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يجمع بين الصالاتين في السفر آخر الظهر حتى يدخل أول وقت العصر ثم يجمع بينهما وفي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عجل به السير جمع بين المغرب والعشاء وفي لفظ في الصحيح أن ابن عمر كان إذا جد به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جد به السير جمع بين المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الصالاتين في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال سعيد بن جبير قلت لأبن عباس ما حمله على ذلك قال أراد أن لا يحرج أمته وكذلك في صحيح مسلم عن أبي الطفيلي عن معاذ بن جبل قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء قال فقلت ما حمله على ذلك قال أراد أن لا يحرج أمته بل قد ثبت عنه أنه جمع في المدينة كما في الصحيحين عن ابن عباس قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعاً من غير خوف ولا سفر وفي لفظ في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة سبعاً وثمانية جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء قال أليوب لعله في ليلة مطيرة وكان أهل المدينة يجتمعون في الليلة المطيرة بين المغرب والعشاء ويجمع معهم عبد الله بن عمر وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا العمل من الصحابة وقولهم أراد أن لا يحرج أمته يبين أنه ليس المراد بالجمع تأخير الأولى إلى آخر وقتها وتقديم الثانية في أول وقتها فإن مراعاة مثل هذا فيه حرج عظيم ثم إن هذا جائز لكل أحد في كل وقت ورفع الحرج إنما يكون عند الحاجة فلا بد أن يكون قد رخص لأهل الأذار فيما يرفع به عنهم الحرج دون غير أرباب الأذار وهذا يبني على أصل كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن المواقت لأهل الأذار ثلاثة ولغيرهم خمسة فإن الله تعالى قال **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ}** { هود 114 } ذكر ثلاثة مواقت والطرف الثاني يتناول الظهر والعصر والزلف يتناول المغرب والعشاء وكذلك قال **{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }** الإسراء 78 والذلوك هو الزوال في أصح القولين يقال ذلك الشمس وزالت وزاغت ومالت ذكر الذلوك والغسق وبعد الذلوك يصلى الظهر والعصر وفي الغسق اجتماع الليل وظلمته ولهذا قال الصحابة كعبد الرحمن بن عوف الوقت وهو الغسق والغسق اجتماع الليل وظلمته ولهذا قال الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وغيره إن المرأة الحائض إذا طهرت قبل طلوع الفجر صلت المغرب والعشاء وإذا طهرت قبل غروب الشمس صلت الظهر والعصر وهذا مذهب جمهور الفقهاء كمالك والشافعي وأحمد وأيضاً فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة يدل على جواز الجمع بغيرهما للعذر فإنه قد كان من الممكن أن يصلى الظهر ويؤخر العصر إلى دخول وقتها ولكن لأجل النسك والاشتغال بالوقوف قدم العصر ولهذا كان القول المرضي عند جماهير العلماء أنه يجمع بمزدلفة وعرفة من كان أهله على مسافة القصر ومن لم يكن أهله كذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى صلاته معه جميع المسلمين أهل مكة وغيرهم ولم يأمر أحداً منهم بتأخير العصر ولا بتقديم

المغرب فمن قال من أصحاب الشافعی وأحمد إن أهل مکة لا يجمعون فقوله ضعيف في غایة الضعف مخالف للسنة البینة الواضحة التي لا ریب فيها وعذرهم في ذلك أنهم اعتقدوا أن سبب الجمع هو السفر الطویل والصواب أن الجمع لا يختص بالسفر الطویل بل يجمع للمطر ويجمع للمرض كما جاءت بذلك السنة في جمع المستحاصنة فإن النبي صلی الله علیه وسلم أمرها بالجمع في حديثين وأيضا فكون الجمع يختص بالطویل فيه قولان للعلماء وهما وجهان في مذهب أحمد أحدهما يجمع في القصیر وهو المشهور ومذهب الشافعی لا والأول أصح لما تقدم و الله أعلم⁴¹¹

العشاء تجب بالطهر قبل الفجر

(فيه نقص في البداية) وأما وقت الإدراك و الضرورة فيمتد إلى طلوع الفجر الثاني لما روی يحيى بن آدم عن ابن عباس قال لا يفوت وقت الظهر حتى يدخل وقت العصر ولا يفوت وقت العصر حتى يدخل وقت المغرب ولا يفوت وقت المغرب إلى العشاء ولا يفوت وقت العشاء إلى الفجر وروى الخلال أيضا عن ابن عباس لا يفوت وقت العشاء إلى الفجر وسذكر إن شاء الله عن عبد الرحمن بن عوف وأبی هریرة و ابن عباس انهم قالوا في الحائض إذا طهرت قبل طلوع الفجر صلت المغرب والعشاء ولم ينقل عن صحابي خلافه بل وافقهم التابعون على إن العشاء تجب بالطهر قبل الفجر مع قوله في حديث أبي قتادة لما ناموا أما أنه ليس في النوم تقریط إنما التقریط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الأخرى رواه احمد ومسلم وأبی داود فانه يقتضي امتداد كل صلاة إلى وقت التي تليها وإنما استثنى منه الفجر لظهور وقتها و ظاهر القرآن في قوله تعالى { وَرُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ } هود 114 و قوله سبحانه { إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ } الإسراء 78 و قوله تعالى { وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ } طه 130 يعم ذلك الجملة وتأخير الصلاة إلى هذا الوقت لغير عذر لا يجوز كما تقدم في صلاة العصر وأول وقتها من طلوع الفجر الثاني كما تقدم في أحاديث المواقیت كلها مع قوله { طَرَفِيَ النَّهَارِ } هود 114 و قوله { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ } الإسراء 78 و قوله { وَحِينَ تُصْبِحُونَ } الروم 17 و قوله { قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } طه 130 وغير ذلك وهم فجران فالأول المستدق المستطیل في طول السماء كذنب السرحان وهو الذئب وبسمی الفجر الأول ولا عبرة به في شيء من الأحكام ثم يسود الأفق بعده ثم يطلع الفجر الصادق بعده معترضا في الأفق منتشرًا لا ظلمة بعده ولذلك قال صلی الله علیه وسلم لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطیل ولكن الفجر المستطیل في الأفق وقد تقدم وقد روی أبو حفص والدارقطنی عن ابن عباس عن النبي صلی الله علیه وسلم قال الفجر فجر تحل فيه الصلاة ويحرم فيه الطعام وفجر تحرم فيه الصلاة ويحل فيه الطعام أما الذي يكون كذنب السرحان فلا تحل الصلاة فيه ولا يحرم فيه الطعام وأما الذي يذهب مستطیلا في الأفق فإنه يحل الصلاة ويزحم الطعام ويمتد وقتها في حال الاختیار والاضطرار إلى طلوع الشمس فإذا بدا حاجب الشمس خرج وقتها هذا ظاهر المذهب وهو المنصوص عنه⁴¹²

⁴¹¹الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 147 - 149 و مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 24

⁴¹²شرح العمدة ج: 4 ص: 180-183

إذا طهرت الحائض في آخر النهار صلت الظهر والعصر جمیعا

وإذا فوت الصلاة حتى خرج الوقت بأن يؤخر صلاة الليل إلى النهار والنهار إلى الليل فإنه يأثم بذلك كما قال النبي في الحديث الصحيح من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقد جوز بعض العلماء تأخير الصلاة في بعض الأوقات كحال المسافرة كقول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين والذي عليه أكثر العلماء أنه لا يجوز تأخير الصلاة بحال وهو قول مالك والشافعى وأحمد في ظاهر مذهبه لكن يجوز الجمع بين الصالاتين لعذر عند أكثر العلماء كما جمع النبي بين الظهر والعصر بعرفة وبين المغرب والعشاء بمزدلفة والجمع في هذين الموضعين ثابت بالسنة المتواترة واتفاق العلماء وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي أنه كان يجمع في السفر إذا جد به السير وأنه صلى بالمدينة ثمانية جماعاً الظهر والعصر وسبعاً المغرب والعشاء أراد بذلك أن لا يخرج أمته لقوله تعالى {مَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج 78 فلهذا كان مذهب الإمام أحمد وغيره من العلماء كطائفة من أصحاب مالك وغيره أنه يجوز الجمع بين الصالاتين إذا كان عليه حرج في التفريق فيجمع بينهما المريض وهو مذهب مالك وطائفة من أصحاب الشافعى ويجوز الجمع بين المغرب والعشاء في المطر عند الجمهور كمالك والشافعى وأحمد وقال أحمد يجوز إذا كان له شغل وقال القاضى أبو يعلى إذا كان له عذر يبيح له ترك الجمع والجماعة جاز الجمع فمذهب فقهاء الحجاز وفقهاء الحديث كمالك والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبى ثور وابن المنذر وغيرهم يجوز الجمع بين الصالاتين في الجملة ولا يجوز التفويت بأن يؤخر صلاة النهار إلى الليل وصلاة الليل إلى النهار ومذهب طائفة من فقهاء الكوفة كأبى حنيفة وغيره أنه لا يجوز الجمع إلا بعرفة ومزدلفة وكذلك إذا تعذر فعلها في الوقت آخرها عن الوقت وقول من أمر بالجمع بين الصالاتين من غير تفويت أرجح من قول من أمر بالتفويت ولم يأمر بالجمع فإن الكتاب والسنة يدلان على أن الله أمر بفعل الصلاة في وقتها وأمر بالمحافظة عليها كما قال تعالى {حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} البقرة 238 هذه ناسخة لتأخير الصلاة يوم الخندق وقال النبي صلوا الصلاة لوقتها وقد دل الكتاب والسنة على أن المواقت خمسة في حال الاختيار وهي ثلاثة في حال العذر فإذا جمع بين الصالاتين بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فإنما صلى الصلاة في وقتها لم يصل واحدة بعد وقتها ولهذا لم يجب عليه عند أكثر العلماء أن ينوي الجمع ولا ينوي القصر وهذا قول مالك وأبى حنيفة وأحمد في نصوصه المعروفة وهو اختيار أبى بكر عبدالعزيز ولهذا كان عند جمهور العلماء كمالك والشافعى وأحمد إذا طهرت الحائض في آخر النهار صلت الظهر والعصر جمیعاً وإذا طهرت في آخر الليل صلت المغرب والعشاء جمیعاً كما نقل ذلك عن عبد الرحمن بن عوف وأبى هريرة وابن عباس لأن الوقت مشترك بين الصالاتين في حال العذر فإذا طهرت في آخر النهار فوقت الظهر باق فتصليلها قبل العشاء ولهذا ذكر الله المواقت تارة خمساً ويدركها ثلثاً تارة في حال العذر فتصليلها قبل العشاء ولهذا ذكر الله المواقت تارة خمساً ويدركها ثلثاً تارة كقوله **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ}** هود 141 الآية وهو وقت المغرب والعشاء وكذلك قال الله تعالى **{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسْقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}** الإسراء 78 والدلوك هو الزوال وغسق الليل هو اجتماع ظلمة الليل وهذا يكون بعد مغيب الشفق فأمر الله بالصلاحة من الدلوك إلى الغسق فرض في ذلك الظهر والعصر والمغرب والعشاء ودل ذلك على أن هذا كله وقت الصلاة فمن الدلوك إلى المغرب وقت الصلاة ومن المغرب إلى غسق الليل وقت الصلاة وقال **{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}** الإسراء 78 لأن الفجر خست بطول القراءة فيها ولهذا جعلت

ركعتين في الحضر والسفر فلا تقصرا ولا تجمع إلى غيرها فإنه عوض بطول القراءة فيها عن
كثرة العدد⁴¹³

وتجب الصلاة أيضاً بادراك آخر جزء من الوقت فإذا أسلم الكافر أو طهرت الحائض أو النساء
في آخر جزء من وقت صلاة ولو أنه بقدر تكبيرة فعليهما فعلها أداء إن أمكن وألا فقضاء من غير
خلاف في المذهب لأنهما أدركا بعض الوقت على وجه يصح بناء ما بعده عليه فأشباهه من أمكنه
فعل الجميع في الوقت وكذلك إن بلغ الصبي وعقل المجنون وقلنا لا صلاة عليهم وإن كان
الإدراك في وقت الثانية من المجموعتين وجبت الأولى أيضاً لما ذكره الإمام أحمد وغيره عن
عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالاً إذا طهرت الحائض قبل مغيب
الشمس صلت الظهر والعصر وإذا رأت الظهر قبل أن يطلع الفجر صلت المغرب والعشاء
وروى حرب عن أبي هريرة قال إذا طهرت قبل أن يطلع الفجر صلت المغرب والعشاء وهذا
لأن مواقف الصلاة خمسة في حال الاختيار وثلاثة في حال العذر والضرورة بدليل قوله تعالى
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ} هود: 114 وقوله سبحانه **{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}** الإسراء: 78 وإن السنة مضت بذلك في حال العذر حتى جاز إن
يصلِّي الظهر والعصر ما بين الزوال إلى غروب الشمس ويصلِّي المغرب والعشاء ما بين
الغروب إلى طلوع الفجر وهو الجمع بين الصالحين إذا آخر الأولى بنيمة الجمع ثم حدث له عذر
آخرهما بسببه إلى وقت الضرورة وهذا وقت الضرورة فذلك كان مدركاً للأولى بما أدرك به
الثانية وإن كان الإدراك في وقت الأولى بأن تحبس المرأة في وقت الظهر أو المغرب أو
يُجْنِي الرجل فهل يجب عليهما قضاء العصر والعشاء على روایتین إِحْدَاهُمَا يُجْبِي الْقَضَاءَ لِأَنَّ
وَقْتَهُمَا وَاحِدٌ وَالثَّانِيَةُ لَا يُجْبِي وَهِيَ الْمُنْصُورَةُ عَنْ أَصْحَابِنَا لَأَنَّ وَقْتَ الْأَوَّلِ إِنَّمَا يَكُونُ وَقْتًا لِلْأَوَّلِ فَعَلَهَا أَوْ
لِلثَّانِيَةِ إِذَا فَعَلَ الْأَوَّلَ فَتَكُونُ الثَّانِيَةُ تَابِعَةً لَهَا بِخَلَافِ وَقْتِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّمَا يَكُونُ وَقْتًا لِلْأَوَّلِ فَعَلَهَا أَوْ
لَمْ يَفْعُلْهَا⁴¹⁴

{ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ }

"لمن عمل بها من امتى"

وقوله **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذُكْرَى لِلْذَّاكِرِينَ}** هود: 114 وغير ذلك من الآيات التي نزلت بمكة ثم جرى بالمدينة سبب يقتضي
الخطاب فأنزلت مرة ثانية⁴¹⁵

مجمع الفتاوى ج: 21 ص: 432-435⁴¹³

وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال جاء رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلم يدع شيئاً يصيب الرجل من المرأة إلا قد أصابه منها إلا أنه لم يجامعها فقال توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل قال فأنزل الله هذه الآية **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّادِكِرِينَ}** { هود: 114 }
قال معاذ أهي خاصة أم المسلمين عامة قال بل هي للMuslimين عامة رواه أحمد والدارقطني فأمر بالوضوء مع المباشرة دون الفرج⁴¹⁶

قد حرم الله سبحانه وتعالى الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان اتي هذه الفواحش معتقداً تحريمها فهو من المسلمين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وان زنا وان سرق **{إِنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَأْتِي بِفَحْشَةٍ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَيَّهُ وَيَسْعُفَهُ فَيَدْخُلُ فِيهَا}**
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّادِكِرِينَ} { هود: 114 }
وفي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له فأنزل الله صلي الله عليه وسلم ان رجلاً اصاب من امرأة قبله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل عليه **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّادِكِرِينَ}** { هود: 114 }
قال الرجل الى هذه الآية قال لمن عمل بها من امتى والمسلم اذا اتي الفاحشة لا يكفر وان كان كمال الايمان الواجب قد زال عنه كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهباً نهباً ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن فأصل الايمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمناً اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلاً كان يدعى حماراً وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعنده الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته كما تقدم في الحديث الآخر الصحيح وان زنا وان سرق وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خطيئة عقاب الله ورجاء رحمة الله وایمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذنب عبد ذنباً فقال أي رب اني اذنبت ذنباً فاغفر لي فقال ربه علم عبدي ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لك ذنبك ثم اذنب ذنباً آخر فقال أي رب اذنبت ذنباً فاغفر لي فقال علم عبدي ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لك ذنبي فليفعل ما شاء وكذلك في الصحاح من غير وجه حديث الذي لم يعمل خيراً قط وقال لأهله اذا انا مت فاحرقوني ثم اسحقونني ثم ذروني في يوم ريح الحديث فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يا رب فغفر الله له بتلك الخشية وكذلك من افضل اعمال المؤمن التوبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للغامريه التي اقرت بالزنا حتى رجمها لقد ابت توبه لو تابها مكس لغفر له وهل وجدت توبة افضل من ان جادت بنفسها الله **وَحَدِيثُ صَلَاةِ التُّوْبَةِ مَحْفُوظٌ فِي الْسُّنْنِ** عن علي عن ابي بكر الصديق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يذنب

ذنبنا فيتوضاً ويسعد الوضوء ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له وقرأ هذه الآية {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحْشَأْتُمْ أَنفُسَهُمْ ذَكْرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} آل عمران 135 وهذا باب واسع فان الذنوب التي يبتلى بها العبد يسقط عنهم وهو مؤمن ولا ينتهي نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن فأصل الايمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمنا اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته كما تقدم في الحديث الاخر الصحيح وان زنا وان سرق وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خشيته عقاب الله ورجاء رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الذنب كما يقوله الخوارج ولا انه يخرج من الايمان بالكلية كما يقوله المعتزلة لكن ينقص الايمان ويمنع كماله الواجب وان كانت المرجئة تزعم ان الايمان لا ينقص ايضا فمذهب اهل السنة المتبعون للسلف الصالحة ان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاما استحلال ما حرم الله ورسوله من الفواحش وغيرها فهو كفر وبمثله اهلك الله قوم لوطن الذين استحلوا الفاحشة وفعلوها معلنين بها مستحلين لها قال تعالى {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ} 82 {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيُبَعِّدُ} 83 هود 82-83 وقد روى عن قاتدة من الظالمين من هذه الامة وقد روى انه يكون فيها خسف وقدف ومسخ⁴¹⁷

عمل الحسنات يظهر النفس ويزكيها من الذنوب

أن الزكاة تستلزم الطهارة لأن معناها معنى الطهارة قوله {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} التوبة 103 من الشر {وَثْرَكِيهِمْ} التوبة 103 بالخير قال اللهم طهرني بالماء والبرد والثلج كان يدعوه في الاستفصال وفي الإعتدال من الركوع والغسل فهذه الأمور توجب تبريد المغسول بها و البرد يعطى قوة وصلابة وما يسر يوصف بالبرد وقرة العين ولهذا كان دمع السرور باردا ودمع الحزن حارا لأن ما يسوء النفس يوجب حزnya وغمها وما يسرها يوجب فرحتها وسرورها وذلك مما يبرد الباطن فسأل النبي أن يغسل الذنوب على وجه يبرد القلوب أعظم برد يكون ما فيه من الفرح والسرور الذي أزال عنه ما يسوء النفس من الذنوب قوله بالثلج والبرد والماء البارد تمثيل بما فيه من هذا الجنس والا فنفس الذنوب لا تنفس بذلك كما يقال أدقنا برد عفوك وحلوة مغفرتك ولما قضى أبو قاتدة دين المدين قال صلى الله عليه وسلم الآن بردت جلدته ويقال برد اليقين وحرارة الشك ويقال هذا الأمر ينليج له الصدر إذا كان حقا يعرفه القلب ويفرح به حتى يصير في مثل برد الثلج ومرض النفس أما شبهة وأما شهوة أو غضب والثلاثة توجب السخونة ويقال لمن نال مطلوبه برد قلبه فإن الطالب فيه حرارة الطلب قوله {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} التوبة 103 دليل على أن عمل الحسنات يظهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة فإنه بعد قوله {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} التوبة 102 الآية فالنحوه والعمل الصالح يحصل بها التطهير والتزكية ولهذا قال في سياق قوله {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ

يَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ } النور 30 الآيات { وَتُوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً } النور 31 الآية فأمرهم جميعاً بالتوبة في سياق ما ذكره لأنه لا يسلم أحد من هذا الجنس كما في الصحيح إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا الحديث وكذلك في الصحيح أن قوله **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ الْسَّيِّئَاتِ} هود 114** نزلت بسبب رجل نال من إمرأة كل شيء إلا الجماع ثم ندم فنزلت ويحتاج المسلم في ذلك إلى أن يخاف الله وينهى النفس عن الهوى ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه بل على إتباعه والعمل به فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة الله وعملاً صالحاً وثبت عنه أنه قال المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها وهو إلى جهاد نفسه أحواله فإن هذا فرض عين وذلك فرض كفاية والصبر في هذا من أفضل الأعمال فإن هذا jihad حقيقة ذلك jihad فمن صبر عليه صبر على ذلك jihad كما قال والمهاجر من هجر السيئات ثم هذا لا يكون محموداً فيه إلا إذا غالب بخلاف الأول فإنه من **{وَمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلَ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِنَهُ أَجْرًا عَظِيمًا} النساء 74** ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة إلا الخ وذلك لأن الله أمر الإنسان أن ينهي النفس عن الهوى وأن يخاف مقام ربه فحصل له من الإيمان ما يعينه على jihad فإذا غالب لكان لضعف إيمانه فيكون مفرطاً بترك المأمور بخلاف العدو الكافر فإنه قد يكون بدنه أقوى فالذنب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممتلة لما أمرت به ومع إمتنال المأمور لا تفعل المحظور فإنهم ضداً قال تعالى **{كَذَلِكَ لِتَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 الآية** وقال **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَنْهُمْ سُلْطَانٌ} الحجر 42** فعبد الله مخلصون لا يغويهم الشيطان و الغي خلاف الرشد وهو إتباع الهوى فمن مالت نفسه إلى محرم فليأت بعبادة الله كما أمر الله مخلصاً له الدين فإن ذلك يصرف عنه السوء الفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده وهذا يمنع من السيئات فإذا كان تائباً فإن كان ناقصاً فوقعت السيئات من صاحبه كان ماحياً لها بعد الوقوع فهو كالترافق الذي يدفع آثر السم ويرفعه بعض حصوله وكالغذاء من الطعام والشراب وكالاستمتعان من بالحلال الذي يمنع النفس عن طلب الحرام فإذا حصل له طلب إزالته وكالعلم الذي يمنع من الشك ويرفعه بعد وقوعه وكالطلب الذي يحفظ الصحة ويدفع المرض وكذلك كما في القلب من الإيمان يحفظ بأشباهه مما يقوم به وإذا حصل منه مرض من الشبهات والشهوات وأزيل بهذه ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة كذلك القلب لا يمرض إلا لنقص إيمانه وكذلك الإيمان والقرآن متضادان فكل ضدين فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى كالسوداد والبياض حصل موضعه ويرفعه إذا كان حاصلاً كذلك الحسنات والسيئات ⁴¹⁸

الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة

إن الذنب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تتدفع بنحو عشرة أسباب منها الأعمال الصالحة فإن الله تعالى يقول **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ الْسَّيِّئَاتِ} هود 114** وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يوصيه يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمها وخلق الناس بخلق حسن وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر أخرجاها في الصحيحين وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من صام رمضان

إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقال من حج هذا البيت فلم يرفت ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه وقال أرأيت لو أن بباب أحدكم نهراً غمراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى من دونه شيء قالوا لا قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا كما يمحو الماء الدرن وهذا كله في الصحيح وقال الصدقة تطفئ الخطية كما يطفئ الماء النار رواه الترمذى وصححه وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هُنَّ أَذْلَكُمْ عَلَىٰ تَجَارَةٍ شُحِّنُوكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْيَمِّ} {10} {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {11} {يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُذْلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {12} الصف 10-12 وفي الصحيح يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين وما روى أن شهيد البحر يغفر له الدين فإن شهاده ضعيف والدين حق لأنّه فلا بد من استيفائه وفي الصحيح صوم يوم عرفة كفارة سنتين وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة ومثل هذه النصوص كثيرة وشرح هذه الأحاديث يحتاج إلى بسط كثير فإن الإنسان قد يقول إذا كفر عن الصلوات الخمس فأي شيء تكرر عنى الجمعة أو رمضان وكذلك صوم يوم عرفة وعاشوراء وبعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجد ما تكرر من السيئات فيقال أولاً العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكتب به السيئات هو العمل المقبول والله تعالى إنما يتقبل من المتقين والناس لهم في هذه الآية وهي قوله تعالى {إِنَّمَا يَتَقبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المائدة 27 ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالخوارج والمعترضة يقولون لا يتقبل الله إلا من اتقى الكبائر وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال والمرجئة يقولون من اتقى الشرك والسلف والأئمة يقولون لا يتقبل إلا من اتقاه في ذلك العمل فعله كما أمر به خالصاً لوجه الله تعالى قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال قبل الله منه ومن هو أفضل منه إذا لم يتقى الله في عمل لم يتقبله منه وإن تقبل منه عملاً آخر وإذا كان الله يتقبل من يعمل العمل على الوجه المأمور به ففي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن العبد لينصرف عن صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها حتى قال إلا عشرها وقال ابن عباس ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها وفي الحديث رب صائم حظه من صيامه العطش ورب قائم حظه من قيامه السهر وكذلك الحج والجهاد وغيرهما وفي حديث معاذ موقعاً ومرفوعاً وهو في السنن الغزو غزواني فغزواني يبتغي به وجه الله ويطاع فيه الأمير وتتفق فيه كرائم الأموال وبيسار فيه الشريك ويختبر فيه الفساد ويتحقق فيه الغلو فذلك الذي لا يعدله شيء وغزواني لا يبتغي به وجه الله ولا يطاع فيه الأمير ولا تتفق فيه كرائم الأموال ولا بيسار فيه الشريك ولا يختبر فيه الفساد ولا يتحقق فيه الغلو فذاك حسب صاحبه أن يرجع كفافاً وقيل لبعض السلف الحاج كثير فقال الحاج كثير والحاج قليل ومثل هذا كثير فالمحروم والتکفير يقع بما يتقبل من الأفعال وأكثر الناس يقترون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم فالسعيد منهم من يكتب له نصفها وهم يفعلون السيئات كثيراً فلهذا يكتب بما يقبل من الصلوات الخمس شيء وبما يقبل من الجمعة شيء وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر وكذلك سائر الأفعال وليس كل حسنة تمحو كل سيئة بل المحروم يكون للصغار تارة ويكون للكبائر تارة باعتبار الموازننة والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه ويعوديته الله له به كبار كما في الترمذى وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يصاح برجل من أمتي يوم القيمة على رؤوس الخلق فينشر عليه تسعه وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فيقال هل تنكر من هذا شيئاً فيقول لا يا رب فيقول لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله فيقول أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع هذه البطاقة في كفيه والسجلات في كفة فتقتل البطاقة وطاشت السجلات بهذه حال من قالها بأخلاق وصدق كما قالها هذا الشخص وإلا

فأهل الكبار الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ولم يترجح قولهم على سيناتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة وكذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه فيها العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهمث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بيده حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغر له وفي لفظ في الصحيحين إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزلت له موقفها فسقته به فغر لها وفي لفظ في الصحيحين أنها كانت بغيا من بغيا بنى إسرائيل وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغر له وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار في هرة ربطنها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت فهذه سقت الكلب بآيمان خالص كان في قلبه فغر لها وإنما فيليس كل ما بغى سقت كلبا يغر لها وكذلك هذا الذي نهى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بآيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغر له بذلك فإن الأعمال تتقابل بتقابل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وليس كل من نهى غصن شوك عن الطريق يغر له قال الله تعالى {لن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ} الحج 37 فالناس يشترون في الهدايا والضحايا والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكل وللتتصدق به لكن يناله تقوى القلوب وفي الأثر أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين المشرق والمغارب فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب وما في القلوب يتقابل لا يعرف مقدار ما في القلوب من الإيمان إلا الله عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق ولم يضر ببعضه البعض وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجْلَهُ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} المؤمنون 60 وفي الترمذى وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله أهو الرجل يزنى ويشرب الخمر ويختلف أن يعاقب قال لا يا ابنه الصديق بل هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويختلف أن لا يتقبل منه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام وقله أهله وكثرة الصوارف عنه وضعف الدواعي إليه لا يمكن أحدا أن يحصل له مثله من بعدهم وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمور وعرف المحن والابتلاء الذي يحصل للناس وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة وهذا مما يعرف به أن أبو بكر رضي الله عنه لن يكون أحد مثله فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لا يساويه فيه أحد قال أبو بكر بن عياش ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه وهذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيمان ويقين لم يشركهم فيه من

419 بعدهم

الرد على الذين يقولون ان الحسنات انما تکفر الصغار فقط فاما الكبائر

فلا تغفر الا بالتوبة

قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب منها الحسنات الماحية كما قال تعالى **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ}** { هود 114} وقد قال تعالى **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ }** النساء 31 ومنها المصائب المكفرة ومنها دعاء المؤمنين بعضهم لبعض وشفاعة نبيهم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكررات لما بينهن إذا إجتنبت الكبائر وقال من صام رمضان إيمانا وإحسانا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال من قام ليلة القدر إيمانا وإحسانا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال من حج هذا البيت فلم يرث ولم يفسق رجع من ذنبه كيوم ولدته أمه وقال فتنة الرجل في أهله وماليه وولده تکفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وهذه الأحاديث وأمثالها في الصحاح وقال الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وسؤالهم على هذا الوجه أن يقولوا الحسنات إنما تکفر الصغار فقط فاما الكبائر فلا تغفر الا بالتوبة كما قد جاء في بعض الأحاديث ما اجتنبت الكبائر في جانب عن هذا بوجوه أحدها أن هذا الشرط جاء في الفرائض كالصلوات الخمس وال الجمعة وصيام رمضان وذلك ان الله تعالى يقول **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ }** النساء 31 فالفرائض مع ترك الكبائر مقتضية لتکفير السيئات وأما الأعمال الزائدة من التطوعات فلابد أن يكون لها ثواب آخر فان الله سبحانه يقول **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}** {الزلزلة 8} الثاني أنه قد جاء التصريح في كثير من الأحاديث بأن المغفرة قد تكون مع الكبائر كما في قوله غفر له وان كان فر من الزحف وفي السنن أتينا رسول الله في صاحب لنا قد أوجب فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار وفي الصحيحين في حديث أبي ذر وان زنا وان سرق الثالث أن قوله لأهل بدر ونحوهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ان حمل على الصغار أو على المغفرة مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر لما قد علم أن الكفر لا يغفر الا بالتوبة لا يجوز حمله على مجرد الصغار المكفرة باجتناب الكبائر الرابع أنه قد جاء في غير حديث أن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيمة الصلاة فان أكملاها والا قيل أنظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكملت به الفريضة ثم يصنع بسائر أعماله كذلك وعلمون أن ذلك النقص المكمل لا يكون لنترك مستحب فان ترك المستحب لا يحتاج الى جبران ولأنه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المتروك والمفعول فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة مع أن هذا لو كان معارضا للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر وهذا غريب رفعه وانما المعروف أنه في وصية أبي بكر لعمر وقد ذكره أحمد في رسالته في الصلاة وذلك لأن قبول النافلة يراد به الثواب عليها وعلمون أنه لا يثاب على النافلة حتى تؤدي الفريضة فانه اذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبرا لها واما لا لها فلم يكن فيها ثواب نافلة ولهذا قال بعض السلف النافلة لا تكون الا لرسول الله لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره يحتاج الى المغفرة وتتأول على هذا قوله **{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}** {الإسراء 79} وليس اذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مططا بل قد يكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة فان قيل العبد اذا نام عن صلاة او نسيها كان عليه أن يصلحها اذا ذكرها بالنص والاجماع فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء قيل هذا خطأ فان قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب فيقال اذا كان العبد يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينفعه عن الفعل وعلمون أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور لأن الاخلاص بذلك سبب للذم والعقاب وان جاز

مع اخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يتحمى من السموم القاتلة وان كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية والله علیم حکیم رحیم أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدھم ثم اذا وقعوا في أسباب الھلاك لم يؤیسهم من رحمته بل جعل لهم أسباباً يتوصلون بها الى رفع الضرر عنهم ولھذا قيل ان الفقيھ كل الفقيھ الذي لا يؤیس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله ولھذا يؤمر العبد بالتنویة كلما اذنب قال بعضهم لشیخه إنی اذنب قال تب قال ثم أعود قال تب قال ثم أعود قال تب قال الى متى قال الى أن تحزن الشیطان وفي المسند عن علی عن النبی أنه قال ان الله يحب العبد المفتن التواب وأیضاً فان من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته اذا استيقظ أو ذكرها كفارۃ لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم اذا قدر انه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجباً فلا يكون تطوعاً والتطوعات شرعت لمزيد التقرب الى الله كما قال تعالى في الحديث الصحيح ما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنواقل حتى أحبه الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النواقل ولا يظلمه الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء فان وفاهم وتطوع لهم كان عادلاً محسناً وان وفاهم ولم يتطوع كان عادلاً وان أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعاً كان غالطاً في جعله بل يكون من الواجب الذي يستحقونه ومن العجب أن المعتزلة يفتخرن بأنهم أهل التوحيد و العدل وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل والإشراف وأما العدل الذي وصف الله به نفسه فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} {7} ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {8} الززلة-8 وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطاً بذنب واحد من الكبائر وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله⁴²⁰

الوعيد الموجود في الكتاب والسنة لا يلحق التائب

وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين أن الوعيد في الكتاب والسنة لأهل الكبائر موجود ولكن الوعيد الموجود في الكتاب والسنة قد بين الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا يلحق التائب بقوله {فُلْيَا عَبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْقَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} الزمر-53 أي لمن تاب وقال في الآية الأخرى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} النساء-48 فهذا في حق من لم يتبع فالشرك لا يغفر وما دون الشرك ان شاء الله غفره وان شاء عاقب عليه وفي الصحيحين عن النبي أنه قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكه يشاكلها الا كفر الله بها من خطاياه ولهذا لما نزل قوله {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ} النساء-123 قال أبو بكر يا رسول الله قد جاءت قاصمة الظهر وأينا لم يعمل سوءاً فقال يا أبو بكر ألسنت تتصبّب ألسنت تحزن ألسنت تصيبك الألوى فذلك مما تجزون به فالمصابب في الدنيا يكفر الله بها من خطايا المؤمن ما به يكفر وكذلك الحسنات التي يفعلها قال الله تعالى {إِنَّ

الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ } هود 114 وقال النبي ﷺ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ف والله تعالى لا يظلم

عبده شيئاً كما قال { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } 7 { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } 8 الزلزلة 7-8 فالوعيد ينتهي عنه إما بتوبة وإما بحسنات يفعلها تكافىء سيناته وإنما بمصائب يكفر الله بها خطاياه وأما بغير ذلك وكما أن أحاديث الوعيد تقدم وكذلك أحاديث الوعيد قد يقول لا إله إلا الله ويحدد وجوب الصلاة والزكاة فهذا كافر يجب قتله وقد يكون من أهل الكبائر المستوجبين للنار وهذه مسألة الوعيد والوعيد من أكبر مسائل العلم وقد بسطناها في مواضع⁴²¹

يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان

وأما قول الذين يحتاجون بسابق القدر ويقولون إنه قد مضى الأمر والشقى شقى والسعيد سعيد محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق فيقال له لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد وقد قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْبَيْتَامِيِّ طُلْمَاً أَنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } النساء 10 وقال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تَجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } 29 { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } 30 النساء 29-30 ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة والعبد عليه أن يصدق بهذا وبهذا لا يؤمن ببعض ويكره ببعض فهو لاء المشركون أرادوا أن يصدقو بالوعيد ويكذبوا بالوعيد والحرورية والمعترضة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعيد وكلها أخطأ والذى عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعيد والوعيد فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشرط بأن لا يتوب فإن تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنبه فإن {**الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ } هود 114** و بأن لا يشاء الله أن يغفر له { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } النساء 48 فهكذا الوعيد له تقدير وبيان فمن قال بلسانه لا إله إلا الله و كذب الرسول فهو كافر بإتفاق المسلمين وكذلك إن جحد شيئاً مما أنزل الله فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عنده وإن شاء غفر له فإن إرتد عن الإسلام ومات مرتدًا كان في النار فالسيئات تحبطها التوبة والحسنات تحبطها الردة ومن كان له حسنات وسيئات فإن الله لا يظلمه بل { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } 7 { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } 8 الزلزلة 7-8 والله تعالى قد يتفضل عليه و يحسن إليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الإيمان فإنه لا يخالد في النار فالزانى والسارق لا يخالد في النار بل لا بد أن يدخل الجنة فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وهو لاء المسؤول عنهم يسمون القدرة المباحية المشركين وقد جاء في ذمهم من الآثار ما يضيق عنده هذا المكان والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل

المقتب له سبيل الى التوبة بكل حال

ان توبه العبد فيما بينه وبين الله ممكنه من جميع الذنوب حتى انه لو سب سرا احادا من الناس موتى ثم ناب واستغفر لهم بدل سبهم لرجي ان يغفر الله له ولا يكلف الله نفسها الا وسعها فكذلك ساب الانبياء والرسل لو لم تقبل توبته وتغفر زلته لانسد باب التوبة وقطع طريق المغفرة والرحمة وقد قال تعالى لما نهى عن الغيبة {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهُنُّهُوَ رَحِيمٌ} الحجرات 12 فعلم ان المقتب له سبيل الى التوبة بكل حال وان كان الذي اغتيب ميتا او غائبا بل على اصح الروايتين ليس عليه ان يستحله في الدنيا اذا لم يكن علم فان فساد ذلك اكثر من صلاحة وفي الاثر كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقد قال تعالى {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ} هود 114⁴²³

الاعتذار عن النفس بالباطل و الجدال عنها لا يجوز

فالاعتذار عن النفس بالباطل و الجدال عنها لا يجوز بل إن أذنب سرا بينه وبين الله اعترف لربه بذنبه و خضع له بقلبه و سأله مغفرته و تاب إليه فانه غفور رحيم تواب و إن كانت السيئة ظاهرة تاب ظاهرا و إن أظهر جميلا و أبطن قبيحا تاب في الباطن من القبيح فمن أساء سرا أحسن سرا و من أساء علانية أحسن علانية {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} هود 114⁴²⁴

لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر الممحض

والإيمان عندهم (أهل السنة) يتراكم فيكون إيمان أكمل من إيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً فيقولون قوله {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} المائدة 27 أي من اتقاه في ذلك العمل ليس المراد به الخلو من الذنوب ولا مجرد الخلو من الشرك بل من اتقاه في عمل قبله منه وإن كانت له ذنوب أخرى بدليل قوله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَرُلُعاً مَّنِ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ} هود 114 فلو كانت الحسنة لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها وقد ثبت بالكتاب والسنة المتواترة الموازنة بين الحسنات والسيئات فلو كانت الكبيرة تحبط الحسنات لم تبق حسنة توزن معها وقد ثبت في الصحيحين أن بغيا سقت كلبا فغفر الله لها

بسقيه قالوا وابنا آدم لم يكن أحدهما مشركاً ولكن لم يقصد التقرب إلى الله بالطيب من ماله كما جاء في الآخر فلهذا لم يتقبل الله قربانه وقد قال تعالى في حق المنافقين {وَمَا مَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَاقُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} التوبة 54 فجعل هذه موانع قبول النفقة دون مطلق الذنب قال أهل الحديث والسنّة ومن نفي عنه الإيمان فلأنه ترك بعض واجباته والعبادة بنفي اسمها بنفي بعض واجباتها لأنها لم تبق كاملة ولا يلزم من ذلك أن لا يبقى منه شيء بل قد دلت النصوص على أنه يبقى بعضه ويخرج من النار من بقي معه بعضه ومعلوم أن العبادات فيها واجب كالحج فيه واجب إذا تركه كان حجة ناقصاً يأثم بما ترك ولا إعادة عليه بل يجره بدم كرمي الجمار وإن لم يجره بقي في ذمته فكذلك الإيمان ينقص بالذنب فإن تاب عاد وإلا بقي ناقصاً يأثم به وقد يحرم في الحج أفعال إذا فعلها نقص حجة ولم يبطل كالتطهير ولبس الثياب بل يجر ذلك ولا يفسده من المحرمات إلا الجماع فكذلك لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر المحسن الذي لا يبقى مع صاحبه شيء من الإيمان قالوا وهذا هو الذي يحيط جميع الأعمال وأما ما دون ذلك فقد يحيط بعض العمل كما في آية المن والأذى فإن ذلك يبطل تلك الصدقة لا يبطل سائر أعماله قوله تعالى {وَبَسَّالُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ} الإسراء 85 وقوله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِيِّ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ} هود 114 وغير ذلك من الآيات التي نزلت بمكة ثم جرت بالمدينة سبب يقتضي الخطاب فأنزلت مرة ثانية⁴²⁵

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء فليحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمه وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيدات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقى في النار أخر جاه في الصالحين فثبت أن الظالم يكون له حسنات فيستوفي المظلوم منها حقه وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تعدون المفلس فيكم قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار قال المفلس من يأتي يوم القيمة ولو حسنات أمثال الرجال وقد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار رواه مسلم وقد قال تعالى {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ} هود 114 فدل ذلك على أنه في حال إساءاته يفعل حسنات تمحو إساءاته وإلا لو كانت السيئات قد زالت قبل ذلك بتوبتها ونحوها لم تكن الحسنات قد أذهبتها⁴²⁶

الناوى الجازم الآتى بما يمكن فإنه بمنزلة الفاعل التام

والهام بالسيئة التى لم يعملها مع قدرته عليها لم توجد منه إرادة جازمة وفاعل السيئة التى تمضي لا يجزى بها إلا سيئة واحدة كما شهد به النص وبهذا يظهر قول الأئمة حيث قال الإمام أحمد **الهم همان** هم خطرات وهم إصرار فهم الخطرات يكون من القادر فإنه لو كان همه إصراراً جازماً وهو قادر لوقع الفعل ومن هذا الباب **هم يوسف** حيث قال تعالى {وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} يوسف 24 الآية وأما هم المرأة التى راودته فقد قيل أنه كان هم إصرار لأنها فعلت مقدورها وكذلك ما ذكره عن المنافقين فى قوله تعالى {وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} التوبة 74 فهذا لهم المذكور عنهم هم مذموم كما ذمهم الله عليه ومثله يذم وإن لم يكن جازماً كما سنبينه فى آخر الجواب من الفرق بين ما ينافي الإيمان وبين ما لا ينافيه وكذلك الحريص على السيئات الجازم بإرادة فعلها إذا لم يمنعه إلا مجرد العجز فهذا يعاقب على ذلك عقوبة الفاعل لحديث أبي كبيشة ولما فى الحديث الصحيح إذا إنقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريضاً على قتل صاحبه وفى لفظ أنه أراد قتل صاحبه فهذه الإرادة هي الحرص وهى الإرادة الجازمة وقد وجدها المقدور وهو القاتل لكن عجز عن القتل وليس هذا من الهم الذى لا يكتب ولا يقال أنه يستحق ذلك بمجرد قوله لو أن لى ما لفلان لعملت مثل ما عمل فإن تمنى الكباير ليس عقوبته كعقوبة فاعلها بمجرد التكلم بل لا بد من أمر آخر وهو لم يذكر انه يعاقب على كلامه وإنما ذكر أنهم فى الوزر سواء وعلى هذا قوله إن الله تجاوز لأمتى بما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعلم لا ينافي العقوبة على الإرادة الجازمة التى لا بد أن يقترن بها الفعل فإن الإرادة الجازمة هي التى يقترن بها المقدور من الفعل وإلا فمتى لم يقترن بها المقدور من الفعل لم تكن جازمة فالمرید الزنا والسرقة وشرب الخمر العازم على ذلك متى كانت إرادته جازمة عازمة فلا بد أن يقترن بها من الفعل ما يقدر عليه ولو أنه يقربه إلى جهة المعصية مثل تقرب السارق إلى مكان المال المسروق ومثل نظر الزانى واستماعه إلى المزنى به وتتكلمه معه ومثل طلب الخمر والتماسها ونحو ذلك فلا بد مع الإرادة الجازمة من شيء من مقدمات الفعل المقدور بل مقدمات الفعل توجد بدون الإرادة الجازمة عليه كما قال النبي فى الحديث المتفق عليه العينان تزنيان وزناهما النظر واللسان يزنى وزناها النطق واليد تزنى وزناها البطش والرجل تزنى وزناها المشى والقلب يتمنى ويستهنى والفرج يصدق ذلك او يكذبه وكذلك حديث أبي بكرة المتفق عليه إذا إنقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال أنه أراد قتل صاحبه وفى روایة فى الصحيحين أنه كان حريضاً على قتل صاحبه فإنه اراد ذلك إرادة جازمة فعل معها مقدوره منعه منها من قتل صاحبه العجز وليس مجرد هم ولا مجرد عزم على فعل مستقبل فإستحق حينئ النار كما قدمنا من ان الإرادة الجازمة التى أتى معها بالممكن يجري صاحبها مجرى الفاعل التام و الإرادة التامة قد ذكرنا انه لا بد أن يأتي معها بالمقدور أو بعضه وحيث ترك الفعل المقدور فليس جازمة بل قد تكون جازمة فيما فعل دون ما ترك مع القدرة مثل الذى يأتي بمقدمات الزنا من اللمس والنظر والقبلة ويمتنع عن الفاحشة الكبرى ولهذا قال فى حديث أبي هريرة الصحيح العين تزنى والأذن تزنى واللسان يزنى إلى أن قال والقلب يتمنى ويستهنى أى يتمنى الوطء ويستهيه ولم يقل يزيد ومجرد الشهوة والتمنى ليس إرادة جازمة ولا يستلزم وجود الفعل فلا يعاقب على ذلك وإنما يعاقب إذا أراد إرادة جازمة مع القدرة والإرادة الجازمة التي يصدقها الفرج ومن هذا الحديث الذى فى الصحيحين عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من إمرأة قبلة فأتى رسول الله ذكر ذلك له فأنزل الله تعالى **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مَّنِ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ}** هو 114 الآية فقال الرجل إلى هذه فقال لمن عمل بها من أمته فمثل هذا الرجل وأمثاله لابد فى الغالب أن يهم بما هو أكبر من ذلك كما قال والقلب يتمنى ويستهنى والفرج يصدق ذلك او يكذبه لكن إرادته القلبية للقبلة كانت إرادة جازمة فإقترن

بها فعل القبلة القدريّة وأما إرادته للجماع فقد تكون غير جازمة وقد تكون جازمة لكن لم يكن قادرًا والأشبه في الذي نزلت فيه الآية أنه كان متمكناً لكنه لم يفعل ففرق أحمد وغيره بين هم الخطرات وهم الإصرار هو الذي عليه الجواب فمن لم يمنعه من الفعل إلا العجز فلا بد أن يفعل ما يقدر عليه من مقدماته وإن فعله وهو عازم على العود متى قدر فهو مصر ولهذا قال ابن المبارك المصر الذي يشرب الخمر اليوم ثم لا يشربها إلى شهر وفى رواية إلى ثلثين سنة ومن نيته أنه إذا قدر على شربها شربها وقد يكون مصرًا إذا عزم على الفعل فى وقت دون وقت كمن يعزم على ترك المعاصي فى شهر رمضان دون غيره فليس هذا بتائب مطلقاً ولكنه تارك للفعل فى شهر رمضان ويثبت إذا كان ذلك الترک لله وتعظيم شعائر الله وإجتناب محارمه فى ذلك الوقت ولكنه ليس من الثنائيين الذين يغفر لهم بالتوبه مغفرة مطلقة ولا هو مصر مطلقاً وأما الذي وصفه ابن المبارك فهو مصر إذا كان من نيته العود إلى شربها فلت والذى قد ترك المعاصي فى شهر رمضان من نيته العود إليها فى غير شهر رمضان مصر أيضًا لكن نيته أن يشربها إذا قدر عليها غير النية مع وجود القدرة فإذا قدر قد تبقى نيته وقد لا تبقى ولكن متى كان مردًا إرادة جازمة لا يمنعه إلا العجز فهو معاقب على ذلك كما تقدم وتقدم ان مثل هذا لا بد ان يقترن بإرادته ما يمكن من الفعل معه وبهذا يظهر ما يذكر عن الحارث المحاسبي أنه حكى الإجماع على ان الناوى للفعل ليس بمنزلة الفاعل له فهذا الإجماع صحيح مع القدرة فإن الناوى للفعل القادر عليه ليس بمنزلة الفاعل وأما الناوى الجازم الآتي بما يمكن فإنه بمنزلة الفاعل التام كما تقدم وما يوضح هذا أن الله سبحانه في القرآن رب الثواب والعقاب على مجرد الإرادة كقوله تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ بَصَلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا} الإسراء 18 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزِّيَّنَاهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ} فيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ {15} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ {16} هود 15-16 وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} الشورى 20 فرتب الثواب والعقاب على كونه يريد العاجلة ويريد الحياة الدنيا ويريد حرث الدنيا وقال في آية هود {نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا} هود 15 إلى أن قال {وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 16 هود 16 فدل على أنه كان لهم أعمال بطلت وعقوبوا على أعمال أخرى عملوها وإن الإرادة هنا مستلزمة للعمل ولما ذكر إرادة الآخرة قال {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} الإسراء 19 وذلك لأن إرادة الآخرة وإن إستلزمت عملها فالثواب إنما هو على العمل المأمور به لا كل سعي ولا بد مع ذلك من الإيمان ومنه قوله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا زَوَاجٌ إِنْ كُنْتُنَّ تُرْدِنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزِّيَّنَاهَا} الأحزاب 28 الآية {وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرْدِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ} الأحزاب 29 فهذا نظير تلك الآية التي في سورة هود وهذا يطابق قوله إذا التقى المسلمين بسيفيهما إلا أنه قال فإنه أراد قتل صاحبه أو أنه كان حريصاً على قتل صاحبه ذكر الحرص والإرادة على القتل وهذا لا بد ان يقترن به فعل وليس هذا مما دخل في حديث العفو إن الله عفا لأمتى عما حدثت به أنفسها⁴²⁷

الصبر واجب على اداء الواجبات وترك المحظورات

وينبغي ان الانسان إذا ابتلى فعليه ان يصبر ويثبت ولا ينكح حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات ولا بد في جميع ذلك من الصبر ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على

اداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن ان يحزع فيها والصبر عن اتباع اهواء النفوس فيما نهى الله عنه وقد ذكر الله الصبر في كتابه في اكثر من تسعين موضعا وقرنه بالصلوة في قوله تعالى {وَاسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاسِعِينَ} البقرة 45 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153 قوله {وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارَ وَزَلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} 114 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 115 هود 114-115

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} طه 130 {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَعِنْ لِذِنْبِكَ} غافر 55 الآية وجعل الامامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} السجدة 24 فان الدين كله علم بالحق وعمل به والعمل به لا بد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفته خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسبيح به يعرف الله ويعبد وبه يمجد الله ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولا بد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى {وَالْعَصْرُ} 1 {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} 2 {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} 3 العصر 1-3⁴²⁸

قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً

وفي الصحيح عن النبي أنه كان يقول في خطبه خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وإذا كان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد فكل من كان إلى ذلك أقرب وهو به اشبه كان إلى الكمال اقرب وهو به احق ومن كان عن ذلك ابعد وشبهه اضعف كان عن الكمال ابعد وبالباطل أحق والكامل هو من كان الله اطوع وعلى ما يصيبه الصبر فكلما كان اتبع لما يأمر الله به ورسوله واعظم موافقة الله فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاء كان أكمل وأفضل وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى الصبر والتقوى جميعا في غير موضع من كتابه وبين أنه ينصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين والمعاهدين والمنافقين وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة قال الله تعالى {بَلِّي إِنْ تَصْبِرُوْا وَتَنْقُوْمُ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةَ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} آل عمران 125 وقال أخوه يوسف له {قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقَ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 وقد قرن الصبر بالأعمال الصالحة عموماً وخصوصاً فقال تعالى {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يونس 109 وفي اتباع ما اوحى اليه التقوى كلها تصدقها لخبر الله وطاعة لامرها وقال تعالى

⁴²⁸مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 39 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 54 و التحفة العراقية ج: 1

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} 114 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 115 هود 114-115⁴²⁹

أعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة امور

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته يقول اللهم منك ولك وأعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة امور أحدها الاخلاص لله والتوكيل عليه بالدعاء وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والدين الثاني الاحسان الى الخلق بالفع والمال الذي هو الزكاة الثالث الصبر على أذى الخلق وغيره من النوايب ولها جمع الله بين الصلاة والصبر كثيرا كقوله تعالى {وَاسْتَعِنُو بِالصَّابَرْ وَالصَّلَاةِ} البقرة 45 وقوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ} 114 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 115 هود 114-115 وقوله تعالى {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عُرُوبَهَا} طه 130 وكذلك في سورة ق {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْعُرُوبِ} 39 وقال تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضْبِقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} 97 {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} 98 الحجر 97-98 وأما فرننه بين الصلاة والزكاة في القرآن فكتير جدا وبالقيام بالصلاحة والزكاة والصبر يصلح حال الراعي والرعية إذا عرف الانسان ما يدخل في هذه الاسماء الجامدة يدخل في الصلاة ذكر الله تعالى ودعاؤه وتلاوه كتابه واخلاص الدين له والتوكيل عليه وفي الزكاة الاحسان الى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحجاج ففي الصحيحين عن النبي انه قال كل معروف صدقة فيدخل فيه كل إحسان ولو ببساط الوجه والكلمة الطيبة ففي الصحيحين عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد إلا سيكلمه ربه ليس بيته وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه فينظر أمامه فتسقبه النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل فان لم يجد بكلمة طيبة وفي السنن عن النبي قال لا تحرقن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ولو ان تفرغ من دلوك في إناء المستفى وفي السنن عن النبي ان أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وروى عنه انه قال لأم سلمة يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفي الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأسر والبطر كما قال تعالى {وَلَئِنْ أَذْفَنَ الْإِنْسَانَ مِنَ رَحْمَةً ثُمَّ تَرْعَنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤُوسُ كُفُورُ} 9 ولين أذفناه تعماه بعد ضرراه منه ليقولن ذهب السينات عني إنه لفرح فخور {10} إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير {11} هود 9-11 وقال لنبيه {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الأعراف 199 وقال تعالى {وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} أعدت للمتقين {133} الذين ينفقون في السراء والضراء والكافرين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين {134} آل عمران 133-134 وقال تعالى {وَلَا تَسْنُوِي الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاؤَ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ} 34 وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم {35} وإنما ينزل عنك من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم {36} فصلت 34-36 وقال تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ

عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {الشُورى 40} قال الحسن البصري رحمة الله عليه إذا كان يوم القيمة نادى مناد من بطن العرش ألا ليقم من وجب أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا وأصلح 430

مصلحة وفضائل الأعمال وثوابها وفوائدها

الحسنات تعلل بعلتين احدهما ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة والثانية ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضررة وكذلك السيئات تعلل بعلتين إدحهما ما تتضمنه من المفسدة والمضررة والثانية ما تتضمنه من الصد عن المنفعة والمصلحة مثل ذلك قوله **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ}** هود 114 فهذا دفع المؤذني ثم قال **{ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ}** هود 114 وهذا مصلحة وفضائل الأعمال وثوابها وفوائدها ومنافعها كثير في الكتاب والسنة من هذا النمط 431

الفقه قبل الأمر

قال تعالى **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}** 112 **{إِلَيَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَيَاءِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ}** 113 **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ}** 114 **{وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}** 115 **{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مَمْنُ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعُ الذِّينَ ظَلَمُوا مَا أَنْفَرُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}** 116 هود 116-117 والقيام بالواجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها كما جاء في الحديث ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حلينا فيما يأمر به فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر والرفق عند الأمر ليس لك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهى فإنه كثيرا ما يحصل له الأذى بذلك ولهذا قال تعالى **{وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}** لقمان 17 وقد أمر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال تعالى في أول المدثر **{فَإِنَّ زِرْكَ وَرَبَّكَ فَكَبَرْ {3} وَثَيَابَكَ فَطَهَرْ {4} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ {5} وَلَا تَمْنُنْ شَنَكُثُرْ {6}}** ولربك

فَاصْبِرْ {7} المدثر 2-7 وقال تعالى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنَنَا } الطور 48 وقال
{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } المزمل 10⁴³²

"من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح"

قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرْ } 112
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَئِاءِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } 113
طَرَفَ فِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْخَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ } 114
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } 115 قَلُولًا كَانَ مِنَ الْقَرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولَئِنَّ بَقِيَةً يَهُمُونَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمْنَ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَثْرَفُوا فِيهِ وَكَثُرُوا
مُجْرِمِينَ } 116 هود 116-117 قال عمر بن عبد العزيز من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر
ما يصلح وكما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه العلم امام العمل والعمل تابعه وهذا
ظاهر فان القصد والعمل ان لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى كما تقدم وهذا هو
الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الاسلام فلابد من العلم بالمعرفة والمنكر والتمييز بينهما ولا بد
من العلم بحال المأمور والمنهي ومن الصلاح ان يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم وهو
اقرب الطرق الى حصول المقصود ولا بد في ذلك من الرفق كما قال النبي ما كان الرفق
في شيء الا زانه ولا كان العنف في شيء الا شانه وقال إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر
كله ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى
فانه لا بد ان يحصل له اذى فان لم يحل ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال لقمان لابنه
{ وَأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } لقمان 17
ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الامر بالمعرفة والنهي عن المنكر بالصبر كقوله لخاتم الرسل
بل ذلك مقررون بتبلیغ الرسالة فانه أول ما أرسل أنزلت عليه سورة يا أيها المدثر بعد
ان أنزلت عليه سورة اقرأ التي بها نبئ فقال { يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُ } 1 قُمْ فَأَنْذِرْ 2 وَرَبَّكَ
فَكَبِرْ 3 وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ 4 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ 5 وَلَا تَمْنَنْ شَتْكُثْ 6 وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ 7
المدثر 1-7 فافتتح آيات الارسال الى الخلق بالأمر بالنذارة وختمتها بالأمر بالصبر ونفس الانذار
أمر بالمعرفة ونهي عن المنكر فعلم انه يجب بعد ذلك الصبر وقال { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنَنَا } الطور 48 وقال تعالى {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا
} المزمل 10 {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَئِنَ الْعَزْمُ مِنَ الرُّسُلِ } الأحقاف 35 {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا
تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } القلم 48 {وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ } النحل 127 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } هود 115 فلا بد من هذه الثلاثة العلم والرفق والصبر العلم قبل الأمر
والنهي والرفق معه والصبر بعده وان كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الاحوال وهذا كما
جاء في الآثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد لا يأمر
بالمعرفة وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيفاً فيما يأمر به
رفيفاً فيما ينهى عنه حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه ولتعلم أن الأمر بهذه الخصال
في الأمر بالمعرفة والنهي عن المنكر مما يوجب صعوبة على كثير من النفوس فيظن انه بذلك
يسقط عنه فيدعه وذلك مما يضره أكثر مما يضره الأمر بدون هذه الخصال أو أقل فان ترك
الأمر الواجب معصية فالمنتقل من معصية الى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضان بالنهار

والمتنقل من معصية الى معصية كالمنتقل من دين باطل الى دين باطل وقد يكون الثاني شرًا من الأول وقد يكون دونه وقد يكونان سواء فهكذا تجد المقصى في الأمر والنهى والمعتدى فيه قد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكون ذنب هذا أعظم وقد يكونان سواء⁴³³

الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله والإتيان بالفعل الحسن

قال تعالى { وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } هود 115 أما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى { بَلَى مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ } البقرة 112 وقال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِّمْنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ اللَّهُ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 ذكر إحسان الدين أولاً ثم ذكر الإحسان ثانيا⁴³⁴

قال تعالى { وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } هود 115 والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازماً لصاحبها أو متعمدياً إلى الغير

قال تعالى { قَلُولًا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعْيَةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمْنَ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ } هود 116 عن أهمية الامر بالمعروف وعن خطورة الترف

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ }⁴³⁵

قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } هود 117 كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتاجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله

مجمع الفتاوى ج: 28 ص: 136-138 و الاستقامة ج: 2 ص: 233⁴³³

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 622⁴³⁴

مجمع الفتاوى ج: 30 ص: 370⁴³⁵

تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15 وهو حجة عليهم أيضاً في نفي العذاب مطلقاً إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولاً لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحاً فقط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً قال تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} الإسراء 15⁴³⁶

وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفي كقوله **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفُرَى بِظُلْمٍ}** هود 117 و قوله **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنَّتِ فِيهِمْ}** الأنفال 33 (ذكر تفسيرها مع تفسير هود 100-102)⁴³⁷

أن الله على كل شيء قادر

اتفق المسلمين وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قادر كما نطق بذلك القرآن أي في مواضع كثيرة جداً وأن الشيء إسم لما يوجد في الأعيان ولما يتصور في الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء في التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئاً في الخارج ومنه قوله **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** يس 82 لفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ما تصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قديراً لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزداد عليه شيء كما قال تعالى **{بَلِّي قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوِّيَ بَنَائِهِ}** القيامة 4 وقال **{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدْرِ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِهِ لِقَادِرُونَ}** المؤمنون 18 قال المفسرون لقدرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشاً وتهلكوا مواتيكم وتخرب أراضيكم ومعلوم أنه لم يذهب به وهذا كقوله **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرِّبُونَ}** الواقعة 68 إلى قوله **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَدِّرُونَ}** الواقعة 82 وهذا يدل على أنه قادر على مالا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أحاجاً وهو لم يفعله ومثل هذا **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَذَا هَا}** السجدة 13 **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأْمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ}** يونس 99 **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّا** البقرة 253 فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادراً عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها⁴³⁸

كل ما كان بعد عدمه فانما يكون بمشيئة الله وقدرته وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن فما شاء وجب كونه وهو تحت مشيئة رب وقدرته وما لم يشاً امتنع كونه مع قدرته عليه كما قال تعالى **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَذَا هَا}** السجدة 13 **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ**

1 ص: منهاج السنة النبوية ج: 1⁴³⁶

300 ص: مجموع الفتاوى ج: 13⁴³⁷

10 ص: مجموع الفتاوى ج: 8⁴³⁸

بَعْدَ مَا جَاءُتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنُوكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقْعُلُ مَا يُرِيدُ {البقرة 253}

{**118**} فكون الشيء واجب الواقع لكونه قد سبق به القضاء على انه لابد من كونه لا يمتنع ان يكون واقعا بمشيئة وقدره وارادته وان كانت من لوازمه ذاته كحياته وعلمه فان ارادته للمستقبلات هي مسبوقة بارادته للماضي {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} {يس 82} وهو انما اراد هذا الثاني بعد ان اراد قبله ما يقتضى ارادته فكان حصول الارادة اللاحقة بالارادة السابقة⁴³⁹

الله حكمة بالغة في أقضيته وأقداره

الله حكمة بالغة في أقضيته وأقداره وإن لم يعلمه العباد فإن الله علم علما وعلمه لعباده أو لمن يشاء منهم وعلم علما لم يعلمه لعباده {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا} {البقرة 255} وهو سبحانه أراد من العباد ما هم فاعلوه إرادة تكوين كما إنفق المسلمين على أنه ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وكما قال {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} {الأనعام 125} وكما قال {وَلَا يَرَوُنَ مُخْتَلِفِينَ} {النور 118} {إِلَّا مَنْ رَجَمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقُهُمْ} {النور 119} **118-119**-
وكم قال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنُوكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَقْعُلُ مَا يُرِيدُ} {البقرة 253} وكما قال {يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} {إبراهيم 27} ولكن لم يرد المعاصي من أصحابها إرادة أمر وشرع ومحبة ورضى ودين بل ذلك كما قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} {البقرة 185} وكم قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِبَيْنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنُنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} {النساء 26} {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَبَيَّنُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} {النور 27} {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِفَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} {النور 28} و قال تعالى {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنَّ يُرِيدُ لِيُطْهِرَكُمْ} {المائدة 6} و كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات 56} ⁴⁴⁰

أخبر الله بقدراته على أشياء مع أنه لا يفعلها

قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال تعالى {بَلِّي قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَائَهُ} {القيامة 4} وقال تعالى {فَلَمْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْئًا وَيُدِينُكُمْ بَعْضَكُمْ

بَاسَ بَعْضَ {الأنعام} 65 وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعود بوجهك أو من تحت أرجلك قال أعود بوجهك أو يلبسكم شيئاً ويديق بعضكم بأس بعض قال هاتان أهون قالوا فهو يقدر الله عليهم وهو لا يشاء أن يفعلهما بل قد أجار الله هذه الأمة على لسان نبيها ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتازهم او يهلكهم بسنة عامة وقد قال تعالى {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} {3} بلى قادرين على أن نُسُوِيَ بَنَاهُ {4} القيمة 4-3 فالله قادر على ذلك وهو لا يشاءه وقد قال تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} هود 118 فالله تعالى قادر على ذلك فلو شاءه لفعله بقدرته وهو لا يشاءه وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَامَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} يومن 99 وقد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّ الْوَنْ مُخْتَلِفِينَ} هود 118 وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَّا} البقرة 253 ومثل هذا متعدد في القرآن وإذا كان لو شاءه فعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدور وإذا كان كذلك علم أن الفعل لو وجد بمجرد كونه قادراً لوقع كل مقدور بل لا بد مع القدرة من الإرادة⁴⁴¹

وأمثال ذلك مما أخبر الله تعالى أنه لو شاء لفعله فإن هذه الأمور التي أخبر الله أنه لو شاء لفعلها تستلزم أنها ممكنة مقدورة له⁴⁴²

متى حصلت القدرة التامة والإرادة الجازمة وجوب المقدور وحيث لا يجب فإنما هو لنقص القدرة أو لعدم الإرادة التامة والرب تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن و هو يخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أمورا لم يفعلها كما قال {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} هود 118 {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَّا} البقرة 253 وبين أنه لو شاء ذلك لكان قادراً عليه لكنه لا يفعله لأنه لم يشاءه إذ كان عدم مشيئته أرجح في الحكمة مع كونه قادراً عليه لو شاءه⁴⁴³

فالذى لا يقع من مقدورات الرب الذى لو شاء لفعلها و هو يعلم أنه لايفعلها فلا يجوز أن يقال أنه غير قادر عليها كما قاله بعض غلاة أهل البدع وقد ذكر في غير موضع من القرآن مالا يكون أنه لو شاء لفعله كقوله {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 و قوله {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ

⁴⁴¹ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 271 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 489

⁴⁴² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 290

⁴⁴³ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 459

مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَلَوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ } الْبَقْرَةُ 253 وَ قَوْلُهُ { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً } هُودٌ 118 وَ أَمْثَالُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَبَيَّنُ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَفْعُلَ أَمْوَالَهُ لَمْ تَكُنْ لَفْعَلَهَا وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فَإِنَّهُ لَوْلَا قَدْرَتِهِ عَلَيْهِ لَكَانَ إِذَا شَاءَ لَفْعَلَهُ فَإِنَّهُ لَا يَمْكُنُ فَعْلَهُ إِلَّا بِالْقَدْرَةِ عَلَيْهِ فَلَمَا أَخْبَرَ وَ هُوَ الصَّادِقُ فِي خَبْرِهِ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَفْعَلَهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَ إِنْ عَلِمَ سَبَحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَ عَلِمَ أَيْضًا أَنَّ خَلَافَ الْمَعْلُومِ قَدْ يَكُونُ مَقْدُورًا وَ إِذَا قَيْلَ هُوَ مَمْتَنَعٌ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْمُمْتَنَعِ لِعَدَمِ مُشَيْئَةِ الرَّبِّ لَهُ لَا لِكُونِهِ مُمْتَنَعًا فِي نَفْسِهِ وَ لَا لِكُونِهِ مَعْجُوزًا

444 عنْهُ

وَلَا رِيبُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَإِنْ قَدْرَتِهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ وَ الْمَصْحَحُ لِهَا إِلِيمَكَانٌ فَلَا اخْتِصَاصٌ لِهَا بِمُمْكِنٍ دُونَ مُمْكِنٍ لَكِنَّ الْمُمْتَنَعَ لِذَاتِهِ لَيْسَ شَيْئًا بِالْمُؤْمِنَةِ الْعَقْلَاءِ فَلَا يَعْقُلُ وَجُودَهُ فِي الْخَارِجِ فَإِنَّهُ لَا يَعْقُلُ فِي الْخَارِجِ كَوْنَ الشَّيْءِ مَوْجُودًا مَعْدُومًا أَوْ مَتْحَرِكًا سَاكِنًا أَوْ كَوْنَ أَجْزَاءَ الْحَرْكَةِ الْمُتَعَاقِبَةِ مُقْتَرِنَةً فِي آنِ آنٍ وَاحِدًا أَوْ كَوْنَ الْيَوْمِ مَوْجُودًا مَعْ أَمْسِ وَغَدًا وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَ حِينَئِذٍ فَمَثَلُ هَذَا لَا يَدْخُلُ فِي عُوْمَ الْكِتَابِ وَأَمَّا الْمُمْتَنَعُ لِغَيْرِهِ وَهُوَ مَا عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَكَتَبَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فَهُذَا لَا يَكُونُ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ فَإِنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ فَهُذَا لَوْ شَاءَ لَفْعَلَهُ كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَتَى كُلَّ نَفْسٍ هَدَاها وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَمْثَالِ ذَلِكَ

445

(فِيهِ نَقْصٌ فِي الْبَدِيَّةِ) أَيْضًا تَنَازَعُهُمْ فِي الْمَأْمُورِ بِهِ الَّذِي عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ أَوْ أَخْبَرَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذَا غَيْرَ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ كَمَا أَنَّ غَالِيَةَ الْقُدْرَيَّةِ يَمْنَعُونَ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلِمُ اللَّهِ وَخَبْرُهُ وَكَتَبُهُ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ وَذَلِكَ لِاِتْفَاقِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَنَّ خَلَافَ الْمَعْلُومِ لَا يَكُونُ مُمْكِنًا وَلَا مَقْدُورًا عَلَيْهِ وَقَدْ خَالَفُوهُمْ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ النَّاسِ وَقَالُوا هَذَا مَنْقُوشٌ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى أَشْيَاءِ مَعَ أَنَّهُ لَا يَفْعُلُهَا كَوْلُهُ { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُ الْأُولَئِكَ مُخْلِفِيَّ } هُودٌ 118 وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا يَخْبِرُ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَفْعَلَهُ وَإِذَا فَعَلَهُ فَإِنَّمَا يَفْعُلُهُ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ فَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ يَفْعُلُهُ إِذَا شَاءَهُ مَعَ أَنَّهُ لَا يَشَاؤُهُ وَقَالُوا أَيْضًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَيَعْلَمُهُمْ مَمْكُنًا مَقْدُورًا لِلْعَبْدِ غَيْرَ وَاقِعٍ وَلَا كَائِنٌ لِعَدَمِ إِرَادَةِ الْعَبْدِ لَهُ أَوْ لِبُغْضِهِ أَيَّاهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ لَا لَعْجَزَهُ عَنْهُ وَهَذَا النَّزَاعُ يَزُولُ بِتَوْبَعِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ كَمَا تَقَدَّمَ فَإِنَّهُ غَيْرَ مَقْدُورٌ الْقُدْرَةُ الْمُقَارِنَةُ لِلْفَعْلِ وَإِنْ كَانَ مَقْدُورًا الْقُدْرَةُ الْمُصْحَحَةُ لِلْفَعْلِ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ

446

حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة

فقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء أنه لو حلف ليقضينه حقه في خد إن شاء الله تعالى فخرج الغد ولم يقضه مع قدرته على القضاء من غير عذر وطالبه المستحق له لم يحيث ولو كانت

⁴⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 499

⁴⁴⁵ الصحفية ج: 2 ص: 109

⁴⁴⁶ درء التعارض ج: 1 ص: 62

المشيئة بمعنى الأمر لحثّ لأنه مأمور بذلك وكذلك سائر الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة وأيضاً فإنه قد قال تعالى {وَلُؤْ شَاءِ رَبُّكَ لَامَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً} يوں 99 مع أنه قد أمرهم بالإيمان فعلم أنه قد أمرهم بالإيمان ولم يشاهـ وكذلك قوله {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقَاً حَرَجاً} الأنعام 125 دليل على أنه أراد ضلاله وهو لم يأمره بالضلـ⁴⁴⁷

الاختلاف في كتاب الله نو عان

وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاة لله والعبادة لله والإستعاـة بالله والخوف من الله والرجاء لله والإعطاء لله والمنع لله وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيـه نهيـ الله ومعاداته طاعة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وصاحب الهوى يعمـيه الهوى ويصمـه فلا يستحضر ما لله ورسولـه في ذلك ولا يطلبـه ولا يرضـى لرضاـ الله ورسولـه ولا يغضـب لغضـب الله ورسولـه بل يرضـى إذا حصل ما يرضـى بهواه ويغضـب إذا حصل ما يغضـب له بهواه ويكون مع ذلك معه شبهـة دينـ أنـ الذي يرضـى له ويغضـب له أنهـ السنة وهوـ الحقـ وهوـ الدينـ فإذاـ قدرـ أنـ الذيـ معـهـ هوـ الحقـ المـحـضـ دـينـ الإـسـلاـمـ وـلـمـ يـكـنـ قـصـدـهـ أنـ يـكـونـ الـدـيـنـ كـلـهـ اللهـ وـأـنـ تـكـونـ كـلـمـةـ اللهـ هيـ العـلـيـاـ بـلـ قـصـدـ الـحـمـيـةـ لـنـفـسـهـ وـطـائـقـتـهـ أوـ الرـيـاءـ لـيـعـظـمـ هـوـ وـيـثـنـىـ عـلـيـهـ أـوـ فـعـلـ ذـلـكـ شـجـاعـةـ وـطـبـعـاـ أـوـ لـغـرـضـ مـنـ الدـنـيـاـ لـمـ يـكـنـ اللهـ وـلـمـ يـكـنـ مـجـاهـداـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ فـكـيفـ إـذـاـ كـانـ الـذـيـ يـدـعـيـ الـحـقـ وـالـسـنـةـ هـوـ كـنـظـيرـهـ مـعـهـ حـقـ وـبـاطـلـ وـسـنـةـ وـبـدـعـةـ وـمـعـ خـصـمـهـ حـقـ وـبـاطـلـ وـسـنـةـ وـبـدـعـةـ وـهـذـاـ حـالـ الـمـخـتـلـفـينـ الـذـينـ فـرـقـواـ دـيـنـهـمـ وـكـانـواـ شـيـعاـ وـكـفـرـ بـعـضـهـمـ بـعـضـهـمـ يـعـضـاـ وـلـهـذـاـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـهـمـ {وـمـاـ تـفـرـقـ الـذـينـ أـوـثـواـ الـكـتـابـ إـلـاـ مـنـ بـعـدـ مـاـ جـاءـهـمـ الـبـيـنـةـ} 4 وـمـاـ أـمـرـواـ إـلـاـ لـيـعـبـدـوـ اللهـ مـخـلـصـيـنـ لـهـ الـذـينـ حـنـفاءـ وـبـقـيـمـوـ الصـلـاـةـ وـبـيـؤـثـواـ الـزـكـاـةـ وـذـلـكـ بـيـنـ الـقـيـمـةـ} 5 الـبـيـنـةـ 4-5 وـقـالـ تـعـالـىـ {كـانـ النـاسـ أـمـةـ وـأـحـدـةـ} الـبـقـرةـ 213 يعنيـ فـاـخـتـلـفـواـ كـمـاـ فـيـ سـوـرـةـ يـوـنـسـ وـكـذـلـكـ فـيـ قـرـاءـةـ بـعـضـ الـصـحـابـةـ وـهـذـاـ عـلـىـ قـرـاءـةـ الـجـمـهـورـ مـنـ الـصـحـابـةـ وـالـتـابـعـيـنـ أـنـهـمـ كـانـواـ عـلـىـ دـيـنـ الإـسـلاـمـ وـفـيـ تـقـسـيـرـ اـبـنـ عـطـيـةـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ أـنـهـمـ كـانـواـ عـلـىـ الـكـفـرـ وـهـذـاـ لـيـسـ بـشـيءـ وـتـقـسـيـرـ اـبـنـ عـطـيـةـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ لـيـسـ بـثـابـتـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ بـلـ قـدـ ثـبـتـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ كـانـ بـيـنـ آـدـمـ وـنـوـحـ عـشـرـ قـرـونـ كـلـهـمـ عـلـىـ الإـسـلاـمـ وـقـدـ قـالـ فـيـ سـوـرـةـ يـوـنـسـ {وـمـاـ كـانـ النـاسـ إـلـاـ أـمـةـ وـأـحـدـةـ فـاـخـتـلـفـواـ} يـوـنـسـ 19 فـذـمـهـمـ عـلـىـ الـإـخـلـافـ بـعـدـ أـنـ كـانـواـ عـلـىـ دـيـنـ وـاحـدـ فـعـلـ أـنـهـ كـانـ حـقاـ وـالـإـخـلـافـ فـيـ كـتـابـ اللهـ عـلـىـ وـجـهـيـنـ أـحـدـهـمـ أـنـ يـكـونـ كـلـهـ مـذـمـومـاـ كـوـلـهـ {وـإـنـ الـذـينـ اـخـتـلـفـواـ فـيـ الـكـتـابـ لـفـيـ شـيـاقـ بـعـيـدـ} الـبـقـرةـ 176 وـالـثـانـيـ أـنـ يـكـونـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ الـحـقـ وـبـعـضـهـمـ عـلـىـ الـبـاطـلـ كـوـلـهـ {إـنـكـ الرـسـلـ فـضـلـنـاـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ مـنـهـمـ مـنـ كـلـمـ اللهـ وـرـأـفـعـ بـعـضـهـمـ دـرـجـاتـ وـأـتـيـناـ عـيـسـيـاـ اـبـنـ مـرـيـمـ الـبـيـنـاتـ وـأـتـيـناـ بـرـوحـ الـقـدـسـ وـلـؤـ شـاءـ اللهـ مـاـ اـقـتـلـ الـذـينـ مـنـ بـعـدـ مـاـ جـاءـهـمـ الـبـيـنـاتـ وـلـكـنـ اـخـتـلـفـواـ فـيـهـمـ مـنـ آـمـنـ وـمـنـهـمـ مـنـ كـفـرـ وـلـؤـ شـاءـ اللهـ مـاـ اـقـتـلـواـ وـلـكـنـ اللهـ يـقـعـلـ مـاـ يـرـيدـ} الـبـقـرةـ 253 وـقـولـهـ {هـذـاـنـ خـصـمـانـ اـخـتـصـمـوـاـ فـيـ رـبـهـمـ فـالـذـينـ كـفـرـواـ فـطـعـتـ لـهـمـ ثـيـابـ مـنـ نـارـ} الـحـجـ 19 إـلـيـهـ {إـنـ اللهـ يـدـخـلـ الـذـينـ آـمـنـواـ وـعـمـلـواـ الصـالـحـاتـ} الـحـجـ 23 وـقـولـهـ {إـنـ الـذـينـ آـمـنـواـ وـالـذـينـ هـادـواـ وـالـصـابـرـيـنـ وـالـنـصـارـيـ} 447

وَالْمَحْوَسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَقْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } { الحج 17
 لكن إذا أطلق الإختلاف فالجميع مذموم كقوله { وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ } 118 { إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ
 وَلِذَلِكَ خَلَّهُمْ } 119 { هود 118-119 وقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما هلك من كان قبلكم
 بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ولهذا فسروا الإختلاف في هذا الموضوع بأنه كل مذموم
 قال الفراء في اختلافهم وجهان أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض والثاني تبديل ما بدلوا وهو كما
 قال فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفرون بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل
 الذي معه وهو تبديل ما بدل فالإختلاف لا بد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف
 أنواعا من هذا أحدها الإختلاف في اليوم الذي يكون فيه الإجتماع فالليوم الذي أمروا به يوم
 الجمعة فعدلت عنه الطائفتان فهذه أخذت السبت وهذه أخذت الأحد وفي الصحيحين عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون السابعون يوم القيمة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا
 وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهادانا الله له الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغداً لليهود
 وبعد غد للنصارى وهذا الحديث يطابق قوله تعالى { فَهَذِهِ اللَّهُ� الدِّينُ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
 مِنَ الْحَقِّ } البقرة 213 وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله
 عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات
 والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدي لما اختلفوا فيه
 من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم والحديث الأول يبين أن الله تعالى
 هدى المؤمني لغير ما كان فيه المختلفون فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء وهو مما يبين أن
 الإختلاف كله مذموم والنوع الثاني القبلة فمنهم من يصلى إلى المشرق ومنهم من يصلى إلى
 المغرب وكلهما مذموم لم يشرعه الله والثالث إبراهيم قالت اليهود كان يهوديا وقالت
 النصارى كان نصريانا وكلاهما كان من الإختلاف المذموم { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا
 نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 والرابع عيسى جعلته
 اليهود لغية وجعلته النصارى إليها الخامس الكتب المنزلة آمن هؤلاء ببعض وهؤلاء ببعض
 والسادس الدين أخذ هؤلاء بدين ومن هذا الباب قوله تعالى { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ
 النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } البقرة 113 وقد روی عن ابن
 عباس رضي الله عنهما أنه قال اختصمت اليهود بالمدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه
 وسلم فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ولا يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وكفروا
 بالإنجيل وعيسى وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وكفروا بالتوراة وموسى فأنزل الله
 هذه الآية والتي قبلها واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط فالخارجي يقول ليس الشيعي
 على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء والقديري النافي يقول ليس المثبت على شيء
 والقديري الجيري المثبت يقول ليس النافي على شيء والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء
 والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب
 الأصولية والفروعية 448

"هَلْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمْمَاءِ مَنْ بَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ"

منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 260 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 516 و الجواب 448

الصحيح ج: 2 ص: 259

ومثل ذلك ما رواه مسلم أيضاً عن عبد الله بن رباح الأنباري أن عبد الله ابن عمرو قال هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب فعمل غضبه صلى الله عليه وسلم بأن الاختلاف في الكتاب هو كان سبب هلاك من قبلنا وذلك يوجب مجازبة طريقهم في هذا عيناً وفي غيره نوعاً والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان أحدهما قد يكون المختلفون كلهم على باطل فإنه يننم الطائفتين جميعاً كما في قوله **{وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} 119** هود 118-119

جعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين وذم المؤمنون وذم فيه الأخرى كما في قوله تعالى **{إِنَّا نَعْلَمُ الرُّسُلَ فَضَلَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مَنْ مَنَ كَلَمُ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَنَّا نَعْلَمُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا مَانَ أَفْتَنَنَاهُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدُ مَا جَاءَنَّهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَاهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ}** البقرة 253

قوله **(وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ)** حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون 449 وذم للآخر 253

''المراء في القرآن كفر''

ومن الأمور التي نهى الله عنها في كتابه الفرق والاختلاف كقوله **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْقِرُوا}** آل عمران 103 إلى قوله **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَنْقِرُونَ وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيْنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** 105 يوم بياض وجوه وتسود وجوه **{يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوُدُ وُجُوهٌ}** آل عمران 106-105 قال ابن عباس تبييض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَانِ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}** الأنعام 159 وقال تعالى **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}** الروم 30 إلى قوله تعالى **{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** 31 **{مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَانِ}** 32 الروم 32-30 وقد ذم أهل التفرق والاختلاف في مثل قوله **{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَنَّهُمُ الْبَيْنَةُ}** البينة 4 وفي مثل قوله **{وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ} 118 {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} 119** هود 119-118 وفي مثل قوله **{وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}** البقرة 176 وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله كالحديث المشهور عنه الذي رواه مسلم ببعضه عن عبد الله بن عمرو وسائره معروفة في مسنن أحمد وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتلاظرون في القدر ورجل يقول ألم يقول الله كذا ورجل يقول ألم يقول الله كذا فكانما فقيء في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله ببعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه ببعض لا ليكذب بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتكم عنه فاجتنبوه هذا الحديث أو نحوه وكذلك قوله **المراء في القرآن كفر** وكذلك ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ}** آل عمران 7 إلى قوله **{فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَنْتَهُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}**

{آل عمران 7} فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ سَمِيَ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ⁴⁵⁰

"هَلْكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكُثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ"

أن الخلاف ما زال بينبني آدم من زمن نوح واختلاف الناس قبل المسلمين أعظم بكثير من اختلاف المسلمين وقد قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنَزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُنَّهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْدِهِمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم اختلفوا بعد ذلك وقال تعالى {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أَمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا
{يونس 19} وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ} 118
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَدَلِكَ خَلَقْتُمْ} 119 هود 118-119 وقال الملاك لما قال تعالى {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَحْنُنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُفَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} البقرة 30 وقد أخبر الله تعالى أن ابني آدم قتل أحدهما أخيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها فإنه أول من سن القتل وقال تعالى {تَنَاهَ الرَّسُولُ فَضَلَّلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتَ وَآتَيْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَنَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدِ مَا جَاءُنَّهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَنَّ وَلَكِنَّ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} البقرة 253

وقد قال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران 105
فهذه نصوص القرآن تخبر بالاختلاف والتفرق الذي كان في الأمم قبلنا وقال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه وافتربت النصارى على اثنتين وسبعين فرقه وقد أخبر الله من تكذيب قوم عاد وثمود وفرعون لأنبيائهم ما فيه عبرة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذروني ماتركتكم فاما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
⁴⁵¹

اتبع الناس للرسول أقلهم اختلافا

قال تعالى {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَيِّنَاتٍ يَتَهَوَّنُ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مَمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} 116 وما كان ربكم ليهلك القرى

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {119} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {118}
119-116 فان القوم كلما بدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم في تفرقهم واختلافهم فانهم يكونوا أضل كما في الحديث الذي رواه الترمذى عن ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ قوله { ما ضرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَسِيمُونَ } الزخرف 58 إذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا كتاب منزل ونبي مرسى كما قال تعالى { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَنَّهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْدَيْنَ فَهَذِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَأْذَنُهُ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } البقرة 213 ولهاذا قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ثَوْبًا } النساء 59 وقد انزل مع رسليه الكتاب والميزان كما قال تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُولَمُ النَّاسُ بِالْقُسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَتَصْرُفُ وَرَسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحديد 25 وقال { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } الشورى 17 والميزان
 قال كثير من المفسرين هو العدل وقال بعضهم هو ما به توزن الامور وهو ما به يعرف العدل وكذلك قالوا في قوله { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ } الرحمن 7 الامثال المضروبة والاقيسة العقلية التي تجمع بين المتماثلات وتفرق بين المخالفات وقد امر الله بالجماعة والاختلاف ونهى عن الفرقه والاختلاف فقال تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَزَّلُوا } آل عمران 103 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وقال { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَرُّقُوا وَأَخْتَلُقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 وقد اخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى { وَلَا يَرَوْنَ أُولَئِنَّ مُخْتَلِفِينَ } 118 إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ {119} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {118}
 ولهاذا يوجد اتبع الناس للرسول اقلهم اختلافا كأهل الحديث والسنن فانهم اقل اختلافا من جميع الطوائف ثم من كان إليهم اقرب من جميع الطوائف المنتسبة الى السنن كانوا اقل اختلافا فاما من بعد من السنن كالمعتزلة والرافضة فتجدهم اكثر الطوائف اختلافا 452
453 سورة هود الآياتان 118-119

الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 334 و مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 230

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 155

أهل الرحمة الذين لا يختلفون

ولم يشرع الله لنبي من الأنبياء أن يبعد غير الله البتة قال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّٰٓيْنِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللّٰٓيِّنِ} 30 ثم قال {مُنَبِّيِّنَ إِلَيْهِ وَانَّقُوَهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 31 من الذين فَرَّقُوا دِيَّنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَّحُونَ} 32 الروم 32-31 فأهل الإشراك متفرقون وأهل الإخلاص متلقون وقد قال تعالى {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} 118 **إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِكَ حَلَقُهُمْ} 119 هود 118-119 فأهل الرحمة مجتمعون متلقون والمشركون فرقوا بينهم وكانوا شيئاً ولهاذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع يفترق أهله فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخدونه نداً من دون الله فيقررون له ويستعينون به ويسركون به وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست لآخرين كما كان أهل المدينة يهلوون لمناة الثالثة الأخرى ويتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة حتى أنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو هذا الشرك كالذين يتخذون القبور وأثار الأنبياء والصالحين مساجد تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستعانة والتوجه من لا تعظمه الطائفة الأخرى بخلاف أهل التوحيد فإنهم يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئاً في بيته التي قد أذن الله أن ترفع ويدرك فيها اسمه مع أنه قد جعل لهم الأرض كلها مسجداً وطهوراً وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد لم يوجب ذلك لهم تفرقوا ولا اختلافاً بل هم يعلمون أن المصيبة منهم له أجران وأن المجتهد المخطيء له أجر على اجتهاده وخطوه مغفور له والله هو معبودهم وحده إياه يعبدون عليه يتوكلون وله يخشون ويرجون وبه يستعينون ويستعينون وله يدعون ويسألون⁴⁵⁴**

ولست تجد اتفاقاً واختلافاً إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما يتبع ذلك ولا تجد افتراقاً واختلافاً إلا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه قال تعالى {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} 118 **إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِكَ حَلَقُهُمْ} 119 هود 118-119 فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك⁴⁵⁵**

ولم يستوعب الحق إلا من اتبع المهاجرين والأنصار وآمن بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكره ببعض وهؤلاء هم أهل الرحمة الذين لا يختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال

تعالى { وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ }⁴⁵⁶ { إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ وَلَذِكَ خَلْقُهُ }⁴⁵⁷ هود: 119-118

عامة ما تنازع فيه الناس يكون مع هؤلاء بعض الحق وقد تركوا بعضاً وكذلك مع الآخرين ولا يشتبه على الناس الباطل المحسن بل لا بد أن يشاب بشيء من الحق فلهذا { لَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ }⁴⁵⁸ { إِلَّا مَنْ رَحْمَ رَبُّكَ }⁴⁵⁹ هود: 118-119 فإنهم هم الذين آمنوا بالحق كله وصدقوا كل طائفة فيما قالوه من الحق فهم جاءوا بالصدق وصدقوا به فلا يختلفون

علم الله سبحانه من لوازمه نفسه

الواحد من الناس إذا أراد أن يعمل عملاً قدر في نفسه ما يريد عمله ثم عمله كما قدر في نفسه وربما أظهر ما قدره في الخارج بصورته ويسمى هذا التقدير الذي في النفس خلقاً ومنه قول الشاعر ولأنك تفري ما خلقت وبعضاً الناس يخلق ثم لا يفرّ يقول إذا قدرت أمراً أمضيته وإنفذه بخلاف غيرك فإنه عاجز عن إمساء ما يقدره وقال تعالى { إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ إِنْدَرٌ } القمر: 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئة فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما في قوله { لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }⁴⁵⁸ هود: 119

فإن الله قد أخبر بما يكون من أفعال العباد قبل أن تكون بل أعلم بذلك من شاء من ملائكته وغير ملائكته و قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ }⁴⁵⁹ 96 { وَلَوْ جَاءُهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }⁴⁶⁰ يونس: 96-97 و قال { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْنَاهُمْ أَمْ لَمْ نُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }⁴⁶¹ البقرة: 6 وهذا خبر عن المستقبل وأنهم لا يؤمنون و قال تعالى { لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ }⁴⁶² ص: 85 و قال { وَلَكِنْ حَقَّ الْقُولُ مِنِي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }⁴⁶³ السجدة: 13 وهذا قسم منه على ذلك وهو الصادق البار في قسمه وصدقه مستلزم لعلمه بما أقسم عليه وهو دليل على أنه قادر على ذلك وقد يستدل به على أنه خالق أفعال العباد إذ لو كانت أفعالهم غير مقدرة له لم يمكنه أن يملأ جهنم بل كان ذلك إليهم إن شاؤا عصوه فملأوها وإن شاؤا أطاعوه فلم يملأها لكن قد يقال أنه علم أنهم يعصونه فأقسم على جزائهم على ذلك وقد يجاب عن ذلك بأن علمه بالمستقبل قبل أن يكون مستلزم لخلقه له فإنه

مجمع الفتاوى ج: 13 ص: 131⁴⁵⁶

مجمع الفتاوى ج: 8 ص: 37⁴⁵⁷

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 381⁴⁵⁸

سبحانه لا يستقيد العلم من غيره كالملائكة والبشر ولكن علمه من لوازمه نفسه فلو كانت أفعاله خارجة عن مقدوره ومراده لم يجب أن يعلمها كما يعلم مخلوقاته وبسط هذا له موضع آخر⁴⁵⁹

مشيئه الله العامة الكونية

وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء أنه لا حاجة إليه لأن المطلوب إن كان مقدراً فلا حاجة إليه وإن لم يكن مقدراً لم ينفع وهذا القول من أفسد الأقوال شرعاً وعقلاً وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضره وإنما هو عبادة محضة وإن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التقويض المحض وهذا وإن كان قاله طائفة من المشايخ فهو غلط أيضاً وكذلك قول من قال الدعاء إنما هو عبادة محضة فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضاً تكون من العبد ولم يعلموا أن الله سبحانه يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم يوجب تعطيل العمال بالكلية وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا مرات فأجاب عنه كما أخرجه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا ففي العمل قال كل ميسر لما خلق له وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمحصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس متفوسة إلا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل من القوم يا النبي الله أفلأ نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فيبسرن للسعادة وأما أهل الشقاوة فيبسرن للشقاوة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الليل فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنسره للعسرى أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد وروى الترمذى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتدوى بها ورقى نسترقى بها وتقي نتقىها أترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث فيبين صلى الله عليه وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقى لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فإنه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقى يشقى بالأعمال السيئة فمن كان سعيداً يبسر للأعمال الصالحة والشقى يشقى بالأعمال السيئة فمن كان للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة كلامهما ميسر لما خلق له وهو ما يشير إليه من مشيئه الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى {وَلُؤْ شَاءْ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ} ^{118} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ} ^{119} هود 118-119 وأما ما خلقوا له من

محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمره بموجباتها فذلك مذكور في قوله الذاريات {وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56⁴⁶⁰

{ ولذلك خلقهم }

(فيه نقص) وإنما زعم بعض الناس ذلك في قوله { ولذلك خلقهم } هود 119 التي في آخر سورة هود فإن بعض القدرة زعم أن تلك اللام لام العاقبة والصبرورة أي صارت عاقبتهم إلى الرحمة وإلى الاختلاف وإن لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك كقوله { فَلَنْقَطْهُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَرَنَا إِنْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ } القصص 8 وقول الشاعر لدوا للموت وابنوا للخراب وهذا أيضا ضعيف هنا لأن لام العاقبة إنما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب الأمور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كآل فرعون فاما من يكون عالما بعواقب الأفعال ومصايرها فلا يتصور منه أن يفعل فعلًا له عاقبة لا يعلم عاقبته وإذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم أنه لا يكون فإن ذلك تمن وليس بإرادة وأما اللام فهي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي إذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية وهي متقدمة في العلم والإرادة متاخرة في الوجود والحصول وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف أن الإرادة في كتاب الله على نوعين أحدهما الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن وهذه الإرادة في مثل قوله { فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصَدَّعُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 125 وقوله { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَوِّيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } هود 34 وقال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يُرِيدُ } البقرة 253 وقال تعالى { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّاتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِإِلَهٍ } الكهف 39 وأمثال ذلك وهذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّأُونَ مُخْتَلِفِينَ } 118 { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقَهُمْ } 119 هود 118-119 قال السلف خلق فريقا للاختلاف وفريقا للرحمة ولما كانت الرحمة هنا الإرادة وهناك كونية وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحموا⁴⁶¹

اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية كما في قوله تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْيَسَ لَكُمْ } النساء 26 وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله تعالى { وَلَا يَزَّأُونَ مُخْتَلِفِينَ } 118 { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقَهُمْ } 119 هود 118-119 أى خلق قوما للاختلاف وقوله للرحمة⁴⁶²

أمراض القلوب ج: 1 ص: 45 - 46 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 46⁴⁶⁰

دقائق التفسير ج: 2 ص: 527⁴⁶¹

مجمع الفتاوى ج: 4 ص: 237⁴⁶²

لا تمتليء جهنم الا من أتباع ابليس من الجنة والناس

فإن الله تعالى لا يضعف السينات بغير عمل صاحبها ولا يجزي الإنسان في الآخرة إلا بما عملت نفسه ولا تمتليء جهنم إلا من أتباع ابليس من الجنة والناس كما قال تعالى **{إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَدَلِكَ خَلَقُوكُمْ وَتَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}** {هود 119} ⁴⁶³

قال تعالى عن النار **{كُلَّمَا أَلْقَيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالَّهُمْ حَرَّنَّهَا أَلَمْ يَأْتُكُمْ نَذِيرٌ}** {8} قالوا بل قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنت إلا في ضلال كثير ⁴⁶⁴ {9} الملك 8-9 فقد أخبر سبحانه وتعالي بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سالم الخزنة هل جاءهم نذير فيعرفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأته نذير لم يدخل النار وقال تعالى لإبليس **{لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَكَ وَمِنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}** {ص 85} فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنبًا لم يطعه فلا يكون من تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول فقط وبينزو بعضها إلى بعض أي تقول حسيبي حسيبي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة هكذا روى في الصحاح من غير وجه وقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه فيسائر المواقع على الصواب لبيان غلط هذا الرواية كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواية غلط في لفظ ذكر الفاظ سائر الرواية التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري والذي أنكر على الشعبيين أحاديث قليلة جدا وأما سائر متونهما فمما انفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقينها بالقبول لا يستريبون في ذلك وقد قال تعالى **{إِيَّا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِيَّ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا شَهَدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّنَّاهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}** {130} ذلك أن لم يكن ربكم مهلك القرى بظلم وأهلهما غافلون ⁴⁶⁵ {الأنعام 130-131} فقط خاطب الجن والإنس واعتبر المخاطبون بأنهم جاءتهم رسائل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيمة ثم قال **{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}** ⁴⁶⁶ الآية 131 أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلا ما لم يأته نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضًا على أن ذلك ظلم تنزعه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكهم بظلم بل كييفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية الجبرية وقد قال تعالى **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكُ الْقَرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولاً يَتَلَوَّ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كَانَ مُهْلِكُ الْقَرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}** ⁴⁶⁷ الفصل 59 وقال تعالى **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُسْلِمُونَ}** ⁴⁶⁸ هود 117 وقال تعالى **{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا}** طه 112 قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سينات غيره والهضم أن ينقص من حسناته فجعل

سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلماً ونزع نفسه عنه و مثل هذا كثير قوله { لها ما كسبتْ وَ عَلَيْها مَا اكتسبتْ } البقرة 286 قوله { وَلَا تَزِرُ وَازْرَةٌ وِزْرَ أَخْرَى } الأنعام 164 وكذلك قوله { لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ وَقْدَ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ } 28 مَا يُبَدِّلُ الْقُولُ لَدَيْ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ } 29 فـ 28-29 في بين سبحانه أنه قدم بالوعيد وأنه ليس بظلام للعبد كما قال في الآية الأخرى { ذَلِكَ مِنْ أَنَبَاءِ الْقُرْآنِ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ شَيْبٍ } 101 هود 100-101 فهو سبحانه نزع نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم فمن لم يكن ظالماً لنفسه تكون عقوبته ظالماً تنتزه الله عنه وقال في الآية الأخرى { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ } 74 { لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ } 75 وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين } 76 الزخرف 74-76⁴⁶⁴

أهل السنة لا ينفون عن الله سبحانه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم

عن مواضعه

فاعتقد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايام بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكفيون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } 180 { وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } 181 { وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 182 الصافات 180-182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيوب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الدين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن قوله سبحانه { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } هود 119⁴⁶⁵

صيغة الجمع في كلام العرب للواحد العظيم

قال تعالى {وَكُلًاً نَّصْ عَلَيْكِ مِنْ أَنْبَاء الرُّسُلِ مَا تُبَثِّبُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} هود 120 ذكر بصيغة الجمع {نَّصْ عَلَيْكِ} هود 120 او {عَلَيْنَا جَمْعَةٌ وَقُرْآنٌ} القيامة 17 او {عَلَيْنَا بَيَانٌ} القيامة 19 فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله عز وجل واما قوله نتلو ونقول ونحوه فهو بهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعون يطیعونه فإذا فعل أعونه فعلا بأمره قال نحن فعلنا كما يقول الملك نحن فتحنا هذا البلد وهو منا هذا الجيش ونحو ذلك⁴⁶⁶

أحوال الامم الماضية يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة

قال تعالى {وَكُلًاً نَّصْ عَلَيْكِ مِنْ أَنْبَاء الرُّسُلِ مَا تُبَثِّبُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} هود 120 وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتثبيت ليتأسى بهم في الصبر على ما كذبوا وأوذوا⁴⁶⁷

وقال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَنَّا لِمَنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُنَفَّقِينَ} النور 34 وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التي يعتبر

بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة كما قال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} يوسف 111 فمن كان من أهل الایمان قيس بهم وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشق عليه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الرُّبُرِ} القمر 43 وقد قال {لَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدِّيْنَ} آل عمران 137 وقال في حق المؤمنين {وَعَدَ اللَّهُ الدِّيْنَ أَمْنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفُوهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} النور 55 وقال {وَإِذَا النُّونِ إِذْ دَهَنَ مُغَاضِبًا فَطَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ إِنَّ لَأَنَّ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 87 {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْغَمَّ وَكَذَلِكَ نُنْهِي الْمُؤْمِنِينَ} الأنبياء 87-88 وقال في قصة أبوبكر {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلُهُمْ مَعْهُمْ رَحْمَةً مِنْ عَنْدِنَا وَذِكْرٌ لِلْعَابِدِينَ} الأنبياء 84 {رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ} ص 43 وقال {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَهُدَاهُمْ أَقْدِهِ} الأنعام 90 وقال

{أَمْ حَسِبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَا يَأْتُكُم مَّثُلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا
حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} البقرة 214

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمدون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وأياته ولا يكفيون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه {وَلَهُ عِنْدُهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ
الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} هود 123

ختم السورة و افتتحها بالتوحيد والإيمان بالرسل

وقد ختم السورة بقوله {وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتُكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ} 121
وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ 122 {وَلَهُ عِنْدُهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} 123 هود 121-123 كما افتتحها بقوله {أَلَا تَعْبُدُوا
إِلَّا اللَّهُ} هود 2 ذكر التوحيد والإيمان بالرسل لهذا دين الله في الأولين والآخرين قال أبو العالية
كلماتان يسأل عنها الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبرتم المرسلين ولهذا قال
{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجْبَتُمُ الْمُرْسَلِينَ} القصص 65 و {أَيْنَ شَرِكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَرْعُمُونَ} القصص 62 هو الشرك في العبادة وهذا دين الله والإسلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ تارة في ركعتي الفجر سورة الإخلاص وتارة بأيتها الإيمان والإسلام فيقرأ
قوله {أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا} البقرة 136 الآية (او هذه الآية لم اعرف من المقصود) {أَمَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا} آل عمران 84 فأولها الإيمان وأخرها الإسلام ويقرأ في الثانية {قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَلَّوْ إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ أَلَا
لَهُ وَآخِرُهَا إِلَلَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

مجمع الفتاوى ج: 13 ص: 16-17⁴⁶⁸

الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 13⁴⁶⁹

وَقُولُوا آمَّا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ لِكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } العنكبوت 46
ففيها الإيمان والإسلام في آخرها وقال { الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } 69 } ادْخُلُوا الْجَنَّةَ
أَنْتُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ ثُجُبُرُونَ } 70 } الزخرف 69-70

توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه

توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به وهو أن لا يعبد إلا إياه ولا يعبد إلا بطاعته
وطاعة رسوله فمن استشعر هذا في قوله { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } الأنبياء 87 كان عابداً متوكلاً عليه
وكان ممثلاً قوله { وَقَاعِدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبْ } هود 88
وقوله { وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّلِّا } 8 } ربُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } 9 } المزمل 8-9

فإن ما في القلب من معرفة الله ومحبته وخشيته وإخلاص الدين له وخوفه ورجائه والتصديق
بأخباره وغير ذلك مما يتباين الناس فيه ويتناقضون تقاضلاً عظيماً ويقوى ذلك كلما ازداد العبد
تدبراً للقرآن وفهمه ومعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته وتقره إليه في عبادته واستغله به بحيث
يجد اضطراره إلى أن يكون تعالى معبوده ومستغله أعظم من اضطراره إلى الأكل والشرب فإنه
لا صلاح له إلا بأن يكون الله هو معبوده الذي يطمئن إليه ويأنس به وبإذن ذكره ويستريح به ولا
حصول لهذا إلا بإعانته الله ومتنى كان للقلب إله غير الله فسد و Hulk هلاكاً لا صلاح معه ومتى لم
يعنه الله على ذلك لم يصلحه ولا حول ولا قوة إلا به ولا ملجاً ولا منجاً منه إلا إليه

والمؤمن يجد نفسه محتاجة إلى الله في تحصيل مطالبه ويجد في قلبه محبة الله غير هذا فهو
محتاج إلى الله من جهة أنه ربه ومن جهة أنه إلهه قال تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5
فلا بد أن يكون العبد عابداً لله ولا بد أن يكون مستعيناً به ولهذا كان هذا فرضاً على
كل مسلم أن يقوله في صلاته وهذه الكلمة بين العبد وبين رب وقد روى عن الحسن
البصري رحمه الله أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع سرها في الأربعه وجمع سر
ال الأربعه في القرآن وجمع سر القرآن في الفاتحة وجمع سر الفاتحة في هاتين الكلمتين { إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 ولهذا ثناها الله في كتابه في غير موضع من القرآن كقوله {
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا } الممتحنة 4 وقوله { عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبْ } هود 88 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } الرعد 30 وقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } 2 } وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسَبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } 3 } الطلاق 2
3 وقد قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 ولهذا قال النبي صلى

مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 104⁴⁷⁰

فإن خلو الحي عن الارادة مطلقاً محال فإن لم يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه أحب ما تحبه نفسه وابغض ما تبغضه نفسه فيخرج عن الفرق الالهي النبوى الذي هو حقيقة قول لا إله إلا الله وحقيقة دين الاسلام الى الفرق النفسي الشيطانى ثم هؤلاء صاروا فرقاً اما ابن سينا وامثاله من الملاحدة فانهم يأمرتون بهذا مع سائر الحادهم من نفي الصفات وقدم الافلاك وانكار معاد الابدان وجعل النبوة تتال بالكسب كالذكاء والزهد وإنما يفيض عليها فيفض من العقل الفعال فيخرج من دين المسلمين واليهود والنصارى بل الفناء المحمود عند العارفين هو تحقيق شهادة إن لا إله إلا الله فلا يشهد لمخلوق شيئاً من الالهية فيشهد أنه لا خالق غيره ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره ويتحقق بحقيقة قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة: 5 قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود: 123

والإذا شهدت انه المستحق للعبادة مع رؤيتك نفسك لم تشهد حقيقة ايها تستعين وإذا شهدت حقيقة انه الفاعل لكل شيء ولم تشهد انه المستحق للعبادة دون ما سواه وإن عبادته إنما تكون بطاعة رسوله لم تشهد حقيقة ايها نعبد وإذا تحققت بقوله ايها نعبد واياها تستعين تحققت بالفناء في التوحيد الذي بعث الله به رسالته ونزل به كتبه قال الله تعالى {وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَلَّ إِلَيْهِ تَبَّيِّنًا} 8 {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} 9 المزمول: 8-9 وقال تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود: 123 وقال تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا} 2 {وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} 3 الطلاق: 2-3 وقال تعالى {قُلْ هُوَ رَبُّ الْإِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَئَابٌ} الرعد: 30

توحيد الالهية هو الفارق بين الموحدين والمشركيين

كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول ربنا و لك الحمد ملء السماء و ملء الأرض و ملء ما بينهما و ملء ما

منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 394⁴⁷³

الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 520-521⁴⁷⁴

شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحقر ما قال العبد و كلنا لك عبد فهذا حمد و هو شكر الله تعالى و بيان أن حمده أحقر ما قاله العبد ثم يقول بعد ذلك اللهم لامانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت و لا ينفع ذا الجد منك الجد وهذا تحقيق لوحديانيته لتوحيد الربوبية خلقا و قdra و بداية و هداية هو المعطى المانع لامانع لما أعطى و لا معطى لاما منع و لتوحيد الالهية شرعا و أمرا و نهيا و هو أن العباد و إن كانوا يعطون ملكا و عظمة و بخنا و رياسة في الظاهر أو في الباطن كأصحاب المكافئات و التصرفات الخارقة فلا ينفع ذا الجد منك الجد أي لاينجيه و لا يخلصه من سؤالك و حسابك حظه و عظمته و غناه ولهذا قال لاينفعه منك و لم يقل لاينفعه عندك فإنه لو قيل ذلك أو هم أنه لا يتقرب به إليك لكن قد لا يضره فيقول صاحب الجد إذا سلمت من العذاب في الآخرة فما أبالى كالذين أوتوا النبوة والملك لهم ملك في الدنيا و هم من السعداء فقد يظن ذو الجد الذي لم يعمل بطاعة الله من بعده أنه كذلك فقال ولا ينفع ذا الجد منك ضمن ينفع معنى ينجي و يخلص فبين أن جده لا ينجيه من العذاب بل يستحق بذنبه ما يستحقه أمثاله و لا ينفعه جده منك فلا ينجيه و لا يخلصه فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد و تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 و قوله {عَلَيْهِ تَوَكُّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 و قوله {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّلَّ إِلَيْهِ تَبَّلِّا} 8 رب المشرق والمغارب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا 9 المزمل 9-8 فقوله لامانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت توحيد الربوبية الذي يقتضي أنه سبحانه هو الذي يسأل و يدعى و يتوكلا عليه وهو سبب لتوحيد الالهية و دليل عليه كما يحتاج به في القرآن على المشركين فأن المشركين كانوا يقررون بهذا التوحيد توحيد الربوبية و مع هذا يشركون بالله فيجعلون له أندادا يحبونهم كحب الله و يقولون إنهم شفاؤنا عنده و إنهم يتقربون بهم إليه فيتخذونهم شفعاء و قربانا كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءُ شَفَاعَةٍ عَنْ اللَّهِ} يونس 18 و قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} الزمر 3 و قال تعالى {وَلَقَدْ أَهْلَكَنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} 27 فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الله بل ضلوا عنهم و ذلك إفكهم وما كانوا يفترون 28 الأحقاف 27-28 وهذا التوحيد هو عبادة الله و حده لا شريك له و أن لأنعبد إلا بما أحبه و ما رضيه و هو ما أمر به و شرعيه على ألسن رسليه صلوات الله عليهم فهو متضمن لطاعته و طاعة رسوله و موالاة أوليائه و معاداة أعدائه و أن يكون الله و رسوله أحب إلى العبد من كل ما سواهما وهو يتضمن أن يحب الله حبا لا يماته و لا يساويه فيه غيره بل يقتضي أن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه فإذا كان الرسول لأجل أنه رسول الله يجب أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه فكيف بربه سبحانه و تعالى وفي صحيح البخاري أن عمر قال يارسول الله و الله إنك لأحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك قال فو الذي بعثك بالحق إنك لأحب إلي من نفسي قال الأن ياعمر وقد قال تعالى {النَّبِيُّ أَوَّلُى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} الأحزاب 6 و قال تعالى {فَإِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَفُهُمْ وَهَا وَتَجَارَةً تَخْشُونَ كُسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} التوبه 24 فان لم يكن الله و رسوله و الجهاد في سبيله أحب إلى العبد من الأهل و المال على اختلاف أنواعه فإنه داخل تحت هذا الوعيد فهذا التوحيد توحيد الالهية يتضمن فعل المأمور و ترك المحظور ومن ذلك الصبر على المقدور كما أن الأول يتضمن الإقرار بأنه لا خالق و لا رازق معطى و لا مانع إلا الله و حده فيقتضي أن لا يسأل العبد غيره و لا يتوكلا عليه و لا يستعين إلا به كما قال تعالى في النوعين {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و قال {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123

وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين و المشركين و عليه يقع الجزاء و الثواب في الأولى و الآخرة فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون

ذلك لمن يشاء أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون و كانوا يعبدون مع الله غيره و يحبونهم كما يحبونه فكان ذلك التوحيد الذي هو توحيد الربوبية حجة عليهم فإذا كان الله هو رب كل شيء و ملكيه و لا خالق و لا رازق إلا هو فلماذا يعبدون غيره معه و ليس له عليهم خلق و لا رزق و لا بيده لهم منع و لا عطاء بل هو عبد مثلهم لا يملك لنفسه ضرا و لانفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا فان قالوا ليشفع فقد قال الله { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 فلا يشفع من له شفاعة من الملائكة و النبيين إلا باذنه و أما قبورهم و ما نصب عليها من قباب و أنصاب أو تماثيلهم التي مثلت على صورهم مجسدة أو مرقومة فجعل الاستشفاع بها استشفاعا بهم فهذا باطل عقلا و شرعا فانها لاشفاعة لها بحال و لا لسائر الأصنام التي عملت للكواكب و الجن و الصالحين و غيرهم 475

عامة الأسماء يتتنوع مسماؤها بالاطلاق والتقييد

قال تعالى {وَلَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } هود 123 عامة الأسماء يتتنوع مسمها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } الذاريات 56 وفي قوله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شَرِكُوا بِهِ شَيْئاً } النساء 36 وقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ } البقرة 21 وقوله {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } فاعبد الله مخلصاً له الدين الزمر 2 {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي } الزمر 14 وقوله {أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ } الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح {أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتُوْهُ وَأَطِيعُونَ } نوح 3⁴⁷⁶

وهناك طائفة هم مستمدون بالدين في اداء الفرائض المشهوره واجتناب المحرمات المشهوره لكن يغلطون في ترك ما امرؤا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قادر الاشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاح آبائهم وبعمل اهل الجنة يعلمون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا

⁴⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 376-380 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 128

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163 ⁴⁷⁶

اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسيسر لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكيل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } الرعد 3 وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ومنهم طائفة قد ترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكافحة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم بما امر به من العبادة والشك ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيرة ما تعرض لأهل السلوك والتوجيه وإنما ينجو العبد منها بخلافة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهرى كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمة الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق لا فإن قيل فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقول نوح { أَنْ اَعْبُدُو اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَاطِّبِعُونَ } نوح 3 وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } العنکبوت 45 والفحشاء من المنكر وكذلك قوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعُدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْتَّبْغِي } النحل 90 وآياته ذي القربى هو من العدل والاحسان كما ان الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله { وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } الأعراف 170 واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا } الأنبياء 90 ودعاؤهم رغبا ورهبا من الخيرات وامثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الاخر فيعطى عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تتبع بحال الانفراد والاقتران فاذا افرد عم اذا قرن بغیره خص كاسم الفقير و المسكين لما افرد احدهما في مثل قوله { لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } البقرة 273 وقوله { اطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ } المائدة 89 دخل فيه الآخر ولما قرن بينهما في قوله { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ } التوبه 60

صارا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال اقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق ان هذا ليس لازما قال تعالى { مَنْ كَانَ عُدُواً لِّلَّهِ وَمُلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجِرِيلِ وَمِيكَالِ } البقرة 98 وقال تعالى { وَإِذَا أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَلَّهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحِ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } الأحزاب 7 وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح وابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله { هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } 2 الدين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون } 3 والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } 4 البقرة 4-2 فقوله { يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } 3 البقرة 3 يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به لكن فيه اجمال فليس فيه دلالة على ان من الغيب ما انزل اليك وما انزل من قبلك وقد يكون المقصود انهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب وبالاخبار بالغيب وهو ما انزل إليك وما انزل من قبلك ومن هذا الباب قوله تعالى { إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } العنکبوت 45 وقوله { وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } الأعراف 170 و تلاوة الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَّنُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } البقرة 121 قال يحللون حلاله ويحرمون حرامه ويؤمنون بمشابهته ويعلمون بمحكمه فتابع الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيدتها وكذلك قوله لموسى { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } طه 14 واقامة الصلاة لذكره من اجل عبادته وكذلك قوله تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ } المائدة 35 وقوله { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوئُنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } التوبه 119 فإن هذه الامور هي ايضا من تمام تقوى الله وكذلك قوله { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 فان التوكيل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصها فانها هي

العون على سائر انواع العبادة اذ هو سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجه ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجهه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم قال تعالى { وَقَالُوا أَنْخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكَرْمُونَ }^{26} لا يُسْقِنُهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ }^{27}

الأنبياء 26-27 الى قوله { وَهُمْ مِّنْ حَشِّيَّتِهِ مُشْفِقُونَ }^{28} الأنبياء 28 ⁴⁷⁷

من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه

ان الإيمان والتوحيد لابد فيما من عمل القلب كحب القلب فلا بد من اخلاص الدين الله والدين لا يكون دينا الا بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة وقد انزل الله عز وجل سورتي الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد احدهما في توحيد القول والعلم والثانية في توحيد العمل

والارادة فقال في الأول { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }^{1} الله الصمد {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُورًا {4} الاصلاص 4 فأمره ان يقول هذا التوحيد وقال في الثاني { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ }^{1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} أَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} الكافرون 6 فأمره ان يقول ما يوجب البراءة من عباده غير الله واحلاص العبادة لله و العبادة اصلها القصد والارادة والعبادة اذا افردت دخل فيها التوكل ونحوه اذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيما لها كما ذكرنا في لفظ الإيمان قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ }^{5} الذاريات 56 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ }^{6} البقرة 21 فهذا ونحوه يدخل فيه فعل المأمورات وترك المحظورات والتوكيل من ذلك وقد قال في موضع آخر { إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ }^{5} الفاتحة 5 وقال **{ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ }** هود 123 ⁴⁷⁸ ومثل هذا كثير ما يجيء في القرآن تتبع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب الأفراد والأقران

وقد أمر الله بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجناة ونهى عن التوكل على غير الله قال تعالى **{ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ }** هود 123

الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 375-378 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 173-181⁴⁷⁷

مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 274 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361⁴⁷⁸

وأما قوله { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَانَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }⁴⁷⁹ الانفال 2 فيقال من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الایمان الثابتة فيه بحيث اذا كان الانسان مؤمنا لزمه ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له

قطب رحى الدين

فتوحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة هي قطب رحى الدين وذلك أن العبد بل كل حى بل وكل مخلوق سوى الله هو فقير تحتاج الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحى هي من جنس النعيم واللذة والمضررة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرین أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذى يتყع ويلتذ به والثانى هو المعين الموصى المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكرور وهذا هما الشيئان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثانى أمر مكرور بعض مطلوب عدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب المحبوب والرابع الوسيلة الى دفع المكرور وهذه الأربعة الأمور ضرورية للعبد بل ولكل حى لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحى فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فيبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله تعالى هو الذى يحب أن يكون هو المقصود المدعى المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكرور وهو المعين على دفع المكرور فهو سبحانه الجامع للأمور الأربع دون ما سواه وهذا معنى قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذى يسعن به على المطلوب فالأول من معنى الألوهية والثانى من معنى الربوبية إذ الإله هو الذى يؤله فيبعد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما والرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها وكذلك قوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } الممتحنة 4 قوله تعالى { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } وَسَبَّحَ بِحَمْدِهِ } الفرقان 58 قوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } الرعد 30 قوله { وَإِذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّئِنْ إِلَيْهِ تَبَتِّيلًا } 8 } رب المشرق والمغارب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً } المزمل 9 }⁴⁸⁰ فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين

لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب

و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وقال ربكم أدعوني أستحب لكم} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى {ولَا تدع مع الله إلاها آخر} الفصل 88 فان الدعاء في هذه الموضع يراد به نفس اتخاذ المدعو ربا و إليها بحيث يسأل و يعبد و قد فصل معنى الدعاء بقوله {إياك تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وفي قوله {عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 و نحو ذلك من الآي فهو يعبد من حيث هو الله و يسأل من حيث هو رب و إن كان كل عابد سائلا و طالبا و كل سائل عابدا و قاصدا من جهة الإلتزام فسميت العبادات لله المحضة مثل الصلاة و الذكر و السؤال و الركوع و السجود و الطواف صلاة أو هي دعاء الله و عبادة الله بلا توسط شيء آخر و لهذا قال ابن مسعود ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة و إن كنت في السوق⁴⁸¹

ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح النفس وهو عبادة الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقد قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 فالغاية الحميـدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب و لا تصلح النفس وتزکو وتکمل إلا بهذا لـفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبـا للإله المعبد كمال الحب و لا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يعبدـه ومن خضع له ولم يحبـه لم يعبدـه وكمال الحب والذل لا يصلح إلا الله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكـل والعبادة فالنفوس محتاجـة إلى الله من حيث هو معبودـها ومتـهى مرادـها وبغيـتها ومن حيث هو ربـها وخلـقه فمن آمن بالله ربـ كل شيء وخلـقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحبـ إليه من كل ما سواه وأخـشـى عنده من كل ما سواه وأعـظم عنده من كل ما سواه وأرجـى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقـات في الحبـ بحيث يحبـه مثل ما يحبـ الله ويخشـاه مثل ما يخشـى اللهـ ويرجـوه مثل ما يرجـو اللهـ ويدعـوه مثل ما يدعـوهـ فهوـ مشـركـ الشرـكـ الذي لا يغـفرـه اللهـ ولوـ كانـ معـ ذلكـ عـفـيـفاـ فيـ طـعامـهـ وـ نـكـاحـهـ وـ كانـ حـكـيـماـ شـجـاعـاـ⁴⁸²

الاعراض عن التوكل خروج عن حقيقة الایمان

واما المحبة لله والتوكيل عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل احد من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها مؤمن فقط وانما يخرج عنها كافر او منافق وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بینا غلطه فيه وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات بكلام مبسوط وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فلل خاصة خاصها ولل العامة عامها مثل ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكيل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لا يناسب عن نفسه وقالوا المتوكيل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الامور بفروعها منها فلا يطلب شيئاً فيقال اما الاول فان التوكيل اعم من التوكيل في صالح الدنيا فان المتوكيل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الامور اليه ولها بناجي ربه في كل صلاة بقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 كما في قوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقوله {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 قوله {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} الرعد 30 فهو قد جمع بين العبادة والتوكيل في عدة مواضع لأن هذين يجمعان الدين كله ولهذا قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لي ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحيم يقول الله اثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله بهذه الآية بيني وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأله يقول العبد اهدا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين يقول الله فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأله فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فياياك نعبد واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه قال كنت رديفاً للنبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ان لا يعذبهم والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته فالحرب الخلي عن ذل والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح الا الله وهي وان كانت منفعتها للعبد والله غني عن العالمين فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبه العبد من الفاقد لراحته عليها طعامه وشرابه في ارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فائله اشد فرحا بتوبه عبده من هذا براحته وهذا يتعلق به امور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكيل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كالدعاء والمسئلة وقد روى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم إنما هي أربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بينك وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لي فتعبدنى لا تشرك بي شيئاً واما التي هي لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلى الاجابة واما التي بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب ان يأتوا اليك وكون هذا

الله وهذا للعبد هو باعتبار تعلق المحبة والرضا ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد ما يراه ملائما له والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة فى رضاه ويحب الوسيلة تبعاً لذلك والا فكل مأمور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن ان التوكل من المقامات العامة ظن ان التوكل لا يطلب به الا حظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية اعظم وايضا التوكل من الامور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه و الزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح التي لا يستعن بها على طاعة الله كما ان الورع المشروع هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا تستلزم تركها ترك ما فعله ارجح منها كالواجبات فاما ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه او يعين على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَبَابَاتٍ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ} المائدة 87 كما ان الاستغلال بفضول المباحثات هو ضد الزهد المشروع فان اشتغل بها عن فعل واجب او فعل حرام كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين الى درجة المقتدين و ايضا فان التوكل هو محظوظ الله مرضي له مأمور به دائما وما كان محظوظا له مرضيا له مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتدين دون المقربين فهذه ثلاثة اجرية عن قولهم المتوكلا يطلب حظوظه واما قولهم ان الامور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء انه لا حاجة اليه لان المطلوب ان كان مقدرا فلا حاجة اليه وان لم يكن مقدرا لم ينفع الدعاء وهذا القول من افسد الاقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به ضرورة وانما هو عبادة محضة وان حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التقويض المحض وهذا وان كان قاله طائفه من المشائخ فهو غلط ايضا وكذلك قول من قال ان الدعاء انما هو عبادة محضة وهذه الاقوال وما اشبهها يجعلها اصل واحد وهو ان هؤلاء ظنوا ان كون الامور مقدرة مقضية يمنع ان تتوقف على اسباب مقدرة ايضا تكون من العبد ولم يعلمونا ان الله سبحانه يقدر الامور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من افعال العباد وغير افعالهم ولهذا كان طرد قولهم يوجب تعطيل الاعمال بالكلية وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم وآلته وسلم عن هذا الاصل مرات فأجاب عنه كما اخرجا في الصحيحين عن عمران بن حصين قال قيل لرسول الله وآلته وسلم يا رسول الله أعلم اهل الجنة من اهل النار قال نعم قالوا ففيما العمل قال كل ميسر لما خلق له وفي الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال كنا في جنازة فيها رسول الله فجلس ومعه مخرصة فجعل ينكث بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس منفosa الا وقد كتب مكانها من النار او الجنة الا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل من القوم يا نبى الله افلا يمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من اهل السعادة ليكونن الى السعادة ومن كان من اهل الشقاوة ليكونن الى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة فييسرون للسعادة واما اهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبى الله {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَآتَى} {5} وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى} {6} فَسَيِّسَرُ لِلْيُسْرَى} {7} وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَعْنَى} {8} وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى} {9} فَسَيِّسَرُ لِلْعُسْرَى} {10} الليل 5-6 اخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد وروى الترمذى ان النبي صلى الله عليه وآلته وسلم سئل فقيل يا رسول الله ارأيت ادوية تنتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقىها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآلته وسلم في عدة احاديث فيبين صلى الله عليه وسلم وآلته وسلم ان تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقى لا ينافي ان تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالاعمال السيئة فانه سبحانه يعلم الامور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم ان السعيد يسعد بالاعمال الصالحة والشقى يشقى بالاعمال السيئة فمن كان سعيدا يسر للاعمال الصالحة التي تقضى السعادة ومن كان شقاوة يسر للاعمال السيئة التي تقضى الشقاوة وكلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير اليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله تعالى {وَلَا يَرَأُ الْوَنَّ مُخْلِفِينَ} {118} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَفَّهُمْ} {119} هود 118-119 واما ما خلقوا له من محبة

الله ورضاه وهو إرادته الدينية التي امروا بموجبها بذلك مذكور في قوله {وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ} الذاريات 56 والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والامر والارادة والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك ما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه وامره الشرعي وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية مثل ذلك انه قال في الامر الديني {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} النحل 90 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} النساء 58 ونحو ذلك وقال في الكوني {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وكذلك قوله {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهَلِّكَ قَرِيبَةً أَمْرَنَا مُتَرَفِّهَا فَفَسَقُوا فِيهَا حَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا} الإسراء 16 على احدى الاقوال في هذه الآية وقال في الارادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْأَيْسَرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 {يُرِيدُ اللَّهُ لِيَبْيَسَنَ لَكُمْ وَبَهْدِيكُمْ سُنَّ الدِّينِ مِنْ فَبِلَكُمْ وَيَنْتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ حَكِيمٌ} النساء 26 {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكُنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} المائدة 6 وقال في الارادة الكونية {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا افْتَنَنَا وَلَكُنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} البقرة 253 وقال {فَمَنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَسْرُحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} الأنعام 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِيْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيْكُمْ} هود 34 وقال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 الكوني {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ} البقرة 102 وقال تعالى في القضاء الديني {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الإسراء 23 اي امر وقال تعالى في الكوني {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاءَتِ فِي يَوْمِينَ} الحشر 5 وقال تعالى في الكوني {أَحَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَّلِي عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} المائدة 1 وقال تعالى {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} الممتحنة 10 وقال تعالى في الكوني عن ابن يعقوب {فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذِنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يوسف 80 وقال تعالى {قَالَ رَبِّ الْحُكْمِ بِالْحَقِّ وَرَبِّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَنُ عَلَى مَا تَصْفَوْنَ} الأنبياء 112 وقال تعالى في التحرير الديني {حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ الْمِيَّةَ وَالدُّمُّ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} المائدة 3 {حَرَمْتُ عَلَيْكُمُ أَمْهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} النساء 23 الآية وقال تعالى في التحرير الكوني {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَبَاهُونَ فِي الْأَرْضِ} المائدة 26 وقال تعالى في والذين في أموالهم حق معلوم 24 للسائل والمஹروم 25 المعارج 24-25 وقال تعالى في الكلمات الدينية {وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَلَمَّا هُنَّ} البقرة 124 وقال تعالى في الكوني {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} الأعراف 137 ومنه قوله المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول في استعانته اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برولا فاجر ومن المعلوم ان هذا هو الكوني الذي لا يخرج منه شيء عن مشيئته وتكونيه واما الكلمات الدينية فقد خالفها الفجار بمعصيته والمقصود هنا انه بين ان العواقب التي خلق لها الناس من سعادة وشقاوة ييسرون لها بالاعمال التي يصيرون بها الى ذلك كما ان سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه يخلق الولد وسائر الحيوان في الارحام بما يقدره من اجتماع الابوين على النكاح واجتماع المائين في الرحم فلو قال الانسان انا اتوكل ولا اطأ زوجتي فان كان قد قضي لي بولد وجده ولا لم يوجد ولا حاجة الى وطء كان احمد بخلاف ما اذا وطيء وعزل الماء فان عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد اذا شاء الله اذ قد يسبق الماء بغیر اختياره ومن هذا ما ثبت في الصحيحين عن ابى سعيد الخدري قال خرجنا مع رسول الله فى غزوة بنى المصطلق فاصبنا سببا من العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزبة واحببنا العزل فسألنا عن ذلك رسول الله فقال ما عليكم الا تفعلوا فان الله قد كتب ما هو خالق الى يوم القيمة وفي صحيح مسلم عن جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سببا منها ما

قدر لها وهذا مع ان الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الانسان من غير ابوبين كما خلق آدم ومن خلقه من اب فقط كما خلق حواء من ضلع آدم القصير ومن خلقه من ام فقط كما خلق المسيح بن مرريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب اخرى غير معتادة وهذا الموضع وان كان انما يجده الزنادقة المعطلون للشراع فقد وقع في كثير من دقه كثير من المشائخ المعتظمين يسترسل احدهم مع القدر غير محقق لما امر به ونهى عنه ويجعل ذلك من باب التقويض والتوكيل والجري مع الحقيقة القردية ويحسب ان قول القائل ينفي للعبد ان يكون مع الله كالميت بين يدي الغاسل يتضمن ترك العمل بالامر والنهي حتى يترك ما امر به وي فعل ما نهى عنه وحتى يضعف عنده النور والفرقان الذي يفرق به بين ما امر الله به واحبه ورضيه وبين ما نهى عنه وابغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه كما قال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية 21

وقال تعالى {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {36} القلم 35-36 وقال تعالى {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَقْبِلِينَ كَالْفَجَارِ} ص 28 وقال تعالى {قُلْ هُنَّ الَّذِينَ يَسْتَوِيُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ} الزمر 9 وقال تعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} {19} {وَلَا الظُّلُماتُ وَلَا النُّورُ} {20} {وَلَا الظُّلُلُ وَلَا الْحَرُورُ} {21} {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْبَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ} {22} فاطر 19-22 وامثال ذلك حتى يفضي الامر بغلاتهم الى عدم التمييز بين الامر بالامر النبوى الالهي الفرقاني الشرعي الذى دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون فى الوجود من الاحوال التى تجري على ايدي الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة كون الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وارادته العامة وأنه داخل فى ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذى فرق الله به بين اوليائه واعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين واهل الطاعة الذين اطاعوا امره الدينى واهل المعصية الذين عصوا هذا الامر ويستشهدون في ذلك بكلمات نقلت عن بعض الاشياخ او بعض غلطات بعضهم وهذا اصل عظيم من اعظم ما يجب الاعتناء به على اهل طريق الله السالكين سبيل الارادة اراده الذين يريدون وجهه فانه قد دخل بسبب اهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسق والعصيان مالا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلمين فى الارض من اهل الظلم والعلو كالذين يتوجهون بقلوبهم فى معاونة من يهونه من اهل العلو فى الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها فى ذلك كانوا بذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محظوظا تارة ومكرهها الله اخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل غيره فى الباطن حيث يجب القود فى ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الامر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لاحدهم يكشف له او تأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه فى الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم يكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاء هم اولياء الله الذين قال الله فيهم {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} يومن 62 فإن كانوا موقفين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتدين وان كانوا موقفين فيما اوجبه واحبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محظوظ وليس كل محظوظ واجبا واما ما يبتلي الله به عبده من السراء بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولا هو اوانه عليه بل قد يسعد بها قوم اذا اطاعوه فى ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه فى ذلك قال الله تعالى {فَإِنَّمَا الْأَنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} {15} {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقًا فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} {16} الفجر 15-16 ولهذا كان الناس فى هذه الامور على ثلاثة اقسام ترتقع درجاتهم بخرق العادة اذا استعملوها فى طاعة الله وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوها فى معصية الله كبلعام وغيره وقوم تكون فى حقهم بمنزلة المباحثات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذي انما كانت خوارقه لحجۃ يقيم بها دين

الله او لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثره الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان اصابك شيء فلا تقل لو انى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان وفي سنن ابى داود ان رجلين اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى على احدهما فقال الم قضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال رسول الله ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيis فادا غلبك امر فقل حسبي الله ونعم الوكيل فأمر النبى لقوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و قوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء انفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح قال النبى فى الحديث الصحيح لسعد انك لن تتفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازدبت بها درجة ورفعه حتى اللقمة تضيعها فى امرأتك فأخبر النبى ان الله يلوم على العجز الذى هو ضد الكيس وهو التقرير فيما يؤمر بفعله فان ذلك ينافي القدرة المقارنة لل فعل وان كان لا ينافي القدرة المتقدمة التى هي مناط الامر والنهى فإن الاستطاعة التي توجب الفعل تكون مقارنة له ولا تصلح الا لمقدورها كما ذكرها الله تعالى في قوله {مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ السَّمْعَ} هود 20 وفي قوله {وَكَانُوا لَا يَسْتَطِعُونَ سَمِعاً} الكهف 101 واما الاستطاعة التي يتعلق بها الامر والنهى فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن كما في قوله تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 وقول النبى لعمran ابن حسين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وهذا الموضع قد انقسم الناس فيه الى اربعة اقسام قوم ينظرون الى جانب الامر والنهى والعبادة والطاعة شاهدين لالهية الرب سبحانه الذي امرنا ان يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكى والاستعانة وهو حال كثير من المتققة والمتعبدة فهم مع حسن قصدتهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان لأن الاستعانة بالله والتوكى عليه واللجأ اليه والدعاء له هي التي تقوى العبد وتيسير عليه الامور ولهذا قال بعض السلف من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله وفي الصالحين عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صفتة في التوراة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولي سميتك المتوكلى ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويغفو ويغفر ولن اقبحه حتى اقيم به الملة العوجاء فافتتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبنا غلفا بان يقولوا لا الله الا الله ولهذا روى ان حملة العرش انما اطاقو حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله وقد ثبت فى الصالحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انها كنز من كنوز الجنة قال تعالى {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق 3 وقال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا} وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران 173 الى قوله {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 175 وفي صحيح البخارى عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران 173 قالها ابراهيم الخليل حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم و قسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون به لكن على اهوائهم واذواقهم غير ناظرين الى حقيقة امره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتققة والمتصرفه ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون ان معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهى ويسمون هذا حقيقة ويطيرون ان هذه الحقيقة القدرة يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الامرية الدينية التي هي تحوى مرضاه الرب ومحبته وامرها ونهيها ظاهرا وباطنا و هو لاء كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لأن العاقبة للنقوى ومن لم يقف عند

امر الله ونهيه وليس من المتقين فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه تارة بدعوة يظلونها شرعاً وتارة في الاحتجاج بالقدر على الامر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركون في سورة الانعام والاعراف ذكر ما ابتدعوه من الدين وجعلوه شرعي كما قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحشَّهُ قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللهُ أَمْرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتُؤْلُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعاً مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا أَبَاوْنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبه من هذا وهذا واما القسم الثالث وهو من اعراض عن عبادة الله واستعانته به فهو لاء شر الاقسام و القسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حقووا {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ } هود 123 فاستعنوا به على طاعته وشهدوا انه لهم الذي لا يجوز ان يعبد الا اياده بطاعته وطاعة رسوله وانه ربهم الذي ليس لهم من دونه ولی ولا شفيع وانه {مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } فاطر 2 {وَإِنْ يَمْسِكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفٌ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدٌ لِفَضْلِهِ } يونس 107 {قُلْ أَفَرَأَيْمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِي اللهُ بِضُرٍّ هُنْ هُنْ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هُنْ هُنْ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38

ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسباباً نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع وانما التوكيل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع فقد تبين ان من ظن التوكيل من مقامات عامة اهل الطريق فقد غلط غلطاً شديداً وان كان من اعيان المشائخ كصاحب علل المقامات وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وظهر ضعف حجة من قال ذلك لظنه ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لا فائدة له في تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك بذلك منزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك كمن اشتغل بالتوكيل عن ما يجب عليه من الاسباب التي هي عبادة وطاعة مأمور بها فان غلط هذا في ترك الاسباب المأمور بها التي هي داخلة في قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ } هود 123 كغلط الاول في ترك التوكيل المأمور به الذي هو داخل في قوله تعالى {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ } هود 123 لكن يقال من كان توكلاً على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحثات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكلاً عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكيل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة اليمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة قال الله تعالى {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84 وقال تعالى {إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبٌ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ } آل عمران 160 وقال تعالى { وَعَلَى اللهِ فَلَيَتَوَكَّلُ الْمُؤْمِنُونَ } المائدة 11 وقال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِي اللهُ بِضُرٍّ هُنْ هُنْ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ } الزمر 38 الى قوله {قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وقد ذكر الله هذه الكلمة { حَسْبِيَ اللهُ } الزمر 38 في جلب المنفعة تارة وفي دفع المضرة اخرى فالاولى في قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ } التوبه 59 الآية و الثانية في قوله {الَّذِينَ قَالَ أَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ } آل عمران 173 وفي قوله تعالى {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْذُلُوكُمْ فَإِنَّ حَسْبَكُ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } الأنفال 62 وقوله {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِنَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ } التوبه 59 يتضمن الامر بالرضا والتوكيل والرضا والتوكيل يكتفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه ولهذا كان النبي يقول في الصلاة اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احييني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي اللهم انى اسألك خشيتك في الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق في الغضب والرضا

وأسألك القصد في الفقر والغنى واسألك نعيمًا لا ينفد واسألك قرة عين لا تنتفع اللهم إني أسلك قرة عين لا تنتفع اللهم إني أسلك الرضا بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر إلى وجهك واسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنه مصلحة اللهم زينا بزينة اليمان واجعلنا هداة مهتدين رواه أحمد والنسائي من حيث عمار بن ياسر وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا ولها كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فإذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى {ولَقَدْ كُنْتُمْ تَمَلِّئُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْقُرُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَتَنَظَّرُونَ} آل عمران 143 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} 2 {كَبَرَ مَقْتَنَا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} 3 {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} 4 الصافر 4-2 نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أي الاعمال أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الجهاد فكرهه من كرهه ولها كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه مالا يوجهه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية او يقدم على بلد فيه طاعون كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي انه نهى عن النذر وقال انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخل وثبت عن في الصحيحين انه قال لعبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها من غير مسألة اuntas عليها اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فألت الذي هو خير وكفر عن يمينك وثبت عنه في الصحيحين انه قال في الطاعون اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانت به فلا تخرجوا فرارا منه وثبت عنه في الصحيحين انه قال لاتتمموا لقاء العدو واسالوا الله العافية ولكن اذا لقيتموه فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيف وامثال ذلك مما يقتضي ان الإنسان لا ينبغي ان يسعى فيما يوجب عليه اشياء ويحرم عليه اشياء فيدخل بالوفاء كما يفعل كثير من يعاشر الله عهودا على امور وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود ويقتضي ان الانسان إذا ابتدى فعليه ان يصبر ويثبت ولا ينكح حتى يكون من الرجال الموقنين القائمين بالواجبات ولا بد في جميع ذلك من الصبر ولها كان الصبر واجبا باتفاق المسلمين على اداء الواجبات وترك المحظورات ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن ان يجزع فيها والصبر عن اتباع اهواء النفوس فيما نهى الله عنه وقد ذكر الله الصبر في كتابه في اكثر من تسعين موضعا وقرنه بالصلوة في قوله تعالى {وَاسْتَعِنُوا بِالصَّابَرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْحَاسِعِينَ} البقرة 45 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِنُوا بِالصَّابَرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153⁴⁸³

"احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"

قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمنته فاستطعموني أطعمكم وكلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يقتضي وجوب التوكيل على الله في الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس وأنه لا يقتضي غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة وإنما القدرة التي تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولها قال {وَعَلَى الْمَوْلَودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا}

⁴⁸³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 18-39 و دقائق التفسير ج: 1 ص: 212 وأمراض القلوب

ج: 1 ص: 43-44 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 43

} البقرة 233 و قال { وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا
 وَأَكْسُوْهُمْ } النساء 5 فالمأمور به هو المقدر للعباد وكذلك قوله { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي
 مَسْعَةٍ } 14 { يَتَبَيَّنًا ذَا مَقْرَبَةٍ } 15 { أَوْ مُسْكِنًا ذَا مَثْرَبَةٍ } 16 { الْبَدْ 14-15 و قوله {
 وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَ } الحج 36 و قوله { فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ } الحج 28 و قال { وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمْ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعْمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمْهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } يس 47 فنم من يترك المأمور به اكتفاء بما يجري به القراء ومن هنا يعرف
 أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب بل الحاجة
 والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول
 المطلوب ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سببا إلا بمشيئة الله تعالى فإنه ما شاء الله
 كان وما لم يشاً لم يكن فمن ظن الاستغناء بالسبب من التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من
 التوكل وأخل بواجب التوحيد ولهذا يدخل أمثال هؤلاء إذا اعتمدوا على الأسباب فمن رجا نصرا
 أو رزقا من غير الله خذه الله كما قال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا
 ذنبه وقد قال تعالى { مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ
 بَعْدِهِ وَهُوَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ } فاطر 2 وقال تعالى { وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
 يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأْدٌ لِفَضْلِهِ يُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يومنس 107
 { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ
 هُنَّ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْنِي اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وهذا كما أن من أخذ
 يدخل في التوكل تاركا لما أمر به من الأسباب فهو أيضا جاهل ظالم عاص لله يترك ما أمره فإن
 فعل المأمور به عبادة الله وقد قال تعالى { فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
 نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقال { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ مَئَابٌ } الرعد 30 وقال
 شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ } هود 88 وقال { وَمَا اخْلَقْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ
 فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ } الشورى 10 وقال { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
 حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقُومَهُمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
 وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبْدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا سَتَغْفِرَنَ لَكَ
 وَمَا أَمْلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } المتحنة 4 وليس من
 فعل شيئاً أمر به وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنباً من فعل توكله أمر به وترك فعل ما أمر
 به من السبب إذ كلاهما مخل ببعض ما وجب عليه وهو مع اشتراكهما في جنس الذنب فقد يكون
 هذا ألومن وقد يكون الآخر مع أن التوكل في الحقيقة من جملة الأسباب وقد روى أبو داود في
 سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين المقصري عليه حسيبي الله ونعم
 الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يلوم على العجز لكن عليك بالكييس فإن
 غلبك أمر فقل حسيبي الله ونعم الوكيل وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
 وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بـ الله ولا تعجز فإن أصابك شيء فلا تقل لو إني
 فعلت لكان كذلك ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان ففي قوله صلى
 الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بـ الله ولا تعجز أمر بالتبذيب المأمور به
 وهو الحرص على المنافع وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله فمن اكتفى بأحد هما فقد
 عصى أحد الأمرين ونهى عن العجز الذي هو ضد الكيس كما قال في الحديث الآخر إن الله لا
 يلوم على العجز ولكن عليك بالكييس وكما في الحديث الشامي الكيس من دان نفسه وعمل
 لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فالعجز في الحديث مقابل الكيس
 ومن قال العاجز الذي هو مقابل البر فقد حرف الحديث ولم يفهم معناه ومنه الحديث كل
 شيء بقدر حتى العجز والكييس ومن ذلك ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس
 قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون يقولون نحن المتوكلون فإذا قدموا سألوا الناس فقال الله
 تعالى { وَتَرَوْدُوا فَإِنْ خَيْرُ الرِّزَادِ التَّقْوَى } البقرة 197 فمن فعل ما أمر به من التزود فاستعن به

على طاعة الله وأحسن منه إلى من يكون محتاجاً كان مطيناً الله في هذين الأمرين بخلاف من ترك ذلك ملتفتاً إلى أزواب الحجيج كلاً على الناس وإن كان مع هذا قلبه غير ملتفت إلى معين فهو ملتفت إلى الجملة لكن إن كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله ومواساة المحتاج فقد يكون في تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به وفي هذه النصوص بيان غلط طوائف فطائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعده نقصاً وقد حذر في التوحيد والتوكل وأن تركة من كمال التوكل والتوحيد وهو في ذلك ملبوس عليهم وقد يقترن بالغلط اتباع الهوى في إخلاد النفس إلى البطلة ولهذا تجد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الأسباب يتعلقون بأسباب دون ذلك فإذاً أن يعلقون قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة وإما أن يتركوا لأجل ما تبتلوا له من الغلو في التوكل واجبات أو مستحبات انفع لهم من ذلك كمن يصرف همته في توكله إلى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلا سعي فقد يحصل ذلك لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعي اليسير وصرف تلك الهمة والتوجه في علم صالح أنفع له بل قد يكون أوجب عليه من تبتله لهذا الأمر اليسير الذي قدره درهم أو نحوه وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضاً نقصاً وانقطاعاً عن الخاصة ظناً أن ملاحظة ما فرع منه في القدر هو حال الخاصة وقد قال في الحديث *لكلم جائع إلا من أطعمته فاستطعه مبني* أطعمةكم وقال فاستكسوني أكسكم وفي الطبراني أو غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربها حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع فإنه إن لم ييسر لم يتسير وهذا قد يلزمك أن يجعل أيضاً استهداه الله وعمله بطاعته من ذلك وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقاً بل دفع المخلوق والمأمور وإنما غلطوا من حيث ظنوا سبق التقدير يمنع أن يعون بالسبب المأمور به فمن يتزندق فيترك الأعمال الواجبة بناء على أن القدر قد سبق بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولم يعلم أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه فمن قدره الله من أهل السعادة كان مما قدره الله يتيسر لعمل أهل السعادة ومن قدره من أهل الشقاوة كان مما قدره أنه ييسر لعمل أهل الشقاوة كما قد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال في حديث علي بن أبي طالب وعمراً بن حصين وسراقة بن جعشن وغيرهم ومنه حديث الترمذى حدثنا ابن أبي عم الجواب حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبي خزامة عن أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقىها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله وطائفة تطن أن التوكل إنما هو من مقامات الخاصة المتقربيين إلى الله بالنواول كذلك قولهم في أعمال القلوب وتواتها كالحب والرجاء والخوف والشكرونحو ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الأمور فروض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان ومن تركها بالكلية فهو إما كافر وإما منافق لكن الناس هم فيها كما هم في الأعمال الظاهرة فعنهم ظالم لنفسه ومنهم سابق بالخيرات ونصوص الكتاب والسنة طافحة بذلك وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الأمور علماً وعملاً بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الأعمال بل استحقاق الذم والعقاب يتوجه إلى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة إن كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها والأمور الظاهرة كما لها وفروعها التي لا تتم إلا بها

الدعاء والتوكيل من أعظم الأسباب

وفي خطبة النبي ﷺ الحمد لله نستعينه ونستغفره وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سينات أعمالنا فجمع بين حمده والاستعانة به والإستغفار له فقد تبين أن الإلتقات إلى الأسباب شرك في التوحيد وهو ظلم وجهل وهذه حال من دعا غير الله وتوكيل عليه وأما قولهم (قول السلف) محو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل فهو كذلك وهو طعن في الشرع أيضاً فإن كثيراً من أهل الكلام أنكروا الأسباب بالكلية وجودها كعدمها كما أن أولئك الطبعين جعلوها علا مقتضية وكما أن المعتزلة فرقوا بين أفعال الحيوان وغيرها والأقوال الثلاثة باطلة فإن الله يقول {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ يُشْرِأْ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا تِفَالًا سُقْنَاهُ لِيَلْدُ مَيِّتٍ فَإِنَّا لَنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ النَّمَراتِ} الأعراف 57 وقال تعالى {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنِ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} البقرة 164 وقال تعالى {بَيْهُدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ أَنْتَبَ رَضْوَانَهُ سُلْنُ السَّلَامِ} المائدة 16 وقال تعالى {يُضْلِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} البقرة 26 وأمثال ذلك فمن قال يفعل عندها لا بها فقد خالف لفظ القرآن مع أن الحس والعقل يشهد أنها أسباب ويعلم الفرق بين الجبهة وبين العين في اختصاص أحدهما بقوة ليست في الآخر وبين الخبر والمحض في أن أحدهما يحصل به الغذاء دون الآخر وأما قولهم الإعراض عن الأسباب بالكلية قبح في الشرع بل هو أيضاً قبح في العقل فإن أفعال العباد من أقوى الأسباب لما نيط بها فمن جعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمسدسين في الأرض أو يجعل المتقين كالفجار فهو من أعظم الناس جهلاً وأشدتهم كفراً بل ما أمر الله به من العبادات والدعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب فيما نيط بها من العبادات وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسق والعصيان هي من أعظم الأسباب لما علق بها من الشقاوat و مع هذا فقد قال خير الخلق أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل ولما قال لهم ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقدمة من النار قالوا يا رسول الله أفلأ نتكل على الكتاب وندع العمل قال لا إن عملوا فكل ميسراً لما خلق له إما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وكذلك الدعاء والتوكيل من أعظم الأسباب لما جعله الله سبباً له فمن قال ما قدر لي فهو يحصل لي دعوت أو لم أدع وتوكلت أو لم أتوكل فهو منزلة من يقول ما قسم لي من السعادة والشقاوة فهو يحصل لي آمنت أو لم آؤمن وأطعنت أم عصيت ومعلوم أن هذا ضلال وكفر وأن كان الأول ليس مثل هذا في الضلال إذ ليس تعليق المقاصد بالدعاء والتوكيل كتعليق سعادة الآخرة بالإيمان لكن لاريبي أن ما جعل الله سبباً له بمنزلة ما جعل العمل الصالح سبباً له وهو قادر على أن يفعله سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب آخر وكذلك من ترك الأسباب المشروعة المأمور بها أمر إيجاب أوامر إستحباب من جلب المنافع أو دفع المضار فادح في الشرع خارج عن العقل ومن هنا غلطوا في ترك الأسباب المأمور بها وظنوا أن هذا من تمام التوكيل والتوكيل مقوون بالعبادة في قوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 والعبادة فعل المأمور فمن ترك العبادة المأمور بها وتوكل لم يكن أحسن حالاً من عبده ولم يتوكل عليه بل كلاهما عاص لله تارك البعض ما أمر به والتوكيل يتناول التوكيل عليه ليعينه على فعل ما أمر والتوكيل عليه ليعطيه مالا يقدر العبد عليه فالاستعانة تكون على الأعمال وأما التوكيل فأعم من ذلك ويكون التوكيل عليه لجلب المنفعة ودفع المضررة قال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسِيبُنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغُبُونَ} التوبه 59 وقال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْسِرُوهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسِيبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الوَكِيلُ} آل عمران 173 فمن لم يفعل ما أمر به لم يكن مستعيناً بالله على ذلك فيكون قد ترك العبادة والإستعانة عليها بترك التوكيل في هذا الموضع أيضاً وآخر يتوكل بلا فعل مأمور وهذا هو العجز المذموم كما في سنن أبي داود أن رجلين إختصما إلى النبي فحكم على أحدهما فقال المقضي عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي الله

ونعم الوكيل وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لوأني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله إياك نعبد وإياك نستعين وقوله **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** هود 123 فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته إذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وإن كان من جنس المباح قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لسعد إنك لن تنفق نفقة تتبعي بها وجه الله إلا ازدلت بها درجة ورفة حتى اللقمة تضعها في أمر أنت فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس وهو التغريط فيما يؤمر بفعله فإن ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل وإن كان لا ينافي القدرة المقدمة التي هي مناط الأمر والنهي فإن الاستطاعة التي توجب الفعل وتكون مقارنة له لا تصلح إلا لمقدورها فإن الإنسان ليس مأموراً أن ينظر إلى القدر عند ما يؤمر به من الأفعال ولكن عندما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم أصبر عليه وارض وسلم قال تعالى **{مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ** يهد قلبها } التغابن 11 قال بعض السلف إما ابن مسعود وإما علامة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى وسلم 485

التوكل مقرون بالعبادة

قال تعالى **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** هود 123 وقال {وَادْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّتَّلْ إِلَيْهِ تَبَّتَّلْ} 8 رب المشرق والمغارب لا إله إلا هو فاتحه وكيلا 9 المزمول 9 و قال تعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} 2 ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسنه 3 الطلاق 2-3 و التقوى تجمع فعل ما أمر الله به و ترك ما نهى الله عنه وهذه الآية مطابقة لقوله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** الفاتحة 5 الجامعة لعلم الكتب الإلهية كلها و ذلك أن التقوى هي العبادة المأمورة بها فإن تقوى الله و عبادته و طاعته أسماء متقاربة متلازمة والتوكّل عليه هو الإستعاة به فمن يتقوى الله مثل **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}** الفاتحة 5 ومن يتوكّل على الله مثل **{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** الفاتحة 5 كما قال **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** هود 123 وقال **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** هود 88

و يروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أبا ذر لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم و قوله **{مَخْرَجًا}** الطلاق 2 عن بعض السلف أي من كل ما ضاق على الناس ولهذا قال بعض السلف ما احتاج تقوى قط يقول أن الله ضمن للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع عنهم ما يضرهم و يجلب لهم ما

يحتاجون إليه فإذا لم يحصل ذلك دل على أن في التقوى خلا فليستغفر الله و ليتب إليه و لهذا جاء في الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذى أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا و من كل ضيق مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب و المقصود أن الله لم يأمر بالتوكل فقط بل أمر مع التوكل بعبادته و تقواه التي تتضمن فعل ما أمر و ترك ما حذر فمن ظن أنه يرضى ربه بالتوكل بدون فعل ما أمر به كان ضالا كما أن من ظن أنه يقوم بما يرضى الله عليه دون التوكل كان ضالا بل فعل العبادة التي أمر الله بها فرض وإذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل وإذا قرن أحدهما بالآخر كان للتوكل إسم يخصه كما في نظائر ذلك مثل التقوى و طاعة الرسول فإن التقوى إذا أطلقت دخل فيها طاعة الرسول وقد يعطى أحدهما على الآخر كقول نوح عليه السلام {أن عبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوْهُ وَأَطْبِعُوْنَ} نوح 3 و كذلك قوله {أَنْقُوْا اللَّهَ وَقُوْلُوا قُوْلًا سَيِّدًا} الأحزاب 70 و أمثل ذلك قد جمع الله بين عبادته و التوكل عليه في مواضع كقوله تعالى {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ} الرعد 30 و قول شعيب {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبٌ} الشورى 10 فإن الإنابة إلى الله و المتاب هو الرجوع إليه بعبادته و طاعته و طاعة رسوله و العبد لا يكون مطينا الله و رسوله فضلا أن يكون من خواص أوليائه المتقيين إلا بفعل ما أمر به و ترك ما نهى عنه و يدخل في ذلك التوكل و أما من ظن أن التوكل يعني عن الأسباب المأمور بها فهو ضال و هذا كمن ظن أنه يتوكى على ما قدر عليه من السعادة و الشقاوة بدون أن يفعل ما أمره الله و هذه المسألة مما سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من الجنة و النار فقيل يا رسول الله أفلأ ندع العمل و نتكل على الكتاب فقال لا إعملوا بكل ميسر لما خلق له و كذلك في الصحيحين عنه أنه قيل له أرأيت ما يعم الناس فيه و يكبحون أفيما جفت الأقلام و طويت الصحف و لما قيل له أفلأ نتكل على الكتاب قال لا إعملوا بكل ميسر لما خلق له و بين صلى الله عليه وسلم أن الأسباب الخلوقة و المشروعة هي من القرر فقيل له أرأيت رقى نسترقي بها و تقى بها و أدوية نتداوي بها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله فـ بالإلتقات إلى الأسباب شرك في التوحيد و محـو الأسباب أن تكون أسباباً نقض في العقل و الأعراض عن الأسباب المأمور بها قـدح في الشرع فعلى العبد أن يكون قلبـه متعمداً على الله لا على سبـبـ من الأسباب و الله يـبـسـ لهـ منـ الأـسـبـابـ ماـ يـصـلـحـهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـ الـآخـرـةـ فـإـنـ كـانـتـ الأـسـبـابـ مـقـدـورـةـ لـهـ وـ هـوـ مـأـمـورـ بـهـ فـعـلـهـ مـعـ التـوـكـلـ عـلـىـ اللهـ كـمـاـ يـؤـدـيـ الفـرـائـضـ وـ كـمـاـ يـجـاهـدـ الـعـدـوـ وـ يـحـمـلـ السـلـاحـ وـ يـلـبـسـ جـنـةـ الـحـرـبـ وـ لـاـ يـكـنـتـ فـيـ دـفـعـ الـعـدـوـ عـلـىـ مـجـرـدـ توـكـلـهـ بـدـوـنـ أـنـ يـفـعـلـ مـاـ أـمـرـ بـهـ مـنـ الـجـهـادـ وـ مـنـ تـرـكـ الأـسـبـابـ المـأـمـورـ بـهـ فـهـوـ عـاجـزـ مـفـرـطـ مـذـمـومـ وـ فـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عـنـ أـبـيـ هـرـيرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ قـالـ المؤـمـنـ القـوـيـ خـيـرـ وـ أـحـبـ إـلـىـ اللـهـ مـنـ الـمـؤـمـنـ

الضعفـ وـ فـيـ كـلـ خـيـرـ اـحـرـصـ عـلـىـ مـاـ يـنـفـعـكـ وـ اـسـتـعـنـ بـالـلـهـ وـ لـاـ تـعـزـزـ وـ إـنـ أـصـابـكـ شـيءـ فـلاـ تـقـلـ لـوـ أـنـيـ فـعـلـتـ لـكـانـ كـذاـ وـ كـذاـ وـ لـكـنـ قـلـ قـدـرـ اللـهـ وـ مـاـ شـاءـ فـعـلـ فـإـنـ لـوـ تـقـتـحـ عـلـمـ الشـيـطـانـ وـ فـيـ سـنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ أـنـ رـجـلـيـنـ تـحـاكـمـاـ إـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ فـقـضـيـ عـلـىـ أـحـدـهـ مـاـ فـقـالـ المـقـضـيـ عـلـيـهـ حـسـبـنـ اللـهـ وـ نـعـمـ الـوـكـيلـ فـقـالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ إـنـ اللـهـ يـلـوـمـ عـلـىـ الـعـجـزـ وـ لـكـنـ عـلـيـكـ بـالـكـيـسـ فـإـنـ غـلـبـكـ أـمـرـ فـقـلـ حـسـبـنـ اللـهـ وـ نـعـمـ الـوـكـيلـ وـ قـدـ تـكـلـ النـاسـ فـيـ حـمـلـ الزـادـ فـيـ الـحـجـ وـ غـيـرـهـ مـنـ الـأـسـفـارـ فـالـذـيـ مـضـتـ عـلـيـهـ سـنـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ وـ سـنـةـ خـلـفـائـهـ الـرـاشـدـيـنـ وـ أـصـحـابـهـ وـ تـابـعـيـنـ لـهـ بـإـحـسـانـ وـ أـكـابرـ الـمـشـائـخـ هـوـ حـمـلـ الزـادـ لـمـاـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ طـاعـةـ اللـهـ وـ رـسـوـلـهـ وـ إـنـقـاعـ الـحـامـلـ وـ نـفـعـهـ لـلـنـاسـ وـ زـعـمـتـ طـائـفةـ أـنـ مـنـ تـمـامـ التـوـكـلـ أـنـ لـاـ يـحـمـلـ الزـادـ وـ قـدـ رـدـ الـأـكـابـ هـذـاـ القـوـلـ كـمـاـ رـدـهـ الـحـارـثـ الـمـحـاسـبـيـ فـيـ كـتـابـ التـوـكـلـ وـ حـكـاهـ عـنـ شـقـيقـ الـبـلـخـيـ وـ بـالـغـ فـيـ الرـدـ عـلـىـ مـنـ قـالـ بـذـلـكـ وـ ذـكـرـ مـنـ الـحـجـ عـلـيـهـمـ مـاـ يـبـيـنـ بـهـ غـلـطـهـمـ وـ أـنـهـ غـالـطـونـ فـيـ مـعـرـفـةـ حـقـيـقـةـ التـوـكـلـ وـ أـنـهـ عـاصـونـ اللـهـ بـمـاـ يـتـرـكـونـ مـنـ طـاعـتـهـ وـ قـدـ حـكـيـ لأـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ أـنـ بـعـضـ الـغـلـةـ الـجـهـاـلـ بـحـقـيـقـةـ التـوـكـلـ كـانـ إـذـاـ وـ ضـعـ لـهـ الطـعـامـ لـمـ يـمـدـ يـدـهـ حـتـىـ يـوـضـعـ فـيـ فـمـهـ وـ إـذـاـ وـضـعـ يـطـبـقـ فـمـهـ حـتـىـ يـفـتـحـوـهـ وـ يـدـخـلـوـاـ فـيـ الـطـعـامـ فـأـنـكـرـ ذـلـكـ أـشـدـ الـإـنـكـارـ وـ

من هؤلاء من حرم المكاسب وهذا و أمثاله من قلة العلم بسنة الله في خلفه و أمره فإن الله خلق المخلوقات بأسباب و شرع للعباد أسبابا ينالون بها مغفرته و رحمته و ثوابه في الدنيا و الآخرة فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمره الله به من الأسباب يحصل مطلوبه و أن المطالب لا تتحقق على الأسباب التي جعلها الله أسبابا لها فهو غالط فالله سبحانه و إن كان قد ضمن للعبد رزقه و هو لابد أن يرزقه ماعمر فهذا لا يمنع أن يكون ذلك الرزق المضمون له أسباب تحصل من فعل العبد و غيره فعله و أيضا فقد يرزقه حلالا و حراما فإذا فعل ما أمره به رزقه حلالا و إذا ترك ما أمره به فقد يرزقه من حرام و من هذا الباب الدعاء و التوكل فقد ظن بعض الناس أن ذلك لا تأثير له في حصول مطلوب و لا دفع مرهوب و لكنه عبادة محضة و لكن ما حصل به حصل بدونه و ظن آخرون أن ذلك مجرد علامة و الصواب الذي عليه السلف و الأئمة و الجمهور أن ذلك من أعظم الأسباب التي تناول بها سعادة الدنيا و الآخرة و ما قدره الله بالدعاء و التوكل و الكسب و غير ذلك من الأسباب إذا قال القائل فلو لم يكن السبب لماذا يكون بمثله من يقول هذا المقتول لو لم يقتل هل كان يعيش و قد ظن بعض القدرة أنه كان يعيش و ظن بعض المنتسبين إلى السنة أنه كان يموت و الصواب أن هذا تقدير لأمر علم الله أنه يكون فالله قدر موته بهذا السبب فلا يموت إلا به كما قدر الله سعادته هذا في الدنيا و الآخرة بعبادته و دعائه و توكله و عمله الصالح و كسبه فلا يحصل إلا به و إذا قدر عدم هذا السبب لم يعلم ما يكون المقدر و بتقدير عدمه فقد يكون المقدر حينئذ أنه يموت و قد يكون المقدر أنه يحيى و الجزم بإحدهما خطأ و لو قال القائل أنا لا أكل و لا أشرب فإن كان الله قادر على فهو يحييني بدون الأكل و الشرب كان أحمق كمن قال أنا لا أطأ إمرأتي فإن كان الله قادر لي و لذا تحمل من غير ذكر⁴⁸⁶

الرجاء مقرن بالتوكل

واما قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا يرجون عبد إلا ربها، فإن الراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر ولا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله {وَإِن يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَ لِفَضْلِهِ} يومنس 107 {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فاطر 2 والرجاء مقرن بالتوكل فإن المتوكلا يطلب ما رجاه من حصول المتفقة ودفع المضرة والتوكلا لا يجوز إلا على الله كما قال تعالى {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} المائدة 23 وقال {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} إبراهيم 12 وقال تعالى {إِن يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلُكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} آل عمران 160 وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيِّدُنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ أَنَا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} التوبية 59 وقال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَلَا خُشُونَهُمْ فَرَادُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} الانفال 173 فهؤلاء قالوا حسبنا الله أى كافينا الله في دفع البلاء وأولئك أمروا أن يقولوا حسبنا في جلب النعماء فهو سبحانه كاف عبده في إزاله الشر وفي إنارة الخير أليس الله بكاف عبده ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم {مَتَّلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمَثَلُ الْعَنْكُبُوتِ اتَّخَذُتْ بَيْتًا وَإِنَّ أُوْهَنَ الْبَيْوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكُبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} العنکبوت 41 {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلَهَةً لَيَكُونُوا لَهُمْ عِرَّا} 81

سَيُكْفِرُونَ بِعِنَادِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا⁴⁸² { مريم 81-82 } وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } الحج 31 { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا أَخْرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَذْهُولًا } الإسراء 22 وقال الخليل { فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاسْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ ثُرَجَعُونَ } العنكبوت 17 فمن عمل لغير الله رجاءً أن ينتفع بما عمل له كانت صفتة خاسرة قال الله تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } النور 39 وقال تعالى { مَتَّلٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يُقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ } إبراهيم 18 وقال تعالى { وَقَدِمْنَا إِلَيْ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } الفرقان 23 وقال تعالى { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ } القصص 88 كما قيل في تقسيرها كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه والراجي يكون راجيا تارة بعمل يعلمه لمن يرجوه وتارة بإعتماد قلبه عليه والتجائه إليه وسؤاله فذاك نوع من العبادة له وهذا نوع من الإستعانة به وقد قال تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقال { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقال { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ } الرعد 30

الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة وال العامة

ومتى اهتمت الولاية باصلاح دين الناس صلاح للطائفتين دينهم ودنياهם وإلا اضطررت الأمور عليهم وملائكة ذلك كلها صلاح النية للرعاية وإخلاص الدين كلها الله والتوكل عليه فان الاخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة وال العامة كما أمرنا ان نقول في صلاتنا { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فان هاتين الكلمتين قد قيل انهما يجمعان معانى الكتب المنزلة من السماء وقد روى أن النبي كان مرة في بعض مغازييه فقال يامالك يوم الدين اياك نعبد وإياك نستعين فجعلت الرعوس تتدبر عن كواهلها وقد ذكر ذلك في غير موضع من كتابه قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذبح أضحيته يقول اللهم منك ولك

مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 166⁴⁸⁷

مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 361 ورسالة في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة ج: 1⁴⁸⁸

ص: 82 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 110

فإنه لا يقبل دين إلا دين الإسلام وهو الإسلام لخلقه وأمره فمسلم لما قدره وقضاءه ويسلم لما يأمر به ويحبه وهذا ن فعله وندعو إليه وذاك نسلمه وننوك في عليه ففرضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبأنا ونقول في صلاتنا {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 مثل قوله تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله تعالى {اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} البقرة 153 قوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارَ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذَاكِرِينَ} 114 {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} 115 هود 115

⁴⁸⁹

امثال الأمر على الإطلاق لا يصح بدون التوكل والاستعانة

وإذا كان الله قد فرض علينا أن نناديه وندعوه بهاتين الكلمتين {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 في كل صلاة فمعולם أن ذلك يقتضي أنه فرض علينا أن نعبده وأن نستعينه إذ إيجاب القول الذي هو إقرار واعتراف ودعاء وسؤال هو إيجاب لمعناه ليس إيجاباً لمجرد لفظ لمعنى له فإن هذا لا يجوز أن يقع بل إيجاب ذلك أبلغ من إيجاب مجرد العبادة والاستعانة فإن ذلك قد يحصل أصله بمجرد القلب أو القلب والبدن بل أوجب دعاء الله عز وجل ومناجاته وتكليمه ومخاطبته بذلك ليكون الواجب من ذلك كاملاً صورة ومعنى بالقلب وبسائر الجسد وقد جمع بين هذين الأصلين الجامعين إيجاباً وغير إيجاب في مواضع قوله في آخر سورة هود {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 قوله العبد الصالح شعيب {وَمَا تُوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكُّلُ وَإِلَيْهِ أُنْبِئُ} هود 88 قوله إبراهيم والذين معه {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكُّلًا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة 4 قوله سبحانه إذ أمر رسوله أن يقول {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أَمَّ لَتَّثُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فَلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكُّلُ وَإِلَيْهِ مَنَابُ} الرعد 30 فأمر نبيه بأن يقول على الرحمن توكلت واليه متاب كما أمره بهما في قوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 والأمر له أمر لأمته وأمره بذلك في أم القرآن وفي غيرها لأمته ليكون فعلهم ذلك طاعة الله وأمثالاً لأمره و لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله و لهذا كان عامة ما يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم والخالصون من أمته من الأدعية والعبادات وغيرها إنما هو بأمر من الله بخلاف من يفعل ماله يؤمر به وإن كان حسناً أو عفواً وهذا أحد الأسباب الموجبة لفضله وفضل أمته على من سواهم وفضل الخالصين من أمته على المشوبين الذين شابوا ماجاء به بغيره كالمنحرفين عن الصراط المستقيم وإلى هذين الأصلين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد في عباداته وأذكاره ومناجاته مثل قوله في الأضحية اللهم هذا منك و لك فإن قوله منك هو معنى التوكل والاستعانة و قوله لك هو معنى العبادة و مثل قوله في قيامه من الليل لك أسلمت وبك أمنت وعليك توكلت وإليك أنت و بك خاصمت وإليك حاكمت أعود بعزتك لا إله إلا أنت أنت أضلني أنت الحي الذي لا تموت و الجن و الانس يموتون إلى أمثال ذلك

⁴⁹⁰

مجمع الفتاوى ج: 27 ص: 379

مجمع الفتاوى ج: 14 ص: 8 و رسالة في تحقيق التوكل ج: 1 ص: 91

لا تصح العبادة لله وطاعة أمره بدون التوكل عليه كما أن التوكل عليه لا يصح بدون عبادته وطاعته قال تعالى **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** هود 123 وقال تعالى {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} 2 ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكلا على الله فهو حسنه 3 الطلاق 3-2 وقال تعالى {وَإِذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّتَّ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} 8 رب المشرق والمغارب لا إله إلا هو فاتخذوه كيلا 9 المزمول 8-9 و المقصود أن إمتنال الأمر على الإطلاق لا يصح بدون

التوكل والإستعانة ومن كان واثقا بالله أن يجلب له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره أمكن ان يدع
هوه ويطيع أمره وإلا فنفسه لا تدعه أن يترك ما يقول أنه محتاج فيه إلى غيره⁴⁹¹

ينبوع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة وإستعانة

فى حديث أبي هريرة رضى الله عنهم الذى رواه الترمذى وصححه قيل يا رسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق قيل وما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجوافان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم قال قال رسول الله أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الإيمان فى كمال حسن الخلق ومعه أن الإيمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضوع فإنها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله إخلاص العبد لربه عبادة وإستعانة كما فى قوله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** الفاتحة 5 وفي قوله **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** هود 123 وفي قوله **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ إِلَيْهِ أَنِيبُ}** هود 8 وفى قوله **{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا اللَّهَ}** العنكبوت 17 بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين إنقاضاً بهم أو عملاً لأجلهم و يجعل همة ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له فى كل مطلوب من فاقة و حاجة و مخافة وغير ذلك والعمل لله بكل محبوب⁴⁹²

ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدهه الله فيهم فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو قال تعالى {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} فاطر 2 وقال تعالى {وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِبَصْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرْدِكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَأَدٌ لِفَضْلِهِ} يونس 107 وقال تعالى {وَإِنْ يَمْسِكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17 {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِبَصْرٍ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} الزمر 38 وقال صاحب بيس **{الْتَّخْدُ مِنْ دُونِهِ أَلَهُ إِنْ يُرْدِنْ}**

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 492⁴⁹¹

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 659 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 91-92⁴⁹²

الرَّحْمَنِ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ {23} إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24}يس 23-24 ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع
 الأثر من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده قال تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَسِنَاتِ لَا يَمُوتُ وَسَبَّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذِنْبِهِ خَيْرًا } الفرقان 58 والله تعالى أمر بعبادته والتوكيل عليه قال تعالى { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123
 الرعد 30 { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلْ أَنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84
 493

النور والمعرفة هو أصل المحبة والإرادة

فالنور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والإرادة ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة عن المجملة المشتركة وكما يقع هذا الإجمال في المحبة يقع أيضاً في التوحيد قال الله تعالى في أم الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة في كل صلاة أن يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5 وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأله إذا قال العبد {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 2 قال الله حمدني عبدي وإذا قال {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } 3 قال الله أنت على عبدي وإذا قال { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } 4 قال مجدني عبدي أو قال فوض إلى عبدي وإذا قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5 قال بهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأله فإذا قال {اَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْقِيمَ } 6 صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضاللين 7 قال فهو لاء لعبدي ولعبدي ما سأله ولهذا روى أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في القرآن ومعانى القرآن في المفصل ومعانى المفصل في أم الكتاب ومعانى أم الكتاب في هاتين الكلمتين {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } 5 وهذا المعنى قد ثناه الله في مثل قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي مثل قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ مَتَابَ } الرعد 30 قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } الشورى 10 وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في نسكه اللهم هذا منك ولك فهو سبحانه مستحق التوحيد الذي هو دعاوه وخلاص الدين له دعاء العبادة بالمحبة والإنابة والطاعة والإجلال والإكرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من معانى تألهه وعبادته ودعاه المسئلة والإستعانة بالتوكيل عليه والإلتقاء إليه والسؤال له ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته وهو سبحانه الاول والآخر والباطن والظاهر ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال بإسم الرب فيقول المصلى والذاكر الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وكلمات الأذان الله أكبر الله أكبر الى آخرها ونحو ذلك وفي السؤال

{ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } الأعراف 23 { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي } الأعراف 151 { قَالَ رَبِّ بِمَا أَعْمَتْ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ } القصص 17 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } القصص 16 { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } آل عمران 147 { رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } المؤمنون 118 ونحو ذلك⁴⁹⁴

فلا خالق إلا الله ولا رب إلا الله ولا يجيب المضطربين ويرزق العباد إلا الله فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويعرف ويعز ويذل وهو الذي يستحق أن يستعان به ويتوكل عليه ويستعاذه به وللتوجيه للعباد إليه فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد كما قال تعالى في فاتحة الكتاب { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وقال تعالى { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ⁴⁹⁵ عَلَيْهِ } هود 123

أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه

وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوى الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال { اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } البقرة 21 فالعبادة لابد فيها من معرفته والإنبابة إليه والتذلل له والإفتقار إليه وهذا هو المقصود وإذا حصل الاعتراف بالرب والأقرار به من غير عبادة وانبابة كان وبالا على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإبليس اللعين فإنه معترف بربه مقر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى فباتباعه له كما قال { قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذُؤُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبْعَكْ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ } الأعراف 18 فلا بد أن يملأ جهنم منه ومن أتباعه مع أنه معترف بالرب مقر بوجوده وانما أبي واستکبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العلمية بمنزلة الفاعل والغاية ولها قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذي هو انباته إلى الله وخشيته له حتى يكون عابدا له فالرسل والكتب المنزلة أمرت بها وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السنوية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } البقرة 21 وقال أمرت أن أقاتل

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن الإله هو المعبود ولم يقل حتى يشهدوا أن لا رب إلا الله فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها خلق الخلق وبها أمروا وكذلك قوله لمعاذ إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوههم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال نوح عليه السلام

{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَإِنَّهُوَ أَطِيعُونَ} {نوح 3} وكذلك الرسول في سورة الأعراف وغيرها وقال تعالى {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} ⁴⁹⁶ هود 123

العلة الغائية هي تقرير الوهية وعبادته وطاعته والعلة الفاعلية هي تقرير وحدانية كونه خالقا وربا والعلة الغائية هي المقصودة التي هي أعلى وأشرف بل هي علة فاعلية للعلة الفاعلية ولها قدمت في مثل قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وفي مثل قوله {فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ ⁴⁹⁷ عَلَيْهِ} ⁴⁹⁷ هود 123

من راعى الأمر والقدر كان من الذين أنعم الله عليهم

والمؤمن مأموم بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى في قصة يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيقُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 فاللتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا قال الله تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشَّيِ وَالْإِبْكَارِ} غافر 55 فأمره مع الاستغفار بالصبر فإن العياد لابد لهم من الاستغفار أولهم وأخرهم قال النبي في الحديث الصحيح يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إنني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهي واسرافى في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي خطئي وعمدى وهزلى وجدى وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخترت وما أسررت وما أعلنت وما أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وقد ذكر عن آدم أبي البشر انه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتائب عليه وهداه وعن البليس أبي الجن لعن الله أنه أصر متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ومن أشبه أباه فما ظلم قال الله تعالى {وَحَمَّلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} 72 {لَيَعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَبْوَبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَوْرًا رَّحِيمًا} 73 الأحزاب 72-73 ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والإستغفار في غير آية كما قال تعالى {أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} فصلت 6 {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنِبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} محمد 19 وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد ذكر سبحانه عن ذى النون انه {فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} 87 {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْغُمَّ وَكَذَلِكَ ثُنِجِي الْمُؤْمِنِينَ} 88 الانبياء 88-87 قال النبي دعوة أخرى ذى النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه وجماع ذلك انه لابد له في الأمر من أصلين ولا بد له في القدر من أصلين ففي الأمر عليه الإجتهد في الإمتثال علما و عملا فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك ثم عليه أن يستغفر

ويتوب من تغريبه في المأمور وتعديه الحدود ولهذا كان من المشروع أن يختتم جميع الأعمال بالإستغفار فكان النبي إذا انصرف من صلاته استغفر ثلثا وقد قال الله تعالى {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} آل عمران 17 فقاموا بالليل وختموه بالإستغفار وأخر سورة نزلت قول الله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرٌ أَنْهَى وَالْفَتْحُ } 1 وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَذْلِلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } 2 فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا } 3 النصر 1-3 وفي الصحيح انه كان يكثر أن يقول في رکوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتاؤ القرآن وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل عليه ويدعوه ويرغب إليه ويستعيذ به ويكون مفترا عليه في طلب الخير وترك الشر وعليه أن يصبر على المقدور ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب وأن يستغفروها من المعائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشَيِّ وَالْإِبْكَارِ} غافر 55 فمن راعى الأمر والقدر كما ذكر كان عابدا الله مطينا له مستعينا به متوكلا عليه من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع كقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 قوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} 123 هود قوله {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَيْ} الشورى 10 {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنْبَيْ} هود 88 قوله {وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلَ لَهُ مَخْرَجًا} 2 وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَامِرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرَأً } 3 الطلاق 3-2 فالعبادة لله والاستعانة به وكان النبي يقول عند الأضحية وكان النبي يقول عند الأضحية اللهم منك ولك مما لم يكن بالله لا يكون فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله وما لم يكن الله فلا ينفع ولا يدوم ولابد في عبادته من أصلين أحدهما أخلاص الدين له والثانى موافقة أمره الذى بعث به رسلاه ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى دعائى اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالسا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى {لَيَنْلُوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} الملك 2 قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا على ما أخلصه وأصوبه قال إذا كان العمل خالسا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالسا لم يقبل حتى يكون خالسا صوابا والخالص أن يكون الله والصواب أن يكون على السنة 498

لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} 96 إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برسيد 97 هود 96-97 والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله {أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلُّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} الروم 35 قوله {مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} الأعراف 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخاري في صحيحه 499

2-السلطان هو الحجة وهو الكتاب المنزل كما قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ} هود 96⁵⁰⁰

3-قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} 96 إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمره
فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ⁵⁰¹ هود 97 وفرعون اسم لمن يملك مصر من القبط وهو
اسم جنس كقيسروكسري والنجاشي ونحو ذلك

4-قال تعالى {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرْقَانِ نَعْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَاتِمٌ وَحَصِيدٌ} 100 وما ظلمناهم ولكن
ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم اللههم التي يدعون من دون الله من شيء لاما جاء أمر ربكم وما
زادوهم غير تثبيت⁵⁰² 101 هود 100-101 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه
الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان
وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفتر النهر وهو المحل وجري النهر وهو
الماء ووضع الميزاب وهو المحل وجري الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً} النحل 112 قوله {وَكُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَا فَجَاءَهَا
بَأْسُنَا بَيَانًا أَوْ هُمْ قَاتِلُونَ} 4 فما كان دعواهم إذ جاءهم بأمسنا إلا أن قالوا إننا كنا ظالمين⁵
الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى {أَفَمِنْ أَهْلُ الْفُرْقَانِ أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا وَهُمْ نَائِمُونَ
} الأعراف 97 فجعل القرية هم السكان وقال {وَكَأَيْنِ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ فُوَّةً مِنْ قَرْيَةٍ الَّتِي
أَخْرَجَنَّكَ أَهْلُكُنَا هُمْ فَلَا نَاصِرٌ لَهُمْ} محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى {وَنِلْكَ الْفُرْقَانِ
أَهْلُكُنَا هُمْ لَمَّا ظلمُوا وَجَعَلُنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} الكهف 59 وقال تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ
خَلَوِيَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا
يسمى قرية إلا إذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قوله قريت الماء في
الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول
هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب اهلها خربت اذا خربت كان عذابا لأهلها
فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما قوله {وَاسْأَلِ
الْفُرْقَانَ} يوسف 82 مثل قوله {قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَةً} النحل 112 فاللفظ هنا يراد به
السكان من غير اضمار ولا حذف⁵⁰³

5- ظلم النفس فانه اذا أطلق تناول جميع الذنوب فانها ظلم العبد نفسه قال تعالى {وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} هود 101⁵⁰⁴

الاستقامة ج: 1 ص: 22 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 316⁵⁰⁰

قواعد في المحبة ج: 1 ص: 46⁵⁰¹

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163⁵⁰²

مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 62⁵⁰³

6- قال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمُ الْهَنْئُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرُ شَيْبِ } هود 101 الدعاء قصد المدعى و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة ⁵⁰⁴

7- قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ } هود 102 ومن ظن ان الحقيقة في مثل قوله { وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } يوسف 82 هو سؤال الجدران فهو جاهل هناك من ينكرون استعمال اللفظ في حال في معنى وفي حال اخرى كما يستعمل لفظ القرية تارة في السكان وتارة في المساكن ويبدعون انه لا يعني به الا المساكن وهذا غلط فبعضهم يقولون هنا مخدوف تقديره وسائل أهل القرية وبعضهم يقولون بل المراد وسائل الجدران والصواب ان المراد بالقرية نفس الناس المشتركون في ذلك المكان فلفظ القرية هنا أريد به هؤلاء كما في قوله تعالى { وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتَكَ الَّتِي أَخْرَجَنَّكَ أَهْلَكُنَّاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13 وكذلك قوله { وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَثَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبَنَاها حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَنَاها عَذَابًا نُكْرًا } الطلاق 8 ونظائره متعددة ⁵⁰⁵

8- قال تعالى { يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيقٌ وَسَعِيدٌ } هود 105 فإن الإذن نوعان إذن لمعنى المشيئة والخلق وإذن بمعنى الإباحة والإجازة ⁵⁰⁶

9- قال تعالى { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } هود 108 ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم واعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما اخبرت به النصوص وكذلك اهل النار فانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار ⁵⁰⁷

شرح العمدة ج: 4 ص: 28⁵⁰⁴

مجمع الفتاوى ج: 20 ص: 463⁵⁰⁵

الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 132⁵⁰⁶

مجمع الفتاوى ج: 10 ص: 65⁵⁰⁷

10- قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلْمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} هود 110 ذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بل نظر التوراة في غير موضع 508

11- قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلْمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} 110 {وَإِنْ كُلًا لَمَّا لَيُوْفِيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ} 111 هود 111-110 لفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من الناظر ومنه قوله {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء 82 قوله {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ} 8 يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَاكَ 9 الذاريات 8 قوله {وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ} البقرة 253 509

12- قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} هود 112 بصير منه عن العمى 510

13- قال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ السَّيِّئَاتِ} هود 114 والذى عليه عامة المفسرين أن الحسنة و السيئة يراد بها النعم و المصائب ليس المراد مجرد ما يفعله الانسان باختياره باعتباره باختياره من الحسنات أو السيئات ولفظ الحسنات و السيئات في كتاب الله يتناول هذا وهذا قال الله تعالى عن المنافقين {إِنْ تَمْسَكُمْ حَسَنَةً شَسُونَهُمْ وَإِنْ تُصْبِحُمْ سَيِّئَةً يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَنْتَقُلُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} آل عمران 120 وقال تعالى في حق الكفار المنظيرين بموسى ومن معه {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصْبِحُهُمْ سَيِّئَةً يَطْبَرُوا وَبِمُوْسَى وَمَنْ مَعَهُ} الأعراف 131 ذكر هذا بعد قوله {وَلَقَدْ أَخْذَنَا الْفِرْعَوْنَ بِالسَّيِّئَاتِ وَنَقْصَ مِنَ الظَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُوْنَ} الأعراف 130 وأما الأفعال المأمور بها والمنهي عنها ففي مثل قوله تعالى {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} الأنعام 160 511

14- قال تعالى {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} هود 115 والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازما لصاحبها أو متعديا إلى الغير 512

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244⁵⁰⁸

مجمع الفتاوى ج: 13 ص: 19⁵⁰⁹

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407⁵¹⁰

مجمع الفتاوى ج: 14 ص: 234-235⁵¹¹

مجمع الفتاوى ج: 30 ص: 370⁵¹²

15- هذه الصيغة تدل على امتناع المنفي كقوله {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} هود 117
وقوله {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} الأنفال 33⁵¹³

16- قال تعالى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} هود 117 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلها داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضع الميزاب وهو المحل وجري الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَةً} النحل 112 وقوله {وَكُمْ مَنْ قَرْيَةً أَهْلَكَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيْتَانَ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} 4 فما كان دعواهم أذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين 5 الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى {أَفَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيْتَانَ وَهُمْ نَائِمُونَ} الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال {وَكَيْنَ مَنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتَكُ التِّي أَخْرَجْنَكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا تَأْصِرْ لَهُمْ} محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى {وَتَلْكَ الْقُرَى أَهْلَكَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} الكهف 59 وقال تعالى {أَوْ كَلَذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَلَوَيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذه من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قربت الماء في الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلذارهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذبا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله {وَاسْأَلُ الْقَرْيَةَ} يوسف 82 مثل قوله {قَرْيَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَةً} النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف⁵¹⁴

17- قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَافِينَ} 118 إلا من رَحْمَ رَبُّكَ وَلِذِلِكَ خَلَقْهُمْ 119 هود 118-119 اللام لام التعليل (لامات كي)⁵¹⁵

18- قال تعالى {وَكُلَّا نَقْصَنْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا تُبْتَ بِهِ فُؤَادُكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} هود 120 والوعظ في القرآن مرادا به الأمر والنهي بترغيب وترهيب⁵¹⁶

مجمع الفتاوى ج: 13 ص: 300⁵¹³

مجمع الفتاوى ج: 7 ص: 163⁵¹⁴

الصفدية ج: 1 ص: 148⁵¹⁵

مجمع الفتاوى ج: 2 ص: 45⁵¹⁶

19- قال تعالى **{وَكُلًاً نَفْصُنْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نُنَبِّثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}** هود120 ذكر بصيغة الجمع **{نَفْصُنْ عَلَيْكَ}** هود120 و **{عَلَيْنَا جَمْعَةُ وَقُرْآنُهُ}** القيامة17 و **{عَلَيْنَا بَيَانُهُ}** القيامة19 فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله عز وجل وأما قوله نتلوا ونقض ونحوه فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعون يطيعونه فإذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال نحن فعلنا كما يقول الملك نحن فتحنا هذا البلد وهو منا هذا الجيش ونحو ذلك⁵¹⁷

20- قال الله تعالى **{وَلِلَّهِ عَبْدٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَافِ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** هود123 أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منها مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضادفة كالآبوبة والبنوة أو كالأخوة من الجانبيين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبا للأمر مقصودا له كما في قوله **{وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَافِ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** هود123 وفي قوله **{وَأَنْقُوا اللَّهَ}** البقرة189 وفي قوله **{وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** المائدة93 وفي قوله **{فَلَمَّا أُتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** التغابن8 وفي قوله **{أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْقُوْهُ وَأَطِيعُونَ}** نوح3 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكلا أمر مطلوبة مقصودة بل هي نفس المأمور به⁵¹⁸

رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ

نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالْدَّيْ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي ثُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

الحمد لله رب العالمين

####